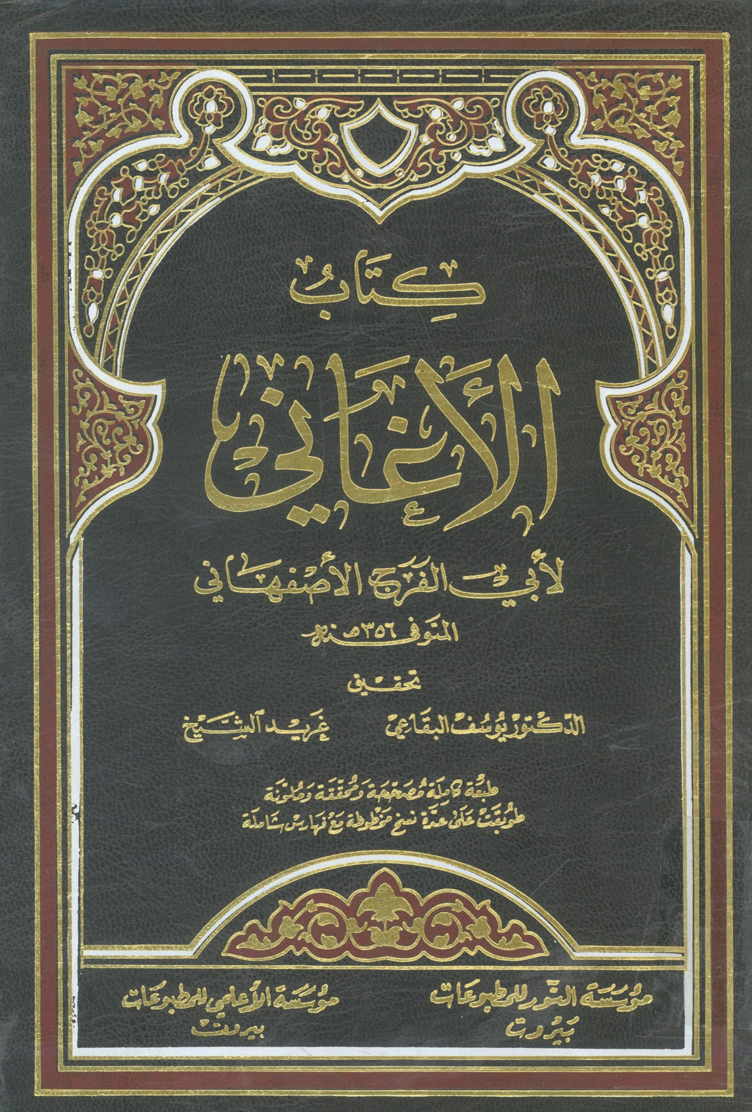

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت



كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثامن

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الاولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ - ٨٣٣٤٤٧

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نسب جرير وأخباره

[٢٨ـ ١١٠هـ/ ٦٤٠ـ ٧٢٨م]

[اسمه ونسبه]

جرير بن عطيّة بن الخَطَفَى. والخَطَفَى لقبٌ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُر بن أُد بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. ويُكنى أبا حَزْرة. ولُقِّب الخَطَفي لقوله: [الرجز]

يَرْفَعْنَ لِلَّيْلِ إذا مَا أسْدَفَا أعْنَاقَ جِنَّانٍ وهاماً رُجَّفا[1]
وعَنَقاً بَعْدَ الكَلال خَيْطَفَا[2]

ويُروى: خَطَفَى.

[المقدمون من شعراء الاسلام]

وهو والفَرَزْدَقُ والأخطل المقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدْركوا الجاهلية جميعاً. ومختلَفٌ في أيُّهم المتقدّمُ؛ ولم يَبْقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أَسَنَّ ونفِد أكثر عمره. وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه فليس نَجْرَه من نِجَار[3] هذين في شيء؛ وله أخبار مفردة عنهما ستُذكر بعد هذا مع ما يُغَنَّى من شعره.

---

(١) أسدف الليل: أظلم. والجِنّان: جنس من الحيات إذا مشت رفعت رؤوسها. والهام: الرؤوس. والرُّجَّف: المرتجفة، المضطربة.

(٢) العَنَق: السَّير المنبسط. والخَيْطَف: سرعة انجذاب السّير.

(٣) النَّجر والنِّجار: الأصل والحسب.

أخبرني أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب الجُمَحيّ قال: حدّثنا محمّد بن سَلاّم الجُمَحيّ، وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا: حدّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ عن محمد بن حَبِيب وأبي غَسّان دَمَاذ وإبراهيم بن سَعْدان عن أبيه جميعاً عن أبي عُبَيدة مَعْمَر بن المثنّى، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائرِ ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سَلاَّم. قالوا جميعاً: وأمّ جَرير أمّ قَيْس بنتُ مُعَيْد بن عُمَير بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَرْبُوع. وأُمّ عطيّة النَّوَار بنت يَزيد بن عبد العُزَّى بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب.

[أقوال النقاد والشعراء في الفرزدق والأخطل]

قال أبو عُبَيدة ومحمد بن سَلاَّم ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبَّة عنه: اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جريرٌ والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض. قال محمد بن سَلاَّم: والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم، والمخالِف في ذلك قليل. وقد سمعتُ يونسَ يقول: ما شهدت مَشْهَداً قطُّ قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما. وكان يونس فَرَزْدقيّاً.

قال ابن سَلاَّم: وقال ابنُ دأب: الفرزدق أشعرُ عامَّةً وجرير أشعرُ خاصَّةً. وقال أبو عُبيدة: كان أبو عمرو يشبِّه جريراً بالأعشى، والفرزدقَ بزُهَير، والأخطلَ بالنابغة. قال أبو عبيدة: يحتجّ مَنْ قدّم جريراً بأنه كان أكثرَهم فنونَ شعر، وأسهَلهم ألفاظاً، وأقلَّهم تكلّفاً، وأرقَّهم نَسيباً، وكان ديِّناً عفيفاً. وقال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشْبَهَهما وأنسبَهما.

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ: قال خالد بن كُلْثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

[الطويل]

عَجِبْتُ لِعِجْلٍ إذْ تُهَاجِي عَبيدَها ... كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوا آلَ دارِمِ[1]

---

(١) آل يربوع: قوم جرير. وآل دارم: قوم الفرزدق.

يَعْني بعَبيدها بني حَنيفة. وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة: [الكامل]

إنَّ الْـفَـرَزْدَقَ وَالْـبَـعِـيـثَ وَأُمَّـهُ ... وَأبَا الْبَعِيثِ لَشَرُّ مَا إسْتَارِ[١]

قال: وقال جرير: لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعراً قبلي، قلتُ: [الوافر]

مِنَ الأصْلابِ يَنْزِلُ لُؤْمُ تَيْمٍ ... وفي الأرْحامِ يُخْلَقُ وَالمَشِيمِ[٢]

وقال محمد بن سَلاَّم: قال العَلاء بن جرير العَنْبريّ وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجىء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ[٣]، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً[٤] وسكّيتاً. قال محمد بن سلاَّم: ورأيت أعرابيّاً من بني أسَد أعجبني ظَرْفُه وروايته، فقلت له: أيُّهما عندكم أشعرُ؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلِّها غلب جرير؛ قال في الفخر: [الوافر]

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ... حَسِبْتَ النّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

والمديح: [الوافر]

ألَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايا ... وأنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ راحِ

والهجاء: [الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلابَا

والنَّسيب: [البسيط]

إنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِهَا حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثم لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانَا[٥]

قال أبو عبد الله محمد بن سَلاّم: وبيتُ النَّسيب عندي: [الطويل]

فَلَمَّا الْتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ العَصَا ... وَمَاتَ الْهَوى لما أُصِيبتْ مَقَاتِلُهْ

قال كيْسان: أما والله لقد أوجعكم (يعني في الهجاء). فقال: يا أحمق! أَوَذاك يمنعه أن يكون شاعراً!

---

(١) الإستار (بكسر الهمزة) من العدد: الأربعة.
(٢) المشيم: الطبقة الخارجية للغشاء الذي يُكوّن فيه الجنين في البطن ويخرج معه عند الولادة.
(٣) السّكيت: (بتشديد الكاف وتخفيفها): الذي يجيء آخر الخيل في السباق.
(٤) المصَلّي: الذي يجيء ثانياً في السباق.
(٥) الحَوَرَ: شدة بياض بياض العين وسواد سوادها.

[خارجيّ يحكم لجرير]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني عمر بن شَبّة قال: قال أبو عُبَيدة، وأخبرنا أبو خليفة قال: حدّثني محمد بن سَلاَّم الجُمَحيّ قال: حدّثني أَبَانُ بن عثمان البَلْخِيّ قال:

تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلَّب، فارتفعا إليه وسألاه؛ فقال: لا أقول بينهما شيئاً ولكنّي أدلُّكما على من يَهُون عليه سُخْطُهما: عُبَيدة بن هِلاَل اليَشْكُريّ - وكان بإزائه مع قَطَريّ وبينهما نهر. وقال عمر بن شَبَّة: في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبَالُ[١] كلّ واحد منهما - فأمّا أنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضَيا بحكم الخوارج؛ فبدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه. فقال: إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه؛ فقال: وما هو؟ عليكما لعنة الله. قال: فأيّ الرجلين عندك أشعرُ: أجريرٌ أم الفرزدق؟ فقال: لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق! أمثلي يُسأل عن هذين الكلبين! قالا: لا بد من حكمك. قال: فإنّي سائلُكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سَلْ. قال: ما تقولون في إمامكم إذا فجر؟ قالوا: نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ. قال: قبّحكم الله! فما تقولون في كتاب الله وأحكامه؟ قالوا: نَنْبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أحكامه. قال: لعنكم الله إذاً! فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله وننيك أمّه. قال: أخزاكم الله إذاً! والله لقد زِدْتُموني فيكم بَصيرةً. ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له: إن الوفاء يَلْزَمك، وقد سألتَنا فأخبرناك ولم تُخبرنا؛ فرجع فقال: من الذي يقول: [الكامل]

إنّا لنَذعَرُ يا قُفَيرُ عَدُوَّنا ... بالخَيل لاحِقَةَ الأَيَاطِلِ قُودَا[٢]
وَتَحُوطُ حَوْزَتَنا وتَحمِي سَرْحَنا ... جُرْدٌ تَرَى لمُغَارِها أُخْدُودا[٣]
أَجْرَى قَلائِدَها وَقَدَّد لَحمَها ... ألاّ يَذُقْنَ مَعَ الشَّكائم عُودَا[٤]

---

(١) السبال: جمع سَبَلة وهي طرَف الشارب ومقدّم اللّحية.

(٢) قُفَير: أم الفرزدق. والأياطل: جمع أيطل، وهي الخاصرة. ولاحقة: ضامرة. والقُوْد: جمع أقود وهو الجواد الطويل العنق.

(٣) السّرح: الماشية. والجُرْدُ: الخيل التي لا رجالة فيها. والمغار: الإغارة. والأخدود: الشقّ المستطيل في الأرض ويريد به أثر حوافر الخيل في الأرض.

(٤) الشكائم: جمع شكيمة، وهي من اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس.

وطَوَى القِيادُ مَعَ الطِّرَادِ مُتونَها   طَيَّ التِّجارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودا

قالا: جريرٌ. قال: فهو ذاك، فانصرفا.

أخبرني عمّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: قال الأصمعيّ وذكر جريراً فقال: كان يَنْهَشُه ثلاثة وأربعون شاعراً فيَنْبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان يَنْفَحه[١] فيرمي به، وثبَت له الفرزدقُ والأخطل. وقال جرير: والله ما يهجوني الأخطل وحدَه وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيزٌ ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جَمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل[٢] هو القصيدَة بعد أن يُتَمِّموها.

قال ابن سَلاَّم: وحدَّثني أبو البَيْداء الرِّيَاحيّ قال: قال الفرزدق: إنِّي وإيَّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: حدّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال: كان جريرٌ مَيدانَ الشعر، من لم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً، وكان مَنْ هاجَى جريراً فغلَبه جرير أرجحَ عندهم ممَّن هاجَى شاعراً آخر غير جرير فغلَب.

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حَلْقة يونس بن معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء وخَلَف الأحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعيّان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير والله أنسبهما وأسبَّهما[٣] وأشبَهَهما.

قال ابن سَلاَّم: وحدّثني أبو البَيْداء قال: مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنِّي بيتين لجرير، وهما: [الطويل]

وَعاوٍ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيتُهُ   بِقارِعةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّمَا
خَرُوجٍ بِأفْواهِ الرُّواةِ كأنَّها   قَرَا هُنْدُوَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا[٤]

(١) نفحه: (بالحاء المهملة): ضَرَبَهُ ضربةً خفيفة.
(٢) ينتحل القصيدة: ينسبها إلى نفسه وليست له.
(٣) أَسَبُّهما: أكثرهما سَبّاً.
(٤) الهندواني: (بكسر الهاء وضمها): المنسوب للهند وأراد الرمح المصنوع بالهند. وقرا الرمح: ظهره.

فأتْبَعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجِنّ والإنس ما أغنَوْا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: وَيْحَكم أَأُلام على أن يغلِبني مثلُ هذا!

[رأي بشار فيه]

قال ابن سَلاَّم: وسألت بَشَّاراً المرعَّث: أيُّ الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكنّ رَبِيعةَ تعصَّبتْ له وأفْرطتْ فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوَار فقاموا يَنُوحون عليها بشعر جرير. فقلتُ لبَشَّار: وأيُّ شيء لجريرٍ من المَرَاثي إلاَّ التي رَثَى بها امرأتَه! فأنشدني لجرير يَرْثي ابنَه سَوَادةَ ومات بالشام: [البسيط]

قالوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلتُ لَهُمْ ... كَيْفَ العَزاءُ وَقَدْ فارقتُ أشبالي
فَارَقْتني حِينَ كَفَّ الدَّهرُ مِنْ بَصَري ... وَحين صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّة البالي[1]
أَمْسَى سَوَادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِم ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبَاءِ العالي[2]
قَدْ كُنتُ أَعْرِفُهُ مِنِّي إذا غَلِقتْ ... رُهُنُ الجِياد ومَدّ الغَايَة الغَالي[3]
إنّ الثَّوِيَّ بِذي الزَّيْتُونِ فَاحْتَسِبي ... قَدْ أَسرعَ اليومَ في عقلي وفي حالي[4]
إلاّ تَكُنْ لَكَ بالدَّيْرَيْن مُغْوِلَةٌ ... فَرُبَّ باكِيَةٍ بالرَّمْلِ مِغْوَالِ
كَأُمِّ بَوٍّ عَجُولٍ عِنْدَ مَعْهَدِه ... حَنَّتْ إلى جَلَدٍ منه وأَوْصالِ[5]
حَتَّى إذا عرَفتْ أن لا حَيَاةَ بِهِ ... رَدَّتْ هَمَاهِمَ حَرَّى الْجَوْفِ مِثْكالِ[6]
زادَتْ عَلَى وَجْدِها وَجْداً وَإنْ رجَعتْ ... في الصَّدْرِ مِنْها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبَالِ

أخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهِليّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عُقَيل قالا: خرج جرير إلى دِمَشْق يَؤُمُّ الوَليدَ، فمرض ابن له

(١) الرِّمَّة: العظام البالية.
(٢) اللحم: الذي يأكل اللحم أو يشتهيه. والباز والبازي: ضرب من الطيور اللاحمة. ويصرصر: يصيح أشدّ الصياح. والمربأ: المرقب.
(٣) الغالي: الرامي بالسهام.
(٤) الثَّوِيّ: المقيم.
(٥) البَوّ: ولد الناقة. والْجَلَد: لغة في الجلد.
(٦) الهماهم: جمع همهمة وهي ترديد الزئير في الصدر من شدّة الهمّ.

يقال له سَوَادة، وكان به مُعْجَباً، فمات بالشام؛ فجزع عليه ورثاه جرير فقال:

[البسيط]

أَوْدَى سَوَادةُ يَجْلُو مُقْلَتِيْ لَحِمٍ   بازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْبإِ العالي

[إعجاب الفرزدق بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أحمد بن معاوية قال: حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال: حدّثني أبو نصر اليَشْكُريّ عن مولًى لبني هاشم قال: امْتَرى أهلُ المجلس[١] في جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال: يا نَوَار، أدركتْ بَرْنِيَّتُكِ[٢]؟ قالت: قد فعلتْ أو كادتْ. قال: فابعثي بدرهم فاشتري لحماً، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقِيه على النار ويأكل. ثم قال: هاتِي بَرْنِيَّتَكِ، فشرب قَدَحاً ثم ناولني، وشرب آخر ثم ناولني. ثم قال: هاتِ حاجتَكَ يابنَ أخي، فأخبرتُه؛ قال: أعَن ابن الخَطَفَى تَسألني! ثم تنفَّس حتى قلْتُ: انشقَّتْ حَيَازِيمُه[٣]، ثم قال: قاتلَه الله! فما أَخْشنَ ناحيتَه وأَشْردَ قافيتَه! والله لو تركوه لأَبْكَى العجوزَ على شبابِها، والشَّابَّةَ على أحبابها، ولكنهم هَرُّوه فوجدوه عند الهِرَاش[٤] نابحاً وعند الجِرَاء[٥] قارِحاً، وقد قال بيتاً لأنْ أكونَ قلتُه أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمس:

[الوافر]

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بنو تَمِيمٍ   حَسِبْتَ النَّاس كُلَّهُمُ غِضَابَا

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة، قالا: نزل الفَرَزْدَق على الأحوص حين قدِم المدينةَ. فقال الأحوص: ما تَشتهي؟ قال: شِواءً وطِلاءً[٦] وغِناء. قال: ذلك لك؛ ومضى به إلى قَيْنة بالمدينة؛ فَغنَّتْه:

---

(١) امترى أهل المجلس: تجادلوا.

(٢) البرنية: إناء واسع الفم من خزف أو زجاج ثخين، وجمعها براني.

(٣) الحيازيم: جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه.

(٤) اهترشت الكلاب: تقاتلت.

(٥) الجراء: يقال: جاراه مجاراة: جرى معه وسابقه.

(٦) الطِّلاء: من أسماء الخمر.

صوت

[الوافر]

ألاَ حَيِّ الدِّيارَ بِسُعْدَ إنِّي أُحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيارَ[١]
إذا ما حَلَّ أهلُكِ يا سُلَيْمَى بِدَارَةِ صُلْصُلٍ شحَطوا مَزَارَا[٢]
أراد الظَّاعِنون لِيَحْزُنُوني فهاجُوا صَدْعَ قَلْبي فاستطارَا

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر - فقال الفرزدق: ما أَرَقَّ أشعارَكم يا أَهل الحجاز وأمْلَحَها! قال: أوما تَدْرِي لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: فهو والله لجريرٍ يَهْجُوك به. فقال: وَيْلُ ابن المَرَاغة! ما كان أحْوجَه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحْوَجَني مع شَهَواتي إلى رِقَّة شعره!

[بين جرير والأحوص وأشعب]

أخبرني أحمد قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاقَ المَوْصليّ، وأخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمَّاد عن أبيه قال: قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحشَدْنا له. فبَيْنا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟ قال: أُخْزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرٌ علينا وقال: مَنِ الرجلُ؟ قلنا: الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقلَح. قال: هذا الخَبيث ابنُ الطيِّب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلتَ:

[الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْني ما يَقَرُّ بِعَيْنِها وَأَحْسَنُ شَيْءٍ ما بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ

فإنَّه يَقَرُّ بعينها أن يدخُلَ فيها مثلُ ذراع البَكْر، أفيَقَرُّ ذلك بعينك؟ - قال: وكان الأحوصُ يُرْمى بالأُبْنة[٣] - فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخَّر البيت وأشْعبُ عند الباب؛ فأقبل أشعبُ يسأله؛ فقال له جرير: والله إنك لأقبَحُهم وجهاً ولكنِّي أراك أطولَهم حَسَباً، وقد أبْرمتَني. فقال: أنا والله أنفعُهم لك. فانتبه جريرٌ فقال: كيف؟ قال: إني

(١) سُعد: موضع بنجد. (معجم البلدان ٣/ ٢٣٠).
(٢) دارة صُلصُلٍ: موضع لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد. (معجم البلدان ٣/ ٤٢١). وشحطوا بعدوا.
(٣) الأُبنة: العيب واللواط. والمأبون من قوم لوط: الذي يُفعل به.

لأملِّح شعرك؛ واندفع يغنِّيه قولَه:

صوت

[الكامل]

يَا أُخْتَ نَاجِيَةَ السَّلامُ عَلَيْكُمُ ... قَبْلَ الْفِرَاقِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُذَّلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يَوْمُ الْفِرَاقِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

قال: فأدناه جريرٌ منه حتى أَلْصق ركبتَه بركبته وجعله قريباً منه؛ ثم قال: أَجَلْ! والله إنك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً لِشعْري. أَعِدْ؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلَّت لِحْيته[1]، ثم وَهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكَسَاهُ حُلَّةً من حُلَلِ الملوك. وكان يُرسل إليه طولَ مُقَامه بالمدينة فيغنِّيه أشعبُ ويُعْطيه جريرٌ شعرَه فيغنِّي فيه. قال: وكان أشعب من أحسنِ الناس صوتاً. قال حماد: والغناء الذي غنَّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج.

[مداحة هجّاء]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثنا أبو سعيد السُّكّري عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المغيرةُ بن حَجْناء قال: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبي قال: حدَّثني النَّهْشَليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل قال: حدَّثني مِسْحَل بن كُسَيْب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفى، وأمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير ـ وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتَوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقَض جريراً أو اعْتَنَّ[2] بينه وبين الفرزدق وغيره، فذكرتُه هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار ـ:

أنّ جريراً قدِم على الحَكَم بن أيوب بن يحيى بن الحَكَم بن أبي عُقَيل، وهو خليفة للحَجَّاج يومئذ، فمدحه جرير فقال: [الرجز]

أَقْبَلْتُ مِنْ ثَهْلانَ أَوْ جَنْبَيْ خِيَمْ ... على قِلاصٍ مِثْلِ خِيطَانِ السَّلَمْ[3]

ثهْلانُ: جبلٌ كان لباهِلَةَ ثم غلَبتْ عليه نُمَيْرٌ. وخِيَم: جبلٌ يُنَاوِحُه من طَرَفِه الأَقْصَى فيما بين رُكْنِه الأقصى وبين مَطْلِع الشمس، به ماء ونخل.

---

(١) اخضلّت لحيته: ابتلت.
(٢) اعتنّ بينه وبينه: اعترض بينهما.
(٣) الخيطان: جمع خوط وهو الغصن.

قَـدْ طُـوِيَـتْ بـطـونُـهـا طَـيَّ الأدَمْ يَـبْـحَـثْـنَ بَـحْـثـاً كَـمُـضِـلاَّتِ الـخَـدَمْ[١]
إذا قَـطَـعْـنَ عَـلَـمـاً بَـدا عَـلَـمْ حَـتَّـى تَـنـاهَـيْـنَ إِلَـى بـابِ الـحَـكَـمْ
خَـلِـيـفَـةِ الـحَـجَّـاجِ غَـيْـرِ الـمُـتَّـهَـمْ فـي مَـعْـقِـدِ الـعِـزِّ وبُـؤْبُـوءِ الـكَـرَمْ[٢]
بَـعْـدَ انْـفِـضَـاجِ الـبُـدْنِ والـلَّـحْـمُ زِيَـمْ[٣]

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظَرْفُه وشعره؛ فكتَب إلى الحَجَّاج: إنه قدِم عليَّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن ٱبعثْ به إليّ، ففعل. فقدِم عليه فأكرمه الحَجَّاج وكَسَاه جُبَّة صَبَرِيَّة[٤] وأنزله فمكَث أياماً. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أجبِ الأمير؛ فقال: أَلبَس ثيابي؛ فقال: لا! والله لقد أمرَنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدُك عليها؛ ففزع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُل دنا منه وقال: لا بأسَ عليك، إنما دَعَاك للحديث.

[بين جرير والحجّاج]

قال جرير: فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدوَّ الله! عَلاَمَ تشتُم الناسَ وتظلمهم؟ فقلتُ: جعلني الله فداء الأمير، والله إني ما أظلمهم ولكنَّهم يظلِمُونني فأنتصر. ما لي ولابن أُمّ غَسَّان! وما لي وللبَعِيث! وما لي وللفَرَزْدَق! وما لي ولِلأخطَل! وما لي وللتَّيْمِيّ! حتى عَدَّدهم واحداً واحداً. فقال الحجاج: ما أَدْري ما لك ولهم! قال: أُخبِرُ الأميرَ أعزَّه الله: أمَّا غَسَّانُ بن ذُهَيْل فإنه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عَشيرتي وكان شاعراً. قال: فقال لك ماذا؟ قال: قال لي: **[الطويل]**

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ بَجِيلَةُ زانَـهـا جَـريرٌ لَقَدْ أَخْزَى كُلَيْباً جَرِيرُهـا[٥]
رَمَيْتَ نِضَالاً عَنْ كُلَيبٍ فَقَصَّرَتْ مَرَامِيكَ حَتَّى عاد صِفْراً جَفِيرُها[٦]

(١) الخَدم: جمع خدمة وهي الخلخال.
(٢) المعقد: موضع العقد.
(٣) الانفضاج: السمن والضخامة. والبُدْن: جمع بدنة وهي الناقة التي تنحر بمكة في الحج. والزيم: جمع زيمة، وهي المتفرقة.
(٤) صَبَرِيَّة: نسبة إلى صبر وهو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز في اليمن.
(٥) أراد بجرير الأول جرير بن عبد الله البجلي، وهو صحابي أسلم عام توفي رسول الله ﷺ. أما جرير الثاني فهو الشاعر جرير بن عطية.
(٦) الجفير: جعبة السهام.

ولا يَـذْبَـحُـونَ الـشَّـاةَ إلا بِـمَـيْـسِـرِ   طـويـلٌ تَـنَـاجِـيـهـا صِـغـارٌ قُـدُورُهـا[١]

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلت: [الطويل]

أَلا لـيـتَ شِـعْـري عَـنْ سَـلـيطٍ أَلَـمْ تَجِـدْ   سَـلِـيـطٌ سِـوَى غَـسَّـانَ جـاراً يُـجِـيـرُهـا[٢]
فَـقَـدْ ضَـمَّـنُـوا الأَحْـسَـابَ صـاحِـبَ سَـوْأَةٍ   يُـنَـاجِـي بـهـا نَـفْـسـاً خَـبِـيـثـاً ضَـمِـيـرُهـا
كـأَنَّ سَـلِـيـطـاً فـي جَـوَاشِـنِـهـا الـخُـصَـى   إذا حَـلَّ بـيـن الأَمْـلَـحَـيْـن وَقِـيـرُهـا[٣]
أَضِـجُّـوا الـرَّوَايَـا بِـالـمَـزَادِ فـإنَّـكـم   سـتُـكْـفَـوْنَ رَكْـضَ الـخَـيْـلِ تَـدْمَـى نُـحـورُهـا[٤]
كـأنَّ الـسَّـلِـيـطِـيَّـاتِ مَـجْـنَـاةُ كَـمْـأَةٍ   لأوَّلِ جـانٍ بِـالـعَـصَـا يَـسْـتَـثـيـرُهـا[٥]
عَـضَـارِيـطُ يَـشْـوُون الـفَـرَاسِـنَ بـالـضُّـحَـى   إذا مـا الـسَّـرَايـا حَـثَّ رَكْـضـاً مُـغِـيـرُهـا[٦]
فـمـا فـي سَـلِـيـطٍ فـارسٌ ذو حَـفِـيـظَـةٍ   وَمَـعْـقِـلُـهـا يَـوْمَ الـهِـيـاجِ جُـعُـورُهـا[٧]
عَـجِـبْـتُ مِـنَ الـدَّاعِـي جُـحَـيْـشـاً وَصَـائِـداً   وَعَـيْـسـاءُ يَـسْـعَـى بِـالـعِـلاَبِ نَـفِـيـرُهـا[٨]

قال: ثم مَنْ؟ قال: البَعيث: قال: ما لك وله؟ قال: اعترض دون ابنِ أمّ غَسَّان يفضِّله عليّ ويُعِينه. قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: [الطويل]

كُـلَـيـبٌ لِـئـامُ الـنَّـاسِ قَـدْ تَـعْـلَـمُـونَـهُ   وَأَنْـتَ إذا عُـدَّتْ كُـلَـيْـبٌ لَـئِـيـمُـهـا
أَتَـرْجـو كُـلَـيـبٌ أَنْ يَـجِـيءَ حَـدِيـثُـهـا   بِـخَـيْـرٍ وَقَـدْ أَعْـيـا كُـلَـيـبـاً قَـديـمُـهـا

قال: فما قلت له؟ قال: قلت: [الطويل]

أَلَـمْ تـرَ أَنِّـي قَـدْ رَمَـيْـتُ ابـنَ فَـرْتَـنـى   بِـصَـمَّـاءَ لا يَـرْجُـو الـحَـيَـاةَ أَمِـيـمُـهـا[٩]
لَـهُ أُمّ سَـوْءٍ بِـئْـسَ مـا قَـدَّمَـتْ لَـه   إذا فَـرَطُ الأحـسـابِ عُـدَّ قَـدِيـمُـهـا[١٠]

(١) الميسر: القمار.
(٢) سليط: قبيلة غسان بن ذهيل السليطي.
(٣) الجواشن: الصدور. والأملحان: ماءان لبني ضبّة (انظر معجم البلدان ١/ ٢٥٥). والوقير: الغنم بكلبها وحمارها وراعيها.
(٤) الروايا: الإبل يستقى عليها. والمزاد: جمع مزادة وهي القربة.
(٥) مجناة كمأة: ما خرج من رأس الكمأة والكمأة: فطر من رتبة الزقيات والفصيلة الكمئية.
(٦) عضاريط: أتباع والواحد عضروط. والفراسن: أخفاف الإبل واحدها فرسن.
(٧) الجعور: جمع جعر: ما يبس في الدبر من العذرة.
(٨) جحيش: هو جحيش بن زياد أحد بني زبيد بن سليط. وصائد: سليطي. وعيساء: جدة غسان بن ذهيل. والعلاب: جمع علبة وهي التي يحلب فيها. والنفير: القوم.
(٩) الفرتنى: الزانية. والأميم: المشجوج الرأس شجاً وصل إلى أم الرأس.
(١٠) فَرَطُ الأحساب: أوائلها.

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الفَرَزْدَقُ. قال: وما لك وله؟ قلتُ: أعان البعيثَ عليّ.
قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

تَمَنَّى رِجالٌ مِن تَمِيم لِيَ الرَّدَى ... وما ذادَ عَنْ أحْسابِهِمْ ذائدٌ مِثْلي
كأنَّهُم لا يَعْلَمُونَ مَوَاطِني ... وَقَدْ جرَّبوا أنّي أنا السَّابقُ المُبْلي
فَلَوْ شاءَ قَوْمِي كانَ حِلْمِيَ فيهِمُ ... وكانَ على جُهَّالِ أعْدائِهِمُ جَهْلي
وَقَدْ زَعَمُوا أنَّ الفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ ... وما قَتَلَ الحيَّاتِ من أحدٍ قَبْلي

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الأخْطَل. قال: ما لك وله؟ قلتُ: رَشَاه محمد بن عُمَير بن عُطَارِدٍ زِقّاً من خمر وكَسَاه حُلَّةً على أن يفضِّل عليّ الفَرَزْدَقَ ويَهْجُوَني.
قال: فما قال لك؟ قال: قال: [الكامل]

إخسَأْ إلَيْكَ كُلَيبُ إنَّ مُجَاشِعاً ... وأبا الفَوَارِس نَهْشَلاً أخَوانِ
وإذا وَرَدْتَ الماءَ كانَ لِدارِمٍ ... جُمَّاتُهُ وسُهُولَةُ الأَعْطانِ[(١)]
وإذا قَذَفْتَ أباكَ في مِيزانِهِمْ ... رَجَحُوا وشالَ أبُوكَ في المِيزانِ

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الكامل]

يا ذا العَبَاءَةِ إنَّ بِشْراً قَدْ قَضَى ... ألاَّ تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوانِ[(٢)]
فدَعُوا الحُكُومَةَ لَسْتُمُ من أهْلِها ... إنَّ الحُكُومَةَ في بَنِي شَيْبانِ
قتَلُوا كُلَيْبَكُمُ بلِقْحَةِ جارِهِمْ ... يا خُزرَ تَغْلبَ لَسْتُمُ بِهِجَانِ[(٣)]

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عمر بن لَجَأ التَّيْميّ. قال: ما لك وله؟ قال: قلت بيتاً من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه؛ قلت: [الطويل]

لَقَوْميَ أحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْكُمُ ... وأَضْرَبُ لِلْجَبَّارِ والنَّقْعُ ساطِعُ
وَأوْثَقُ عِنْدَ المُرْهَفاتِ عَشِيَّةً ... لَحَاقاً إذا ما جَرَّدَ السَّيْفَ لامِعُ[(٤)]

---

(١) الجمات: جمع جمّة وهي مجتمع الماء ومعظمه. والأعطان: جمع عطن وهو مناخ الإبل حول الماء.
(٢) النشوان: السكران المصاب بنشوة السكر.
(٣) اللقحة: الناقة الحلوب. والخزر: جمع أخزر، وهو من كان في إحدى عينيه حول. والهِجان: البيض الكرام. وأراد أنهم ليسوا ذوي حسب كريم.
(٤) اللامع: الشاهر السيف إنذاراً.

فزعَم أنّي قلتُ: [الطويل]

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفات عَشِيَّةً … لَحاقاً إذا ما جَرَّدَ السَّيْفَ لامِعُ

فقال: لحِقتُهنّ عند العَشِيّ وقد أُخِذْنَ غُدْوَةً، والله ما يُمْسِينَ حتى يُفْضَحْنَ.

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلت: [البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لَكُمُ … لا يُوقِعَنَّكُمُ في سَوْأَةٍ عُمَرُ[1]

خَلِّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْني المَنَارَ بهِ … وَٱبرُزْ ببَرْزَةَ حيثُ اضْطَرَّكَ القَدَرُ[2]

حتى أتى على الشعر. قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: سُرَاقَةُ بن مِرْداس البارِقيّ. قال: ما لك وله؟ قال: قلت: لا شيء، حَمله بِشْر بن مَرْوان وأكرهه على هجائي، ثم بعث إليَّ رسولاً وأمرني أن أُجيبَه. قال: فما قال لك؟ قال: قال: [الكامل]

إنَّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزَتْ أعْراقُهُ … عَفْواً وغُودِرَ في الغُبارِ جَرِيرُ

ما كُنْتَ أوَّلَ مِخْمَرٍ قَعَدَتْ بِهِ … مسْعاتُهُ إنَّ اللَّئِيمَ عَثُور[3]

هٰذا قَضاءُ البارِقيّ وإنَّهُ … بالمَيْلِ في مِيزانِكُمْ لَبَصِيرُ

قال: فما قلت له؟ قال: قلت: [الكامل]

يا بِشْرُ حَقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ … هَلاّ غَضِبْتَ لنا وأنْتَ أميرُ

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَهُ … عَسِرٌ وعندَ يَسارِهِ مَيْسُورُ

إنَّ الكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الكَرمَ ابنُها … وَابْنُ اللَّئِيمَةِ لِلِّئام نَصُورُ

قد كانَ حَقُّكَ أن تقولَ لِبَارِقٍ … يا آلَ بارِقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ

وَكَسَحْتَ باسْتِكَ لِلفَخارِ وبارِقٌ … شَيْخانِ أعْمَى مُقْعَدٌ وكَسِير

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: البَلْتَع وهو المُسْتنيرُ بن سَبْرةَ العَنْبريّ. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ ابن لَجأ. قال: فما قال لك؟ قلت: قال: [الكامل]

إنَّ التي رَبَّتْكَ لَمّا طُلِّقَتْ … قَعدَتْ على جَحْشِ المَرَاغةِ تَمْرَغُ[4]

أتَعِيبُ مَنْ رَضِيَتْ قُرَيْشٌ صِهْرهُ … وَأبُوك عَبْدٌ بالخَوَرْنَقِ أذْلَغُ[5]

---

(١) عمر: هو عمر بن لجأ.

(٢) برزة: اسم أمّ عمر بن لجأ.

(٣) المخمَر: اللئيم، الخسيس. والعثور: الكثير العثرات.

(٤) المراغة: في الأصل الأتان التي لا تمتنع عن الفحل. والمراد بالمراغة أم جرير.

(٥) الأذلغ: الغليظ الشفتين، والأقلف، وكلا المعنيين جائز في البيت.

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

فَمَا مُسْتَنِيرُ الخُبْثِ إلا فَرَاشَةٌ هَوَتْ بين مُؤْتَجّ الحَرِيقَيْن ساطِعِ[١]
نَهَيْتُ بَنَاتِ المُسْتَنِيرِ عَنِ الرّقَى وَعَنْ مَشْيِهِنَّ اللَّيْلَ بَيْنَ المَزَارِعِ[٢]

ويروى:

... بين مُؤتَجٍّ مِن النارِ ساطِعِ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: راعِي الإبلِ[٣]. قال: ما لك وله؟ قلتُ: قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنه قال لي: [الكامل]

يا صَاحِبَيَّ دنا الرَّوَاحُ فَسِيرا غَلَب الفَرَزْدَقُ في الهِجاءِ جَرِيرا

وقال أيضاً: [الوافر]

رَأَيتُ الجَحْشَ جَحْشَ بَنِي كُلَيْبٍ تَيَمَّمَ حَوْضَ دِجْلَةَ ثُمَّ هابا

فقلت: يا أبا جَنْدل، إنك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها، وقد بلغني أنك تُفضِّل عليّ الفرزدقَ، وأنت يُسْمَعُ قولُك، وهو ابنُ عمِّي دونك؛ فإن كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحي قومَك وذكري إيَّاهم. قال: وابنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضرب عَجُزَ دابَّتي وأنا قائم فكاد يقطَع إصبعَ رِجْلي وقال: لا أَرَاك واقفاً على هذا الكلب من بني كُلَيب؛ فمضى، وناديته: أنا ابن يرْبُوع! إنَّ أهلَك بعثوك مائراً من هَبُّود[٤] وبئس المائرُ، وإنما بعثني أهلي لأقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَد فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلاَّ سببْتُه، وإنَّ عليَّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخْزِيَك. قال: فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت: [الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابَا

قال: فَغَدَوْتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعِنَانه، فلما فارقتُه حتى أنشدتُه إيَّاها. فلما مررتُ على قولي: [الوافر]

أجَنْدَلُ ما تَقُولُ بَنُو نُمَيْرٍ إذا ما الأَيْرُ في اَسْتِ أبيك غابا

---

(١) المؤتجّ: الملتهب.

(٢) كانت بنت المستنير فتاة جميلة وكانت تزعم أنها ترقي، فجاءها شابٌ لترقيه، وما إن خلا بها حتى صارحها بهواه بها، فأمكنته من نفسها فحملت. وفي البيت يعير جرير المستنير بابنته.

(٣) راعي الإبل: هو عبيد بن حصين النميري. لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. توفي سنة ٩٠ هـ.

(٤) مار أهله: أحضر لهم الطعام والحنطة. وهبود موضع ببلاد بني تميم. (معجم البلدان ٥/ ٣٩١).

قال: فأرسَل يَدِي وقال: يقولون والله شرّاً.

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: العباس بن يَزِيدَ الكِنْدي. قال: ما لك وله؟ قال: لمَّا قلتُ: [الوافر]

إذا غَضِبتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضابَا

قال: [الوافر]

ألا رَغِمَتْ أُنُوفُ بَني تَمِيمٍ فُسَاةِ التَّمْرِ إنْ كانُوا غِضابَا
لَقَدْ غَضِبَتْ عليك بنو تَمِيمٍ فَما نَكَأَتْ بِغَضْبَتِها ذُبَابَا
لَوِ اطَّلَعَ الغُرابُ على تَمِيمٍ وما فيها من السَّوْءات شابا

قال: فتركتُه خمس سِنينَ لا أهجوه، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كِنْدَةَ، فطلبتُ إليهم أن يكفُّوه عنّي؛ فقالوا: ما نَكُفُّه وإنه لشاعرٌ، وأوْعدوني[١]، فقلت:

[الوافر]

ألاَ أَبْلِغْ بَنِي حُجْرِ بْنِ وَهْبٍ بأنَّ التَّمْرَ حُلْوٌ في الشِّتاءِ
فَعُودُوا لِلنَّخِيلِ فَأَبِّرُوها وَعِيشُوا بالمُشَقَّرِ فَالصَّفَاءِ[٢]

قال: فمكثتُ قليلاً، ثم بعثوا إليَّ راكباً فأخبروني بمَثَالِبِه وجِوارِه في طَيِّئٍ حيث جاور عَتَّاباً، وحَبَّل أختَه هُضَيبةَ حيث حَبِلتْ. قال: فقلتَ ماذا؟ قال: قلتُ:

[الوافر]

إذا جَهِلَ الشَّقِيُّ وَلَمْ يُقَدِّرْ لِبَعْضِ الأمْرِ أَوْشكَ أن يُصَابَا
أَعَبْداً حَلَّ في شُعَبَى غَرِيباً أَلُؤماً لا أَبا لَكَ واغْتِرابَا[٣]
فما خَفِيَتْ هُضَيْبَةُ حِينَ جُرَّتْ ولا إطْعامُ سَخْلَتِها الكِلابَا[٤]
تُخَرِّقُ بالمَشَاقِصِ حالِبَيْها وقد بَلَّتْ مَشِيمَتُها التُّرابَا[٥]

---

(١) أوعدوني: هدّدوني.

(٢) أبر النخل: لقحه. والمشقر: حصن بالبحرين يلي حصناً آخر لهم يدعى الصفاء (معجم البلدان ٥/ ١٣٤).

(٣) شعبى: موضع في جبل طيّىء.

(٤) السخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد. يذكر قتل ولد هضيبة من الزنى وإلقائه للكلاب.

(٥) المشاقص: جمع مشقص وهو النصل الطويل العريض.

فَقَدْ حَمَلَتْ ثَمانِيَةً وأَوْفَتْ بِتاسِعِها وتَحْسَبُها كَعابَا

قال: ثم من؟ قلت: جَفْنة الهِزَّاني بن جعفر بن عَبَايَة بن شَكْس من عَنزة. قال: وما لكَ وله؟ قال: أَقْبَلَ سائلاً حتى أتاني وأنا أمدرُ حوضاً لي[١]، فقال: يا جَرير. قُمْ إليّ ها هنا؛ قلت: نعم. ثم أتيتُه فقلتُ: ما حاجتُك؟ قال: مدحتُك فاستمعْ منّي. قلتُ: أَنشِدْنِي فأَنْشَد؛ فقلت: قد والله أحسنتَ وأجملتَ؛ فما حاجتُك؟ قال: تَكْسُوني الحُلَّة التي كَسَاكَها الوليدُ بن عبد الملك العامَ. فقلت: إنّي لم أقِفْ فيها بالموسم، ولا بدّ من أن أقفَ فيها العامَ، ولكنّي أَكْسُوك حلَّة خيراً منها كان كَسَانيهَا الوليدُ عاماً أَوَّلَ. فقال: ما أَقْبَلُ غيرَها بعينها. فقلت: بَلَى، فأقبَلْ وأَزِيدُك معها دنانيرَ نفقةً. فقال: ما أفعَل؛ ومضَى فأتى المَرَّارَ بن مُنْقِذ أَحَدَ بني العَدَوِيَّة، فحمَله على ناقةٍ له يقال لها القَصْوَاءُ، فقال جَفْنة: [الطويل]

لَعَمْرُكَ لَلْمَرَّارُ يَوْمَ لَقِيتُهُ عَلى الشَّحْطِ خَيْرٌ مِنْ جَرِيرٍ وَأَكْرَمُ

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

لَقَدْ بَعَثَتْ هِزَّانُ جَفْنَةَ مائِراً فَآبَ وأَحْذَى قَوْمَهُ شَرَّ مَغْنَمِ[٢]
فَيا رَاكِبَ القَصْواءِ ما أنتَ قائِلٌ لِهِزَّانَ إذْ أَسْلَمْتَها شَرَّ مُسْلَمِ
أَظُنُّ عِجانَ التَّيْسِ هِزَّانَ طالِباً عُلالَةَ سَبَّاقِ الأَضَامِيمِ مِرْجَمِ[٣]
كأَنَّ بَنِي هِزَّانَ حِينَ رَدَيْتُهُمْ وِبَارٌ تَضَاغَتْ تَحْتَ غَارٍ مُهَدَّمِ[٤]
بَنِي عَبْدِ عَمْرٍو قد فَرَغْتُ إلَيْكُمُ وقد طالَ زَجْرِي لو نَهَاكُمْ تَقَدُّمِي
وَرَصْعَاءَ هِزَّانِيَّةٍ قَدْ تَحَفَّشَتْ على مِثْلِ جِرْباءِ الفَلاَةِ المُعَمَّمِ[٥]

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: المَرَّارُ بن مُنْقِذ. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليَّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

بَنِي مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حَتَّى تَضُمَّكُمْ مِنَ الحَرْبِ صَمَّاءُ القَناةِ زَبُونُ[٦]

(١) مدَرَ الحوض: طيَّنه.
(٢) أحذاه: أعطاه ما أصاب من غنيمة.
(٣) العجان: الدبر، والعلالة: الجري بعد الجري، الأضاميم: الجماعة والمرجم: الشديد القوي.
(٤) الوبار: جمع وبر: وهو حيوان بحجم الأرنب أغبر يميل إلى السواد. وتضاغت: صوَّتت.
(٥) الرصعاء: الزلاء التي لا عجيزة لها؛ وتحفشت المرأة على الرجل: أكبّت عليه ولزمته.
(٦) الحرب الزَّبُون: التي يدفع بعضها بعضاً، وتصدم الناس.

وَحَتَّى تَذُوقُوا كأسَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ... وَيَسْلَحَ منكم في الحبالِ قَرينُ
فإنْ كُنْتُمُ كَلْبَى فَعِنْدِي شِفاؤُكُمْ ... وَلِلْجِنّ إنْ كانَ اعْتَراكَ جُنونُ(١)

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: حَكيم بن مُعَيَّةَ من بني رَبيعَة بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَميم. قال: وما لك وله؟ قلتُ: بلغني أنه أعان عليّ غَسَّانَ السَّلِيطِيّ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

إذا طَلَعَ الرُّكْبَانُ نَجْداً وغَوَّرُوا ... بها فازْجُرَا يابْنَيْ مُعَيَّةَ أوْ دَعَا(٢)
أتَسْمَنُ أسْتَاهُ المَجَرِّ وَقَدْ رأوْا ... مَجَرّاً بِوَعْسَاوَيْ رُمَاحَ مُصَرَّعَا(٣)
ألا إنَّما كانَتْ غَضُوبُ مُحَامِياً ... غَدَاةَ اللِّوَى لم تَدْفَعِ الضَّيْمَ مَدْفَعَا(٤)

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: ثَوْر بن الأشْهَب بن رُمَيلة النَّهْشَلِيّ. قال: وما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

سيَخْزَى إذا ضَنَّتْ حَلائبُ مالِكٍ ... ثُوَيْرٌ ويَخْزَى عاصِمٌ وجَمِيعُ(٥)
وقَبْلَكَ ما أعْيَا الرُّمَاةَ إذا رَمَوْا ... صَفاً ليسَ في قاراتِهِنَّ صُدُوعُ(٦)

قال: ثم مَنْ؟ قلت: الدَّلَهْمَسُ أحدُ بني رَبيعةَ بن مالك بن زيد مَنَاة. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليَّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلت: [الطويل]

لقد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْن عِلْجَةٌ ... خَبِيثَةُ ريح المَنْكِبَيْنِ قَبُوعُ(٧)
وَلَوْ أنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لَمْ يَعِبْ ... فَوَارِسَنا لا عاشَ وَهْوَ جَميعُ
ألَيسَ ابنَ حَمْراءِ العِجَانِ كأنَّما ... ثَلاثَةُ غِرْبانٍ عليهِ وُقُوعُ
فلا تُدْنِيَا رَحْلَ الدَّلَهْمَسِ إنَّهُ ... بَصِيرٌ بما يأتي اللِّئامُ سَمِيعُ

(١) الكلبى: المصابون بداء الكَلَب.
(٢) رجز: قال الرجز.
(٣) بنو المجرّ: من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة. والوعساء: الأرض السهلة اللينة من الرمل. ورماح: موضع بالدهناء.
(٤) غضوب: شاعرة هجاءة من بني المجرّ هجت بني طهية فقتلوها.
(٥) ضنّت: بخلت. وعاصم وجميع رجلان من بني عامر.
(٦) القارات: جمع قارة وهي الصخرة العظيمة. والصدوع: الشقوق.
(٧) العلجة: الضخمة الشديدة من النساء. والقبوع: التي تقبع السقاء. وهو أن تثني رأسه إلى الداخل ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه.

هُوَ النَّخْبَةُ الخَوَّارُ ما دُونَ قَلْبِهِ حِجَابٌ ولا حَوْلَ الحِجابِ ضُلُوعُ(١)

قال: ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يُخْبِروني من قاله: [الطويل]

غَضِبْتَ عَلَيْنا أن عَلاَكَ ابنُ غالِبٍ فَهَلاً على جَدَّيْكَ في ذاكَ تَغْضَبُ(٢)
هُمَا إذْ عَلا بالمَرْءِ مَسْعاةُ قَوْمِهِ أَنَاخَا فشَدَّاك العِقَالُ المؤرَّبُ(٣)

قال: فعلمتُ أنه شِعْر قَبْضة الكلب قال: فجمعتُهم في شعري فقلت:

[الطويل]

وَ أكْثَرُ ما كانَتْ رَبِيعَةُ أنَّها خِبَاءانِ شَتَّى لا أَنِيسٌ ولا قَفْرُ
مُحَالِفُهم فَقْرٌ شَدِيدٌ وذِلَّةٌ وَبِئْسَ الحَلِيفانِ المَذَلَّةُ والفَقْرُ
فصَبْراً على ذُلٍّ رِبيعَ بن مالِكٍ وَكُلُّ ذَلِيلٍ خَيْرُ عادتِهِ الصَّبْرُ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: هُبيرةُ بن الصَّلْتِ الرَّبعِيّ من ربيعةَ بن مالكٍ أيضاً، كان يَرْوِي شعرَ الفرزدق. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الكامل]

يَمْشِي هُبَيْرَةُ بعدَ مَقْتَل شَيْخِهِ مَشْيَ المُرَاسِلِ أُوذِنَتْ بطَلاقِ(٤)
ماذا أَرَدْتَ إليَّ حِينَ تَحَرَّقَتْ نارِي وشُمِّرَ مِئْزَرِي عن سَاقِي
إنَّ القِرَافَ بِمَنْخُرَيْكَ لَبَيِّنٌ وسواد وجهكَ يابْنَ أُمِّ عِفَاقِ(٥)
سِيرُوا فَرُبَّ مُسَبِّحِينَ وقائِلٍ هٰذا شَقاً لِبَني رَبِيعَةَ بَاقِي
أَبَني رَبِيعَةَ قَدْ أَخَسَّ بحَظِّكُمْ لُؤْمُ الجُدُودِ ودِقَّةُ الأخْلاقِ(٦)

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عِلْقَةُ والسَّرَنْدَى من بني الرِّبَابِ كانا يُعِينان ابنَ لَجَأ. قال: فما قلتَ لهما؟ قال: قلتُ: [البسيط]

عَضَّ السَّرَنْدَى عَلَى تَثْلِيمِ ناجِذِهِ مِنْ أمِّ عِلْقَةَ بَظْراً غَمَّهُ الشَّعَرُ(٧)

---

(١) النخبة: الجبان. والخوار: الجبان الذي تخور قواه عند لقاء عدو.
(٢) ابن غالب: الفرزدق.
(٣) العقال المؤرب: المحكم.
(٤) المراسل: المرأة المطلقة أو الأرملة تتزين للرجال؛ وكأن زينتها رسالة لهم.
(٥) القراف: المخاط اليابس الملتصق بالأنف.
(٦) دقة الأخلاق: سوؤها وخستها.
(٧) غمه الشعر: غطاه.

وَعَـضَّ عِـلْـقَـةُ لا يَـأْلُـو بـعُـرْعُـرَةٍ مِنْ بَظْرِ أُمِّ السَّرَنْدَى وَهْوَ مُنْتَصِرُ[١]

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الطُّهَوِيّ، كان يَرْوِي شعر الفرزدق. قال: ما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [الطويل]

أَتَنْسَوْنَ وَهْباً يا بَنِي زَبَدٍ اَسْتِها وَقد كُنْتُمْ جِيرانَ وَهْبِ بن أَبْجَرا[٢]
فَما تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتَّى يُصِيبَكُمْ ولا تَعْرِفُونَ الأَمْرَ إلا تَدَبُّرا
ألا رُبَّ أَعْشَى ظالِمٍ مُتَخَمِّطٍ جَعَلْتُ لِعَيْنَيْهِ جِلاءً فَأَبْصَرَا[٣]

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عُقْبة بن السُّنَيع الطُّهَوِيّ وكان نذَر دَمِي. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ: [البسيط]

يا عُقْبَ يابْنَ سُنَيْعٍ ليسَ عِنْدَكُمُ مأْوَى الرِّفَاقِ ولا ذو الرايةِ الغَادِي
يا عُقْبَ يابنَ سُنَيْعٍ بَغْضَ قَوْلِكُم إنَّ الوِثَابَ لكم عِنْدِي بِمِرْصادِ
ما ظَنُّكُم بِبَنِي مَيْثَاءَ إن فَزِعُوا ليلاً وشَدَّ عليهم حَيَّةُ الوادِي
يَغْدو عَلَيَّ أبو لَيْلَى لِيَقْتُلَنِي جَهْلاً عَلَيَّ ولم يَثْأَرْ بشَدَّادِ
إِرْوُوا عَلَيَّ وأرْضُوا بِي صَدِيقَكُمُ وَاَسْتَسْمِعُوا يا بَنِي مَيْثَاءَ إنشادي

مَيْثاءَ هي بنت زُهَير بن شَدَّاد الطُّهَوِيّ وهي أم عَوْف بن أبي سُود بن مالك بن حَنْظلة.

وقال أيضاً لبني مَيْثاء: [البسيط]

نُبِّئتُ عُقْبَةَ خَصَّافاً تَوَعَّدَني يا رُبَّ آدَرَ مِنْ مَيْثَاءَ مَأْفُونِ[٤]
لَوْ في طُهَيَّةَ أحْلامٌ لما اَعْتَرَضُوا دونَ الَّذي كنتُ أَرْمِيهِ ويَرْمِينِي

قال: ثم مَنْ؟ قلت: سُحْمةُ الأَعْوَرُ النَّبْهانيّ، كانت له اَمرأة من طيّء وُلِدَتْ في بَنِي سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه عليَّ. فسألني فاَشْتَطَّ، ولم يكن عندي فحرَمْتُه، فقال: [الطويل]

أقولُ لأصحابي النَّجاءَ فإنَّهُ كَفَى الذَّمَّ أنْ يأتِي الضُّيُوفَ جَرِيرُ
جَرِيرُ ابن ذاتِ البَظْرِ هَلْ أنتَ زائلٌ لِقِدْرِكَ دون النَّازِلِينَ سُتُورُ

---

(١) العرعرة من كل شيء: رأسه وأعلاه.
(٢) وهب بن أبجرالعجلي: قتله قمير المازني.
(٣) المنخرط: المتكبر، الشديد الغضب والجلبة. والجِلاء: الكحل.
(٤) الخصاف: الكذاب. والآدر: المفتوق إحدى الخصيتين. والمأفون: الناقص العقل.

وهلْ يُكْرِمِ الأضيافَ كَلْبٌ لِكَلْبَةٍ   لها عندَ أطْنابِ البيوتِ هَرِيرُ[1]
فلو عندَ غَسَّانَ السَّلِيطِيِّ عَرَّسَتْ   رَغَا قَرَنٌ منها وكَاسَ عَقِيرُ[2]
فَتىً هُوَ خَيْرٌ منكَ نَفْساً ووالِداً   عليكَ إذا كانَ الجوار يُجِيرُ

فقال جرير: [الطويل]

وَجَدْنا بَني نَبْهانَ أذنابَ طَيِّىءٍ   وَلِلنَّاسِ أذنابٌ تُرَى وصُدُورُ
تَغَنَّى ابنُ نَبْهانِيَّةٍ طالَ بَظْرُها   وَباعَ ابنَها عندَ الهِياجِ قَصِيرُ
وَأَعْوَرَ من نَبْهانَ أمَّا نَهارُه   فأَعْمَى وأمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ
ستأتي بَنِي نَبْهانَ منِّي قَصائِدٌ   تَطَلَّعُ من سَلْمَى وهنّ وُعُورُ[3]
تَرَى قَزَمَ المِعْزَى مُهُورَ نسائِهِمْ   وفي قَزَمِ المِعْزَى لهنَّ مُهُور

قال: وطلع الصبحُ فنهض ونهَضتُ. قال: فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال: قاتله الله أعرابيّاً! إنه لجِرْوُ هِرَاش.

[هجاؤه راعي الإبل]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال - وذكر المُغيرة بن حَجْناء قال: حدَّثني أبي عن أبيه قال -: كان راعي الإبل يَقْضِي للفرزدق على جرير ويفضِّله، وكان راعي الإبل قد ضخُم أمرُه وكان من شعراء الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هَلاَّ تَعْجَبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضرَبتُ رأيي فيه. ثم خرج جرير ذاتَ يومٍ يمشي ولم يركب دابّتَه، وقال: والله ما يسرّني أن يعلم أحد. وكان لراعي الإبلِ والفرزدقِ وجلسائهما حَلْقةٌ بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرَّض له لألقاه من حِيَالٍ حيثُ كنت أراه يمرّ إذا انصرق من مجلسه، وما يسرُّني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مَرَّ على بغلة له وابنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أَحْوَى محذوف الذَّنَب

---

(١) الهرير: صوت الكلب دون النباح.

(٢) عرّست: نزلت لتستريح ثم تعاود السير. ورغا: ضجّ. والقَرَن البعير: يقرن بآخر. وكاس: مشى على ثلاث قوائم. والعقير: أي البعير العقير: المعرقب.

(٣) سلمى أحد جبلي طيّىء. وهما أجأ وسلمى. والوُعور: الخشنة الغليظة، وأراد إنني سأهجو بني نبهان بقصائد خشنة تؤذيهم وتحط منهم.

وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السَّبَب، فلما استقبلتُه قلتُ: مَرْحباً بك يا أبا جَنْدل! وضربتُ بشِمَالي على مَعْرَفة بغلتِه، ثم قلت: يا أبا جَنْدل! إن قولَك يُستمع وإنك تُفضِّل الفرزدقَ عليَّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّنٌ: إذا ذُكِرنا أن تقول كِلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه لائمةً. قال: فَبَيْنا أنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ، وما ردَّ عليّ بذلك شيئاً حتى لَحِق ابنُه جَنْدلٌ، فرفَع كَرْمانيَّة[1] معه فضرَب بها عَجُزَ بغلتِه ثم قال: لا أَرَاك واقفاً على كلبٍ من بني كُلَيب كأنك تَخْشَى منه شَرّاً أو ترجو منه خيراً! وضرَب البغلةَ ضربةً، فَرَمَحَتْني[2] رَمْحةً وقعتْ منها قَلَنْسُوتي، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى ـ يَعْنِي جَنْدلاً ابنَه ـ ولكن لا والله ما عاج عليّ، فأخذتُ قَلَنْسُوَتِي فمَسَحْتُها ثم أَعَدْتُها على رأسِي ثم قلتُ: [الوافر]

أَجَـنْـدَلُ مـا تَـقُـولُ بَـنُـو نُـمَـيْـرٍ ... إذا مـا الأيـرُ فـي اْسْـتِ أبـيـكَ غـابَـا

فسمعتُ الرَّاعي قال لابنه: أَمَا والله لقد طرحتَ قَلَنْسُوتَه طَرْحةً مشؤومة. قال جريرٌ: ولا والله ما القلنسوة بأَغْيظ أمره إليّ لو كان عاجَ عليّ. فانصرف جرير غضبانَ حتى إذا صلَّى العِشَاءَ بمنزله في عِلِّيَّةٍ[3] له قال: ارفَعوا إليَّ باطِيَةً[4] من نبيذ وأَسْرِجُوا لي. فَأَسْرَجُوا له وأَتَوْه بباطيةٍ من نبيذ. قال: فجعَل يُهَمْهِمُ[5]؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدار فاطَّلَعَتْ في الدَّرَجَةِ حتى نظرتْ إليه، فإذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفُكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لِطِيَّتِك، نحن أعلم به وبما يُمارِس. فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمَير. فلما ختمها بقوله: [الوافر]

فـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إنَّـكَ مـن نُـمَـيْـرٍ ... فـلا كـعْـبـاً بَـلَـغْـتَ ولا كِـلاَبَـا

كَبَّر ثم قال: أَخْزيتُه وربِّ الكَعْبة. ثم أَصْبح، حتى إذا عرَف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفَرَزْدَق، دعا بدُهْنٍ

(١) الكرمانية: نوع من السياط.
(٢) رمحتني: ضربتني بخفة.
(٣) العليّة: الغرفة.
(٤) الباطية: إناء عظيم يتخذ للشراب.
(٥) الهمهمة: الصوت الخفيّ.

فادَّهَنَ وكَفَّ رأسَه(١)، وكان حَسنَ الشَّعر، ثم قال: يا غلام، أَسْرِجْ لي، فَأَسْرَجَ له حِصاناً، ثم قصد مجلسَهم، حتى إذا كان بمَوْضِع السلام قال: يا غلامُ ـ ولم يسلِّم ـ قل لِعَبيدٍ: أبعثك نِسْوَتُك تَكْسِبهُنّ المالَ بالعراق! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعَنَّ إليهنّ بمَيْرٍ(٢) يَسُوؤهن ولا يَسُرُّهنّ! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنَكس الفرزدقُ وراعي الإبل وأَرَمّ القومُ(٣)، حتى إذا فرَغ منها سار، وثبتَ راعي الإبل ساعةً ثم ركب بغلتَه بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلَّى المجلسَ حتى ترقَّى إلى منزله الذي ينزله، ثم قال لأصحابه: ركابكم رِكابكم، فليس لكم ها هنا مُقام، فضَحَكُمْ والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنِك. قال: فما كان إلا ترحُّلُهم. قال: فسِرْنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّرَيْفِ(٤) وهو أعلى دارِ بني نُمَيرٍ. فيحلفُ بالله راعي الإبل إنَّا وَجَدْنا في أهلنا:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ

وأقْسَم بالله ما بلَّغَه إنسِيٌّ قَطّ، وإنَّ لجريرٍ لأشياعاً من الجِنّ. فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وابنَه، فهم يتشاءمون به إلى الآن.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال: حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفَلِيّ عن أبيه قال: حدَّثني مَولىً لبني كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أنْسِيتُ اسمَه قال: كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأَرْوِيَه. فجاءني ليلةً فقال: إن راعي الإبل النُّميريَّ قد هجاني، وإنِّي آتيك الليلةَ فأَعِدَّ لي شِوَاءً رَشْرَاشاً(٥) ونبيذاً مُخْفِساً(٦)؛ فأعْددتُ له ذلك. فلما أَعْتَمَ جاءني فقال: هَلُمَّ عَشاءَك، فأتيتُه به، فأكل ثم قال: هَلُمَّ نبيذَكَ، فأتيتُه به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دَواةً وكَتِفاً(٧)؛ فأتيتُه بهما، فجعل يُملي عليَّ قوله: [الوافر]

أَقِلِّي اللَّومَ عَاذِلَ وَالعِتَابا وقُولِي إنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أصابا

---

(١) كف رأسه: جمع شعر رأسه ضامّاً أطرافه.
(٢) المير: الطعام.
(٣) أرمّ القوم: سكتوا.
(٤) الشُّريف: ماء لبني نمير. (معجم البلدان ٣/ ٣٤١).
(٥) الشواء الرشراش: الذي يقطر دسمه.
(٦) الشراب المخفس: الشديد، السريع الإسكار.
(٧) الكتف: عظم كانوا يكتبون عليه وذلك لقلة الورق في تلك الأيام.

حتى بلغ إلى قوله:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ

فجعل يردِّده ولا يزيد عليه حتى حَمَلَتْني عيني، فضربتُ بذَقني صَدْري نائماً، فإذا به قد وثَب حتى أصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح: أخزيتُه والله! اكتُبْ:

[الوافر]

فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبا

غَضَضِتُه وقدَّمتُ إخوتَه عليه! والله لا يُفْلِح بعدها أبداً. فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيرِيّ بعدها.

[جرير والفرزدق شيطانهما واحد]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا أبو غسَّانَ دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال: أقبل راكبٌ من اليَمامة؛ فمرّ بالفرزدق وهو جالس في المِرْبَد؛ فقال له: من أين أقبلتَ؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ٱبن المَرَاغة؟ قال: نعمْ. قال: فأيَّ شيءٍ أحْدث بعدي؟ فأنشده:

هاجَ الهَوَى لفؤادِكَ المُهْتاجِ

فقال الفرزدق: [الكامل]

فانظُر بِتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ[١]

فأنشده الرجل:

هذا هَوًى شَغَفَ الفؤادَ مُبَرِّحٌ

فقال الفرزدق:

ونَوًى تَقَاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاَجِ[٢]

فأنشده الرجل:

إنَّ الغرابَ بما كَرِهتَ لمُولَعٌ

---

(١) توضح: كثيب أبيض بالدهناء قرب اليمامة. والأحداج: جمع حدج، وهو مركب من مراكب النساء كالهودج.

(٢) غير ذات خلاج: ليس فيها شك.

فقال الفرزدق:

بـنـوَى الأحـبَّـةِ دائـمُ الـتَّـشْـحَـاجِ[1]

فقال الرجل: هكذا والله، قال: أفسمعتَها من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أوما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أَمَدَح بها الحَجَّاجَ؟ قال: نعمْ. قال: إياه أراد.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيع قال: حدّثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِيّ قال: حدّثني أبو عُبيدة قال: التقى جريرٌ والفرزدقُ بمِنًى وهما حاجَّانِ؛ فقال الفرزدقُ لجرير: [الطويل]

فـإنّـكَ لاقٍ بـالـمـنـازِلِ مـن مِـنًـى فَـخَـاراً فَـخَـبِّـرْنِـي بِـمَـنْ أنْـتَ فـاخِـرُ

فقال له جريرٌ: بلَبَّيْكَ اللهم لبيك. قال إسحاق: فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعْجَبون منه.

أخبرني أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلاَّم، وأخبرني وَكِيعٌ عن محمد بن إسماعيل عن ابن سَلاَّم قال: حدّثنا أبو الخَطّاب عن أبيه عن حَجْناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أَبتِ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلاَّ أفسدتهم سِوَى التَّيْمِ. فقال: إنِّي لم أجد حَسَباً أَضَعُه، ولا بِناءً أهدِمُه.

قال ابن سَلاَّم: أخبرني أبو قيس عن عِكْرِمَةَ بن جَرير قال: قلت لأبي: يا أَبَتِ؛ من أشعرُ الناس؟ فقال: ألجاهليةَ تريد أم الإسلامَ؟ قلتُ: أخبرْني عن الجاهلية. قال: شاعرُ الجاهلية زُهَيْر. قلت: فالإسلام؟ قال: نَبْعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد صفة الملوك ويُصيب نَعْتَ الخمر. قلت: فما تركتَ لنفسك؟ قال: دَعْني فإني نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني الحَسَن بن عُلَيل قال: حدّثني محمد بن عبد الله العَبْدِيّ عن عُمَارة بن عُقَيل عن جدّه قال: وقف الفرزدقُ على

---

(١) تشحاج الغراب: صوته الغليظ.

أبي بمِرْبَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرَّاعي؛ فلما بلغ إلى قوله:

[الوافر]

فـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إنَّـكَ مـن نُـمَـيْـرٍ فـلا كَـعْـبـاً بَـلَـغْـتَ ولا كِـلابـا

أقبل الفرزدق على راويته فقال: غَضَّه والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلِح بعدها. فلما بلغَ إلى قوله: [الوافر]

بِـهـا بَـرَصٌ بـجـانـبِ إسْـكَـتَـيْـهـا[1]

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطَّى عَنْفَقَتَه[2]؛ فقال أبي:

كَـعَـنْـفَـقَـةِ الـفَـرَزْدَقِ حـيـن شـابَـا

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول: اللهم أَخْزه! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا، ولكن طَمِعتُ ألاَّ يَأبَهَ فغطَّيتُ وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العَنزيُّ: حدّثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيدة قال: قال يونُس: ما أرى جَريراً قال هذا المِصْرَاع إلا حينَ غطَّى الفرزدقُ عَنْفقتَه، فإنه نبَّهه عليه بتغطيته إيَّاها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا المَدائنيّ عن أبي بَكْر الهُذَليّ قال: قال رجل من بني دارِم للفرزدق وهو بالبصرة: يا أبا فِرَاس، هل تعلم اليوم أحداً يَرْمِي معك؟ فقال: لا والله، ما أعرِف نابحاً إلا وقد استكان ولا ناهشاً إلا وقد انْجَحَر إلا القائلَ: [الطويل]

فإنْ لَمْ أَجِدْ في القُرْبِ وَالبُعدِ حاجَتي تَـشَـأَمْـتُ أوْ حَـوَّلْـتُ وَجْـهِـي يَـمـانـيَـا
فَـرُدِّي جِـمَـالَ الـحَـيِّ ثـم تَـحَـمَّـلـي فـمـا لَـكِ فـيـهـم مـن مُـقَـامٍ ولا لِـيَـا
فَـإنِّـي لَـمَـغْـرُورٌ أُعَـلَّـلُ بـالـمُـنَـى لَـيـالِـيَ أرْجُـو أنَّ مـالَـكَ مـالـيـا
وقـائـلـةٍ والـدَّمْـعُ يَـحْـدُر كُـحْـلَـهـا أبـعـدَ جَـريـرٍ تُـكـرِمُـونَ الـمَـوَالِـيـا
بِـأيِّ نَـجـادٍ تَـحْـمِـلُ الـسَّـيْـفَ بَـعْـدَمـا قَـطَـعْـتَ الـقُـوَى من مِـحْـمَـلٍ كانَ باقيا
بِـأيِّ سِـنـانٍ تَـطْـعُـنُ الـقَـرْمَ بَـعْـدَمـا نَـزَعْـتَ سِـنـانـاً مـن قَـنَـاتِـكَ مـاضـيـا[3]

(١) الاسكتان: جانبا الفرج.
(٢) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.
(٣) القرم: السيد المبجل.

لساني وَسَيْفِي صارمانِ كِلاهُما ... وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعةً من لِسانيا[1]

قال: وهذا الشعر لجرير.

أخبرني عليّ بن سلَيمان الأَخْفش قال: حدّثني محمد بن يَزيد عن عُمارَة بن عُقَيل عن أبيه قال: قال جرير: وفدتُ إلى يزيدَ بن معاوية وأنا شابٌّ يومئذٍ؛ فأستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرِفه ولا نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذنَ لك على بَصِيرة. فقلت له: تقولُ لأمير المؤمنين: أنا القائل:

[الطويل]

وَإنّي لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ... سَرِيعٌ إذا لَمْ أرضَ داري انتِقاليا
جَرِيءُ الجَنَانِ لا أهابُ مِنَ الرَّدَى ... إذا ما جَعَلْتُ السَّيْفَ قَبْضَ بَنَانيا
وَلَيْسَ لِسَيْفِي في العِظامِ بَقِيَّةٌ ... وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ؛ ثم خرج إليّ وأذن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزةَ مع الشعراء؛ فكانت أوّلَ جائزة أخذتُها من خليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظنّ أبياتَك التي توسَّلْتَ بها إليّ إلاَّ لي.

[رأي النقاد وعلماء اللغة في الفرزدق وجرير]

أخبرني عمِّي قال: حدّثني الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمَّادٍ الراوية قال: أتيتُ الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيتَ الكلبَ جريراً؟ قلت: نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟ فقلت: أنت في بعض الأمر وهو في بعض. فقال: لم تُنَاصِحْني. فقلت: هو أشعرُ إذا أَرْخَى من خِناقه، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ!.

أخبرني عمِّي قال: حدَّثني أحمد بن الحارث قال: حدّثنا المَدائنيّ عن يحيى بن عَنْبَسة القُرَشِيّ وعَوَانَةَ بن الحَكَم: أنَّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مَروان؛ فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار

(١) أشوى: أقل وقعاً. يقال: السيف أشوى من لسانه، أي أن أثر لسانه أشد وأعظم.

وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما. فأمَّا الهجاء فليست بي إليه حاجة، فجدِّدا بين يَدَيّ فخراً ودَعَانِي مما مضى، فقال الفرزدق: [الطويل]

نحنُ السَّنَامُ والمَنَاسِمُ غَيْرُنا فمَنْ ذا يُساوِي بِالسَّنَامِ المَناسِمَا[1]

فقال جرير: [الطويل]

على مَوْضِعِ الأَستاهِ أنتُمْ زَعَمْتُمْ وَكُلُّ سَنَامٍ تابِعٌ للغَلاَصِمِ[2]

فقال الفرزدق:

على مَحْرَثٍ لِلفَرْثِ أنتم زَعَمْتُمْ ألاَ إنَّ فَوْقَ الغَلْصَماتِ الجَمَاجِمَا

فقال جرير:

وَأنبأتُمونا أنَّكُمْ هامُ قَوْمِكُم ولا هامَ إلا تابِعٌ للخَرَاطِمِ

فقال الفرزدق:

فَنَحْنُ الزِّمامُ القائدُ المُقْتَدَى بهِ منَ النّاسِ، ما زِلنا وَلَسْنا لَهَازِما[3]

فقال جرير:

فَنَحْنُ بَنِي زَيْدٍ قَطَعْنا زِمامَها فتاهَتْ كَسارٍ طائشِ الرَّأسِ عارِمِ[4]

فقال بشر: غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة. وأحسن الجائزةَ لهما وفضَّل جريراً.

قال المدائنيّ: وحدّثني عَوانة بن الحَكَم قال: جاء جرير إلى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيِّدتي: أنت القائل: [الكامل]

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلُوبِ وليسَ ذا حِينَ الزِّيارةِ فارْجِعي بِسَلامِ

قال: نعم. قالت: فألاَّ أخذتَ بيدها فرحَّبْتَ بها وأدنيت مجلسَها وقلتَ لها

---

(١) المناسم: جمع منسم، وهو للبعير كالحافر للفرس.
(٢) الغلاصم: جمع غلصمة، وهي رأس الحلقوم.
(٣) اللهازم: جمع لهزمة وهي ما تحت الأذن من أعلى اللحي والخدّ، وهما لهزمتان. وأراد: إننا رأس الناس وقادتهم، ولسنا ممن يقاد.
(٤) العارم: الشديد، الشرس.

ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحَقْ بأهلِك.

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو يعقوب الثّقفيّ عن الشَّعْبيّ: أنَّ الفرزدق خرج حاجّاً؛ فلما قضى حجَّه عدَل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنتِ الحسين عليه السلام فسلَّم. فقالت له: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! أشعرُ منك الذي يقول: [الوافر]

بِنَفْسِي مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ ومَنْ زِيارتُهُ لِمَامُ
ومَنْ أُمْسِي وَأُصْبِحُ لا أراهُ وَيَطْرُقُنِي إذا هَجَعَ النِّيامُ

فقال: والله لو أذنتِ لي لأسمعتُكِ أحسنَ منه. قالت: أقيموه. فأُخرج. ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول: [الكامل]

لولا الحيَاءُ لَعَادَني اَسْتِعْبارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالحَبِيبُ يُزَارُ
كانَتْ إذا هَجَرَ الضَّجِيعُ فِراشَها كُتِمَ الحَدِيثُ وَعَفَّتِ الأسْرارُ[1]
لا يَلْبَثُ القُرَناءُ أنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ ونَهَارُ

فقال: والله لئن أذنتِ لي لأسمعنَّكِ أحسنَ منه، فأمرتْ به فأُخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحَوْلَها مولَّداتٌ[2] لها كأنَّهنّ التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنَّ فأُعْجِب بها وبُهِت ينظُر إليها. فقالت له سُكَينة: يا فرزدق، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول: [البسيط]

إنَّ العُيُونَ الَّتي في طَرْفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ الله أرْكانا
أتْبَعْتُهُمْ مُقْلَةً إنْسانُها غَرِقٌ هل ما تَرَى تارِكٌ لِلْعَيْنِ إنسانا[3]

فقال: والله لئن تركتِني لأُسمعنَّك أحسنَ منه؛ فأمرت بإخراجه. فالتفت إليها وقال: يا بنت رسول الله ﷺ - إنَّ لي عليكِ حقّاً عظيماً. قالت: وما هو؟ قال:

(١) الضجيع: المضاجع.
(٢) المولدات: الجواري.
(٣) إنسان العين: ناظرها.

ضربتُ إليك آباطَ الإبل من مكةَ إرادةَ التسليم عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَرْدِي وتفضيلَ جرير عليّ ومنعَكِ إيَّاي أن أُنْشِدَكِ شيئاً من شعري، وبي ما قد عِيلَ منه صبري. وهذه المَنايا تَغدُو وتَرُوح، ولعلِّي لا أُفارق المدينةَ حتى أموت؛ فإذا أنا مِتُّ فمُرِي بي أن أُدْرَج في كَفَني وأُدْفَنَ في حِرِ هذه (يَعْني الجاريةَ التي أعجبتْه). فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية، فخرج بها آخذاً برَيْطَتِها[1]؛ وأمرتْ الجوارِيَ فدَفَعْنَ في أَقِفيتهما، ونادتْه: يا فرزدقُ احتفظ بها وأحْسِن صحبتها فإني آثرتُك بها على نفسي.

قال المدائنيّ في خبره هذا: وحدّثني أبو عِمْرانَ بن عبد الملك بن عُمَير عن أبيه، وحدّثنيه عَوَانَةُ أيضاً قالا: صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا إليه الناسَ فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيبَ هذا الطعامَ! ما نَرَى أن أحداً رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيبَ منه. فقال أعرابيّ من ناحية القوم: أمَّا أكثرُ فلا، وأمَّا أطيبُ فقد والله أكلتُ أطيبَ منه، فطفقوا يضحكون من قوله. فأشار إليه عبد الملك فأُدْنِيَ منه؛ فقال: ما أنت بمُحِقٍّ فيما تقول إلاَّ أن تُخْبرني بما يَبينُ به صدقُك. فقال: نعمْ يا أميرَ المؤمنين، بَيْنَا أنا بهَجَر[2] في بَرْثٍ[3] أحمر في أَقْصَى حَجْر[4]، إذ تُوُفِّي أبي وترك كَلاً[5] وعِيَالاً، وكان له نخل، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الناظرون إلى مثلِها، كأن تمرها أخفافُ الرِّبَاع[6] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نَوىً ولا أَحْلَى حلاوةً منه. وكانت تَطْرُقها أَتَانٌ وَحْشيَّةٌ قد أَلِفتْها تأوِي الليلَ تحتها، فكانت تُثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتَعْطُو[7] بفِيها فلا تترك فيها إلا النَّبِيذ[8] والمتفرِّقَ؛ فأعظَمني ذلك ووقَع منِّي كلَّ موقع، فانطلقتُ بقوسي وأسهُمي وأنا أظنّ أنِّي أرجع من ساعتي؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أراها، حتى إذا كان السَّحَرُ أقبلتْ، فتهيأتُ لها فرشَقْتُها فأصبتُها وأجْهزتُ عليها، ثم عَمَدْتُ إلى سُرَّتها

(١) الريطة: الملاءة.
(٢) هجر: مدينة بالبحرين، وقيل: هجر قرية قرب المدينة. (معجم البلدان ٥/٣٩٣).
(٣) البرث: الأرض اللينة السهلة.
(٤) في أقصى حَجْر: في أبعد ناحية.
(٥) الكَلّ: هنا الذين يحتاجون من يعيلهم وينفق عليهم.
(٦) الرباع: جمع رُبَع، وهو الفصيل ينتج في الربيع.
(٧) تعطو: تتناول.
(٨) النبيذ: المنبوذ.

فأقْتَدَدْتُها(١)، ثم عَمَدْتُ إلى حطب جَزْل فجمعتُه إلى رَضْفٍ(٢) وعَمَدْت إلى زَنْدِي فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك الحطب، وألقيتُ سُرَّتها فيه؛ وأدركني نومُ الشبَاب فلم يُوقِظْني إلاَّ حَرُّ الشمس في ظهري؛ فانطلقتُ إليها فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذًى وسواد ورَماد، ثم قلبتُ منها مثلَ المُلاَءة البَيْضاء، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزِّعة والمُنَصِّفة(٣)، فسمعتُ لها أَطِيطاً(٤) كتَدَاعِي عامرٍ وغَطَفَان، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحْمة واللحمة فأضعُها بين التمرتين وأَهْوِي إلى فَمِي، فبما أحلِف إنِّي ما أكلتُ طعاماً مثلَه قَطُّ. فقال له عبد الملك: لقد أكلتَ طعاماً طيِّباً، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبتْني عَنْعَنَةُ(٥) تميم وأَسَدٍ وكَشْكَشَةُ(٦) رَبيعة وحُوشِيُّ(٧) أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم. فقال: من أيِّهم أنت؟ قال: من أخوالِك من عُذْرة. قال: أولئك فصحاءُ الناس، فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سَلْني عمَّا بدا لكَ يا أمير المؤمنين. قال: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير: [الوافر]

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسَه وتَطَاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟ قال: قولُ جرير: [الوافر]

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تَمِيمٍ ... حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

قال: فتحرّك [لها جريرٌ](٨). ثمَّ قال له: فأيُّ بيتٍ أَهْجَى؟ قال: قولُ جرير: [الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ ... فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبَا

قال: فأستَشْرَف لها جريرٌ. قال: فأيُّ بيتٍ أغْزَل؟ قال: قول جرير: [البسيط]

إن العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ ... قَتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانا

---

(١) اقتدّ الشي: قطعه.
(٢) الرضف: الحجارة المحمّاة بالنار أو الشمس.
(٣) جزّع البسر: بلغ الإرطاب بعضه. ونصّف: بلغ الإرطاب نصفه.
(٤) الأطيط: الصوت.
(٥) العنعنة: إبدال العين همزة.
(٦) الكشكشة: جعل الكاف شيناً.
(٧) حوشيّ الكلام: وحشيّة وغامضه وعويصه.
(٨) ليست في الأصل وهي زيادة يقتضيها الكلام.

قال: فاهتزَّ جريرٌ وطرِب. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيهاً؟ قال: قولُ جرير: [الطويل]

سَرَى نَحْوَهُمْ لَيلٌ كأنَّ نُجُومَهُ قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ المُفَتَّلُ[١]

فقال جرير: جائزتي للعُذْرِيّ يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنْتَقَصُ منها شيئاً. وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة. فخرَج العُذْرِيّ وفي يده اليمنى ثَمانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رِزْمةُ ثياب.

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا المَدائنيّ عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عَيَّاش الهَمْدانيّ قال: بَيْنَا المهلَّبُ ذاتَ يوم أو ليلةٍ بفارسَ وهو يقاتل الأَزَارِقة[٢] إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصِياحاً؛ فقال ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب تَحاكموا إليكَ في شيء. فأذِن لهم فقالوا: إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلّ فريقٍ منّا يزعمُ أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رَضِينا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم أن تُعَرِّضُوني لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتي! لا أحكمُ بينهما، ولكنِّي أدلُّكم على من يَهُون عليه سِبالُ[٣] جرير وسبالُ الفرزدق، عليكم بالأَزَارقة، فإنهم قومٌ عربٌ يَبْصرُون بالشعر ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشْكُريّ ودعا إلى المبارزةِ، فخرج إليه رجل من عسكر المهلَّب كان لقَطَرِيّ[٤] صديقاً؛ فقال له: يا عُبيدة، سألتُك الله إلاَّ أخبرتَني عن شيء أسألُك عنه. قال: سلْ. قال: أوَتُخْبِرُني؟ قال: نعم إن كنتُ أعلمه. قال: أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ؟ قال: قبحَك الله! أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَني عن الشعر! قال: إنا تشاجرْنا في ذلك ورَضينا بك. فقال: من الذي يقول: [الكامل]

وطَوَى الطِّرَادُ مَع القِيَادِ بُطُونَها طَيَّ التِّجَارِ بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا[٥]

فقال: جرير. قال: هذا أشعرُ الرجلين.

---

(١) الذُّبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة.

(٢) الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، وهم فرقة من الخوارج.

(٣) السبال: الشوارب.

(٤) قطريّ بن الفجاءة: شاعر ورئيس من الخوارج.

(٥) الطراد: المطاردة. والبرود: الثياب.

[أخبار وآراء وشعر]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا الرِّيَاشي عن العُتْبيّ قال: قال جرير: ما عشِقتُ قَطُّ، ولو عشقتُ لنَسَبْتُ نَسِيباً تَسْمَعه العجوز فتَبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخَيلِ في الثَّرى، ولولا أنّي أخاف أن يَسْتفرِغَنِي لأكثرتُ منه. أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي قالا: حدّثنا ابن الأعرابيّ قال: حدّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْميّ عن عامر بن شِبْل الجَرْميّ قال: قدِم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْر مَرَّانَ[1]؛ فكنا نغدو إليه بَكَراً، فيخرج إلينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلّمنا كلمةً حتى يجيءَ طَبَّاخُ عبد العزيز إليه بقَدَحٍ من طِلاَءٍ مسخَّن يَفُور، وبكُتْلةٍ من سمن كأنها هامةُ رجل فيَخُوضها فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه، ويُقْبل علينا ويحدّثنا في كل فنّ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره؛ حتى يحضرَ غَداء عبد العزيز فنقومَ إليه جميعاً. وكان يختم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل. فقال له رجل: ما يُغْني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات! فتبسَّم وقال: يابنَ أخي **﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ﴾**[2] إنهم والله يابنَ أخي يَبْدَأُوني ثم لا أَحْلُم.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن أبي سَعْد قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بنِ جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال: حدّثني الأَخْفش عن أبي مَحْذُورةَ الوَرَّاق عن أبي مالكٍ الراويةِ قال: سمعت الفرزدق يقول، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال: حدّثني إبراهيم بن محمد الطائِفيّ قال: حدّثني محمد بن مَسْعَدَة الأَخْفش عن أبي مَحْذُورةَ الورَّاق عن أبي مالك الراوية قال: سمعتُ الفرزدَقَ يقول: أَبَقَ غلامانِ لرجل منا يقال له الخضرُ، فحدّثني قال: خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيْساءَ[3] كَوْمَاءَ[4]. أُريد اليمامةَ؛ فلما صِرْتُ في ماءٍ لبني حَنِيفةَ يقال

---

(١) ديرمرّان: موضع بالشام قريب من دمشق. (معجم البلدان ٥/ ٩٥).
(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٢.
(٣) الناقة العيساء: البيضاء المائلة إلى الشقرة.
(٤) الكوماء: العظيمة السنام.

له الصَّرْصَرَانُ آرتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأَرْخَتْ عَزالِيَهَا[١]؛ فعدَلَتْ إلى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى[٢] فأجابوا؛ فدخلتُ داراً لهم وأَنَخْتُ الناقةَ وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل، وفي الدار جُوَيرِيَةٌ لهم سَوْداءُ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنها سَبيكةُ فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيَّانِ؛ فسألتِ الجاريةَ: لمن هذه العَيْساءُ؟ (تَعْني ناقتي) فقالت: لضيفِكم هذا. فَعدَلتْ إليّ فقالت: السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام. فقالت لي: ممَّن الرجل؟ فقلت: من بني حَنْظَلةَ. فقالت: من أيّهم؟ فقلت: من بني نَهْشَل. فتبسَّمَتْ وقالت: أنت إذاً ممَّن عَناه الفرزدقُ بقوله: [الكامل]

إنَّ الَّـذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا ... بَيْتاً دعائمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ
بَيْتاً بناهُ لنا المَلِيكُ وما بَنَى ... مَلِكُ السَّماءِ فإنَّهُ لا يُنقَلُ
بَيْتاً زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ... ومُجَاشِعٌ وأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

قال: فقلت نعم جُعِلتُ فداكِ! وأَعْجبني ما سمعتُ منها. فضحكتْ وقالت: فإن ابنَ الخَطَفى قد هَدم عليكم بيتَكم هذا الذي فَخرتم به حيث يقول: [الكامل]

أَخزَى الَّذي رفَعَ السَّماءَ مُجَاشِعاً ... وَبَنَى بِناءَكَ بالحَضِيضِ الأسْفَلِ
بَيْتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكُمْ بفِنائِهِ ... دَنِساً مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ المَدْخَلِ[٣]

قال: فوجَمْتُ. فلما رأتْ ذلك في وجهي قالت: لا عليكَ؛ فإن الناس يُقال فيهم ويقولون. ثم قالت: أين تَؤُمُّ؟ قلت: اليمامةَ. فتنفَّستِ الصُّعَدَاءَ ثم قالت: ها هي تلك أمامَك؛ ثم أنشأت تقول: [الوافر]

تُذَكِّرُني بلاداً خَيْرُ أهْلِي ... بِها أهْلُ المُرُوءَةِ والكَرَامَهْ
ألا فَسَقَى الإلٰهُ أَجَشَّ صَوْباً ... يَسُحُّ بدَرِّهِ بَلَدَ اليَمامَهْ
وَحَيّا بالسَّلامِ أبا نُجَيْدٍ ... فأهْلٌ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلامَهْ

---

(١) العزالي: جمع عزلاء، وهي مصبّ الماء من فم القربة، شبه المطر الغزير بمصب الماء من القربة.
(٢) القرى: ما يقدم للضيف.
(٣) القين: الحداد.

قال: فأَنِسْتُ بها وقلت لها: أذاتُ خِدْنٍ[١] أم ذاتُ بَعْلٍ؟ فأنشأتْ تقول:

[الوافر]

إذا رَقَدَ النِّيَامُ فإنَّ عمراً تُؤرِّقُهُ الهُمومُ إلى الصَّباحِ
تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكرى وَقَلْبي فلا هُوَ بالخَلِيِّ ولا بِصَاحِ
سَقَى اللهُ اليَمامَةَ دارَ قَوْمٍ بها عَمْرٌو يَحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها: من عمرو هذا؟ فأنشأتْ تقول: [الوافر]

سألتَ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ ومن لكَ بالجَوابِ سِوَى الخَبِيرِ
فإنْ تَكُ ذا قَبُولٍ إنَّ عَمْراً هُوَ القَمَرُ المُضِيءُ المُسْتَنِيرُ[٢]
وما لي بالتَّبَعُّلِ مُسْتَراحٌ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعُّلُ لي أَسِيري

قال: ثم سكتتْ سكتةً كأنها تتسمَّع إلى كلامٍ، ثم تهافتتْ وأنشأتْ تقول:

يُخَيَّلُ لي هَيَا عَمْرُو بنَ كَعْبٍ كأنَّكَ قد حُمِلْتَ على سَرِيرِ
يَسِيرُ بكَ الهُوَيْنَى القَوْمُ لَمَّا رَماكَ الحُبُّ بالعَلَقِ العَسِيرِ[٣]
فإنْ تَكُ هٰكذا يا عَمْرُو إنّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إلى القُبُورِ

ثم شَهَقَتْ شَهْقة فخَرَّتْ ميّتةً. فقلتُ لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عَقِيلة بنتُ الضحَّاك بن عمرو بن مُحَرِّق بن النُّعمان بن المُنذِر بن ماء السماء. فقلت لهم: فمن عمرو هذا؟ قالوا: ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر؛ فارتحلتُ من عندهم. فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت.

[جرير عند الخليفة عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حدّثنا محمد بن الحَكَم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سعيد العَطّار قال: حدّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لمَّا استُخْلِف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا

---

(١) الخِدْن: الصديق.
(٢) في البيت إقواء.
(٣) العَلَق: الهوى الشديد.

يَصِلون إليه؛ فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أرْخَى طَرَفيها فدخل؛ فصاح به جرير: [البسيط]

يا أيُّها القارِئُ المُرْخِي عِمامَتَهُ ... هٰذا زمانُكَ إنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أبْلِغْ خليفتَنا إن كُنْتَ لاقِيَهُ ... أنِّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قرَنِ(١)

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعْراً، فلما دخل عليه غيَّره وقال: [البسيط]

إنّا لَنَرْجُو إذا ما الغَيْثُ أخْلَفَنا ... مِنَ الخليفةِ ما نَرْجُو من المَطَرِ
نالَ الخلافَةَ إذ كانَتْ لَهُ قَدَراً ... كما أتَى ربَّهُ مُوسَى على قَدَرِ
أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى الَّتي نَزَلَتْ ... أمْ تَكْتَفِي بالَّذي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَري
ما زِلْتُ بَعْدَكَ في دارٍ تَعَرَّقُنِي ... قد طالَ بعدكَ إصعادي ومُنحدَرِي(٢)
لا يَنْفَعُ الحاضِرُ المَجْهُودُ بادِيَنا ... ولا يَجُودُ لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسِم من شَعْثاءَ أرْمَلَةٍ ... وَمِنْ يَتيم ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالبَصَرِ
يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كأنَّ بهِ ... خَبْلاً من الجِنِّ أو مَسّاً من النُّشَرِ(٣)
مِمَّنْ يَعُدُّك تَكْفِي فَقْدَ والِدِهِ ... كالفَرْخِ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ

قال: فبكى عمرُ ثم قال: يابنَ الخَطَفَى، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فَيَجِبَ لكَ ما يجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحبَ صدقاتِ قومِك فَيصِلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثرِ قومي مالاً، وأحسنِهم حالاً، ولكنِّي أسألك ما عَوَّدَتْنِيه الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ. فقال له عمر: كلُّ امرىءٍ يَلْقَى فعلَه، وأمَّا أنا فما أرَى لك في مال الله حقّاً، ولكن انتظرْ، يَخْرُجُ عَطَائي، فأنْظُرُ ما يَكْفي عيالي سنةً منه فأدَّخِرهُ لهم، ثم إن فضل فَضْلٌ صرَفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يوفِّر أميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرُج راضياً؛ قال: فذلك أحبُّ إليّ؛ فخرج. فلما ولَّى قال عمر: إن شَرّ هذا ليُتَّقَى، رُدُّوه إليّ، فردُّوه. فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأُخرى،

(١) المصفود: المقيَّد. والقرن: الحبل.
(٢) تَعَرَّقُني: تتعرقني، حذفت تاء المضارعة. وتتعرقني: تنهش لحمي بأسنانها ولا تترك من اللحم شيئاً على العظام.
(٣) النُّشَر: جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

وأنا مُقَاسِمُك ذلك، على أن الله جَلّ وعزّ يعلم أن عمر أَحْوجُ إلى ذلك منك. فقال له: قد وَفَّرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض. قال: أمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفَّرْتَه عليّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثَرُ في نفسي من المدح، فامْضِ مُصَاحَباً؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ: ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرةَ؟ قال: خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُبَاعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ، ثم وضع رِجْلَه في غَرْزِ[1] راحلتِه وأتى قومَه. فقالوا له: ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة؟ فقال: [الطويل]

تَرَكْتُ لَكُمْ بالشَّامِ حَبْلَ جَماعَةٍ ... أَمِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ باقيَا[2]

وَجَدْتُ رُقَى الشَّيطَانِ لا تَسْتَفِزُّهُ ... وقد كانَ شَيْطانِي مِنَ الجِنِّ راقيَا

هذه رواية عمر بن شَبَّة. وأما اليَزيدي فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ: يا أميرَ المؤمنين، فإنِّي ابنُ سَبيل. قال: لكَ ما لأبناء السبيل، زَادُكَ ونفقةٌ تبلِّغكَ وتُبَدَّل راحلتُك إن لم تحملْك. فألَحَّ عليه؛ فقالت له بنو أميّة: يا أبا حَزْرَة، مَهْلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نُرْضِيكَ من أموالنا عنه، فخرج. وجَمعتْ له بنو أميّة مالاً عظيماً؛ فما خَرج من عند خليفةٍ بأكثرَ ممَّا خرج من عند عمر.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال: رأتْ أمُّ جَريرٍ وهي حاملٌ به كأنها ولدتْ حَبْلاً من شَعَرٍ أسود، فلما سقَط منها جَعَل يَنْزُو فيقع في عُنق هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فأنتبهتْ فَزِعةً فأَوَّلتِ الرُّؤيا فقيل لها: تَلِدينَ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وشدَّةٍ شَكيمة وبلاءٍ على الناس. فلما ولدتْه سمَّتْه جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجرير: الحبل.

قال إسحاق وقال الأصمعيّ: حدّثني بِلال بن جرير - أو حُدِّثتُ عنه - أنّ رجلاً قال لجرير: من أشعرُ الناس؟ قال له: قُمْ حتى أُعرِّفكَ الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيَّةَ وقد أخذ عنْزاً فأعتقلها وجعل يَمصُّ ضَرْعَها، فصاح به: أخرجْ يا أَبَتِ؛ فخرج شيخٌ دَمِيمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنْز على لِحْيته؛ فقال: ألا تَرَى هذا؟ قال: نعم. قال: أَوَتعرفُه؟ قال: لا. قال: هذا أبي، أفتَدْري لِمَ كان

---

(١) غرز الدابة: ركاب مصنوع من جلد يعتمد عليه في الركوب.

(٢) المستحصد: المستحكم، المتمكن.

يشرب من ضَرْع العَنْز؟ قلت: لا. قال: مَخَافَةَ أن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منه لبن. ثم قال: أشعرُ الناس مَنْ فاخَر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارَعهم به فغلَبهم جميعاً.

حدّثني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال: حدّثني عُمَارة بن عُقَيل عنِ المُغِيرة بن حَجْناءَ عن أبيه قال: وُلد جريرٌ لسبعةِ أشهر؛ فكان الفرزدقُ يعيِّره ذلك، وفيه يقول:

وأنتَ ابنُ صُغْرَى لم تَتِمَّ شُهُورُها

قال: وولَد عطيَّةُ جريراً ـ وأمّه أمُّ قيْس بنتُ مُعيد من بني كلَيب ـ وعَمْراً وأبا الوَرْد. فأمَّا أبو الورد فكان يحسُد جريراً؛ فذهبتْ لجريرٍ إبلٌ فشَمِتَ به أبو الورد فقال له جريرٌ: [الطويل]

أبا الوَرْدِ أَبْقَى الله منها بَقيّةً ... كَفَتْ كلَّ لَوَّامٍ خَذُولٍ وحاسِدِ

وأما عمرو فكان أكبرَ من جرير، وكان يُقارِضُه الشعر. فقال له جريرٌ: [الوافر]

وعَمرو قد كرِهتُ عتابَ عَمْرٍو ... وقد كَثُرَ المَعَاتِبُ والذُّنُوبُ
وقد صَدَّعتُ صَخْرَةَ مَنْ رماكُمْ ... وَقَدْ يُرْمَى بيَ الحَجَرُ الصَّلِيبُ
وَقَدْ قَطَعَ الحَدِيدَ فلا تُمَارُوا ... فِرِنْدٌ لا يُفَلُّ ولا يَذُوبُ[1]

[يزيد بن معاوية يعاتب أباه بشعر جرير وينسبه إلى نفسه]

قال: وأوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه: [الطويل]

فَرُدِّي جِمالَ البَيْنِ ثُمَّ تَحَمَّلِي ... فَما لَكِ فيهم من مُقَام ولا لِيا
لقد قادَني الجِيرانُ يوماً وقُدْتُهُمْ ... وفارَقْتُ حتَّى ما تَصُبُّ جِمَالِيَا[2]
وَإنّي لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى ... ليالِيَ أرْجُو أنَّ مالَكَ مالِيَا
بأيِّ سِنَانٍ تَطْعُنُ القَرْمَ بعدما ... نَزَعْتَ سِنَاناً من قَنَاتِكَ ماضِيَا
بأيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بعدما ... قَطَعْتَ القُوَى مِنْ مِحْمَلٍ كانَ باقِيَا

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتَب أباه بهذه الأبيات ونسبَها إلى نفسه؛ لأن

---

(١) الفرند: السيف.
(٢) تصبّ: تنحدر.

جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذ. فقدِم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤذِن له مع الشعراء، فأمَر يزيدُ ألاَّ يدخلَ عليه شاعر إلاَّ من عَرَف شعرَه، فقال جرير: قولوا له: أنا القائل:

فَرُدِّي جِمالَ الحَيِّ ثم تَحَمَّلِي ... فما لَكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا

فأمر بإدخاله. فلمَّا أنْشده قال يَزيد: لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلاَّ أنِّي قائلها، وأمرَ له بجائزة وكُسْوة.

أخبرني أبو الحسن الأسَدِيّ قال: حدّثنا محمد بن صالح بن النطَّاح قال: قال أبو عُبيدة: قال أبو عمرو: استعار جرير من أبيه فحلاً يُطْرِقه في إبله، فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بَتٍّ خَلَقٍ[1] يَستردُّه؛ فدفَعَه إليه وقال: يا أبتِ، هذا «تُرَدّ إلى عطيَّةَ تُعْتَلُ». يعرِّض بقول الفرزدق فيه: [الكامل]

لَيْسَ الكرامُ بناحِليكَ أباهُمُ ... حَتَّى تُرَدَّ إلى عَطِيَّةَ تُعْتَلُ[2]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ وعمر بن شَبَّة قالا: حدّثنا الأصمعيّ قال: أخبرنا أبو عَمْرو بن العَلاَء قال: جلس جرير يُملِي على رجل قوله: [الكامل]

وَدِّعْ أُمامَةَ حانَ مِنْكَ رَحِيلُ ... إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

فمرّوا عليه بجنازة؛ فقطع الإنشادَ وجعل يَبْكي، ثم قال: شيَّبتْني هذه الجنازة. قال أبو عمرو: فقلت له: فَعَلامَ تَقْذِف المُحْصَنات منذ كذا وكذا! فقال: إنهم يَبْدأونَني ثم لا أَعْفو.

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المُعَذّل قال: كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إنما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدَقَ، وأفضل شعرٍ قاله جرير:

حَيِّ الهِدَمْلَةَ مِنْ ذاتِ المَوَاعِيسِ[3]

أخبرني أبو خليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاّم قال: حدّثنا أبو الغَرَّاف قال:

---

(١) بَتّ: كساء غليظ. والخَلَق: البالي.
(٢) نحل: منح، أعطى. وتعتل: تساق قسراً.
(٣) الهدملة، والمواعيس: موضعان.

أتى الفرزدقُ مجلس بني الهُجَيْم في مسجدهم فأنشدهم؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد ليُنْشِدَهم كما أَنْشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتَّقِ الله! فإنَّ هذا المسجد إنما بُنِيَ لذكرِ الله والصلاة. فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مُغْضَباً وهو يقول: [الكامل]

إنّ الهُجَيْمَ قَبِيلَةٌ مَلْعُونَةٌ حُصُّ اللِّحَى مُتَشَابِهو الألْوانِ[1]

هُمْ يَتْرُكُونَ بَنِيهِمُ وبناتِهِمْ صُعْرَ الأنُوفِ لِرِيحِ كُلِّ دُخَانِ

لَوْ يَسْمَعُونَ بأكْلَةٍ أو شَرْبَةٍ بعُمَانَ أصْبَحَ جَمْعُهُمْ بعُمَانِ

قال: وخفّة اللِّحَى في بني هُجَيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بني الهُجَيم حُصَّ اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم قال: سمعت عُمارةَ بن عُقَيل يحدِّث عن أبيه عن جدّه قال: قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ قال: فقال: ابنُ العِشْرين[2]. قال: فما رأيك في ٱبْنَيْ أبي سُلْمى[3]؟ قال: كان شعرهما نَيِّراً يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرىء القيس؟ قال: اتَّخذ الخبيثُ الشعر نَعْلين، وأُقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلاَذِلَه[4]. قال: فما تقول في ذي الرُّمَّة؟ قال: قَدَر من ظريف الشعر وغريبه وحَسَنِه على ما لم يقدِر عليه أحد. قال: فما تقول في الأَخْطل؟ قال: ما أخرج لسانُ ٱبنِ النَّصْرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قَبض عليها. قال: فما أَراك أبقيتَ لنفسك شيئاً! قال: بلى والله يا أمير المؤمنين! إنِّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبتُ فأطربتُ، وهجوتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسنَّيت[5]، وأَرْملتُ فأَغْزرت، ورجَزت[6] فأَبْحرت؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها، وكلُّ واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقتَ.

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا

---

(١) الحص: جمع أحصّ واللحية: خفيفها.

(٢) أراد بابن العشرين طرفة بن العبد، لأنه قتل وهو في العشرين من عمره.

(٣) هما زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير بن أبي سلمى.

(٤) الذلاذل: ما تدلى من القميص إلى الأرض. أراد أنه كان يخدمه.

(٥) سنى: رفع.

(٦) أرملت: قلت شعراً على بحر الرمل. ورجزت: قلت الرجز.

عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال: كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْيانَ واستقلَّتْ ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهلُ خِصْب ونَعْمة، فسامتْه أن يبيعها وأَلَحَّتْ في ذلك؛ فقال فيها: [الوافر]

تُكَلِّفُني مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ ... ومَنْ لي بالمُرَقَّقِ والصِّنَابِ[1]

تَقُولُ أَلاَ تَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ ... وما ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِي شَبابِي

فقال الفرزدق يعيِّره ذلك: [الوافر]

فإنْ تُفْقِرْكَ عِلْجَةُ آلِ زَيْدٍ ... ويُعْجِزْكَ المُرَقَّقُ والصِّنَابُ

فَقِدْماً كانَ عَيْشُ أبيكَ مُرّاً ... يَعِيشُ بما تَعِيشُ بهِ الكِلابُ

[بين جرير وذي الرُّمّة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا العباس بن مَيْمون قال: حدّثنا التَّوزِيّ عن أبي عُبيدة عن أيُّوب بن كُسَيب قال:

دخل جرير على المهاجِر بن عبد الله وهو والي اليَمامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشده. فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير: كيف تَرَى؟ قال: لقد قال وما أَنْعم. فغضب ذو الرُّمَّة ونَهَض وهو يقول: [الرجز]

أنا أبو الحارثِ وٱسْمِي غَيْلانْ

فنَهض جرير وقال: [الرجز]

إنِّي ٱمْرُؤٌ خُلِقْتُ شَكْساً أَشْوَسا ... إن تَضْرِسَاني تَضْرِسا مُضَرَّسا[2]

قد لَبِسَ الدَّهْرَ وأَبْقَى مَلْبَسَا ... من شاءَ مِن نارِ الجَحِيمِ ٱقْتَبَسا

قال: فجلَس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يُجِبْه.

أخبرني أبو الحَسَن الأَسَديّ قال: حدّثنا ٱبن النَّطّاح عن أبي عُبَيدة قال: كان ذو الرُّمَّة ممَّن أعان على جرير ولم يُصْحِرْ[3] له؛ فقال جرير فيه: [الوافر]

أَقُولُ نَصَاحَةً لِبَنِي عَدِيٍّ ... ثِيابكُمُ ونَضْحَ دَمِ القَتِيلِ

(١) المرقق: الخبز الرقيق. والصِّناب: طعام من الخردل والزبيب يؤتدم به.

(٢) الأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه كبراً. والشكس: العنيد المشاكس. وتضرساني: تعضاني بأضراسكما لتخبراني. والمضرّس: المجرّب، المعروف.

(٣) لم يصحر له: لم يبارزه.

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يُضْجِرُون له.

أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبو الغَرّاف قال: قال الفرزدق لذي الرُّمَّة: أَلْهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرْجُز بك (يَعْني هشاماً المَرَئيَّ) بمَقْبُرة بَني حِصْن. قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقرية لبني امرىء القيس يقال لها: مَرْأَةُ، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له، فارتحل وهو يقول: [الطويل]

نَـزَلْـنـا وقـد طـالَ الـنَّـهـارُ وأَوْقَـدَتْ — عَلينا حَصَى المِعْزَاء شَمْسٌ تَنَالُها[1]
أَنَـخْـنَـا فَـظَـلَّـلْـنَـا بـأَبْـرادِ يُـمْـنَـةٍ — رِقَـاقٍ وأَسْـيـافٍ قَـدِيـم صِـقَـالُـهـا[2]
فَـلَـمَّـا رآنـا أَهْـلُ مَـرْأَةَ أَغْـلَـقُـوا — مَخَادِعَ لـم تُـرْفَـعْ لِـخَـيْـرٍ ظِـلالُـهـا[3]
وقَدْ سُمِّيَتْ بآسْم آمْرِىءِ القَيْسِ قَرْيَةٌ — كِـرَامٌ صَـوَادِيـهـا لـئـامٌ رِجَـالُـهـا[4]
يَـظَـلُّ الـكِـرامُ الـمُـرْمِـلُـونَ بِـجَـوِّهـا — سَواءٌ عـلـيـهـم حَـمْـلُـهـا وحِيَالُـهـا[5]
وَلَـوْ وُضِـعَـتْ أكـوارُهـا عـنـدَ بَـيْـهَـسٍ — عـلـى ذاتِ غِـسْـلٍ لـم تُـشَـمَّـسْ رِحَـالُـهـا

فقال جرير لهشام، وكان يتّهم ذا الرُّمَّة بهجائه التَّيْمَ وهم إخوة عَدِيّ: عليك العبدَ (يعني ذا الرّمة). قال: فما أصنع يا أبا حَزْرة وهو يقول القَصِيدَ وأنا أقول الرَّجَزَ، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رَفَدْتَني! قال: قل له: [الطويل]

عَـجِـبْـتَ لِـرَحْـلٍ مِـنْ عَـدِيٍّ مُـشَـمَّـسٍ — وفـي أيّ يَـوْم لَـمْ تُـشَـمَّـسْ رِحـالُـهـا
وفِـيـمَ عَـدِيٌّ عـنـد تَـيْـم مـن الـعُـلاَ — وأيّـامِـنـا الـلاّتـي يُـعَـدُّ فَـعـالُـهـا
مَـدَدْتَ بِـكَـفٍّ مـن عَـدِيٍّ قَـصِـيـرَةٍ — لِـتُـدْرِكَ مـن زَيْـدٍ يـداً لا تَـنـالُـهـا
وَضَـبَّـةُ عَـمِّـي يـآبْـنَ جَـلٍ فـلا تَـرُمْ — مَـسـاعِـيَ قَـوْم لَـيْـسَ مـنـكَ سِـجـالُـهـا
يُـمَـاشِـي عَـدِيّـاً لُـؤْمُـهـا مـا تُـجِـنُّـهُ — مِـن الـنّـاسِ مـا مـاشَـتْ عَـدِيّـاً ظِـلالُـهـا
فَـقُـلْ لِـعَـدِيٍّ تَـسْـتَـعِـنْ بِـنِـسـائِـهـا — عَـلَـيَّ فَـقَـدْ أَعْـيَـا عَـدِيّـاً رجـالُـهـا
أذَا الـرُّمِّ قَـدْ قَـلَّـدْتُ قَـوْمَـكَ رُمَّـةً — بَطِيئاً بأيْدِي المُطلِقِينَ آنْحِلالُها[6]

---

(١) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى.
(٢) أبراد يمنة: برود يمانية. وصقال السيف: سَنُّه.
(٣) المخادع: البيوت. جمع مخدع.
(٤) الصوادي: جمع صادية، وهي النخلة التي تشرب بعروقها، ولا تسقى.
(٥) أرمل القوم: فني زادهم. وحيالها: عدم حملها. حالت الناقة: لم تحمل.
(٦) الرمة: الحبل يشدّ في عنق البعير.

تَرَى اللُّؤمَ ما عاشَتْ عَدِيٌّ مُخَلَّداً ... سَرابيلُها منهُ ومنهُ نِعالُها

قال: فلَجَّ الهجاءُ بين ذي الرّمّة وهشام. فلما أَنْشد المَرئِيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرّمّة قال: كذبَ الْعَبْدُ السَّوْءُ! - ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نَجْدِيٌّ حَنْظلِيّ، هذا كلام ابنِ الأَتَان[1]. قال: ولم يزل ذو الرّمّة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأبياتَ.

[سبب المهاجاةَ بين ذي الرمّة والمرئيّ]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدْنانَ قال: حدّثني أبو صَخْر من ولد حَجْناء بن نُوح بن جَرير قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال: أتى هشامُ بن قيس المَرَئِيّ أبي (يعني جريراً) فاسترفده على ذي الرّمّة، وقد كانا تهاجَيا دهراً، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرّمّة نزل على أهل قرية لبني امرىء القيس فلم يُدْخِلوا رحله، فذمَّهم في القِرَى، ومدح بَيْهساً صاحبَ ذات غِسْل - وهو مَرَئيّ. وذات غِسْل: قرية له - فقال ذو الرُّمّة: [الطويل]

ولـمَّا وردْنا مَـرْأَةَ الـلُّـؤمِ أُغـلِـقَـتْ ... دَسَاكِرُ لـم تُـفْـتَـحْ لـخـيـرٍ ظِـلالُـهـا

ولـو عُـرِّيـتْ أصـلابُـهـا عـنـد بَـيْـهَـسٍ ... على ذات غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها

إذا ما امْرُؤ القَيْسِ ابْنُ لُؤمٍ تَطعَّمتْ ... بكأسِ النَّدامَى خَبَّثَتْها سِبَالُها

فقال جرير للمَرئيّ: قل له: [الطويل]

غَضِبْتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ ... وفي أيِّ يَوْمٍ لَمْ تُشَمَّس رحالُها

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خَليفة. قال: فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له: تعصّبتَ للمَرَئِيّ وأنا خالُك!. قال: حين قلتُ ماذا؟ قال: حين قلتَ له أن يقول لي:

عَجِبتَ لِرَحْلٍ مِنْ عَدِيٍّ مشمَّسٍ

فقال له جرير: لا! بل أَلْهاك البكاءُ في دار مَيّة حتى أُبيحت مَحَارِمُك. قال: وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر إليه ويحلِف له. فقال له

---

(١) أراد جريراً.

جرير: اذهب الآن فقل للمَرَئِيّ: [الوافر]

يَعُدُّ النَّاسِبُون إلى تَمِيمٍ بُيوتَ المَجْدِ أرْبَعَةً كِبارا
يَعُدُّون الرِّبَابَ وآلَ سَعْدٍ وعَمْراً ثُمَّ حَنْظلةَ الخِيارا
وَيَهْلِكُ بَيْنَها المَرَئيُّ لَغْواً كما أُلْغِيَتَ في الدِّيَةِ الحُوَارَا[1]

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التي أوَّلها: [الوافر

نَبَتْ عَيْناكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى عَفَتْهُ الرِّيحُ وامْتُنِحَ القِطَارَ[2]

وألْحقَ فيها هذه الأبياتَ. فلما أنشدها وسمعها المَرَئِيّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه ويدعو بوَيْلِه وحَرَبِه ويقول: ما لي ولجَرير! فقيل له: وأين جريرٌ منك! هذا رجل يُهَاجِيك وتُهَاجيه! فقال: هيهات! لا والله ما يُحْسِن ذو الرُّمَّة أن يقول:

[الوافر]

ويذهَبُ بَيْنَها المَرَئيُّ لَغْواً كما أُلْغِيَتَ في الدِّيَةِ الحُوارَا

هذا والله كلام جرير ما تعدَّاه قطّ. قال: ومرّ الفرزدق بذي الرُّمة وهو يُنشد هذه القصيدة؛ فلما أنْشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أَعِدْ يا غَيْلان، فأعاد؛ فقال له: أأنت تقول هذا؟ قال: نعم يا أبا فِرَاس. قال: كذَب فُوكَ! والله لقد نَحلكَها أشدُّ لَحْيَيْن منك، هذا شعر ابن الأَتَان. قال: وجاء المَرَئِيُّون إلى جرير فقالوا: يا أبا حَزْرة، قد ٱستعلى علينا ذو الرّمة، فأعِنَّا على عادتِك الجميلة. فقال: هيهات! قد والله ظلمتُ خالي لكم مرَّةً وجاءني فاعتذر وحلَف، وما كنتُ لأُعينكم عليه بعدها. قال: ومات ذو الرُّمَّة في تلك الأيام.

أخبرني عمِّي قال: حدّثني الكُرَانيّ قال: حدّثني العُمَريّ عن لَقيط قال: حدّثني أبو بكر بن نَوْفَل قال: حدّثني من سأل النُّصَيْبَ قال: قلت له: يا أبا مِحْجَن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأُحِبُّ أن تخبرني أيُّكم فيه أشعرُ؟ قال: وما هو؟ قلتُ: قولُك: [الطويل]

أَضَرَّ بها التَّهْجِيرُ حَتَّى كأنَّها أَكَبَّ عَلَيْها جازِرٌ متَعَرِّقُ

---

(١) الحوار: ابن الناقة ساعة يولد.
(٢) حُزْوَى: موضع في ديار تميم.

وقال جميل: [الطويل]

أَضَرَّبها التَّهْجِيرُ حتى كأنَّها بقايَا سُلاَلٍ لم يَدَعْها سُلالُها[١]

وقال جرير: [الوافر]

إذا بَلَغُوا المَنازلَ لم تُقَيَّدْ وفي طُولِ الكَلاَلِ لها قُيُودُ

فقال نُصَيْب: قاتل الله أبنَ الخَطَفَى ما أشعره!. قال: فقال له الرجل: أمَّا أنتَ فقد فضلتَه؛ فقال: هو ما أقول لك.

[جرير أشعر الناس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عبد الرحمن بن القاسم العِجْليّ قال: حدّثني الحسن بن علي المِنْقَرِيّ قال: قال مسعود بن بِشْر: قلت لابن مُنَاذِر[٢] بمكة: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: من إذا شئتَ لَعِب، وإذا شئتَ جَدّ؛ فإذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه، وإذا رُمْتَه بَعُد عليك؛ وإذا جدّ فيما قصَد له أيأسَكَ من نفسه. قلتُ: مثلُ مَنْ؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لَعِب: [الكامل]

إنَّ الَّذينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلاً بِعَيْنِكَ ما يزالُ مَعِينَا

ثم قال حين جَدَّ: [الكامل]

إنّ الَّذِي حَرَمَ المكارِمَ تَغْلباً جَعَلَ الخِلافَةَ والنُّبُوَّةَ فِينا
مُضَرٌ أبي وأبو المُلوكِ فَهَلْ لَكُمْ يا آلَ تَغْلِبَ من أبٍ كأبِينا
هٰذا ٱبنُ عمِّي في دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ ساقَكُمُ إليَّ قَطِينا[٣]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني الرِّياشي قال: حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: لمَّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير: [الكامل]

هٰذا ٱبنُ عمِّي في دِمَشْقَ خليفةً لو شِئْتُ ساقَكُمُ إليَّ قَطِينا

---

(١) السُّلال: السّلّ، وهو مرض معروف.

(٢) ابن مناذر: محمد بن مناذر اليربوعي بالولاء: شاعر وعالم بالأدب واللغة. توفي سنة ١٩٨هـ.

(٣) قطيناً: خدماً، عبيداً.

قال: ما زاد آبنُ المَرَاغة على أن جعلني شُرْطِيّاً! أمَا إنَّه لو قال:

لــو شـاءَ سـاقَـكُـمُ إلـيَّ قَـطِـيـنـا

لسقتُهم إليه كما قال.

[رأي العقيليّ في الثالوث الأموي]

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سلاَّم قال: سألت بَشَّاراً العُقَيليّ عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطلُ مثلَهما، ولكنّ رَبِيعةَ تعصَّبتْ له وأفرطتْ فيه. قلت: فجريرٌ والفرزدقُ؟ قال: كان جريرٌ يُحْسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق، وفضَّل جريراً عليه.

وقال آبن سَلاَّم: قال العَلاَء بن جَرير ـ وكان قد أدرك الناسَ وسمع: كان يقال: الأخطلُ إذا لم يَجِيء سابقاً فهو سُكَّيْت، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلّي أبداً، وجرير يجيء سابقاً ومصلِّياً وسُكَّيتاً. قال آبن سَلاَّم: وتأويل قوله: إن للأخطل خمساً أو ستّاً أو سبعاً طِوالاً روائعَ غُرَراً جِيَاداً هو بهنّ سابق، وسائرُ شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت ـ والسكَّيت: آخر الخيل في الرِّهَان ـ والفرزدق دونَه في هذه الروائع وفوقَه في بقيّة شعره، فهو كالمصلّي أبداً ـ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت ـ وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ، وسَفْسَافاتٌ[1] هو بهنّ سُكَّيت.

[مناقضة بينه وبين الفرزدق]

أخبرنا أبو خليفة قال: حدّثني محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني حاجِب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرَارة قال: قال جرير بالكوفة: [الطويل]

لَقَدْ قادَنِي مِنْ حُبِّ ماوِيَّةَ الهَوَى ... وما كُنْتُ تَلْقَانِي الجَنِيبَةُ أَقْوَدَا[2]

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجَةٌ ... فَغارَ الهَوَى يا عَبْدَ قَيْسٍ وأَنْجَدَا

أقولُ له يا عَبْدَ قَيْسٍ صَبابَةً ... بأيِّ تَرَى مُسْتَوقِدَ النَّارِ أَوْقَدَا

فَقالَ أرَى ناراً يُشَبُّ وَقُودُها ... بِحَيْثُ آستفاضَ الجِزْعُ شِيحاً وغَرْقَدَا[3]

---

(١) السفساف: الرديء.

(٢) الجنيبة: التي تجنب معه. والأقود. الذلول، المنقاد، المطيع.

(٣) الشيح: نبت ذو رائحة طيبة، ترعاه الماشية. والغرقد: شجر يشبه العوسج.

فأعجبت الناسَ وتناشدوها. قال: فحدّثني جابر بن جَنْدل قال: فقال لنا جريرٌ: أعجبتْكم هذه الأبياتُ؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بأبنِ القَيْن[1] وقد قال:
[الطويل]

أَعِـدْ نَـظَـراً يـا عَـبْـدَ قَـيْـسٍ لَـعَـلَّـمـا أضـاءَتْ لـكَ الـنّـارُ الـحِـمَـارَ الـمُـقَـيَّـدا

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده:

حِـمـارٌ بـمَـرُوتِ الـسُّـحَـامَـةِ قـارَبَـتْ وَظِـيـفَـيْـهِ حَـوْلَ الـبَـيْـتِ حَـتَّـى تَـرَدَّدا[2]

كُـلَـيْـبِـيَّـةٌ لَـمْ يَـجْـعَـلِ اللهُ وَجْـهَـهـا كَـرِيـمـاً ولـم يَـسْـنَـحْ بـهـا الـطَّـيْـرُ أَسْـعُـدَا

قال: فتناشدها الناسُ. فقال الفرزدق: كأنكم بأبنِ المَرَاغة قد قال: [الطويل]

ومـا عِـبْـتَ مـن نـارٍ أضـاء وُقُـودُهـا فِـراساً وبِـسْـطَـامَ بـن قَـيْـسٍ مـقـيَّـدا

قال: فذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه:

وأَوْقَـدْتَ بـالـسِّـيـدَانِ نـاراً ذَلِـيـلَـةً وَأَشْهَدْتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهَدَا[3]

[بين جرير والأخطل في حضرة عبد الملك]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن آدَم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أبيه قال: وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده، وقد كانا تَهَاجيَا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه، فلما أستأذنوا عليه لجرير أذِن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمَح طَرْفُ جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومَك وتهضَّمْتُ قومَك. فقال له جرير: ذلك أشْقى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداءَك! فضحك ثم قال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة. فرَدَّ عليه بصرَه ثم قال: فلا حَيَّاكَ الله يأبنَ النصرانية! أمَّا منعُك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك وأما تَهَضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليه الذِّلَّة وباء بغضب من الله وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغر. وكيف تتهضَّم لا أُمّ لكَ قوماً فيهم

---

(١) ابن القين: الفرزدق.

(٢) المرّوت: لبني حُمّان بن عبد العزى بن كعب بن سعد. والسُّحامة: ماءة لبني كليب باليمامة. (انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٤).

(٣) السيدان: موضع. وجعثن: أخت الفرزدق، والشاعر يعرض بالفرزدق وأخته.

النبوَّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: آئذنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ٱبنِ النَّصْرانية؛ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحَضْرتي.

أخبرني أبوا خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال: نازَع جريرٌ بَني جِمَّانَ[1] في رَكِيَّةٍ[2] لهم؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عَدِيّ باليَمامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير: [الرجز]

أَعُوذُ بالأمِيرِ غَيْرِ الجَبَّارْ ... مِنْ ظُلْمِ جِمَّان وتحويلِ الدّارْ
ما كانَ قَبْلَ حَفْرِنا مِنْ مِحْفارْ ... وَضَرْبِيَ المِنْقارَ بَعْدَ المِنْقارْ[3]
في جَبَلٍ أصَمَّ غَيْرِ خوّارْ ... يَصِيحُ بالجُبِّ صِياحَ الصَّرّارْ[4]
له صَهِيلٌ كصَهِيلِ الأمْهارْ ... فاسألْ بَنِي صَحْبٍ ورَهْطَ الجَرّارْ[5]
وَالسَّلَمِيّينَ العِظَامَ الأخْطارْ ... والجارُ قد يُخْبِرُ عن دارِ الجارْ

فقال الجِمَّانِيّ: [الرجز]

ما لِكُلَيْبٍ مِنْ حِمًى ولا دارْ ... غَيْرَ مُقامِ أُتُنٍ وأَغْيارْ
قُعْسِ الظُّهورِ دامياتِ الأثْفارْ[6]

قال: فقال جرير: فعن مُقَامِهنّ، جُعِلتُ فِداك، أُجادِل. فقال ابن عَدِيّ للجِمَّانيّ: قد أقْررتَ لخَصْمك، وحكم بها لجرير.

قال ٱبن سَلاَّم: وأخبرني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال: بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هَجَم على أبياتٍ من مازِن وهِلال ـ وهما بطنان من ضَبّة ـ فخافهم، لسوء أثَرِه في ضَبّة، فقال: [الوافر]

فلا خَوْفٌ عَلَيْكِ ولن تُراعِي ... بِعَقْوةِ مازِنٍ وَبَنِي هِلاَلِ[7]

---

(١) بنو جِمّان: حيّ بن تميم.
(٢) الركيّة: البئر التي لم تطوَ.
(٣) المنقار: حديدة يحفر بها.
(٤) الجب: البئر. والصّرّار: ضرب من الخنافس يصوّت في الصحراء ليلاً.
(٥) بنو صحب: قبيلة من باهلة.
(٦) القعس: جمع قعساء، وهي التي خرج صدرها ودخل ظهرها خلقةً. والأثفار: جمع ثفر، وهو للسباع وذوات المخلب كالحياء للناقة.
(٧) العقوة: ساحة أمام الدار.

هُمَا الحَيَّانِ إن فَزِعا يَطِيرا إلى جُرْدٍ كأمْثالِ السَّعَالِي
أمازِنُ يا ٱبْنَ كَعْبٍ إنَّ قَلْبِي لَكُمْ طُولَ الحياةِ لَغيْرُ قالِي
غَطارِيفٌ يَبِيتُ الجارُ فِيهِم قَرِيرَ العَيْنِ في أهْلٍ ومالِ(١)

قال: أَجَلْ يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال شُعَيب بن صخر: حدّثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ(٢) واحد على جرير: قيس وموالي بني أمية يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة في مَسيرك، وكيف أهلُك وأسبابُك. وما يُطيف بالفرزدق إلاّ نَفَرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه. قال شُعيبٌ: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: لمدحه قَيْساً وقوله في العجم: **[الطويل]**

فَيَجْمَعُنا وَالغُرَّ أولادَ سَارَةٍ أبٌ لا نُبالِي بَعْدَهُ مَنْ تَعَذَّرا(٣)

قال شُعيب: بلغني أنه أُهْدِيتْ له يومئذٍ مائةُ حلَّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم. وأخبرني بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم عن شُعيب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتمُّ من حكاية ٱبن سَلاَّم. وقال أبو خَليفة في خبره: سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول: وافتْه في يومه ذلك مائةُ حُلّة من بني الأحرار(٤).

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني أحمد بن الهَيْثم الفِرَاسِيّ قال: بينا جريرٌ بقُبَاءَ إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنْشِد قولَه: **[الكامل]**

لولا الحياءُ لعادنِي ٱستعبارُ ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول: **[الوافر]**

عَوَى الشُّعَراءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَيَّ فَقَدْ أصابَهُمُ ٱنْتِقامُ
إذا أرْسَلْتُ قافِيَةً شَرُوداً رَأَوْا أُخْرَى تُحَرِّقُ فاسْتَدامُوا(٥)

(١) الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم.
(٢) العنق: الجماعة من الناس.
(٣) سارة: زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام.
(٤) بنو الأحرار: أبناء الموالي من الفرس.
(٥) استدام: انتظر.

فَمُضطَلَمُ المَسامِعِ أو خَصِيٌّ وَآخَرُ عَظْمُ هامَتِهِ حُطَامُ[1]

ثم عاد من حيث قَطع. فلما فَرغ قيل له: ولم قلتَ هذا؟ قال: قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعين عليّ الفرزدقَ، فأنا والله يا بني عمرو بن عَوْف ما تعوَّذتُ من شاعر قطُّ، ولولا حقُّكم ما تعوَّذت منه.

[عبد الملك يرفض مديحه]

أخبرنا علي بن سليمان الأخْفش قال: حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال: قال عُمارة بن عُقَيل: حدّثني أبي عن أبيه: أن الحَجَّاج أوفد ابنَه محمدَ بن الحجّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصَّاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردوا ٱستأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذَنْ له، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبَيْرِيَّةً. فلما ٱستأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذَن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممَّن والَى ٱبنَ الزبير ولا نَصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أميرَ المؤمنين، إنّ العرب لتحدّث أنّ عبدَك وسيفَك الحَجَّاجَ شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم ردَدْتَه؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك في الحَجَّاج! ألستَ القائلَ: [الكامل]

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عليكُمُ أم من يَصُولُ كَصَوْلَةِ الحَجَّاجِ

إن الله لم ينصرني بالحجّاج وإنما نصر دينه وخليفته. أولست القائل:

أمْ مَنْ يَغارُ على النساءِ حَفِيظةً إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرَةِ الأزواجِ

يا عاضَّ كذا وكذا من أمّه! والله لَهَمَمْتُ أن أَطِير بك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها، أُخرُجْ عنّي، فأُخْرِجَ بشَرٍّ. فلما كان بعدَ ثلاثٍ شفَع إليه محمدٌ لجرير وقال له: يا أميرَ المؤمنين، إني أدَّيت رسالةَ عبدِك الحجَّاج وشفاعتَه في جرير، فلما أذِنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشمتَ به عدوَّه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجَّاج وَلِي فٱفعلْ فأذِن له، فاستأذنه في الإنشاد؛ فقال: لا تُنشِدني إلاّ في الحجَّاج، فإنما أنت للحَجَّاج خاصَّةً. فسأله أن

(١) مُصطلم المسامع: مقطوع الأذنين.

يُنْشِده مديحَه فيه، فأبى وأَقْسم ألاّ يُنْشِده إلاّ من قوله في الحجّاج؛ فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزِف الرَّحِيل قال جرير لمحمد: إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منِّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر، ولست بارحاً بابَه أو يأذنَ لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير: ارْحَلْ أنت وأُقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبّل يدَه ورجلَه، فأذِن له، فدخل فاستأذن في الإنشاد، فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشِدْ وَيْحَك! فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها: [الوافر]

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِب المطايا ... وأَنْدَى العالَمِينَ بُطونَ راحِ

فتبسَّم عبد الملك وقال: كذلك نحن وما زِلْنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزُّبَير فقال: [الوافر]

دَعَوْتَ المُلْحِدِينَ أبا خُبَيْبٍ ... جِماحاً هَلْ شُفِيتَ من الجِماحِ[1]
وَقَدْ وَجَدُوا الخَلِيفَةَ هِبْرِزِيّاً ... أَلَفَّ العِيصِ لَيْسَ منَ النَّواحِي[2]
وما شَجَراتُ عِيصِكَ في قُرَيْشٍ ... بِعَشّاتِ الفُرُوعِ ولا ضَواحِي[3]

قال: ثم أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

تَعَزَّتْ أمُّ حَزْرَةَ ثم قالَتْ ... رَأَيْتُ المُورِدِينَ ذوي لِقَاحِ
تُعَلِّلُ وهي ساغِبَةٌ بَنِيها ... بأنفاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَرَاحِ[4]

فقال عبد الملك: هل تُرْويها مائة لِقْحة؟ فقال: إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله! فهل إليها - جعلني الله فِدَاكَ يا أمير المؤمنين - من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء. وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال له جرير: يا أميرَ المؤمنين، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحْلَباً؟ فضحك ونَدس[5] إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال: خذها لا نفعتْك! فأخذها وقال: بَلَى والله يا أمير المؤمنين لَينفعنِّي

(١) ابو خبيب: عبد الله بن الزبير. والجماح: ركوب الهوى.
(٢) الهبرزيّ: الأسد، والألفّ: الملتفّ. والعيص: الشجر. يريد أنه من وسط العزّ لا من نواحيه.
(٣) العشات: جمع عشة، وهي الشجرة اللئيمة المنبت الدقيقة الفروع. والضواحي: البادية العيدان لا ورق عليها. يريد جرير أبن عبد الملك بن مروان في الأصول الأصيلة من قريش.
(٤) الساغبة: الجائعة. والأنفاس: جمع نفس، وهو الجرعة. والشبم القراح: البارد الصافي.
(٥) ندس إليه واحدة: ألقاها إليه.

كلُّ ما مَنَحْتَنِيه، وخرج من عنده. قال: وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بن عبد الملك: [البسيط]

أعْطَوْا هُنَيْدةَ يَحْدُوها ثمانِيَةٌ ... ما في عَطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ[1]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا دَمَاذُ أبو غَسَّانَ عن أبي عُبيدة قال: بذل محمد بن عُمَيْر بن عُطَارِد بن حاجِب بن زُرَارةَ أربعةَ آلافِ درهم وفرساً لمن فضَّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير، فلم يُقْدم عليه أحد منهم إلا سُرَاقة البارِقِيّ فإنه قال يفضل الفرزدق: [الكامل]

أبْلِغْ تَمِيماً غَثَّها وسَمِينَها ... وَالحُكْمُ يَقْصِدُ مَرَّةً ويَجُورُ
أنَّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزَتْ أعْرَاقُهُ ... سَبْقاً وخُلِّف في الغُبارِ جَرِيرُ
ذَهَبَ الفرزدقُ بالفضائِلِ والعُلاَ ... وابْنُ المَرَاغَةِ مُخَلَّفٌ مَحْسَورُ
هٰذا قضاءُ البارِقيِّ وإنَّنِي ... بِالمَيْلِ في مِيزانِهِمْ لَبَصِيرُ

قال أبو عُبَيدة: فحدّثني أيّوب بن كُسَيب قال: حدّثني أبي قال: كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع إليه كتابَه، وقال له: إنه قد أمرني أن أُوصلَه إليك ولا أبْرَح حتى تُجيب عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتك إن لقِيتُك ليلاً، وأَخْرج إليه كتابَ بِشْر وقد نسخَ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها. فأخذها ومكث ليلتَه يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فهتَف به صاحبهُ من الجنّ من زاوية البيت فقال له: أزعمتَ أنك تقول الشعر! ما هو إلاّ أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحسِن أن تقول شيئاً! فَهَلاَّ قلتَ: [الكامل]

يا بِشْرُ حَقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ ... هلاَّ قَضَيْتَ لنا وأنْتَ أمِيرُ

فقال له جرير: حَسْبُك كُفِيتُكَ. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أنار الصبحُ؛ فقال جرير: [الكامل]

يا صاحِبَيَّ هَلِ الصَّباحُ مُنِيرُ ... أمْ هَلْ لِلَوْمِ عَواذِلي تَفْتِيرُ

إلى أن فَرغ منها. وفيها يقول:

قد كانَ حَقُّكَ أن تَقُولَ لبارِقٍ ... يا آلَ بارِقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ
يُعْطَى النساءُ مُهُورَهُنَّ كَرامَةً ... ونساءُ بارِقَ ما لَهُنَّ مُهُورُ

---

(١) الهنيدة: جماعة من الإبل عددها بين المائة والمائتين.

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر، فقُرئتْ بالعراق وأُفْحِم سُرَاقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضته.

[مناقضة بينه وبين عمر بن لجأ]

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثني محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال: كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بن لَجَأ أن عمر كان يُنْشد أُرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها: [الرجز]

قـد وَرَدَتْ قَـبْـلَ إِنَـا ضَـحَـائِـهـا تُـفَـرِّسُ الـحَـيَّـاتِ فـي خِـرْشَـائِـهـا[1]

[جَـرَّ الـعَـجُـوزِ الـثِّـنْـيَ مـن رِدَائِـهـا][2]

فقال له جرير: أَخْفقتَ. فقال: كيف أقول؟ قال: تقول:

جَـرَّ الـعَـرُوسِ الـثِّـنْـيَ مـن رِدائِـهـا

فقال له التَّيْمِيّ: أنت أسوأ قولاً منِّي حيث تقول: [الطويل]

وَأَوْثَـقُ عِـنْـدَ الـمُـرْدَفـاتِ عَـشِـيَّـةً لَـحَـاقـاً إذا مـا جَـرَّدَ الـسَّـيْـفَ لامِـعُ

فجعلتَهنّ مُرْدَفاتٍ غُدْوةً ثم تَدَاركْتَهنّ عَشيَّةً. فقال: كيف أقول؟ قال: تقول:

وأَوْثَـقُ عـنـدَ الـمُـرْهَـفـاتِ عَـشِـيَّـةً

فقال جرير: والله لهذا البيتُ أحبُّ إليّ من بِكْرِي حَزْرَةَ، ولكنك مُجْلِبٌ للفرزدق[3].

وقال فيه جرير: [البسيط]

هَـلاّ سِـوَانـا ادّرأتـم يـا بَـنـي لَـجَـأ شَـيْـئـاً يُـقَـارَبُ أو وَحْـشـاً لـهـا غِـرَرُ[4]

أَحِـيـنَ كـنـتُ سِـمَـامـاً يـا بَـنـي لَـجَـإٍ وخـاطَـرَتْ بـيَ عـن أَحـسـابِـهـا مُـضَـرُ!

(١) الأنا (بفتح الهمزة وكسرها): الوقت. والضحاء: الضحى، أو قرب منتصف النهار. وتفرّس: تصطاد وتقتل. والخرشاء: جلد الحية.

(٢) زيادة ليست في الأصل

(٣) ورد الخبر سابقاً مخالفاً لما جاء هنا.

(٤) ادّرأ: ختلَ. والغرر: جمع غرّة، وهي الغفلة.

خَلِّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي المَنارَ بِهِ وآبرُزْ ببَرْزَةَ حَيْثُ أضطرَّكَ القَدَرُ[١]
أنتَ آبنُ بَرْزَةَ مَنْسُوباً إلى لَجَإٍ عندَ العُصَارة والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

ويروى:

ألَسْتَ نَزْوَةَ خَوَّارٍ على أَمَةٍ عندَ العُصَارةِ والعِيدانُ تُعْتَصَرُ

فقال آبن لَجَأ يردّ عليه: [البسيط]

لَقَدْ كَذَبْتَ وشَرُّ القَوْلِ أكْذَبُهُ ما خاطَرَتْ بكَ عَنْ أحسابِها مُضَرُ
بَلْ أنتَ نَزْوَةُ خَوَّارٍ على أَمَةٍ لا يَسبِقُ الحَلَباتِ اللُّؤمُ والخَوَرُ
ما قُلْتَ مِن هٰذِهِ إلا سأنقُضُها يآبْنَ الأتَانِ بِمِثْلِي تُنقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لَجَأ: [الطويل]

عَجِبْتُ لما لاقَتْ رِيَاحٌ مِنَ الأذَى وما آقتَبسُوا مِنّي وَلِلشَّرِّ قابِسُ[٢]
غِضَاباً لِكَلْبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُهُ هَوَى وَلِشَدّاتِ الأُسُودِ فَرَائِسُ
إذا ما آبنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لِمَأكَلٍ على مَجْلِسٍ إن الأكِيلَ مُجالِسُ
فقُلْ لابنِ يَرْبوعٍ ألَستَ براحِضٍ سِبَالَكَ عَنّا إنَّهُنَّ نَجائِسُ[٣]
تُمَسِّحُ يَرْبوعٌ سِبَالاً لَئِيمَةً بها مِنْ مَنِيِّ العَبْدِ رَطْبٌ ويابِسُ

قال: ثم اجتمع جرير وابن لَجَإٍ بالمدينة وقد وردَها الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتألَّه[٤] في نفسه، فقال: أتَقْذِفان المُحْصَناتِ وتُغْضِبانهنّ! ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزْم الأنصاريّ ـ وكان والياً له بالمدينة ـ بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلُس[٥] مقرونَيْن، والتَّيْميُّ يومئذٍ أشَبُّ من جرير، فجعل يَشُولُ[٦] بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به: [الوافر]

فلستُ مُفارِقاً قَرَنَيَّ حَتَّى يَطُولَ تَصَعُّدي بكَ وآنحِدارِي

(١) برزة: أم عمر بن لجأ.
(٢) رياح: هو ابن يربوع أحد أجداد جرير.
(٣) رحض: غسل.
(٤) يتأله: يتنسك، يتعبد.
(٥) البلس: جمع بلاس وهو ثوب من الشعر، غليظ، وغرارة كبيرة من مسوح يجعل فيها التبن، ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه، وهذا المعنى المقصود هنا.
(٦) شال به: ارتفع به.

فقال ٱبن لَجَأ: [الوافر]

وَلَـمَّـا أن قُـرِنْـتُ إلـى جَـرِيـرٍ أَبَـى ذو بَـطْـنِـهِ إلاَّ ٱنْـحِـدارا[١]

فقال له قُدَامَةُ بن إبراهيمَ الجُمَحِيّ: وبِئْسَما قلتَ! جعلت نفسَك المقرونَ إليه! قال: فكيف أقولُ؟ قال: تقول:

ولـمَّـا لُـزَّ فـي قَـرَنَـي جَـرِيـرِ

فقال: جُزيتَ خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا.

[عند عبد الملك بن مروان]

حدثني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفِيّ قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الله العَبْديّ قال: حدّثني عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال: وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأَخْطل داخل عنده، وقد كانا تَهَاجَيَا ولم يَلْقَ أحدُهما صاحبَه. فلما ٱستأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس، وقد عرَفه الأخطل، فطمَح بصرُ جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمْتُ قومك. فقال له جريرٌ: ذاك أَشْقَى لك كائناً مَنْ كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرةَ. فَردَّ بصرَه إليه وقال: فلا حَيَّاكَ الله يأبنَ النصرانية! أمّا منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليهم الذِّلَّة والمَسْكنة وباءوا بغضب من الله!. ائذنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ٱبن النصرانية. فقال: لا يكون ذلك بين يديّ. فوثَب جريرٌ مُغْضَباً. فقال عبد الملك: قم يا أَخْطَل وٱتبَعْ صاحبَك؛ فإنما قام غضباً علينا فيك؛ فنَهض الأخطلُ. فقال عبد الملك لخادم له: انظر ما يَصْنَعان إذا برَز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حِصَاناً له أَدْهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتَوَارَى خَلْفَه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره؛ فضحك وقال: قاتل الله جريراً ما أفْحله! أمَا والله لو كان النصراني[٢] برز إليه لأكله.

---

(١) ذو بطنه: روثه، رجيعه.

(٢) النصراني: أراد الأخطل.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ؟ فقال: أمَّا الفرزدقَ فيتكلَّف منِّي ما لا يُطيقه؛ وأما الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأَرْمانا للغرض؛ وأما أنا فمدينة الشعر. وقد حدّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبَّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشي، وقال في خبره: وأما الأخطل فأَنْعتُنا للخمر وأَمْدحُنا للملوك.

أخبرنا عمّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن عَطَاء بن مُصْعَب قال: قلت لأبي مَهْديّ الباهليّ وكان من علماء العرب: أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال: جريرٌ أشعرْ العرب كلِّها، ثم قال: لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكم بينهم.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني العباس بن مَيْمون قال: سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول: قال جرير: هجوتُ بني طُهيَّة أنواعَ الهجاءِ، فلم يَحْفِلُوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي: [الوافر]

كـأنَّ بَـنِـي طُـهَـيَّـةَ رَهْـطَ سَـلْـمَـى ... حِـجَـارةُ خـارِىءٍ يَـرمِـي كـلابَـا

فجزعوا حينئذ ولاذوا بي.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال: حدّثنا المَدَائنيّ قال: كان جرير من أَعَقِّ الناسِ بأبيه، وكان بلالٌ ابنُه أعقَّ الناسِ به. فراجع جريرٌ بلالاً الكلامَ يوماً؛ فقال له بلال: الكاذب منِّي ومنكَ ناكَ أُمَّه. فأقبلتْ أمّه عليه وقالت له: يا عدوّ الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دَعِيه، فوالله لكأنه سمِعها منِّي وأنا أقولها لأبي.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال: حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال: كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأسديّ يتعصّب للفرزدق على جرير. فتزوّج امرأةً من بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم؛ فقال جرير: [الوافر]

نَـكَـحْـتَ إلـى بـنـي عُـدُس بْـنِ زَيْـدٍ ... فَـقَـدْ هَـجَّـنْـتَ خَـيْـلَـهُـمُ الـعِـرَابَـا

أَتَـنْـسَـى يَـوْمَ مَـسْـكِـنَ إذ تُـنَـادِي ... وقـد أخـطـأْتَ بـالـقَـدَمِ الـرِّكـابـا[1]

---

(١) مسكن: موضع قرب أوانا على نهر دجيل، به كانت المعركة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ وقتل مصعب. (معجم البلدان ٥/١٢٧).

وهي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بن يزيد. ولم يزالوا به حتى خَلَعوا المرأةَ منه.

[جرير ينشد الحجّاج في الخضراء]

أخبرني محمد بن خَلَف قال: حدّثني محمد بن الهَيْثم قال: حدّثني عمِّي أبو فِرَاس قال: حدّثني وَدْقَةُ بن معروف قال:

نزل جريرٌ على عَنْبَسةَ بن سعيد[١] بوَاسِط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحَجَّاج. فلما دخل على عَنْبَسَة، قال له: وَيْحَك! لقد غَرَّرتَ بنفسك! فما حَمَلك على ما فعلتَ؟ قال: شعرٌ قلتُه اعتَلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير. قال: فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تُطْلِعَنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك. قال: فأتاه رسول الحَجَّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ، وهو قاعدٌ في الخَضْراء[٢] وقد صُبّ فيها ماء استَنْقَع في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً. قال عَنْبَسة: فقعدتُ على الكرسيّ، وأقبل عليّ الحجَّاج يحدِّثني. فلما رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسِه قلتُ: أصلح الله الأميرَ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفَّه عَجَبُه به حتى دعاه إلى أن رَحَل إليك ودخل مدينتَك من غير أن يُسْتَأذنَ له. قال: ومن هو؟ قلتُ: ابن الخَطَفَى. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغِلْمان يتسارعون. قال: صِفْ لهم موضعَه من دارك؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بضَبْعَيْه حتى رُمِيَ به في الخضْراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفَّش كما يتنفَّش الفَرْخ. فقال له: هِيه! ما أقدمَك علينا بغير إذننا لا أمّ لك؟ قال: أصلح الله الأمير! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثلَه أحدٌ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منِّي الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلّق الحَجَّاجُ وسكن، واستنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يسعَوْن. فقال: عليَّ بالجارية التي بعثَ بها إلينا عاملُ اليَمَامة؛ فأُتِيَ بجارية بيضاءَ مَدِيدةِ القامة. فقال: إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك. فقال: ما اسمُها؟ قال: أُمَامة؛ فأنشأ يقول: [الكامل]

وَدِّعْ أُمَامَةَ حانَ منكَ رَحِيلُ ... إنّ الوَدَاعَ لمن تُحِبُّ قَلِيلُ

---

(١) عنبسة بن سعيد بن العاص: أحد أشراف الأمويين، سجنه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق.

(٢) خضراء واسط، وتعرف بالقبة الخضراء. بناها الحجاج.

مِثْلُ الكَثِيبِ تَهَيَّلَتْ أعطافُهُ فالرِّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتَهِيلُ
تلكَ القُلُوبُ صواديًا تيَّمْتِها وَأَرَى الشِّفاءَ وما إليهِ سَبيلُ[1]

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وانتحبت. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورِحالها.

أخبرنا أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلام قال: حدّثني أبو الغَرّاف قال: قال الحَجَّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بحزيز[2] البصرة: ائتِيَاني في لباس آبائكما في الجاهليّة. فلبِس الفرزدقُ الديباجَ والخَزَّ وقعد في قُبّة. وشاور جريرٌ دهاة بني يَرْبوع فقالوا له: ما لباسُ آبائنا إلاّ الحديد؛ فلبس جرير دِرْعاً وتقلّد سيفاً وأخذ رُمْحاً ورَكِب فرساً لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحَازُ وأقبل في أربعين فارساً من بني يَرْبوع، وجاء الفرزدقُ في هيئته؛ فقال جرير: [الطويل]

لَبِسْتُ سلاحِي والفرزدقُ لُعْبَةٌ عليهِ وشَاحا كُرَّجٍ وجَلاَجِلُهْ[3]
أَعِدُّوا مَعَ الحَلْيِ المَلاَبَ فإنَّما جريرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وأنتم حَلاَئِلُهْ[4]

ثم رجعا، فوقف جرير في مَقْبَرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِرْبَد. قال: فأخبرني أبي عن محمد بن زيَاد قال: كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذ كأنه أصغرُهما في عيني.

[بينه وبين الفرزدق]

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثنا أبو اليَقْظان عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال: قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجِرُ بن عبد الله الكِلاَبيّ فقال: لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير! فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير: [الطويل]

رَأيتُكَ إذ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغِنَى رَجَعْتَ إلى قَيْسٍ وخَدُّك ضارعُ
وما ذاكَ إنْ أَعْطَى الفَرَزْدَقُ بِاسْتِهِ بأوّلِ ثَغْرٍ ضَيَّعَتْهُ مُجَاشِعُ

(١) صوادياً: عطاشاً.
(٢) حزيز: موضع بالبصرة (معجم البلدان ٢/ ٢٥٧).
(٣) الكُرّج: مهر من خشب يلعب به الصبيان ـ والجلاجل: جمع جلجل وهو الجرس.
(٤) الملاب: ضرب من الطيب. والحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة.

فلما بلغَ ذلك الفرزدقَ قال: لا جَرَمَ والله لا أدخل عليه ولا أَرْزَؤُه شيئاً ولا أُقيم باليَمامة، ثم رَحَل.

أخبرنا أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: قال أبو البَيْداء: لقي الفرزدقُ عمر بن عطيَّة أخا جرير، وهو حينئذ يُهَاجِي ٱبن لَجَأ، فقال له: وَيْلَك! قل لأخيك: ثَكِلَتْك أُمُّك! ائتِ التَّيْمِيَّ مِنْ عَلُ كما أصنَع أنا بك. وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أن يتعلَّق به التيميُّ. قال ٱبن سَلاَّم: فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِيّ: [الطويل]

وما أنتَ إنْ قَرْمَا تَمِيمٍ تَسَامَيَا أخا التَّيْمِ إلا كالوَشِيظةِ في العَظْمِ[1]
فلو كُنْتَ مَوْلَى العِزّ أو في ظلالِهِ ظُلِمْتَ ولكنْ لا يَدَيْ لكَ بالظُّلْمِ

فقال له التَّيميّ: [الطويل]

كذَبْتَ أنا القَرْمُ الَّذي دَقّ مالكاً وأَفْنَاءَ يَرْبُوعٍ وما أنتَ بالقَرْمِ

قال ٱبن سَلاَّم: فحدّثني أبو الغَرّاف أن رجال تَمِيم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْمِيّ وقالوا: والله ما شعراؤنا إلا بَلاَءٌ علينا ينشُرون مساوينَا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا، فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألاَّ يَعُودا في هجاء. فكَفَّ التَّيْمِيّ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ الواحدةَ بعد الواحدة فيه[2]؛ فيقول التَّيْمِيّ: والله ما نقَضْتُ هذه ولا سمعتُها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ٱبن سَلاَّم فحدّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْمَلَةَ قال: لمَّا وَرَد علينا هجاءُ جرير والتَّيْمِيّ، قال لي سَعيد بن المُسَيِّب: تَرَوَّ[3] شيئاً مما قالا؛ فأتيتُه وقد ٱستقبلَ القبلةَ يريد أن يكبِّر، فقال لي: أَرَوَيْتَ؟ قلتُ: نعم. فأقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيْمِيّ وهو يقول: هِيهِ هِيهِ! ثم أَنْشدتُه لجرير، فقال: أَكَلَه أَكَلَه!.

قال ٱبن سَلاَّم وحدّثني الرازِيّ عن حِجْنَاء بن جرير قال: قلتُ لأبي: يا أبتِ، ما هجوتَ قوماً قَطُّ إلا فضحتَهم إلاَّ التَّيْمَ. فقال: يا بُنَيّ، لم أجد بناءً أَهْدِمُه ولا شرفاً أَضَعُه. وكانت تَيْمٌ رِعَاءَ غنم يَغْدون في غنمِهم ثم يَرُوحون، وقد جاء كلُّ

(١) الوشيظة: قطعة عظم زائدة في العظم الصميم.
(٢) يسل الواحدة تلو الأخرى: يرسلها خفية.
(٣) تروَّ: ازوِ.

رجل مهم بأبيات فينتحلُها ٱبنُ لَجَأ. فقيل لجرير: ما صنعتَ في التَّيم شيئاً؛ فقال: إنهم شعراءُ لِئامٌ.

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال: حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدّثني ٱبن النَّطاح قال حدّثني أبو اليَقْظان قال:

قال جرير لرجل من بني طُهَيَّةَ: أَيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلماء. فصاح جرير: أنا أبو حَزْرةَ! غلَبتُه وربِّ الكعبة! والله ما في كل مائة رجل عالمٌ واحد.

[بينه وبين ابن الرقاع عند الوليد بن عبد الملك]

حدّثنا أحمد بن عمَّار قال: حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني ٱبن النَّطاح قال، وحدّثني أبو الأَخْضَر لمُخَارِق بن الأَخْضَر القَيْسيّ قال: إنِّي كنتُ والله الذي لا إله إلا هو أخصَّ الناسِ بجرير، وكان ينزل إذا قدِم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكان عَدِيّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مَدَّاحاً له، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزَارِيَّة ولا يجلس إلا إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرب من مجلس ابن الرِّقَاع إلى أن يأذَن الوليدُ للناس فيدخلَ. فقلت له: يا أبا حَزْرة، اختصصْتَ عدوَّك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلا لأُنْشِدَه أشعاراً تُخْزِيه وتُخْزِي قومَه. قال: ولم يكن يُنْشده شيئاً من شعره، وإنما كان يُنْشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوّفَه نفسَه. فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيَّة فدخلوا ودخلْنا، فأخذ الناسُ مجالسَهم، وتخلَّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنّوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثَل بين السِّمَاطَيْن[1] يقول: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ٱبن الرِّقَاع المتفرِّقَةِ أُؤَلِّفُ بعضَها إلى بعض! ـ قال: وأنا جالسٌ أسمع ـ فقال الوليد: والله لهَمَمْتُ أن أُخْرِجَه على ظهرك إلى الناس. فقال جرير وهو قائم كما هو: [الطويل]

فإن تَنْهَنِي عَنْهُ فَسَمْعاً وطاعَةً ... وإلا فإنِّي عُرْضَةٌ للمَرَاجِمِ[2]

(١) بين السماطين: بين الصفين.

(٢) المراجم: الكلام القبيح.

قال: فقال له الوليد: لا كثَّر الله في الناس أمثالَك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سعرْتُ الأمَّة[١]، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً. قال: فنظرتُ والله إلى الوليد تبسَّم حتى بدتْ ثَنَاياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني ابن عمَّار قال: حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدّثنا ابن النطَّاح عن أبي عُبَيدة قال: كان جرير عند الوَليد وعَدِيُّ بن الرِّقَاع يُنْشِده. فقال الوليد لجرير: كيف تَسمع؟ قال: ومن هو يا أميرَ المؤمنين؟ قال: عَدِيُّ بنُ الرِّقَاع. قال: فإن شَرّ الثيابِ الرِّقَاعُ، ثم قال جرير: **﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾**[٢]؛ فغضب الوليدُ وقال: يابنَ اللَّخْناء! ما بقي لك إلا أن تتناول كتابَ الله! والله لَيَرْكبنَّك! يا غلام أَوْكِفْه[٣] حتى يركبَه. فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف. فلما سكَن غضبُ الوليد قام إليه عمرُ فكلَّمه وطَلَبَ إليه وقال: هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألاَّ يَغُضّ منه! ولم يزل به حتى أعْفاه، وقال له: والله لئن هجوتَه أو عرَّضت به لأفعلنَّ بك ولأفعلنَّ!. فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها: [البسيط]

أَقْصِرْ فإنّ نزاراً لن يفاخِرَها ... فَرْعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مَغْرُوس

وذكر وقائعَ نِزَارٍ في اليمن؛ فعلِمنا أنه عَنَاه. ولم يُجِبْه الآخر بشيء.

[أيهم أشعر؟]

حدَّثني عمِّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبِيّ قال: قال هشام بن عبد الملك لشَبَّةَ بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذٍ أميرٌ: ألاَ تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم وهتَكوا أستارَهم وأغْرَوْا بين عَشائرهم في غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ؟ فقال شَبَّة: أما جرير فيَغْرِف من بحر، وأما الفرزدق فيَنْحَت من صخر، وأما الأخطل فيُجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسَّرتَ لنا شيئاً نحصِّله. فقال: ما عندي غيرُ ما قلت. فقال لخالد بن

---

(١) سَعَرت الأمة: أوقدت فيها النار وأججتها.

(٢) سورة الغاشية، الآية ٣.

(٣) أوكفه: وضع عليه الإكاف. والإكاف: البرذعة.

صَفْوان: صِفْهم لنا يأبنَ الأَهْتَم؛ فقال: أما أعظمُهم فخراً، وأبعدُهم ذكراً، وأحسنُهم عذراً؛ وأَسْيَرُهم مَثَلاً، وأقلُّهم غَزَلاً، وأحْلاهم عِلَلاً؛ الطامي إذا زخَر، والحامي إذا زَأَر، والسامي إذا خَطَر؛ الذي إن هَدَر قال، وإن خطَر صال؛ الفصيحُ اللسان، الطويلُ العِنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنُهم نَعْتاً، وأمدحُهم بَيْتاً، وأقلُّهم فَوْتاً؛ الذي إن هجا وَضَع، وإن مدح رفَع، فالأَخْطَل. وأما أغزرُهم بَحْراً، وأرقُّهم شِعْراً، وأَهْتَكُهم لعدوِّه سِتْراً؛ الأَغَرُّ الأَبْلَق، الذي إن طَلَب لم يُسْبق، وإن طُلِب لم يُلْحَق؛ فجَرير. وكلُّهم ذَكِيّ الفؤاد، رَفيع العِماد، وارِي الزِّنَاد. فقال له مَسْلَمةُ بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأوَّلين ولا رأينا في الآخِرين؛ وأشهَد أنك أحسنُهم وصفاً، وألينُهم عِطْفاً؛ وأعفُّهم مَقالاً، وأكرمُهم فَعالاً. فقال خالد: أَتَمَّ الله عليكم نِعَمَه، وأَجْزَلَ لديْكم قِسَمَه؛ وآنَسَ بكم الغُرْبة، وفرَّج بكم الكُرْبة. وأنت، والله ما علمتُ أيّها الأميرُ، كريمُ الغِرَاس، عالمٌ بالناس؛ جَوَادٌ في المَحْل، بَسَّامٌ عند البَذْل؛ حَليمٌ عند الطَّيْش، في ذِرْوة قُرَيش؛ ولُبَابِ عبد شَمْس، ويومُك خيرٌ من أَمْس. فضحك هشامٌ وقال: ما رأيت كتخلّصِكَ يأبنَ صَفْوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسِلمْتَ منهم.

[عقوبة التهاجي]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال: حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال: حدّثني مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الله مَوْلَى بني زُهْرَة قال: حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَى موقوفيْن للناس بسوق المدينة لمَّا تَهاجَيَا وتَقاذَفَا وقد أَمَرَ بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقيما. قال: وعمرُ بن لَجَأ شابٌّ كأنه حِصان، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنَّ وضعُف. قال: فيقول ابنُ لَجَأ: [الوافر]

رَأَوْا قَـمَـراً بِـسـاحَـتِـهِـمْ مُـنِـيـراً ... وكـيـفَ يُـقَـارِنُ الـقَـمَـرُ الـحِـمَـارَا

قال: ثم يَنْزُو به وهما مقرونانِ في حبْل فيسقُطان إلى الأرض، فأمَّا آبن لَجَأ فيقع قائماً، وأمَّا جرير فَيَخِرُّ لركبتيه ووجهه، فإذا قام نَفَض الغُبَارَ عنه. ثم قال بغُنَّتِه[1] قولاً يُخْرِج الكلامَ به من أنفه ـ وكان كلامُه كأنَّ فيه نُوناً: [الوافر]

فَـلَـسْـتُ مـفـارِقـاً قَـرَنـيَّ حـتَّـى ... يَـطُـولَ تَـصَـعُّـدِي بـكَ وانـحـدارِي

(١) الغنة: صوت يخرج من الخيشوم.

قال: فقال رجل من جُلَساء عمرَ له حين حضَر غَدَاؤه: لو دعا الأميرُ بأسيرَيْه فغدَّاهما معه! ففعل ذلك عمر. وإنما فعله بهما لأنهما تَقَاذَفَا[1]، وكان جريرٌ قال له: [البسيط]

تَقُولُ وَالعَبْدُ مِسْكِينٌ يُجَرِّرها أرْفُقْ فَدَيْتُكَ أنْتَ الناكِحُ الذَّكَرُ

قال: وهذه قصيدتُه التي يقول فيها: [البسيط]

يا تَيْمُ تَيْم عَدِيٍّ لا أَبَا لَكُمُ لا يُوقِعَنَّكُمُ في سَوْءةٍ عُمَرُ

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال: حدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال: حدّثني أبي قال: كنت باليَمامة وأنا وَاليها فكان ابنٌ لجرير يُكْثِر عندي الدخول، وكنت أُوثِرُه فلم أقل له قَطُّ أنشدْني أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الداليّةَ: [الكامل]

أَهَوَى أَرَاكَ بِرامَتَيْنِ وُقُودا أمْ بالجُنَيْنَةِ من مَدَافِعِ أُودَا[2]

فأقولُ له: وَيْحَكَ! لا تَزِيدُني على هذه!؟ فيقولُ: سألتَني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره، وقد كان يقدّمها على جميعه. [ندمه على بعض هجائه]

حدّثني ٱبن عمَّار قال: حدّثني النَّوْفليّ قال: حدّثني علي بن عبد الملك الكَعْبِيّ من ولد كَعْب مَوْلَى الحَجَّاج قال: حدّثني فلانٌ العَلاَّمَةُ التَّمِيمِيّ يَرْويه عن جَرير قال: ما ندِمْتُ على هجائي بني نُمَيرٍ قَطُّ إلا مرَّة واحدة، فإنِّي خرجت إلى الشام فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصْرٍ لهم في ضَيْعَة من ضِياعهم، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمَير. فقلت: هذا شَآم وأنا بَدَوِيٌّ لا يعرفني، فجئت فٱستضفتُ. فلما أذِنَ لي ودخلتُ عليه عَرفني فقَراني أَحْسنَ القِرَى ليلتين، فلما أصبحتُ جلستُ، ودعا بُنَيَّةً له فضمَّها إليه وتَرَشَّفَها، فإذا هي أحسنُ الناسِ وجهاً ولها نَشْرٌ لم[3] أَشَمَّ أطيبَ منه. فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ: تاللَّهِ ما رأيتُ أحسنَ من عينيْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ،

---

(١) تقاذفا: تهاجيا، تسابّا.

(٢) الجنينة: روضة نجدية. والمدافع: مجاري السيول. وأُود: موضع في ديار تميم بنجد في أرض الحزن. (معجم البلدان ١/ ٢٧٧).

(٣) النشر: الرائحة الطيبة العطرة.

وعَوَّذْتُها: فقال لي: يا أبا حَزْرةَ، أَسَوْداءُ المَحَاجِرِ هي؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ رائحتها. فقال: أصنٌّ وبرٍ هي؟ فقلت: يَرْحَمُك الله! إنّ الشاعر ليقولُ، ووالله لقد ساءني ما قلته، ولكن صاحبكم بَدَأَنِي فأنتصرتُ، وذهبتُ أعتذر. فقال: دَعْ ذا عنك أبا حَزْرة، فوالله ما لك عندي إلا ما تحبّ. قال: وأحْسنَ والله إليّ وزوّدَني وكساني، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلَف منّي إلى قومه.

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال: حدّثني ابنُ أبي عَلْقَمَةَ الثَّقَفِيّ قال:

كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ، فأنشدتُه قولَ جرير: [البسيط]

حَيِّ الهِدَمْلَةَ مِنْ ذاتِ المَوَاعِيسِ ... فالحِنْوُ أَصْبَح قَفْراً غيرَ مأنوسِ

وقلتُ: أَنْشِدْني لغيره مثلَها فسكَت. قال: وكان الفرزدق إذا أُنْشِدَها يقول: مِثْلَها فلْيَقُل ابنُ اللَّخْناء.

[هجاؤه الفرزدق]

أخبرنا أبو خليفة الفَضْل بن الحُبَاب قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني عبد الجَبَّار بن سَعيد بن سُلَيمان المُسَاحِقِيّ عن المُحَرَّر بن أبي هُرَيرة قال:

إنِّي لفي عسكر سليمانَ بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزَاةٍ، إذ أتانا الفرزدقُ في غَدَاةٍ، ثم قال: اشهدوا أنّ محمد ابن أخي[1]، ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

فَبِتُّ بِدَيْرَيْ أَرْيَحاءَ بِلَيْلَةٍ ... خُدَارِيَّةٍ يَزْدادُ طُولاً تَمامُها[2]

أُكابِدُ فيها نفسَ أَقْربِ مَنْ مَشَى ... أَبُوهُ بأُمٍّ غابَ عنها نِيامُها

وكنّا نَرَى من غالبٍ في محمدٍ ... شمائلَ تَعْلُو الفاعلينَ كِرامُها

وكانَ إذا ما حَلَّ أرْضاً تزَيَّنَتْ ... بِزِينَتِها صَخْراؤها وإكامُها

سَقَى أَرْيَحاءَ الغَيْثُ وهي بَغِيضَةٌ ... إلينا ولٰكِنْ بي لِتُسْقَاهُ هامُها

قال: ثم انصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن

(١) كذا في النسخ التي بين أيدينا، ويظهر النقص واضحاً جلياً.

(٢) أريحاء: مدينة في الغور بين الأردن والشام معجم البلدان (١/١٦٥). وليلة خدارية: شديدة الظلمة.

أخيه؛ وما أبنُ أخيه فعَل الله به وفَعل! قال: ومضى جرير، فواللّه ما لبثْنا إلا جُمَعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعَى ابنَه سَوَادةَ فقال:

أَوْدَى سَوَادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأ العالي
فارقتني حينَ كَفَّ الدَّهرُ من بَصَري ... وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْم الرِّمَّةِ البالي
إلاّ تَكُنْ لَكَ بالدَّيْرَيْنِ باكيَةٌ ... فَرُبَّ باكِيَةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ[١]
قالُوا نَصِيبَكَ من أجْرٍ فقلتُ لَهُمْ ... كيفَ العَزَاءُ وقد فارَقْتُ أشْبالِي

[أخبار متفرقة وشعر]

أخبرنا أبو خليفة قال: حدّثنا محمد بن سلاّم قال: حدّثني حاجب بن زيد وأبو الغَرَّاف قالا: تزوَّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أبيها، فاحتكَم مائةً من الإبل. فدخل على الحَجَّاج يسأله ذلك؛ فعذله وقال له: أتتزوّج امرأةً على حكمها!. فقال عَنْبَسَةُ بن سَعيد وأراد نفعَه: إنما هي من حَوَاشِي إبل الصَّدَقة، فأمر له الحَجَّاج بها. فوثَب جريرٌ فقال: [البسيط]

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبان في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكَحْتَ يا زِيقُ
أَنْكَحْتَ وَيْحَكَ قَيْناً باسْتِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ هل بارَتْ بكَ السُّوقُ
غابَ المُثَنَّى فَلَمْ يَشْهَدْ نَجِيَّكُما ... والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْكَ مَفْرُوقُ
يا رُبَّ قائلةٍ بعدَ البِناءِ بها ... لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابْنُ القَيْنِ مَعْشُوقُ
أين الأُلَى اسْتَنْزلُوا النُّعْمانَ ضاحِيَةً ... أم أَيْنَ أَبْناءُ شَيْبانَ الغَرَانِيقُ[٢]

قال: فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها. فقال جريرٌ أيضاً: [الطويل]

فلا أنا مُعْطِي الحُكْم عَنْ شِفِّ مَنْصِبٍ ... ولا عَنْ بَناتِ الحَنْظَلِيِّينَ راغِبُ[٣]
وهُنّ كَماءِ المُزْنِ يُشْفَى بهِ الصدَى ... وكانَتْ مِلاَحاً غَيْرَهُنَّ المَشَارِبُ[٤]
فلو كُنْتَ حُرّاً كانَ عَشْراً سِياقُكم ... إلى آل زِيقٍ والوَصِيفُ المُقارِبُ[٥]

(١) المعوال: الكثيرة العويل والبكاء.
(٢) الغرانيق: جمع غرنوق، وهو الشاب الجميل الناعم الحسن الوجه.
(٣) الشِّفّ: النقصان.
(٤) الملاح: جمع ملح، وهو خلاف العذب.
(٥) السياق: المهر. والمقارب: الدون، وقيل الوسط بين الحسن والرديء.

فقال الفرزدق: [الطويل]

فنَلْ مثلَها من مِثلِهم ثم لُمْهُمُ ... على دارِميٍّ بَيْنَ لَيْلَى وغالِبِ
هُمُ زوَّجوا قَبْلِي لَقِيطاً وأنْكَحُوا ... ضِراراً وهم أكفاؤنا في المَناسِبِ
وَلَوْ قَبِلُوا مِنِّي عَطِيَّةَ سُقْتُهُ ... إلى آلِ زِيقٍ من وَصِيفٍ مُقَارِبِ
ولو تُنْكِحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِها ... إذاً لَنَكَحْنَاهُنَّ قبلَ الكَواكِبِ

قال ٱبن سَلاَّم: فحدّثني الرَّازيّ عن أبيه قال: ما كانت ٱمرأة من بني حَنْظَلةَ إلاَّ ترفعُ لجريرٍ اللَّوِيَّة في عظمِها لتُطْرِفَه بها لقوله: [الطويل]

وَهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشفَى بهِ الصَّدَى ... وكانَتْ مِلاَحاً غيرَهنَّ المَشَارِبُ

فقلتُ للرَّازِيّ: ما اللَّوِيَّة؟ قال: الشَّريحة من اللحم، أو الفِدْرة[1] من التمر، أو الكُبّة من الشحم، أو الحَفْنة من الأَقِط[2]؛ فإذا ذهب الألبانُ وضاقت المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم.

قال: وقال جرير أيضاً في شأن حَذْراءَ: [الطويل]

أثائِرَةٌ حَذْراءُ مَنْ جُرَّ بالنَّقَا ... وَهَلْ لأبي حَذْراءَ في الوتْرِ طالبُ
أَتَثْأَرُ بِسْطاماً إذا ابتلَّتِ ٱسْتُها ... وقدْ بَوَّلتْ في مِسْمَعَيْه الثَّعالبُ

قال ٱبن سَلاَّم: والنَّقَا الذي عَناه جريرٌ هو الموضع الذي قَتَلتْ فيه بنو ضَبَّةَ بِسْطاماً، وهو بِسطام بن قَيْس. قال: فكرهتْ بنو شَيْبانَ أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم. فلما أراد الفرزدقُ نقلَ حَذْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنها ماتت. فقال جرير:

فأُقْسِمُ ما ماتتْ ولكنَّما الْتَوَى ... بحَذْراءَ قَوْمٌ لم يَرَوْكَ لها أهلا
رَأَوْا أنّ صِهرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ ... وأنّ لبِسْطامٍ على غالبٍ فضْلاَ

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا ابن أبي سَعْد قال: حدّثنا محمد بن إدريسَ اليَمَامِيّ قال حدّثنا عليّ بن عبد اللّه بن محمد بن مهاجِر عن أبيه عن جدِّه قال: دخلنا على جرير في نَفَرٍ من قريش نَعُوده في عِلَّته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال: [البسيط]

أهلاً وسهلاً بقوم زيَّنوا حَسَبي ... وإن مَرِضْتُ فهم أهْلي وعُوَّادِي

---

(١) الفدرة: القطعة.

(٢) الأقط: لبن محمض يجمد حتى يستحجر، يطبخ به عند الحاجة.

إن تَـجْـر طَـيْـرٌ بـأمْـرٍ فـيـهِ عـافِـيَـةٌ أو بـالـفـراقِ فـقـد أحْـسَـنْـتُـمُ زادِي
لـو أنَّ لَـيْـثـاً أبـا شِـبْـلَـيْـن أوْعَـدَنِـي لـم يُـسْـلِـمُـونِـي لِـلَـيْـثِ الـغـابَـةِ الـعـادِي

[رثاؤه الفرزدق]

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال: حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال: حدّثني أبو جَنَاح أحد بني كَعْب بن عمرو بن تَميم قال: نُعِيَ الفرزدقُ إلى المهاجرِ بن عبد اللّه وجريرٌ عنده فقال: [الكامل]

مـاتَ الـفَـرَزْدقُ بـعـدَ مـا جَـدَّعْـتُـهُ لَـيْـتَ الـفـرزدقَ كـانَ عـاشَ قَـلِـيـلا

فقال له المهاجر: بئسَ لعَمْرُ الله ما قلتَ في ابن عمك! أتَهجو ميِّتاً، أمَا والله لو رَثَيْتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها. فقال: إن رأى الأمير أن يكتُمَها عليَّ فإنها سَوْءة؛ ثم قال من وقتِه: [الطويل]

فـلا وَضَـعَـتْ بـعـدَ الـفـرزدقِ حـامِـلٌ ولا ذاتُ بَـعْـلٍ مـن نِـفَـاسٍ تَـعَـلَّـتِ[1]
هُـوَ الـوافِـدُ الـمَـيْـمُـونُ والـرَّاتِـقُ الـثَّـأي إذا الـنَّـعْـلُ يَـوْمـاً بـالـعَـشِـيـرةِ زلَّـتِ[2]

قال: ثم بكى ثم قال: أمَا واللّهِ إنِّي لأعلم أنِّي قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمُنا واحداً، وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلَّما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتاً أُخَر، ولم يقل غيرَهما وإنما أُضيف إلى ما قاله.

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى [الكامل]

رَحَـلَ الـخَـلِـيـطُ جِـمـالَـهـم بِـسَـوَادِ وحَـدَا عـلـى إثْـرِ الـبَـخِـيـلـة حَـادِي
مـا إنْ شَـعَـرْتُ ولا عَـلِـمْـتُ بِـبَـيْـنِـهِـمْ حَـتّـى سَـمِـعْـتُ بـهِ الـغُـرابَ يُـنَـادِي

الشعر لجميل. والغناء لإبراهيمَ، ولحنه المختارُ من الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى.

(١) تعلّت النفساء: برئت من نفاسها.
(٢) الثأي: الفتق، الفساد.

نسب جميل وأخباره

[توفي ـ ٨٢هـ / ٧٠١م]

[اسمه ونسبه]

هوَ جَميل بن عبد اللّه بن مَعْمَر بن الحارث بن ظَبْيانَ وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ بن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبيعة بن حَرَام بن ضِنَّةَ بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سعْد ـ وهو هُذَيم، وسمِّي بذلك إضافة لاسمِه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ـ ابن زيد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قُضاعة. والنسَّابون مختلفون في قُضّاعة، فمنهم من يزعمُ أن قضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزَار بن مَعدّ لأبيه وأمّه، وهي مُعَانة بنت جَوْسَم بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرْهُم؛ ومنهم من يزعمُ أنهم من حِمْيَر. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب مَعَدِّيّاً فقال: [الرجز]

أنا جَميلٌ في السَّنامِ مِنْ مَعَدّ | في الأُسْرَةِ الحَصْداءِ والعِيصِ الأَشَدّ[1]

وقال راجز من قُضَاعة ينسبُهم إلى حِمْيَر: [الرجز]

قُضاعَةُ الأَثْرَوْنَ خَيْرُ مَعْشَرِ | قُضاعَةُ بن مالكِ بن حِمْيَرِ

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ. إلاّ أنّ قُضَاعة اليومَ تُنسب كلُّها في حِمْيَر، فتزعُم أن قضاعةَ ابنُ مالك بن مُرَّة بن زَيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان. وقال القَحْذَميّ: اسم سَبَأ عامر؛ وإنما قيل له سَبَأ لأنه أوّلُ من سَبَى النساءَ. وكان يقال له عَبُ الشمس، أي عَديل الشمس، سمِّي بذلك لحسنه. ومَنْ وزعم مِنْ هؤلاء أنّ قُضاعة ليس ابنَ مَعَدّ ذكَرَ أن أمّه عُكْبُرة (امرأة من سبأ)

(١) في السنام: في الذروة. والحصداء: القوية. والعيص: الأصل ومنبت خيار الشجر.

كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدْنَانَ، فولَدت قُضاعَةَ على فراشه. وقال مُؤَرِّجُ بن عمرو: هذا قولٌ أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول، وهو: [الرجز]

يا أيُّها الدَّاعِي ادْعُنا وَأبْشِرِ وَكُنْ قُضاعِيّاً ولا تَنَزَّرِ[1]
قُضاعَةُ الأَثْرَوْنَ خَيْرُ مَعْشَرِ قُضاعَةُ بن مالِكِ بنِ حِمْيَرِ
النَّسَبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَرِ

قال مؤرِّج: وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أُميَّة. وشعراءُ قُضَاعة في الجاهليّة والإسلام كلها تنتمي إلى مَعَدّ. قال جميل: [الطويل]

وَأيّ مَعَدُّ كانَ فَيْءُ رِمَاحِهِمْ كما قَدْ أَفَأْنا والمُفَاخِرُ مُنْصِفُ[2]

وقال زِيادة بن زيد يهجو بني عمّه بني عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بن خَشْرَم: [الكامل]

وإذا مَعَدٌّ أَوْقَدَتْ نِيرانَها لِلْمَجْدِ أَغْضَتْ عامِرٌ وَتَضَعْضَعُوا

[جامع الشعر والرواية]

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية، كان راوية هُدْبَةَ بن خَشْرَم، وكان هُدْبَةُ شاعراً راويةً للحُطَيْئة، وكان الحطيئةُ شاعراً راويةً لزُهَيْر وابنه. وقال أبو مُحَلِّم: آخِرُ من اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر، وكان راويةَ جَميل، وجميلٌ راوية هُدْبة، وهُدْبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِيّ قال: كان جميلٌ يهوَى بُثَيْنَة بنت حَبَأ بن ثَعْلَبَة بن الهَوْذ بن عمرو بن الأَحَبّ بن حُنّ بن رَبيعة، [تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة][3] في النسب.

حدّثني أبو الحَسَن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ وهاشم بن محمد أبو دُلَف الخزاعيّ قالا: حدّثنا الرِّيَاشِيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد قال: كان كُثَيِّر راوية جميل، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماماً، وإذا سئل عنه قال: وهل عَلَّم الله عَزّ وجلّ ما تَسمعون إلاّ منه!.

---

(١) تَنَزَّرَ: انتسب إلى نزار.
(٢) الفيء: الغنيمة.
(٣) زيادة ليست في الأصل.

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن صَبَاح بن خاقان عن عبد اللّه بن معاوية الزُّبيريّ قال: كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال: وهل علّم الله ما تسمعون إلا منه!.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبد الملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبد العزيز بن مَرْوان قال: قَدِمتُ المدينة فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد بن أبي سِنَان الأسْلَميّ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع[1] مع عبد الرحمن بن حَسَّان وعبد الرحمن بن أزْهَر. فإنَّا لجلُوسٌ إذ طلَع علينا رجلٌ طويلُ بين المَنْكِبَيْنِ طُوَالٌ يقود راحلةً عليها بِزَّةٌ حسنة. فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أَزْهر: يا أبا جُبَيْر، هذا جميلٌ، فادْعُه لعلَّه أن يُنْشِدَنا. فصاح به عبد الرحمن: هَيَا جميلُ هَيَا جميل! فالتفت فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن أزهر. فقال: قد علمتُ أنه لا يجترىء عليّ إلاّ مثلُك. فأتاه فقال له: أنشِدْنا، فأنشدهم: [الطويل]

نَحْنُ مَنَعْنا يَوْمَ أَوْلٍ نِساءَنا ... وَيَوْمَ أُفَيٍّ والأسِنَّةُ تَرْعُفُ[2]

وَيَوْمَ رَكَايا ذِي الجَذَاةِ وَوَقْعَةٍ ... ببَنْيَانَ كانَتْ بَعْضَ ما قَدْ تَسَلَّفُوا[3]

يُحِبُّ الغَوَانِي البِيضُ ظِلَّ لِوائِنا ... إذا ما أتانا الصّارِخُ المُتَلَهِّفُ

نَسِيرُ أمامَ النّاسِ وَالنّاسُ خَلْفَنا ... فإنْ نَحْنُ أوْمَأْنا إلى النّاسِ وَقَّفُوا

فأيُّ مَعَدٍّ كان فَيْءُ رِمَاحِهِ ... كما قَدْ أفأنا والمُفَاخِرُ يُنْصِفُ

وَكُنّا إذا ما مَعْشَرٌ نَصَبُوا لَنا ... وَمَرَّتْ جَوَارِي طَيْرِهِمْ وتَعَيَّفوا

وضَعْنا لَهُمْ صاعَ القِصَاصِ رَهِينَةً ... بما سَوْفَ نُوفِيها إذا النّاسُ طَفَّفُوا[4]

إذا ٱسْتَبَقَ الأقْوامُ مَجْداً وَجَدْتَنا ... لنا مِغْرَفَا مَجْدٍ ولِلنّاسِ مِغْرَفُ

قال: ثم قال له: أنشِدْنا هَزَجاً. قال: وما الهَزَج؟ لعله هذا القصير؟ قال:

---

(١) سلع: موضع بقرب المدينة (انظر معجم البلدان ٣/ ٢٣٦).

(٢) أوْل: واد بين الغسيل وأكمة على طريق اليمامة إلى مكة. (معجم البلدان ١/ ٢٢٨) وأفيّ موضع أيضاً. والأسنة ترعف: تسيل منها الدماء.

(٣) الركايا: جمع ركية، وهي البئر الموجود فيه ماء. وذو الجذاة: موضع في بلاد غطفان (معجم البلدان ٢/ ١١٢). وتبيان: قرية باليمامة. (معجم البلدان ١/ ٥٠٢).

(٤) طفّف الكيل: نقصه.

نعم، فأنشده ـ قال الزُّبير: لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين، وأنشدَنا باقِيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضَاب البَلَوِيّ ـ.

صوت

[الخفيف]

رَسْمِ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهْ كِدْتُ أقْضِي الغَداةَ من جَلَلِهْ(١)

مُوحِشاً ما تَرَى بِهِ أحَداً تَنْسِجُ الرِّيحُ تُرْبَ مُعْتَدِلِهْ

وَصَرِيعاً مِنَ الثُّمَامِ تَرَى عَارِمَاتِ المَدَبِّ فِي أسَلِهْ(٢)

بَيْنَ عَلْيَاءِ وابِشٍ فَبُلَيٍّ فَالغَمِيمِ الَّذِي إلى جَبَلِهْ(٣)

وَاقِفاً فِي دِيارِ أُمِّ جُسَيْرٍ مِنْ ضُحَى يَومِهِ إلى أُصُلِهْ(٤)

يا خَلِيلَيَّ إنَّ أُمَّ جُسَيْرٍ حينَ يَدْنُو الضَّجِيعُ من غَلَلِهْ(٥)

رَوْضَةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وَخُزَامَى جادَ فِيها الرَّبِيعُ مِنْ سَبَلِهْ(٦)

بَيْنَما هُنَّ بالأَرَاكِ مَعاً إذْ بَدا راكِبٌ عَلَى جَمَلِهْ

فَتَأطَّرْنَ ثُمَّ قُلْنَ لَها أكْرِمِيهِ حُيِّيتِ فِي نُزُلِهْ(٧)

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ واتَّكَأنا وَشَرِبْنا الحَلالَ مِنْ قُلَلِهْ

قَدْ أصُونُ الحَدِيثَ دُونَ خَلِيلٍ لا أخافُ الأذَاةَ مِنْ قِبَلِهْ

غَيْرَ ما بِغْضَةٍ ولا لاجْتِنابٍ غَيْرَ أنِّي ألَخْتُ مِن وَجَلِهْ

وَخَلِيلٍ صاقَبْتُ مُرْتَضِياً وَخَلِيلٍ فارَقْتُ مِنْ مَلَلِهْ(٨)

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّياً. فقال ابن الأزهر: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ٱبن حَسَّان: نعمْ والله وأشعرُ أهلِ الجاهليّة، والله ما

---

(١) رسم دار: رسم: مجرور على أنها مجرورة برب المحذوفة. ومحلها الابتداء لذلك يجوز رفعها. ومن جَلَلِه: من أجله.

(٢) الثمام: نبت ضعيف. والعارمات: القويات. والمدب: مجرى السيل. والأسل: جمع أسلة، وهي نبتة ذات أغصان طرية كثيرة.

(٣) وابش وبليّ والغميم: مواضع.

(٤) أم جسير: أخت بثينة. والأصل: جمع أصيل، وهو وقت المساء عند الغروب.

(٥) الغلل: هنا العطش الشديد.

(٦) الحنوة: نبات سهلي طيب الريح. والسبل: القطر.

(٧) تأطرت الفتاة: تثنت.

(٨) صاقبته: قاربته.

لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه. فقال عبد الرحمن بن الأزهر: صدقتَ. قال نُصَيب: وأنشدتُ الوليد فقال لي: أنت أشعرُ أهل جِلْدتك، والله ما زاد عليها. فقلت: يا أبا مِحْجَن، أفَرَضِيتَ منه بأن تكون أشعرَ السُّودان؟ قال: وَدِدْتُ والله يآبنَ أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل، ولستُ بكاذبك.

[صادق الصبابة، مقدّم في النسيب]

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثيِّر راوية جميل، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل. وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب: [الطويل]

أُرِيــدُ لأنْـسَـى ذِكْـرَهـا فَـكَـأنَّـمـا … تَـمَـثَّـلُ لِـي لَـيْـلَـى بِـكُـلِّ سَـبِـيـلِ

قال: ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل: [الطويل]

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هَلْ رَأيتُما … قَتِيلاً بَكَى من حُبّ قاتِلِهِ قَبْلِي

قال آبن سَلاَّم: وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول: [الطويل]

أُريـد لأنْـسَـى ذكـرَهـا فـكـأنّـمـا … تَـمَـثَّـلُ لي لَـيْـلَـى عـلـى كـلّ مَـرْقَـبِ

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شِهَاب عن طَلْحة بن عبد اللّه بن عَوْف قال: لقي الفرزدقُ كثيِّراً بقارعة البَلاَط[1] وأنا وهو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، أنت أَنْسَبُ العرب حين تقول: [الطويل]

أُرِيـدُ لأنْـسَـى ذِكْـرَهـا فَـكَـأنَّـمـا … تَـمَـثَّـلُ لـي لَـيْـلَـى بِـكُـلّ سَـبِـيـلِ

يعرِّض له بسرقته من جميل. فقال له كثيِّر: وأنت يا أبا فِراس أفخرُ الناس حين تقول: [الطويل]

تَرَى النّاسَ ما سِرْنا يَسِيرونُ خَلْفَنا … وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى النّاسِ وَقَّفُوا

---

(١) البلاط: موضع بالمدينة بين سوق المدينة ومسجد الرسولﷺ مبلط بالحجارة (معجم البلدان ١/ ٤٧٧).

قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرقه الفرزدقُ ـ فقال الفرزدق لكثيِّر: هل كانت أمُّك مَرَّتْ بالبصرة؟ قال: لا! ولكن أبي، فكان نَزيلاً لأمِّك. قال طَلْحَةُ بن عبد الله: فوالذي نَفْسِي بيده لَعَجِبْتُ من كثيِّر وجوابه، وما رأيتُ أحداً قَطُّ أحمقَ منه، رأيتُني دخلتُ عليه يوماً في نَفَرٍ من قريش وكنَّا كثيراً ما نتهزَّأ به، فقلنا: كيف تَجِدُك يا أبا صَخْر؟ قال: بخير: أمَا سمعتم الناسَ يقولون شيئاً؟ قلنا: نعمْ، يتحدثون أنك الدجَّال. فقال: والله لئن قلتم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضَعْفاً منذ أيام.

[جميل إمامُ النسَّابين]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: كتب إليّ أبو محمد إسحاقُ بن إبراهيم يقول: حدّثني أبو عُبيدة عن جُوَيرِيةَ بن أسماء قال: كان أبو صَخْر كثيِّر صديقاً لي؛ وكان يأتيني كثيراً، فقلَّما استنشدتُه إلاَّ بدأ بجَميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه، وكان يفضِّله ويتَّخذه إماماً.

قال الزبير: وكتب إليّ إسحاقُ يقول: حدّثني صَبَاح بن خَاقَانَ عن عبد اللّه بن معاوية بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبَير قال: ذُكِر جميلٌ لكثيِّر، فقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: منه علَّم الله عزّ وجلّ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ، وحبيب بن نصر المهلَّبِيّ قالا: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ عن إسحاق بن قَبِيصَةَ الكُوفيّ عن رجل سمَّاه قال: سألت نُصَيباً: أجَمِيلٌ أنْسَبُ أم كثيِّر؟ فقال: أنا سألت كثيِّراً عن ذاك فقال: وهل وَطَّأ لنا النَّسِيبَ إلاَّ جَمِيل!.

قال عمر بن شَبَّة وقال إسحاق: حدّثني السَّعيدي عن أبي مالك النَّهْديّ قال: جلَس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلاً، فقال: ذاك إمامُ المحبِّين، وهل هَدَى الله عزّ وجلّ لما تَرَى إلاَّ بجميل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال: ما ٱستنشدتُ كثيِّراً قَطُّ إلا بدأ بجَميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، وكان يفضِّله ويتخذه إماماً.

[تعرفه على بثينة وقصة عشقهما]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني بُهْلُول بن سليمانَ بن قِرْضَاب البَلَوِيّ قال: كان جميل يَنْسُب بأمّ الجُسَير، وكان أوّلَ ما علِق بُثَينةَ أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوْردها وادياً يقال له بَغيض، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً، وأهلُ بثينة بذَنَب الوادي؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماءَ، فمرَّتا على فِصَالٍ له بُرُوكٍ فَعَرَمَتْهنّ[1] بثينةُ - يقول: نَفَّرَتْهنّ - وهي إذ ذاك جُوَيْرِيةٌ صغيرة؛ فسبَّها جميلٌ، فافترَتْ عليه، فملُح إليه سبابُها فقال: [الطويل]

وَأَوَّلُ مـا قـادَ الـمَـوَدَّةَ بَـيْـنَـنـا ... بِـوَادِي بَـغِـيـضٍ يـا بُـثَـيْـنَ سِـبَـابُ
وَقُـلْـنـا لـهـا قَـوْلاً فَـجـاءَتْ بِـمِـثْـلِهِ ... لِـكُـلِّ كـلامٍ يـا بُـثَـيْـنَ جَـوابُ

قال الزُّبَير: وحدّثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْريّ - وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأسْود، وإياه يَعْني جَميلٌ بقوله:

[الطويل]

لَقَدْ أَنْكَحُوا جَهْلاً نُبَيهاً ظَعِينَةً ... لَطِيفةَ طَيِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ

قال الزُّبَير وحدّثني أيضاً الأسْباطَ بن عيسى بن عبد الجَبَّار العُذْريّ أن جميلَ بن مَعْمَر خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيَّنَّ ويَبْدُو بعضُهن لبعض ويَبْدُون للرجال، وأن جميلاً وقف على بُثينة وأختها أمّ الجُسَير في نساء من بني الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيد الله بن قُطْبة أخي أبيه لَحّاً[2]، فرأى منهنّ منظراً وأعْجبنه وعشِق بُثَيْنَةَ وقعد معهنّ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بني الأَحَبّ، فعلم أنّ القوم قد عرفوا في نظره حبَّ بُثَينة ووجَدوا عليه، فراح وهو يقول: [الكامل]

عَـجِـلَ الـفِـراقُ وَلَـيْـتَـهُ لـم يَـعْـجَـلِ ... وَجَـرَتْ بَـوادِرُ دَمْـعِـكَ الـمُـتَـهَـلِّـلِ
طَرَبـاً وشـاقَكَ ما لَقِـيتَ ولَـمْ تَـخَـفْ ... بَيْنَ الـحَبِـيبِ غَداةَ بُرْقَةِ مِجْوَلِ[3]
وَعَـرَفْـتَ أَنَّكَ حِـينَ رُحْـتَ ولـم يَكُـنْ ... بَـعْـدُ الـيَـقِـينُ وَلَـيْـسَ ذاكَ بِـمُـشْـكِـلِ
لَـنْ تَـسْـتَـطِـيـعَ إِلـى بُـثَـيْـنَـةَ رَجْـعَـةً ... بـعـدَ الـتَّـفَـرُّقِ دونَ عـامٍ مُـقْـبِـلِ

(١) عرمت: أصابت بشرّ وأذى.
(٢) لحّاً: لازقاً. (وانظر لسان العرب مادة لحح).
(٣) برقة مجول: موضع. (معجم البلدان ١/٣٩٨).

قال: وإنّ بُثَينة لمَّا أُخبرتْ أن جميلاً قد نَسب بها حلفَتْ بالله لا يأتيها على خَلاَءٍ إلاَّ خَرَجتْ إليه ولا تَتوارى منه، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدَّث إليها ومع أخواتها، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنه يتحدَّث إليها إذا خلا منهم، وكانوا أَصْلافاً[1] غُيُراً - أو قال غَيَارى - فرصَدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضْعةَ عَشَرَ رجلاً وجاء على الصَّهْباء ناقتِه حتى وقف على بُثَينةَ وأمّ الجُسَير وهما يحدِّثانه وهو يُنْشِدُهما يومئذٍ: [الطويل]

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصاتِ إلى مِنًى ... هُوِيَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بَطْنَ دَفِينِ[2]
لَقَدْ ظَنَّ هٰذا القَلْبُ أنْ لَيْسَ لاقِياً ... سُلَيْمَى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لِحِينِ
فَلَيْتَ رجالاً فيكِ قد نَذَرُوا دَمي ... وَهَمُّوا بقَتْلِي يا بُثَيْنَ لَقُونِي

فبَيْنا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبقَتْ به وهو يقول: [الطويل]

إذا جَمَعَ الاثنانِ جَمْعا رَمَيْتُهُمْ ... بأركانِها حَتَّى تُخَلَّى سَبِيلُها

فكان هذا أوَّلَ سبب المُهاجاة بينه وبين عُبيد الله بن قُطْبة.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن مَشْيخةٍ من عُذْرة: أنّ بُثَينة واعدتْ جميلاً أن يلتقيَا في بعض المواضع فأتَى لوعدها. وجاء أعرابيٌّ يستضيف القومَ فأنزلوه وقَرَوْه؛ فقال لهم: قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَر متفرِّقين مُتَوارِين في الشجر، وأنا خائف عليكم أن يسلبُوا بعض إبلكم؛ فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحَرسوا بُثينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أَسْفر له الصبحُ انصرف كئيباً سيِّىء الظنّ بها ورجع إلى أهله؛ فجعل نساء الحيّ يُقَرِّعْنه بذلك ويقلن له: إنما حصلتَ منها على الباطل والكذب والغَدْر، وغيرُها أولى بوَصْلك منها، كما أنّ غيرَك يحظَى بها. فقال في ذلك:

صوت

[الطويل]

أَبُثَيْنَ إنَّكِ قَدْ مَلَكْتِ فأَسْجِحِي ... وَخُذِي بِحَظِّكِ من كَرِيمٍ واصِلِ[3]

(١) الأصلاف: الذين فيهم كبرياء.
(٢) دفين: موضع. (معجم البلدان ٢/٤٥٨).
(٣) أسجحي: ارفقي.

فَأجَبْتُها في القَوْلِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ ... حُبِّي بُثَيْنَةَ عن وِصالِكِ شاغِلِي
فَلَرُبَّ عارِضَةٍ عَلَيْنا وَصْلَها ... بِالجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الهازِلِ
لو كانَ في صَدْري كَقَدْرِ قُلامَةٍ ... فَضْلاً وَصَلْتُكِ أوْ أتَتْكِ رَسائِلي

الغناء ليحيى المكي ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه:

صوت

وَيَقُلْنَ إنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِباطِلٍ ... مِنها فَهَلْ لَكَ في اجْتنابِ الباطِلِ
وَلَباطِلٌ مِمَّا أُحِبُّ حَدِيثَهُ ... أشْهَى إليَّ مِنَ البَغِيضِ الباذِلِ
لِيُزِلْنَ عَنْكِ هَوايَ ثم يَصِلْنَنِي ... وإذا هَوِيتُ فما هَوايَ بِزائِلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حَوْراء. وروى حَمَّاد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنِّسه:

صادتْ فؤادِي يا بُثَيْنَ حِبالُكُم ... يَوْمَ الحَجُونِ وأخطَأتْكِ حَبائلي[1]
مَنَّيْتِنِي فَلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِنِي ... وَجَعَلْتِ عاجِلَ ما وَعَدْتِ كآجِلِ
وتثاقلتْ لَمَّا رَأتْ كَلَفِي بِها ... أحْبِبْ إليَّ بِذاكَ مِنْ مُتَثاقِلِ
وَأطَعْتِ فِيَّ عَواذِلاً فَهَجَرْتِنِي ... وَعَصَيْتُ فِيكِ وَقَدْ جَهَدْنَ عواذِلي
حاوَلْنَنِي لأبُتَّ حَبْلَ وِصالِكُمْ ... مِنِّي، وَلَسْتُ وإنْ جَهَدْنَ بفاعِلِ[2]
فَرَدَدْتُهُنَّ وقد سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ ... لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ بأفْوَقَ ناصِلِ[3]
يَعْضَضْنَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ أنامِلاً ... وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ[4]
وَيَقُلْنَ إنَّكِ يا بُثَيْنَ بَخِيلَةٌ ... نَفْسِي فداؤكِ مِنْ ضَنِينٍ باخِلِ[5]

قالوا: وقال جميل في وَعْد بثينَةَ بالتَّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوَّلها: [الكامل]

يا صاحِ عَنْ بَعْضِ المَلامَةِ أقْصِرِ ... إنَّ المُنَى لِلِقاءُ أُمِّ المِسْوَرِ

---

(١) الحجون جبل بأعلى مكة. (معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).
(٢) بَتَّ: قطع.
(٣) السهم الأفوق: الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه. والناصل: الذي لا نَصلَ له.
(٤) الجنادل: جمع جندل، وهو الصخر العظيم. والصمّ: الصلب القاسي.
(٥) الضنين: البخيل.

فمما يغنَّى فيه منها قوله:

صوت

وَكـأنَّ طـارِقَـهـا عـلـى عَـلَـل الـكَـرَى   وَالـنَّـجْـمُ وَهْـنـاً قـد دَنـا لـتَـغَـوُّرِ[١]
يَـسْـتـافُ رِيـحَ مُـدَامَـةٍ مَـعْـجُـونَـةٍ   بـذَكِـيِّ مِـسْـكٍ أو سَـحِـيـقِ الـعَـنْـبَـرِ[٢]

الغناء لابن جامع ثقيلٌ أوَّل بالبنصر من رواية الهِشَاميّ. وذكر عمرو بن بانة أنه لابن المكيّ. ومما يغنى فيه منها قوله:

صوت

إنِّـي لأحْـفَـظُ غَـيْـبَـكُـمْ وَيَـسُـرُّنـي   إذ تَـذْكُـرِيـنَ بِـصـالِـحٍ أنْ تَـذْكُـرِي
ويَـكُـونَ يَـوْمٌ لا أرَى لَـكِ مُـرْسَـلاً   أوْ نَـلْـتَـقِـي فِـيـهِ عَـلَـيَّ كـأشْـهُـرِ
يـا لَـيْـتَـنِـي ألْـقَـى الـمَـنِـيَّـةَ بَـغْـتَـةً   إنْ كـانَ يَـوْمُ لِـقـائِـكُـمْ لـم يُـقْـدَرِ[٣]
أوْ أسْـتَـطِـيـعُ تَـجَـلُّـداً عَـنْ ذِكْـرِكُـمْ   فـيُـفِـيـقَ بَـعْـضُ صَـبـابَـتِـي وتَـفَـكُّـرِي

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهشَاميّ. وفيه يقول:

لَـوْ قَـدْ تُـجِـنُّ كـمـا أُجِـنُّ مِـنَ الـهَـوَى   لَـعَـذَرْتَ أوْ لَـظَـلَـمْـتَ إن لـم تَـعْـذِرِ[٤]
وَالـلَّـه مـا لِـلْـقَـلْـبِ مِـنْ عِـلْـم بِـهـا   غَـيْـرُ الـظُّـنُـونِ وَغَـيْـرُ قَـوْلِ الـمُـخْـبـرِ
لا تَـحْـسَـبِـي أنِّـي هَـجَـرْتُـكِ طَـائِـعـاً   حَـدَثٌ لَـعَـمْـرُكِ رَائِـعٌ أن تُـهْـجَـرِي
فَـلْـتَـبْـكِـيَـنَّ الـبـاكِـيـاتُ وإن أَبُـحْ   يَـومـاً بِـسِـرِّكِ مُـعْـلِـنـاً لـم أُعْـذَرِ
يـهْـواكِ مـا عِـشْـتُ الـفـؤادُ فـإنْ أَمُـتْ   يَـتْـبَـعْ صَـدَايَ صَـداكِ بـيـن الأقْـبُـرِ

صوت

إنِّـي إلَـيْـكِ بـمـا وَعَـدْتِ لَـنَـاظِـرٌ   نَـظَـرَ الـفَـقِـيـرِ إلـى الـغَـنِـيِّ الـمُـكْـثِـرِ
يَـعِـدُ الـدّيـونَ وَلَـيْـسَ يُـنْـجِـزُ مَـوْعِـداً   هٰـذا الـغَـرِيـمُ لـنـا ولـيـس بـمُـعْـسِـرِ

---

(١) التغوّر: الغياب.

(٢) يستاف: يشمّ.

(٣) بغتة: فجأة.

(٤) تجنّ: تخفي، تحمل في أعماقك.

مـا أنْـتِ والـوَعْـدَ الَّـذِي تَـعِـدِيـنَـنِـي إلاَّ كَـبَـرْقِ سَـحـابَـةٍ لـم تُـمْـطِـرِ
قَـلْـبِـي نَـصَـحْـتُ لَـهُ فَـرَدَّ نَـصِـيـحَـتِـي فَـمَـتَـى هَـجَـرْتِـيـهِ فَـمِـنْـهُ تَـكَـثَّـرِي[1]

الغناء في هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهِشَاميّ. وفيه قدحٌ طُنبورِيّ أظنّه لِجَحْظة أو لعليّ بن مودّة. قالوا: وقال في إخلافها إياه هذا الموعدَ:

صوت

[الطويل]

ألاَ لـيـتَ رَيْـعـانَ الـشَّـبـابِ جَـدِيـدُ وَدَهْـراً تـولَّـى يـا بُـثَـيْـنَ يَـعُـودُ
فَـنَـغْـنَـى كـمـا كـنَّـا نَـكُـونُ وَأنْـتُـمُ قَـرِيـبٌ وإذْ مـا تَـبْـذُلِـيـنَ زَهِـيـدُ

ويروى:

ومَـمَّـا لا يَـزِيـدُ بَـعِـيـدُ

وهكذا يغنَّى فيه.

الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى. ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

ألاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَبِـيـتـنَّ لَـيْـلَـةً بِـوادِي الـقُـرَى إنِّـي إذاً لَـسَـعِـيـدُ
وَهَـلْ أَلْـقَـيَـنْ فَـرْداً بُـثَـيْـنَـةَ مَـرَّةً تَـجُـودُ لـنـا مـن وُدِّهـا ونَـجُـودُ
عَلِقْتُ الـهَـوَى منها وَلِيداً فَلَمْ يَزَلْ إلـى الـيَـوْمِ يَـنْـمِـي حُـبُّـهـا ويَـزِيـدُ
وَأفـنَـيْـتُ عُـمْـرِي بـانـتـظـارِيَ وَعْـدَهـا وَأبْـلَـيْـتُ فِـيـهـا الـدَّهْـرَ وَهْـوَ جَـدِيـدُ
فـلا أنـا مَـرْدودٌ بـمـا جِـئْـتُ طـالـبـاً ولا حُـبُّـهـا فِـيـمـا يَـبِـيـدُ يَـبِـيـدُ

الغناء لمَعْبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. ومما يغنَّى فيه منها:

صوت

ومـا أَنْـسَ م الأشـيـاءِ لا أَنْـسَ قَـوْلَـهـا وَقَـدْ قَـرُبَـتْ بُـصْـرَى أمِـصْـرَ تُـرِيـدُ
ولا قَـوْلَـهـا لَـوْلا الـعُـيـونُ الـتـي تَـرَى لَـزُرْتُـكَ فـاعْـذِرْنـي فَـدَتْـكَ جُـدُودُ
خَـلِـيـلَـيَّ مـا أَلْـقَـى مِـنَ الـوَجْـدِ قـاتِـلـي وَدَمْـعـي بـمـا قُـلْـتُ الـغَـداةَ شَـهِـيـدُ

---

(١) تكثري: أي استزيدي من الهجر.

يَقُولُونَ جاهِدْ يا جَمِيلُ بِغَزْوةٍ وَأيَّ جِهادٍ غَيْرهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ

الغناء للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حَمَّاد عن أبيه. وفي هذه القصيدة يقول:

إذا قُلْتُ ما بِي يا بُثَيْنَةُ قاتِلي مِنَ الحُبِّ قالتْ ثابتٌ ويَزِيدُ
وَإنْ قُلْتُ رُدِّي بعضَ عَقْلِي أَعِشْ بهِ مَعَ النَّاسِ قالَتْ ذاكَ منكَ بَعِيدُ
ألا قَدْ أَرَى واللَّهِ أنْ رُبَّ عَبْرَةٍ إذا الدَّارُ شَطَّتْ بينَنا سَتَرُودُ[١]
إذا فكَّرَتْ قالَتْ قدَ أدْرَكْتُ وُدَّهُ وما ضَرَّنِي بُخْلِي فَكَيْفَ أَجُودُ
فَلَوْ تُكْشَفُ الأَحْشاءُ صُودِفَ تَحْتَها لِبَثْنَةَ حبٌّ طارِفٌ وتَلِيدُ
تُذَكِّرُنِيها كُلُّ رِيحٍ مَرِيضَةٍ لها بالتِّلاَعِ القاوِياتِ وَئِيدُ[٢]
وَقَدْ تَلْتَقِي الأَشْتاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وَقَدْ تُدْرَكُ الحاجاتُ وَهْيَ بَعِيدُ

[لقاء وعتاب]

أخبرني عليّ بن صالح قال: حدّثني عمر بن شبَّة عن إسحاق قال: لقي جميلٌ بثينَة بعد تهاجُر كان بينهما طالت مدَّتُه، فتعاتبا طويلاً فقالت له: وَيْحَكَ يا جميل! أتزعم أنك تهْواني وأنت الذي تقول: [الطويل]

رَمَى الله في عَيْنَيْ بُثَينةَ بالقَذَى وَفي الغُرِّ مِنْ أَنْيابِها بالقَوَادِحِ!

فأَطْرق طويلاً يبكي ثم قال: بل أنا القائلُ: [الطويل]

ألا لَيْتَنِي أعْمَى أصَمُّ تَقُودُنِي بُثَيْنَةُ لا يَخْفَى عَلَيَّ كَلامُها

فقالت له: وَيْحَكَ! ما حملك على هذه المُنَى! أوَليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً!

[عفّة جميل]

قال إسحاق وحدّثني أيُّوب بن عَبَايَة قال: سَعَتْ[٣] أَمَةٌ لبُثَيْنَةَ بها إلى أبيها

(١) شطت: بعدت. وترود: تذهب وتجيء. أراد تحير ماء العين فيها.
(٢) أقوت الدار: خلت. والقاويات: الخاليات. والوئيد: الصوت العالي.
(٣) سعت: وشت.

وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلةَ، فأتياها مشتملَيْن على سيفين، فرأياه جالساً حَجْرةً منها[1] يحدّثها ويشكو إليها بثَّه، ثم قال لها: يا بُثَينة، أرأيت وُدِّي إيَّاكِ وشَغَفي بكِ ألاَ تَجْزينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابَّين. فقالت له: يا جميل، أهذا تَبْغِي! واللّه لقد كنتَ عندي بعيداً منه، ولئن عاودْتَ تعريضاً بريبةٍ لا رأيتَ وجهي أبداً. فضحك وقال: واللّه ما قلتُ لكِ هذا إلا لأعلمَ ما عندكِ فيه، ولو علمتُ أنك تُجيبيني إليه لعلمتُ أنك تُجيبين غيري، ولو رأيتُ منكِ مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما ٱستَمْسَكَ في يدي، ولو أطاعتْني نفسي لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأبد؛ أوما سمعتِ قولي: [الطويل]

وَإِنِّـي لأَرْضَـى مِـنْ بُـثَـيْـنَـةَ بـالَّـذِي ... لَـوَ ابْـصَـرَه الـواشِـي لَـقَـرَّتْ بَـلاَبِـلُـهْ[2]

بـلاَ وبـأَنْ لا أَسْـتَـطِـيـعَ وَبـالـمُـنَـى ... وبـالأَمَـلِ الـمَـرْجُـوِّ قـد خـابَ آمِـلُـهْ

وَبـالـنَّـظْـرَةِ الـعَـجْـلَـى وَبـالـحَـوْلِ تَـنْـقَـضِـي ... أواخِـرُهُ لا نَـلْـتَـقِـي وَأوائِـلُـهْ

قال: فقال أبوها لأخيها: قُمْ بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، فٱنصرفا وتركاهما.

أخبرني محمد بن مَرْيد قال: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ عن رجل من عُذْرة قال: كنتُ تِرْباً لجميل وكان يَأْلَفُنِي، فقال لي ذاتَ يوم: هل تساعدني على لقاء بُثينة؟ فمضيتُ معه، فكَمن لي في الوادي وبعَث بي إلى راعي بُثينة بخاتَمه، فدفعتُه إليه، فمضى به إليها ثم عاد بمَوْعِدٍ منها إليه. فلما كان الليلُ جاءته فتحدَّثا طويلاً حتى أَصْبحا ثم ودَّعها وركب ناقته. فلما استَوى في غَرْزِها وهي باركةٌ قالت له: ادْنُ منِّي يا جميل:

صوت

[الكامل]

إنَّ الـمَـنـازِلَ هَـيَّـجَـتْ أَطْـرابـي ... وَٱسْـتَـعْـجَـمَـتْ آيـاتُـهـا بِـجَـوابِـي

قَـفْـراً تَـلُـوحُ بِـذي الـلُّـجَـيـنِ كـأَنَّـهـا ... أَنْـضَـاءُ رَسْـمٍ أو سُـطُـورُ كِـتـابِ[3]

لَـمَّـا وَقَـفْـتُ بِـهـا الـقَـلُـوصَ تَـبَـادَرَتْ ... مِـنِّـي الـدُّمُـوعُ لِـفُـرْقَـةِ الأَحْـبـابِ

(١) حجرةً منها: ناحية منها.
(٢) البلابل: جمع بلبال، وهو شدّة الهم والوسواس.
(٣) أنضاء رسم: بقايا طلل بالٍ خلق.

وَذَكَـرْتُ عَـصْـراً يـا بُـثَـيْـنَـةُ شـاقَـنِـي ... وَذَكَـرْتُ أيَّـامِـي وشَـرْخَ شَـبـابِـي

الغناء في هذه الأبيات للهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

[موعد ولقاء]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعيديّ، وأخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمَّاد عن أبيه قال: حدّثنا أبو مالكٍ النَّهْدِيّ قال:

جلس إلينا كثيِّر ذاتَ يوم فتذاكرْنا جميلاً؛ فقال: لقيني مرَّةً فقال لي: من أين أقبلت؟ قلتُ: من عند أبي الحبيبة (أعني بثينة). فقال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى الحبيبة (أعني عَزَّة). فقال: لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدَّ لي موعداً من بُثَينة. فقلت: عهدي بها الساعةَ وأنا أستحيي أن أرجع. فقال: لا بدّ من ذلك. فقلت له: فمتى عَهْدُكَ ببُثينة؟ فقال: في أوَّل الصيد وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي الدَّوْم[1] فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغْسِل ثيابَها؛ فلما أبصرتْني أنكرتْني، فضربتْ بيديها إلى ثوب في الماء فالتَحفتْ به، وعرَفتْني الجارية، فأعادت الثوب في الماء، وتحدَّثنا حتى غابت الشمس. وسألتُها الموعد فقالت: أهلي سائرون؛ وما وجدتُ أحداً آمَنُه فأُرسلَه إليها. فقال له كُثَيِّر: فهل لك في أن آتِيَ الحيّ فأَنْزِعَ بأبياتٍ من شعرٍ[2] أذكُر فيها هذه العَلاَمة إن لم أقدِر على الخَلْوة بها؟. قال: ذلك الصوابُ، فأرسله إليها؛ فقال له: انتظرْني. ثم خرج كثيِّر حتى أناخ بهم. فقال له أبوها: ما رَدَّكَ؟ قال: ثلاثةُ أبياتٍ عرضتْ لي فأحببتُ أن أَعْرِضها عليكَ. قال: هاتِها. قال كثيِّر: فأنشدته وبُثَيْنَةُ تسمَع: [الطويل]

فَقُلْتُ لـهـا يـا عَـزّ أُرسِـلُ صـاحِـبـي ... إلـيْـكِ رَسُـولاً والـمُـوَكَّـلُ مُـرْسَـلُ
بـأنْ تَـجْـعَـلـي بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكِ مَـوْعِـداً ... وأنْ تـأمُـريـنـي مـا الَّـذِي فـيـهِ أفْـعَـلُ
وَآخِـرُ عَـهْـدِي مِـنْـكِ يَـوْمَ لَـقِـيـتِـنـي ... بـأسْـفَـلِ وادِي الـدَّوْمِ وَالـثَّـوبُ يُـغْـسَـلُ

(١) وادي الدَّوْم: وادٍ معترض من شمالي خيبر إلى قبليها، يفصل بين خيبر والعوارض. (معجم البلدان ٥/ ٣٤٣).

(٢) أنزع بأبيات من شعر: أتمثل بها.

قال: فضربتْ بُثَينة جانبَ خِدْرها وقالت: إخسأ إخسَأ! فقال أبوها: مَهْيَمْ[1] يا بُثَينة؟ قالت: كلبٌ يأتينا إذا نَوَّم الناسُ من وراء الرَّابية. ثم قالت للجارية: ابْغِينَا من الدَّوْماتِ[2] حطباً لنذبحَ لكثيِّر شاةً ونشويَها له. فقال كثيِّر: أنا أعجَلُ من ذلك. وراح إلى جميلٍ فأخبره. فقال له جميل: الموعدُ الدَّوْماتُ. وقالت لأم الحسين ولَيْلى ونُجَيَّا بناتِ خالتها وكانت قد أَنِسَتْ إليهنّ وٱطمأنَّتْ بهنّ: إني قد رأيتُ في نحو نشيدِ كثيِّر أن جميلاً معه. وخرج كثيِّر وجميلٌ حتى أَتَيا الدَّوْماتِ، وجاءت بُثَينة ومن معها، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ. فكان كثيِّر يقول: ما رأيت مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر! ما أَدْرِي أيُّهما كان أَفْهَمَ!.

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حدّثنا الخَليل بن أَسَد قال: حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، وأخبرني عمّي عن الكُرَانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: قال لي صالح بن حَسَّان: هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصف تقصُّفاً؟ قلتُ: لا. قال: قد أَجَّلْتُك حَوْلاً. قلتُ: لا أَدْرِي ما هو! فقال قولُ جميل: [الطويل]

ألا أيُّـهـا الـنُّـوَّامُ وَيْـحَـكُـمُ هُـبُّـوا

كأنه أعرابيّ في شَمْلة. ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال:

أُسـائـلُـكُـمْ هَـلْ يَـقْـتُـلُ الـرَّجُـلَ الـحُـبّ

كأنه من كلام مُخنَّثِي العَقيق.

[إهدار دمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال: أخبرنا عبد اللّه بن أبي كَريم عن أبي عمرو وإسحاقَ بن مَرْوان قال:

عشق جميلٌ بثينة وهو غلام، فلما بلغ خطَبها فمُنع منها، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتَهر وطُرد، فكان يأتيها سِرّاً ثم تزوَّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفْية إلى أن استُعمل دَجَاجَةُ بن رِبْعيّ على وادي القُرَى فشكوْه

(١) مَهْيَم: ما شأنك، ما بالك.
(٢) الدوم: شجر ضخم.

إليه فتقدَّم إليه ألاَّ يُلِمَّ بأبياتها وأَهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها، فاحتَبس حينئذ.

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدّثنا أحمد بن أبي العَلاَء قال: حدّثني إبراهيم الرَّمَّاح قال: حدّثنا جابر أبو العَلاَء التَّنُوخيّ قال:

لما نذَر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يَصْعَد بالليل على قُورٍ[1] رملٍ يتنسَّم الريحَ من نحو حَيّ بُثَينة ويقول: [الوافر]

أيـا رِيـحَ الـشَّـمـالِ أمـا تَـرَيْـنـي ... أَهِـيـمُ وَأنَّـنِـي بـادي الـنُّـحُـولِ
هَـبِـي لـي نَـسْـمـةً مـنْ رِيـحِ بَـثْـنٍ ... وَمُـنِّـي بـالـهُـبُـوب إلـى جَـمـيـلِ
وَقُـولـي يـا بُـثـيـنَـةُ حَـسْـبُ نَـفْـسِـي ... قَـلِـيـلُـكِ أو أقَـلُّ مـنَ الـقَـلِـيـلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف. وكانت بثينة تقول لجَوَارٍ من الحيّ عندها: وَيْحَكنّ! إني لأسمع أنينَ جميل من بعض القِيرانِ! فيقلن لها: اتَّقِي الله! فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له.

[جميل وكثير يتذاكران النسيب]

حدّثني أحمد بن عَمَّار قال: حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال: حدّثني أحمد بن يَعْلَى قال: حدّثني سُوَيْد بن عِصَام قال: حدَّثني رَوْح أبو نعيم قال: التقى جميلٌ وكثيِّر فَتَذاكرا النَّسيب؛ فقال كثيِّر: يا جميل، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك: [الطويل]

يَـقِـيـكِ جَـمِـيـلٌ كُـلَّ سُـوءٍ، أمـا لَـهُ ... لَـدَيْـكِ حَـدِيـثٌ أو إلَـيْـكِ رَسُـولُ
وَقـد قُـلْـتُ في حُـبِّي لَـكُـمْ وصَـبَـابـتِـي ... مَـحَـاسِـنَ شِـعْـرٍ ذِكْـرُهـنَّ يَـطُـولُ
فإن لَـمْ يَـكُـنْ قَـوْلي رِضـاكِ فَـعَـلِّـمِـي ... هُـبُـوبَ الـصَّـبَـا يـا بَـثْـنَ كَـيْـفَ أقُـولُ
فـمـا غـابَ عَـنْ عَـيْـنِـي خَـيـالُـكِ لَـحْـظَـةً ... ولا زالَ عَـنْـهـا، وَالـخَـيـالُ يَـزُولُ

فقال جميل: أترى عَزَّة يا كثيِّر لم تسمع بقولك: [الطويل]

يـقـولُ الـعـدَا يـا عَـزّ قـد حـالَ دُونَـكُـمْ ... شـجـاعٌ عـلـى ظَـهْـرِ الـطَّـرِيـقِ مُـصَـمِّـمُ
فَـقُـلْـتُ لَـهَـا واللهِ لَـوْ كـانَ دُونَـكُـمْ ... جَـهَـنَّـمُ مـا راعَـتْ فُـؤادِي جَـهَـنَّـمُ
وكـيـف يَـرُوعُ الـقَـلْـبَ يـا عَـزَّ رائِـعٌ ... وَوَجْـهُـكِ في الـظَّـلْـمـاءِ لـلـسَّـفْـرِ مَـعْـلَـمُ

---

(١) القور والقيران: الآكام العظام، واحدتها: قارة.

وما ظلمتْكِ النَّفْسُ يا عَزّ في الهَوَى فلا تَنقِمي حُبِّي فما فيهِ مَنْقَمُ

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم أنصرفا.

[موعد لم يتحقق]

وقال الهَيْثَم بن عديّ ومن ذكَر روايتَه معه من أصحابه: زار جميلٌ بُثَيْنَةَ ذاتَ يوم، فنزل قريباً من الماء يترصَّد أَمَةً لها أو راعية، فلم يكن نزولُه بعيداً من ورود أَمَة حبشيَّة معها قِرْبةٌ، وكانت به عارفةً وبمَا بينها وبينه. فسلَّمتْ عليه وجلست معه، وجعل يحدِّثها ويسألها عن أخبار بُثَيْنة ويحدِّثها بخبره بعدها ويُحَمِّلُها رسائلَه. ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَه إلى بُثَينة وأخْذَ موعدٍ عليها، ففعلتْ وانصرفتْ إلى أهلها وقد أبطأتْ عليهم. فلقيها أبو بُثَينة وزوجُها وأخوها فسألوها عما أبْطأ بها، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ؛ فضربوها ضرباً مبرِّحاً؛ فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ إليهم خاتَمه. ومرّ بها في تلك الحال فَتَيَانِ من بني عُذْرة فسمعا القصة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذي فيه جميل، فأحبَّا أن يُثَبِّطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتُم جميلاً وليست بُثَينة معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه؛ وأهلُ بُثَينة[1] أعزُّ عُذْرةَ؛ فدَعُوا الأَمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثَينة، فإذا زارها بَيَّتُّموهما جميعاً؛ قالوا: صدَقتما لعَمْري إنّ هذا الرأيُ. فدفعوا الخاتم إلى الأمَة وأمروها بإيصاله وحذَّرُوها أن تُخبر بثينةَ بأنهم علِموا القِصَّة، ففعلتْ. ولم تعلم بثينةُ بما جَرَى. ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً؛ فقال: واللّهِ ما أَرْهَبهم، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً واللّه لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي واللّه ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جبَانُ الجَنَان[2]. فناشداه اللّهَ وقالا: البقيّة أصلح، فتُقيم عندنا في بيوتنا حتى يَهْدأ الطلب، ثم نبعثُ إليها فتزورُك وتَقْضي من لقائها وَطَراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤَبَّن[3]. فقال: أمَّا الآنَ فابعثا إليها من يُنذرها؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له: قُلْ بحاجتك؛ فقال: ادخلي إليها وقُولي لها: إني أردتُ اقتناصَ ظبي فحذَّره ذلك جماعةٌ اعْتَوَرُوه من القُنَّاص ففاتَني الليلةَ. فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها؛ فعرفَتْ قصَّتَه وبحثتْ عنها فعرفتْها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلةَ ورَصدوها فلم تَبرَحْ

---

(١) يظهر أنه وقع سهو هنا، والصواب: وأهل جميل أعزُّ عذرة.

(٢) الجنان: القلب.

(٣) غير مؤبَّن: غير معيب.

مكانَها ومَضَوْا يَقْتَصُّون أثَرَه فرأَوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك: [الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا اليَوْمَ حَتَّى تُسَلِّما ... عَلَى عَذْبَةِ الأنيابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بها ثم اشْفَعا لِي وَسَلِّما ... عَليها سقاها اللَّهُ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ

* * *

[الطويل]

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتِياقاً وإنْ نأتْ ... جَزِعْتُ لِنَأْيِ الدّارِ منها ولِلْبُعْدِ[1]
أَبى القلبُ إلا حبَّ بَثْنةَ لم يُرِدْ ... سِوَاها وحبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدِي

قال: وقال أيضاً: ومن الناس من يُضيف هذه الأبياتَ إلى هذه القصيدة؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافِي تدلّ على أنها مفردةٌ عنها، وهي:

ألم تَسْأَلِ الدّارَ القَدِيمَةَ هَلْ لها ... بأُمِّ جُسَيْرٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ؟

وفيها يقول:

صوت

سَلِي الرَّكْبَ هل عُجْنَا لِمَغْناكِ مَرَّةً ... صدورَ المطايا وهي مُوقَرَةٌ تَخْدِي[2]
وَهَلْ فاضَتِ العَيْنُ الشَّرُوقُ بِمائِها ... مِنَ اَجْلِكِ حَتَّى اخْضَلَّ من دَمْعِها بُرْدِي

الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى:

وَإنّي لأَسْتَجْرِي لَكِ الطَّيْرَ جاهِداً ... لِتَجْرِي بِيُمْن مِنْ لقائِكِ مِنْ سَعْدِ
وإنّي لأَسْتَبْكي إذا الرَّكْبُ غَرَّدُوا ... بذكراكِ أن يحيا بكِ الرَّكْبُ إذ يَخْدِي
فَهَلْ تَجْزِيَنّي أُمُّ عَمْرو بِوُدِّها ... فَإنّ الَّذِي أُخْفِي بها فَوْقَ ما أُبْدِي
وَكُلُّ مُحِبٍّ لَمْ يَزِدْ فَوْقَ جَهْدِه ... وَقَدْ زِدْتُها في الحبِّ مِنّي على الجَهْدِ

[خبره مع أم منظور]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَوِيّ: أنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقُون بها يقال

---

(١) تختلف القافية في البيتين المتقدمين وهذين البيتين. ويظهر أن نقصاً وقع هنا.
(٢) موقرة: محملة. وتخدي: تسرع.

لها أُمُّ منظور. فجاءها جميل فقال لها: يا أُمَّ منظور، أَرِيني بثينَةَ. فقالت: لا واللَّهِ لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أَمَا واللَّهِ لأَضُرَّنَّكِ؛ فقالت: المَضَرَّةُ واللَّهِ في أن أُرِيَكَها. فخرج من عندها وهو يقول: [البسيط]

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نَظْرَةً سَلَفَتْ ... بالحِجْرِ يَوْمَ جَلَتْها أُمُّ مَنْظُورِ[1]

ولا انسلابَتَها خُرْساً جَبائِرُها ... إليَّ من ساقِطِ الأَرْواقِ مَسْتُورِ[2]

قال: فما كان إلاَّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلَّقوا بأُمّ منظور فحلَفَتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها. هكذا ذكَر الزُّبير بن بَكَّار في خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال: حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمَّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ أن رجلاً أنشد مُصْعَبَ بن الزُّبير قولَ جميل: [البسيط]

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نَظْرَةً سَلَفَتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ مَنْظُورِ

فقال: لودِدْتُ أنِّي عرفتُ كيف جَلَتْها. فقيل له: إن أم منظور هذه حَيَّة. فكتب في حَمْلِها إليه مكرَّمة فحُمِلَتْ إليه. فقال لها: أخبريني عن قول جميل:

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نَظْرَةً سَلَفَتْ ... بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ مَنْظُورِ

كيف كانت هذه الجَلْوَة؟ قالت: ألبستُها قِلادَةَ بَلَح ومِخْنَقَةَ[3] بَلَح واسطتُها تفَّاحةٌ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت في فعرْقِها شيئاً من الخَلُوق. ومَرَّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمؤخّر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا. فقال لها مُصْعَب: فإنِّي أُقْسِم عليكِ إلاَّ جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ، ففعلتْ. وركب مُصْعَبٌ ناقتَه وأقبل عليهما وجعل ينظرُ إلى عائشةَ بمؤخّر عينِه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع.

---

(١) الحجر: ديار ثمود بوادي القرى (معجم البلدان ٢/ ٢٢١).

(٢) الجبائر: الأساور. والأرواق: الفساطيط جمعها روق.

(٣) المخنقة: القلادة.

[حيل تنجح وأخرى تفشل]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني بُهْلول عن بعض مشايخه أنّ جميلاً جاء إلى بُثَينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَيّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فأنْتَبَذ ناحيةً، فسألتْه: من أنت؟ فقال: مِسكينٌ مُكَاتَب[١]، فجلس وحدَه، فعَشَّتْ ضِيفانَها وعشَّتْه وحدَه. ثم جلستْ هي وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطجع القومُ مُنْتَحِين. فقال جميلٌ: [الطويل]

هَلِ البائسُ المَقْرُورُ دانٍ فمُصْطَلٍ مِنَ النّارِ أوْ مُعْطَى لِحافاً فلابِسُ

فقالت لجاريتها: صوتُ جميلٍ واللّه! اذهبي فانظري!. فرجعتْ إليها فقالت: هو واللّه جميل! فشهَقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يَجْرُون وقالوا: ما لكِ؟ فطرحتْ بُرْداً لها من حبَرةٍ[٢] في النار وقالت: أحترق بُرْدِي، فرجع القومُ. وأرسلتْ جاريتَها إلى جميل، فجاءتها به، فحبستْه عندها ثلاثَ ليالٍ، ثم سلَّم عليها وخرج.

وقال الهَيْثَم وأصحابه في أخبارهم: كانت بُثَينة قد واعدتْ جميلاً للالتقاء في بعض المواضع، فأتَى لوَعْدها. وجاء أعرابيٌّ يَسْتضيف القومَ فأَنْزَلوه وقَرَوْه، فقال لهم: إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ مُتَوارِينَ في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا[٣] بعضَ إبلكم. فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحَرسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أَسْفَر له الصبحُ انصرف كئيباً سَيِّيءَ الظنّ بها ورجَع إلى أهله، فجعل نساءُ الحيِّ يُقَرِّعْنَه بذلك ويقلن له: إنما حَصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرُها أولى بوَصْلِك منها، كما أن غيركَ يَحْظَى بها. فقال في ذلك: [الكامل]

أبُثَينَ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحي وَخُذِي بِحَظِّكِ من كَرِيمٍ واصِلِ

صوت

فَلَرُبَّ عارِضَةٍ علينا وصْلَها بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الهازِلِ

---

(١) المكاتبة: أن يكاتب السيد عبده على مال يدفعه منجماً، فإذا دفعه صار حرّاً.
(٢) الحبرة: ثوب قطني مخطط.
(٣) سل الناقة: سرقها.

فَـأَجَـبْـتُـهـا بـالـقَـوْلِ بَـعْـدَ تَـسَـتُّـرٍ   حُـبِّي بُـثَـيْـنَـةَ عـن وِصـالِـكِ شـاغِـلـي
لَـوْ كـانَ فـي قَـلْـبِـي كـقـدْرِ قُـلامَـةٍ   فَـضْـلاً وَصَـلْـتُـك أَوْ أَتَـتْـكِ رَسـائِـلـي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد.

وَيَـقُـلْـنَ إنَّـكَ قـد رَضِـيـتَ بـبـاطِـلٍ   منـهـا فَـهَـلْ لـكَ في اجْتـنـابِ الباطِـلِ
وَلَـبـاطِـلٌ مِـمَّـنْ أُحِـبُّ حَـدِيـثَـهُ   أَشْـهَـى إلـيّ مـن الـبَـغِـيـضِ الـبـاذِلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليَزِيدِ حَوراء.

[لقاؤها بعد زواجها وشعره في ذلك]

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه أن جماعةً من بني عُذْرةَ حَدَّثوا أن جميلاً رصد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجْعةٍ[1] لهم، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكِر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظَلماءَ ذاتِ غَيْم وريح ورعد، فحذَفها بحَصَاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابها، ففزِعتْ وقالت: واللّه ما حَذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجِنُّ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنَتْ: إن جميلاً فعل ذلك فانصرفِي ناحيةً إلى منزلِك حتى ننام، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَيْنَةَ أُمُّ الجُسَيْر وأُمُّ منظور، فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِبَاءَ معها وتحدَّثا طويلاً، ثم اضطَجع واضطجعتْ إلى جَنْبه فذَهب النومُ بهما حتى أصْبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جَميل، فمَضى لوجهِه حتى خبَّر سيِّدَه. ورأتْه لَيْلَى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبر جميلٍ وبُثَينة فاستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله وبعثَتْ بجارية لها وقالت حذِّري بثينةَ وجميلاً، فجاءت الجاريةُ فنبَّهَتْهُما. فلما تبيَّنَتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاء والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت: يا جميلُ! نفسَك نفسَك! فقد جاءني غلامُ نُبيهٍ بصَبُوحِي من اللبن فرآنا نائمَيْن! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خَوَّفَتْه منه: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكِ مـا خَـوَّفْـتِـنِـي مِـنْ مَـخَـافـةٍ   بُـثَـيْـنَ ولا حَـذَّرْتِـنِـي مَـوْضِـعَ الـحَـذَرْ
فَـأُقْـسِـمُ لا يُـلْـفَـى لِـيَ الـيَـوْمَ غِـرَّةٌ   وفـي الـكَـفُّ مـنّـي صـارمٌ قـاطِـعٌ ذَكَـرْ

فأقسمتْ عليه أن يُلْقِيَ نفسَه تحت النَّضَدِ[2] وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطَجعتْ

(١) النُّجعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث. (الوسيط مادة نجع).
(٢) النضد: متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض.

أمّ الجُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لَيْلَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوح معه وقال له: إني رأيتُ بُثَينة مُضْطَجِعةً وجميلٌ إلى جَنبها. فجاء نُبَيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهي نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فإذا أمُّ الجُسَير إلى جانبها نائمة. فخجِل زوجُها وسَبَّ عبدَه وقالت لَيْلَى لأخيها وأبيها: قبحكما اللَّهُ! أفي كلِّ يوم تَفْضَحان فَتاتَكما ويَلْقاكما هذا الأعور[1] فيها بكلِّ قبيح! قبحه اللَّهُ وإياكما! وجعَلا يَسُبَّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح. وأقام جميلٌ عند بثينةَ حتى أَجَنَّه[2] الليلُ ثم وَدَّعها وانصرف. وحَذِرَتْهم بُثَينَةُ لِمَا جَرَى من لقائه إيَّاها فَتَحامَتْه مدَّةً، فقال في ذلك:

صوت [الطويل]

أأنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سَفَاهَةً ... تُبكِّي على جُمْلٍ لِوَرْقَاءَ تَهْتِفُ

فَلَوْ كانَ لي بِالصَّرمِ يا صاحِ طاقَةٌ ... صَرَمْتُ وَلكنِّي عَنِ الصَّرْمِ أضْعُفُ[3]

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنانِ أحدهما ثقيلٌ أوَّلُ بالسّبابة في مجرى البِنْصَر عن إسحاق، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وذكَر غيرُه أنه لابن جامع. وفيه لَبذْل الكُبْرَى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المَكّي.

ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدةِ قولُه:

صوت [الطويل]

لها في سَوَاد القَلْبِ بالحُبِّ مَيْعَةٌ ... هِيَ المَوْتُ أو كادَتْ على المَوْتِ تُشْرِفُ[4]

وما ذكَرَتْكِ النَّفْسُ يا بَثْنَ مَرَّةً ... من الدَّهْرِ إلا كادَتِ النَّفْسُ تَتْلَفُ

وإلاّ اعْتَرَتْني زَفْرَةٌ واسْتِكانَةٌ ... وجادَ لها سَجْلٌ مَعَ الدَّمْعِ يَذْرِفُ

وَما اسْتَطْرَفَتْ نَفْسِي حَدِيثاً لِخُلَّةٍ ... أُسَرُّ بِهِ إلا حَدِيثُكِ أَطْرَفُ

(١) أرادت زوجها نبيهاً.
(٢) أجنه الليل: ستره.
(٣) الصّرم: القطيعة.
(٤) ميعة الحب: أوله.

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوَّلُ بالوسْطى عن الهِشَاميّ. وأوّل هذه القصيدة:

أمِنْ منزِلٍ قَفْرٍ تَعفَّتْ رُسومَهُ ... شَمَالٌ تُغَادِيه ونَكْباءُ حَرْجَفُ[1]

فأضْبَحَ قَفْراً بعدَ ما كانَ آهِلاً ... وجُمْلُ المُنَى تَشْتُو بهِ وتُصَيِّفُ

ظَلِلْتُ وَمُسْتَنٌّ من الدَّمعِ هامِلٌ ... مِنَ العَيْنِ لما عُجْتُ بالدَّارِ يَنْزِفُ[2]

أمُنْصِفَتِي جُمْلٌ فتَعْدِلَ بَيْنَنا ... إذا حَكَمَتْ وَالحاكِمُ العَدْلُ يُنْصِفُ

تَعَلَّقْتُها وَالجِسْمُ مِنِّي مُصَحَّحٌ ... فما زالَ يَنْمي حُبُّ جُمْلٍ وأَضْعُفُ

إلى اليَوْمِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَشَفَّنِي ... وَأنْكَرتُ منْ نَفْسِي الّذِي كُنْتُ أعْرِفُ

قَنَاةٌ منَ المُرَّانِ ما فَوْقَ حَقْوِها ... وما تَحْتَهُ منها نَقاً يَتَقَصَّفُ[3]

لها مُقْلَتا ريمٍ وَجِيدُ جَدَايةٍ ... وَكَشْحٌ كَطَيِّ السَّابِرِيَّةِ أَهْيَفُ[4]

وَلَسْتُ بناسٍ أهلَها حينَ أقبلُوا ... وجَالُوا عَلَيْنا بالسُّيوفِ وطَوَّفُوا

وقالوا جَمِيلٌ باتَ في الحَيِّ عِنْدَها ... وقد جَرَّدوا أسيافَهم ثُمَّ وَقَّفُوا

وفي البيتِ لَيْثُ الغابِ لولا مَخَافَةٌ ... على نَفْسِ جُمْلٍ والإلٰهِ لأرْعِفُوا[5]

هَمَمْتُ وقد كادَتْ مِرَاراً تَطَلَّعتْ ... إلى حَرْبِهم نفسي وفي الكَفِّ مُرْهَفُ[6]

وما سَرَّني غيرُ الَّذِي كانَ منهمُ ... وَمِنِّي وقد جاءوا إلَيّ وأَوْجَفُوا[7]

فكم مُرْتَجٍ أَمْراً أُتِيحَ له الرَّدَى ... وَمن خائِفٍ لم يَنْتَقِصهُ التَّخَوُّفُ

[ألا أيها النوام ويحكم هبّوا]

حدّثني عمِّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ قال: حدّثنا العُمريّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليَزِيديّ قال: حدّثنا الخَليل بن أَسَد قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال، قال لي صالح بن حَسَّان:

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّكُ من مخنَّثي العَقِيق؟

(١) تعفّت: درست. وشمال: ريح الشمال. والنكباء: ريح انحرفت عن مهبها ووقعت بين مهب الصبا والشمال. والحرجف: الباردة الشديدة الهبوب.

(٢) المستنّ: المنصب بغزارة.

(٣) المرّان: الرماح الصلبة اللدنة والنقا: الكثيب من الرمل. ويتقصف: ينهال.

(٤) الجداية: ولد الظبي إذا بلغ ستة أشهر. والسابرية: الثياب الرقيقة والناعمة.

(٥) أرعفوا: أُعجلوا، وسالت دماؤهم.

(٦) المرهف: السيف الحادّ القاطع.

(٧) أوجفوا: أسرعوا السير. والوجيف: السير السريع.

فقلتُ: لا أدْري. قال: قد أجَّلْتُك فيه حَوْلاً[١]. فقلت: لو أجَّلْتَنِي حوليْن ما علمتُ. قال: قولُ جميل: [الطويل]

ألا أيُّـهـا الـنُّـوَّامُ وَيْـحَـكُـمُ هُـبُّـوا

هذا أعرابيٌّ في شَمْلة. ثم قال:

نـسـائـلُـكُـمْ هَـلْ يَـقْـتُـلُ الـرَّجُـلَ الـحُـبّ

كأنه واللَّهِ من مخنَّثي العَقيق. في هذا الشعر غناء، نسبتُه وشَرْحُه:

صوت

ألا أيُّـهـا الـنُّـوَّامُ وَيْـحَـكُـمُ هُـبُّـوا   نـسـائـلُـكُـمْ هَـلْ يقـتُـل الـرَّجُـلَ الـحُـبُّ
ألا رُبَّ رَكْـبٍ قـد دَفَـعْـتُ وَجِـيـفَـهُـمْ   إليـكِ وَلَـوْلا أنـتِ لـم يُـوجِـفِ الـرَّكْـبُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسَّبابة والوُسْطى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أحد. وفيه لسُلَيم ماخُوريٌّ عن الهِشاميّ. وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسَّبابة في مَجْرَى الوسطَى عن إسحاق، وقيل: إنه لمَعْبَد. وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ابن المعتزّ. وذكر عبد الله بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأوَّل وأن خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأن الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشيد.

[الجفاء بين جميل وبثينة]

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْداسِيّ قال: أخبرنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية المُحْرِزيّ عن شيخ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرةَ أن بُثينة لما عَلِقتْ حُجْنةَ الهِلالِيّ جَفَاها جميلٌ. قال: وأنشدني لجميلٍ في ذلك:

صوت

بَـيْـنـا حِـبـالٌ ذاتُ عَـقْـدٍ لِـبَـثْـنَـةٍ   أُتِـيـحَ لـهـا بَـعْـضُ الـغُـواةِ فَـحَـلَّـهـا
فـعُـدْنـا كـأنَّـا لـم يَـكُـنْ بَـيْـنَـنـا هَـوًى   وصـارَ الَّـذِي حَـلَّ الـحِـبـالَ هَـوًى لـهـا

---

(١) حولاً: سنة.

وَقالُوا نَراها يا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ وَغَيَّرَها الواشِي فقلتُ لَعَلَّها

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبَع ولم ينسبه إلى أحد.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثنا أبو عَوْف عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال: بَعثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمَلْ برأي ٱبن نُفَيْس؛ فكنت أفعل ذلك، وأغشى ٱبنَه، وكانت له جارية مغنية قد كَلِفَ بها فتًى من آل عثمانَ بن عَفَّان، فكان يبيع عُقْدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها. وٱبتُلِيَ برجل من أهل إفْريقِيَّةَ ومعه ابن له، فغَشِيَ ابنُ الإفْريقيّ بيتَ ابنَ نُفَيْس فجعل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ. فقُضِيَ أن اجتمعنا عشيَّةً وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المِسْكُ منه، وأراد العثمانيُّ أن يَكِيدَه بفعله. فجلسنا ساعةً؛ فقال لها ابن الإفريقيّ: غنِّي: [الطويل]

بَيْنَنا حبَالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبَثْنَةٍ أُتِيحَ لها بَعْضُ الغُواةِ فحَلَّها

يعرِّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غنِّي:

[الطويل]

وَمَنْ يَرْعَ نَجْداً يُلْفِني قد رَعَيْتُهُ بجَنْبَيْتِهِ الأولى وَيُورِدْ على وِرْدِي

قال: فنكَس ابنُ الإفريقيّ رأسَه وخرج العثمانيُّ فذهب، وخَمَد أهلُ البيت فما ٱنتفعوا بقيَّة يومهم.

[موتي أو دعي]

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلي وبُهْلُول بن سليمانَ البَلَوِيّ أن جميلاً قال لمّا زُوِّجتْ بُثَينةُ نُبيهاً:

صوت [الطويل]

أَلاَ نادِ عِيراً من بُثَينةَ تَرتَعِي نُوَدِّعْ على شَحْطِ النَّوَى ونُوَدِّعِ
وحَثُّوا على جَمْعِ الرِّكَابِ وقَرِّبُوا جِمالاً ونُوقاً جِلَّةً لم تَضَعْضَعِ

(١) عقدة من المال: ضيعة أو عقار أو متاع.

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيْج عن الهِشَامِيّ. ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة:

صوت

أُعِيذُكِ بالرَّحْمٰنِ من عَيْشِ شِقْوَةٍ ... وأن تَطْمَعِي يوماً إلى غيرِ مَطْمَعِ
إذا ما ٱبنُ مَلْعُونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ ... عليكِ فمُوتِي بعدَ ذلكَ أو دَعِي
مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ وما كُنْتُ سائماً ... لأجمالِ سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ[1]
وحَثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقَرَّبوا ... جِمالاً ونُوقاً جِلَّةً لم تَضَعْضَعِ
ألاَ قد أَرَى إلاَّ بُثَينةَ ها هنا ... لنا بعد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لمَعْبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أوَّلُ بالخِنْصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن سُرَيج والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وللأَبْجَر في الأوّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر. وفي الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب إلى معبد وغيره، ولم تُعْرَف صحتُه من جهةٍ يُوثَق بها.

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أنشدنا بُهْلول بن سليمان لجَميل لما بعد عن بُثَينَةَ وخاف السلطانَ، وكان بُهْلُولٌ يُعْجَب به: [الطويل]

ألاَ قد أَرَى إلا بُثَينةَ لِلْقَلْبِ ... بَوادي بَداً لا بحِسْمَى ولا الشَّغْبِ[2]
ولا ببُصَاقٍ قد تَيمَّمْتَ فٱعْتَرِفْ ... لما أنتَ لاقٍ أو تَنَكَّبْ عن الرَّكْبِ[3]
أفي كلِّ يومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ ... تموت لها بُدِّلْتُ غَيْرَك من قَلْبِ

[بثينة وعبد الملك بن مروان]

أخبرنا الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزُّهْرِيّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشِيّ قال: حدّثنا سليمان بن زِياد الثَّقَفِيّ أن بُثَينَةَ دخلتْ على عبد الملك بن مَرْوان. فرأى امرأةً خَلْفاءَ[4] مولِّية؛ فقال لها: ما الذي

(١) جعجع: موضع بعينه. والأصل: المتطامن من الأرض، أو الغليظ الخشن منها.
(٢) بدا وحسمى والشغب: مواضع (انظر معجم البلدان).
(٣) بُصاق: موضع قريب من مكة. (معجم البلدان ١/ ٤٢٩).
(٤) خلفاء: حولاء.

رَأى فيكِ جميلٌ؟ قالت: الذي رَأى فيكَ الناسُ حين ٱستخلفوك. فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يستُرها.

[أحداث جرّت شعراً]

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عمر بن إبراهيم العُوَيْثِيّ أن جَمَل جميلٍ الذي كان يزور عليه بثْينةَ يقال له «جَديل» وفيه يقول: [الطويل]

أَنَـخْـتُ جَـدِيـلاً عِـنْـدَ بَـثْـنـةَ لَـيْـلَـةً ... ويــومــاً أطــالَ الله رَغْــمَ جَــدِيــلِ
أَلَـيْـسَ مُـنَـاخُ الـنِّـضْـوِ يَـوْمـاً وَلَـيْـلَـةً ... لِـبَـثْـنـةَ فـيـمـا بَـيْـنَـنـا بِـقَـلِـيـلِ؟

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أبو غَسَّان محمد بن يحيى المَكّي أنّ جميلاً لما ٱشتَهَرتْ بثينةُ بحبّه إياها اعترضه عُبيد اللَّه بن قُطْبةَ أحد بني الأَحَبّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه؛ وبلغ ذلك جَمِيلاً فأجابه، وتطاولا فغلَبه جميل وكَفَّ عنه ابن قُطْبة، واعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بني الأَحَبّ) فهجاه. وإياه عَنَى جميلٌ بقوله: [الطويل]

إذا الـنّـاسُ هـابُـوا خِـزْيَـةً ذَهَـبَـتْ بـهـا ... أَحَـبُّ الـمَـخَـازِي كَـهْـلُـهـا ووَلِـيـدُهـا
لَـعَـمْـرُ عَـجُـوزٍ طَـرَّقـتْ بـكَ إنَّـنـي ... عُـمَـير بن رَمِـلٍ لابنُ حَرْبٍ أَقُودُها[١]
بِـنَـفْـسـي فـلا تَـقْـطَـعْ فُـؤادَكَ ضَـلَّـةً ... كـذلـكَ حَـزْنِـي وَعْـثُـها وصَـعُـودُها[٢]

قال: فٱستعدوْا عليه عامرَ بن رِبْعِيّ بن دَجَاجة، وكانت إليه بلادُ عُذْرة، وقالوا: يهجونا وَيغْشَى بيوتَنا وينسُب بنسائنا! فأباحهم دمَه، وطُلِب فهرَب منه. وغضبتْ بُثَينَةُ لهجائه أهلَها جميعاً. فقال جميل: [الطويل]

ومـا صـائـبٌ مـن نـابـلٍ قَـذَفَـتْ بـهِ ... يَـدٌ ومُـمَـرُّ الـعُـقْـدَتَـيْـنِ وَثـيـقُ[٣]
لَـهُ مـن خَـوافِـي الـنَّـسْـرِ حُـمٌّ نَـظَـائِـرٌ ... ونَـصْـلٌ كَـنَـصْـلِ الـزَّاعِـبِـيِّ فَـتِـيـقُ[٤]

---

(١) طرقت: حملت.

(٢) الوعث: المكان السهل تغيب فيه الأقدام.

(٣) ممرّ العقدتين أراد وتراً. والممرّ: الشديد الفتل. والوثيق: القويّ.

(٤) خوافي النسر: ريشات جناحيه الخافية. والحمّ: السود. والزاعبي: الرمح اللدن. وقيل المنسوب إلى زاعب، واختلفوا فزعم بعضهم أن زاعباً رجلٌ وزعم آخرون أنه بلد. والفتيق: الحادّ.

علـى نَـبـعَـةٍ زَوْراءَ أمَّـا خِـطـامُـهـا ... فَـمَـتْـنٌ وأمَّـا عُـودُهـا فـعَـتِـيـقُ[١]
بـأوشَـكَ قَـتْـلاً مـنـكِ يـومَ رَمـيـتِـنـي ... نَـوَافِـذَ لـم تَـظْـهَـرْ لـهـنَّ خُـروقُ
تَـفَـرَّقَ أهـلانَـا بُـثَـيْـنَ فَـمِـنْـهُـمُ ... فَـرِيـقٌ أقـامُـوا واسْـتَـمَـرَّ فَـرِيـقُ
فَـلَوْ كُـنْـتُ خَـوَّاراً لـقـد بـاحَ مُـضْـمَـري ... وَلٰكِـنَّـنِـي صُـلْـبُ الـقَـنـاةِ عَـرِيـقُ[٢]
كـأنْ لـم نُـحـارِبْ يـا بُـثَـيـنَ لَـوَ انـهَ ... تَـكَـشَّـفُ غُـمَّـاهـا وأنْـتِ صَـدِيـقُ

قال ويدلّ على طلب عامر بن رِبْعِيّ إيَّاه قوله: [الطويل]

جِـذَارَ ابـنِ رِبْـعِـيّ بـهـنَّ رجُـومُ ... أَضَـرَّ بـأَخْـفـافِ الـبُـغَـيْـلـةِ أنَّـهـا[٣]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا محمد بن عبد اللّه الحَزَنبل الأصبَهانيّ قال: حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال: حدّثني بعضُ رُواة عُذْرة: أن السلطان أهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشِي دُورَهم. فحذِرهم مدَّة، ثم وجدوه عندها، فأَعْذَروا إليه وتوعَّدوه وكرِهوا أن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ في دمِه، وكان قومُه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلباً شديداً، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدَّة. وأنشدني له في ذلك: [الطويل]

أَلَـمَّ خَـيـالٌ مِـن بُـثَـيْـنَـةَ طـارقُ ... عـلـى الـنَّـأْيِ مُـشْـتـاقٌ إلـيَّ وشَـائِـقُ
سَرَتْ من تِلاَعِ الحِجْرِ حَتَّى تَخَلَّصَتْ ... إلـيّ ودُونـي الأَشْـعَـرُونَ وغـافِـقُ[٤]
كـأنَّ فَـتِـيـتَ الَـمِـسْـكِ خـالَـطَ نَـشْـرَهـا ... تُـغَـلُّ بـهِ أرْدانـهـا وَالـمَـرافِـقُ[٥]
تَـقُـومُ إذا قـامَـتْ بـهِ عـن فِـراشِـهـا ... ويَـغْـدُو بـهِ من حِضْنِـهـا مَنْ تُـعَـانِـقُ

قال أبو عمرو وحدّثني هذا العُذْرِيّ أنّ جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحية الشام فرحَل إليهم. قال: فَلَقِيتُه فسألتُه عما أَحْدث بعدي؛ فأنشدني: [الطويل]

سَـقَـى مـنـزِلَـيْـنـا يـا بُـثَـيـنَ بِـحـاجِـرِ ... عـلـى الـهَـجْـرِ مـنَّـا صَـيِّـفٌ ورَبِـيـعُ

---

(١) النبعة: شجرة من أشجار الجبال تتخذ منها القسيّ. والزوراء: المعوجة. والخطام: وتر القوس. والمتن: المتين، القويّ.

(٢) الخوّار: الضعيف.

(٣) بهن رجوم: بهن سرعة سير، ومبالغة في العدو.

(٤) الأشعرون: جمع أشعريّ، وهو المنسوب إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وغافق: قبيلة.

(٥) غلّت المسك في أردانها ومرافقها: أدخلته في أصولها. والأردان: أكمام الثوب، مفردها: ردن.

وَدُورَكِ يـا لَـيْـلَـى وإن كُـنَّ بَـعْـدَنـا بَـلِـيـنَ بِـلًـى لـم تَـبْـلَـهُـنَّ رُبـوعُ
وَخَيمـاتِكِ اللاَّتِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى لِقُمْرِيِّها بالمَشْرِقَيْنِ سَجِيعُ[1]
تُـزَعْـزِعُ مـنـهـا الـرِّيـحُ كُـلَّ عَـشِـيَّـةٍ هَـزِيـمٌ بِسُـلاَّفِ الـرِّيـاحِ رَجِـيـعُ[2]
وإنِّـيَ أن يَـعْـلَـى بِـكِ الـلَّـوْمُ أوْ تُـرَيْ بـدارِ أذىً مِـنْ شـامِـتٍ لَـجَـزُوعُ
وَإنِّي عـلـى الشَّيْءِ الَّذِي يُلْتَوَى بِهِ وإنْ زَجَـرَتْـنِـي زَجْـرَةً لَـوَرِيـعُ[3]
فَـقَـدْتُـكِ مِـنْ نَـفْـسٍ شَـعَـاعٍ فَـإنَّـنِـي نَـهَـيْـتُـكِ عـن هٰـذا وأنْـتِ جَـمِـيـعُ[4]
فَـقَـرَّبْـتِ لـي غَـيـرَ الْـقَـرِيـبِ وَأشْـرَفَـتْ هُـنَـاكَ ثَـنَـايَـا مـا لَـهُـنَّ طُـلُـوعُ
يَـقُـولُـون صَـبٌّ بـالـغَـوَانِـي مُـوَكَّـلٌ وَهَـلْ ذاكَ مـن فِـعْـلِ الـرِّجـالِ بَـدِيـعُ!
وَقـالـوا رَعَـيْـتَ الـلَّـهْـوَ وَالـمـالُ ضَـائِـعٌ فَـكَـالـنَّـاسِ فـيـهـم صـالِـحٌ ومُـضِـيـعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرْدَاذْبَهْ وإبراهيم. وذكر حَبَش أنّ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه. ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيِّ وقافيةِ هذه القصيدة، وليست له.

[أشعر الناس]

أخبرني محمد بن مزيَد قال: حدّثنا الزّبَير بن بَكَّار قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن أبي عُبيدة عن أبيه قال: دخل علينا كُثَيِّر يوماً وقد أخذ بطَرَف رَيْطَته[5] وألقى طرفَهَا الآخر وهو يقول: هو واللّٰه أشعرُ الناس حيث يقول:

[الطويل]

وَخَـبَّـرْتُـمـانِـي أنَّ تَـيْـمـاءَ مَـنْـزِلٌ لِلَيلى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَاسِيا
فَهٰذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنِّي قد انْقَضَتْ فما لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلَى المَرَامِيا

ويَجُرّ رَيطتَه حتى يبلُغَ إلينا، ثم يولّي عنَّا ويَجُرّها ويقول: هو واللّٰه أشعر

(١) القمريّ: ضرب من الحمام: وسجيع الحمامة سجعها، وهو صوت تردده على طريقة واحدة.
(٢) تزعزع: تحرك. والهزيم: صوت الرعد، والمراد هنا الصوت الشديد. وسلاف الرياح: متقدماتها. والرجيع: المردّد.
(٣) الوريع: الكافّ.
(٤) نفس شعاع: متفرقة.
(٥) الريطة: الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة.

الناس حيث يقول: [الطويل]

وأنْتِ الَّتِي إنْ شِئْتِ كَدَّرْتِ عِيشَتِي وإنْ شِئْتِ بعدَ الله أنْعَمْتِ بالِيَا
وأنْتِ التي ما مِنْ صَدِيقٍ ولا عِداً يَرَى نِضْوَ ما أبْقَيْتِ إلاّ رَثَى لِيَا

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: مَنْ تَعْني يا أبا صَخْر؟ فقال: ومَنْ أعني سِوَى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا!. وتَيْماءُ خاصَّةً منزلٌ لبني عُذْرة، وليس من منازل عامر؛ وإنما يَرْويه عن المجنون من لا يعلمه.

وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زِلْتُمُ يا بَثْنَ حتَّى لَوَ أنَّني مِنَ الشَّوْقِ أسْتَبْكِي الحَمامَ بَكَى ليا
إذا خَدِرَتْ رِجْلِي وَقِيلَ شِفاؤها دَعاءُ حَبِيبٍ كُنْتِ أنتِ دُعَائيا
وما زادَنِي النَّأيُ المُفَرِّق بَعْدَكُمْ سُلُوّاً ولا طولُ التَّلاقِي تَقَالِيا[1]
ولا زادَنِي الواشُونَ إلاّ صَبابَةً ولا كَثْرَةُ النَّاهِينَ إلا تَمَادِيا
ألَمْ تَعْلَمِي يا عَذْبَةَ الرِّيقِ أنَّني أظَلُّ إذا لَمْ ألْقَ وَجْهَكِ صادِيا[2]
لَقَدْ خِفْتُ أنْ ألْقَى المَنِيَّة بَغْتَةً وفي النَّفْسِ حاجاتٌ إلَيْكِ كما هِيا

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن مَعْن الغِفَاريّ عن الأَصْبَغ بن عبد العزيز قال: كنت عند طَلْحة بن عبد اللّه بن عَوْف؛ فدخل عليه كُثيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ برِجْله فثنَاها ثم حجَل[3] حتى بلغَ الفِراشَ وهو يقول: جميلٌ واللّه أشعر العرب حيث يقول:

وخَبَّرْتُمانِي أنّ تَيْماءَ مَنزِل

ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن مَزْيد.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثني الزُّبَير قال: حدّثني عمر بن إبراهيم السَّعْديّ أنّ رهط بُثَينة قالوا: إنما يَتْبَعُ جميلٌ أَمَةً لنا. فواعد جميلٌ بثينةَ حين لقيها ببَرْقاء[4] ذِي

(١) التقالي: التباغض.
(٢) الصديان: العطشان.
(٣) حجل: مشى على رجل واحدة رافعاً الأخرى.
(٤) برقاء ذي ضال: موضع. انظر معجم البلدان (١/ ٣٨٦).

ضَال، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أَسْحرا[١]. ثم قال لها: هل لكِ أن ترقُدي؟ قالت: ما شئتَ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا. فوسَّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت؛ فانسلّ واستوى على راحلته فذهب، وأصبحتْ في مَضْجَعها، فلم يُرَع الحيُّ إلاَّ بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك: [الطويل]

فَمَنْ يَكُ في حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي ... فبَرْقاءُ ذي ضالٍ عليَّ شَهِيدُ[٢]

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا عبد اللّه بن شَبِيب عن الحِزَامي عن فُليحْ بن إسماعيل بمثل هذه القصة، وزاد فيها: فلما انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها، فهجرتْه وآلتْ[٣] ألاَّ تَظْهَر له، فقال: [الطويل]

أَلاَ هَلْ إلى إلْمامَةٍ أنْ أُلِمَّها ... بُثَيْنةُ يوماً في الحياةِ سبيلُ؟

فإنْ هِيَ قالتْ لا سَبيلَ فقُلْ لها ... عَناءٌ على العُذْرِيّ منكِ طويلُ

على حِينَ يَسْلُو النَّاسُ عَنْ طَلَبِ الصِّبَا ... ويَنْسَى اتِّباعَ الوَصْلِ مِنْهُ خَلِيلُ

[نصحه أهله فلم يستجب]

وقال الهَيْثَم وأصحابُه في أخبارهم: تَشَكَّى زوج بُثَينةَ إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها. فوجَّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشَكَوْه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعَّدوه، وأتاهم فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا: إنَّا نَسْتحلِفُ إليهم ونتبرَّأ منك ومن جَرِيرتك[٤]. فأقام مدة لا يُلِمُّ بها، ثم لقي ابنيْ عمِّه رَوْقاً ومسعوداً، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قولَه: [الطويل]

وَإنِّي على الشَّيْءِ الَّذِي يُلْتَوَى به ... وإنْ زَجَرَتْني زَجْرَةً لَوَرِيعُ

فَقَدْتُكِ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنَّني ... نَهَيْتُكِ عَنْ هٰذا وَأَنْتِ جَمِيعُ

فَقَرَّبْتِ لي غَيْرَ القَرِيبِ وأَشْرَفَتْ ... هَناكَ ثَنَايَا ما لَهُنَّ طُلُوعُ

يَقُولُونَ صَبٌّ بالغَواني مُوَكَّلٌ ... وَهَلْ ذاكَ مِنْ فِعْلِ الرِّجالِ بَدِيعُ

وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ ... فَكَالنَّاسِ فِيهِمْ صالِحٌ ومُضِيعُ

---

(١) أسحر: دخل في وقت السَّحَر.
(٢) يمتري: يشك.
(٣) آلت: حلفت وأخذت على نفسها عهداً.
(٤) جريرتك: ذنبك.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهَير قال: حدّثني مُصْعَب بن عبد اللَّه قال: كانت تحت محمد بن عبد اللَّه بن حسن امرأة من ولد الزّبَير يقال لها فُلَيْحة، وكانت لها صبيَّةٌ يقال لها رَخِيَّة، قد رَبَّتْها لغير رِشْدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأتْ محمداً وقد نظر إليها ذات يوم نظراً شديداً، ثم تمثَّل قولَ جميل: [الطويل]

بُثَيْنَةُ مِنْ صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أَيْدِيَ الرُّ ماةِ وما يحمِلْنَ قَوْساً ولا نَبْلا
وَلٰكِنَّما يَظْفَرْنَ بالصَّيْدِ كُلَّما جَلَوْنَ الثَّنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجْلاَ
يُخالِسْنَ مِيعاداً يُرَعْنَ لِقَوْلِها إذا نَطَقَتْ كانَتْ مَقالتُها فَصْلاَ
يَرَيْنَ قَرِيباً بَيْتَها وَهْيَ لا تَرَى سِوَى بَيْتِها بَيْتاً قَرِيباً ولا سَهْلاَ

فقالت له فُلَيْحة: كأنك تريد رخيَّة! قال: إي واللَّه! قالت: إنِّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة. فقال لها: إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب. فقالت له: فما يضرُّ إذاً! واللَّه ما يضرّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك. فسُرّ بذلك وقال: أمَا والله لقد أعطيتُك خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها؛ لقد مكثتُ أسعَى في طلبها حَوْلَيْن. فضَحِكتْ وقالت: ما لي ولأبياتِ جميلٍ! والله ما ٱبتغيتُ إلا مَسَرَّتك. قال: فولدتْ منه غلاماً. وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألاّ يُبقيَه. فبينا محمدٌ في بعض هَرَبه من المنصور والجاريةُ وٱبنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطَّع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أُجيب في هذا الصبي دعاءُ فُلَيحة.

وقال الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه في أخبارهم. لمَّا نذَر أهلُ بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قَتْلَه، أَعْذروا إلى أهله. وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين، ألم تَرَ إلى قول جميل: [الطويل]

أَبِيتُ مَعَ الهُلاَّكِ ضَيْفاً لأَهْلِها وأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضْلِ

فمشتْ مَشْيَخةُ الحيّ إلى أبيه ـ وكان يُلَقَّب صُبَاحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أهله ـ فشكَوْه إليه وناشدوه اللَّه والرَّحمَ وسألوه كَفَّ ٱبنه عمّا يتعرَّض له ويفضَحهم به في فَتاتهم؛ فوعدهم كَفَّه ومَنْعَه ما ٱستطاع، ثم ٱنصرفوا. فدعا به فقال له: يا بُنَيّ! حتى متى أنت عمِهُ في ضلالك. لا تأنف من أن تتعلَّق بذات بَعْل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتَغُرُّك بخِداعها وتُرِيك

الصفاءَ والمودَّة وهي مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرَّة لمن مَلَكها، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بَعْلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا لَذُلٌّ وضَيْمٌ! ما أعرف أَخْيَبَ سَهْماً ولا أضْيَعَ عُمْراً منك. فأَنْشُدُك الله إلاَّ كفَفْتَ وتأمَّلتَ أمرَك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملِكه فيها، ولكنّ هذا أمر قد فات وٱستَبَدَّ به مَنْ قُدِّر له، وفي النساء عِوَضٌ. فقال له جميل: الرأيُ ما رأيتَ، والقولُ كما قلتَ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن قلبه هَواه، أو مَلَك أن يُسْلِيَ نفسَه، أو ٱستطاع أن يَدْفَعَ ما قُضِيَ عليه! والله لو قَدَرتُ أن أَمْحوَ ذكرَها من قلبي أو أُزِيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك، وإنما هو بلاءٌ بُلِيتُ به لِحَيْنٍ[1] قد أُتِيح لي، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً؛ وهذا جَهْدي ومبلغُ ما أقدِر عليه. وقام وهو يبكي، فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعاً لما رأَوْا منه. فذلك حين يقول جميل:

صوت

[الطويل]

أَلاَ مَـنْ لِـقَـلْـبٍ لا يَـمَـلُّ فَـيَـذْهَـلُ ... أَفِـقْ فَـالـتَّـعَـزِّي عَـنْ بُـثَـيْـنَـةَ أَجْـمَـلُ

سَـلاَ كُـلُّ ذِي وُدٍّ عَـلِـمْـتُ مَـكَـانَـهُ ... وأنـتَ بـهـا حـتـى الـمَـمـاتِ مُـوَكَّـلُ

فَـمـا هٰـكَـذا أَحْـبَـبْـتَ مَـنْ كـانَ قَـبْـلَـهـا ... ولا هٰـكَـذا فـيـمـا مَـضَـى كُـنْـتَ تَـفْـعَـلُ

ـ الغناء لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ـ

فـيـا قَـلْـبُ دَعْ ذِكْـرَى بُـثَـيْـنَـةَ إنَّـهـا ... وإنْ كُـنْـتَ تَـهْـواهـا تَـضَـنُّ وَتَـبْـخَـلُ

وَقَـدْ أيـأَسَـتْ مـن نَـيْـلِـهـا وَتَـجَـهَّـمَـتْ ... وَلَـلْـيـأسُ إن لـم يُـقْـدَرِ الـنَّـيْـلُ أَمْـثَـلُ

وإلاَّ فـسَـلْـهـا نـائـلاً قَـبْـلَ بَـيْـنِـهـا ... وَأَبْـخِـلْ بـهـا مـسؤولـةً حـيـن تُـسْـأَلُ

وَكَـيْـفَ تُـرَجِّـي وَصْـلَـهـا بعـدَ بُـعْـدِهـا ... وَقَـدْ جُـذَّ حَـبْـلُ الـوَصْـلِ مِـمَّـنْ تُـؤَمِّـلُ

وَإنَّ الـتـي أَحْـبَـبْـتَ قـد حِـيـلَ دُونَـهـا ... فـكُـنْ حـازِمـاً، والـحـازِمُ الـمُـتَـحَـوِّلُ

ففي اليأسِ ما يُسْلِي وَفي النَّاسِ خُلَّةٌ ... وفـي الأرْضِ عَـمَّـنْ لا يُـوَاتِـيـكَ مَـعْـزِلُ

بـدا كَـلَـفٌ مـنِّـي بـهـا فـتـشـاقَـلَـتْ ... وما لا يُرَى من غائبِ الوَجْدِ أفْضَلُ

هَـبِـيـنِـي بَـرِيـئـاً نِـلْـتِـهِ بـظُـلاَمَـةٍ ... عَـفَـاهـا لـكـم أو مُـذْنِـبـاً يَـتَـنَـصَّـلُ

---

(١) الحَيْن: الهلاك.

قَنَاةٌ مِن المُرَّانِ ما فوْقَ حَقْوِها ... وما تَحْتَهُ منها نَقاً يَتَهَيَّلُ[١]

قال: وقال أيضاً في هذه الحال:

صوت [الطويل]

أعَنْ ظُعُنِ الحَيِّ الألَى كُنتَ تَسألُ ... بِلَيْلٍ فَردُّوا عِيرَهُمْ وَتَحَمَّلُوا
فَأمسَوْا وهم أهْلُ الدِّيارِ وأصْبَحُوا ... وَمِنْ أهْلِها الغِربانُ بالدّارِ تَحْجُلُ

ـ في هذين البيتين لسِيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ـ

على حِينَ ولَّى الأمْرُ عنَّا وأسْمَحَتْ ... عَصا البَيْن وأنبَتَّ الرَّجاءُ المُؤمَّلُ[٢]
فما هُوَ إلاّ أن أهِيمَ بِذِكْرِها ... وَيَحْظَى بجَدوَاها سِوايَ ويَجْذَلُ[٣]
وقد أبقَتِ الأيَّامُ مِنّي على العِدَا ... حُسَاماً إذا مَسَّ الضَّرِيبةَ يَفصِلُ
وَلَسْتُ كَمَنْ إن سِيمَ ضَيْماً أطاعَهُ ... ولا كامْرِىءٍ إن عضَّهُ الدَّهرُ يَنكُلُ
لَعَمْرِي لَقَدْ أبْدَى لِيَ البَيْنُ صَفْحَهُ ... وَبَيَّنَ لي ما شِئْتُ لَوْ كُنتُ أعْقِلُ[٤]
وَآخِرُ عَهْدِي مِنْ بُثَيْنَةَ نَظْرَةٌ ... على مَوْقِفٍ كادَتْ منَ البَيْنِ تَقْتُلُ
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رأى مِثلَ حاجَةٍ ... كَتَمْتُكِهَا وَالنَّفسُ منها تَمَلْمَلُ
وإني لأَسْتَبْكِي إذا ذُكِرَ الهَوَى ... إلَيْكِ وَإنّي مِنْ هَواكِ لأَوْجَلُ
نَظَرْتِ بِبِشْرٍ نَظْرَةً ظَلْتُ أمْتَرِي ... بها عَبْرةٌ وَالعَيْنُ بِالدَّمْعِ تُكْحَلُ
إذا ما كَرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ رَدَّهُ ... مِنَ البُعْدِ فيَّاضٌ من الدَّمْعِ يَهْمِلُ

[لقاءٌ وهجر]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَة قال: لمَّا أراد جميلٌ الخروج إلى الشام، هجم ليلاً على بُثَيْنة وقد وجد غفلةً. فقالت له: أهلكتَني والله وأهلكتَ نفسك! وَيْحَكَ! أَمَا تخاف!. فقال لها: هذا وجهي إلى الشام، إنما جئتكِ مودِّعاً. فحادثها طويلاً ثم ودَّعها، وقال: يا بُثينة، ما

(١) النقا: الكثيب من الرمل. ويتهيّل: ينهال بعضه إثر بعض.
(٢) انبتّ الرجاء: انقطع.
(٣) يجذل: يفرح.
(٤) صفحه: جانبه.

أرانا نلتقي بعد هذا، وبكيا طويلاً، ثم قال لها وهو يبكي: [الطويل]

أَلاَ لا أُبالِي جَفْوَةَ النّاس ما بَدَا ... لَنا مِنْكِ رَأْيٌ يا بُثَيْنَ جَمِيلُ
وما لَمْ تُطِيعي كاشِحاً أو تَبَدَّلي ... بنا بَدلاً أو كانَ منكِ ذُهُولُ[1]
وَإنّي وتَكْرارِي الزِّيارَةَ نَحْوَكُمْ ... بُثَيْن بِذِي هَجْرِ بُثَينَ يَطُولُ
وإن صَبَاباتِي بِكُمْ لَكَثِيرَةٌ ... بُثَيْن ونِسْيانِيكُمُ لَقَلِيلُ

[يهجو ولا يمدح]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكار قال: حدّثني شيوخٌ من عُذْرة: أنّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوَّاسُ بن قُطْبة أخو عُبيد اللّه بن قُطْبة. فقال مروان لجَوَّاس: إنزل فأَرْجُزْ بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جوَّاس وقال: [الطويل]

يقولُ أميري هَلْ تَسُوقُ رِكابَنا ... فقلتُ له حادٍ لَهُنَّ سَوائِيَا
تَكَرَّمتُ عن سَوْق المَطِيِّ ولم يكنْ ... سِيَاقُ المَطِيِّ هِمَّتي ورَجائيا
جعلتَ أبي رَهْناً وعِرْضِيَ سادِراً ... إلى أهْل بِيْتٍ لم يكونوا كِفائيا
إلى شَرِّ بَيْتٍ من قُضَاعَةَ مَنْصِباً ... وفي شَرِّ قَوْم منهمُ قد بَدَا لِيَا

فقال مروان: اركَبْ لا ركِبْتَ!. ثم قال لجميل: انزلْ فأرجُزْ بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جميل فقال: [الرجز]

أنا جَمِيلٌ في السَّنام الأعْظَمِ ... الفارع النَّاسَ الأعَزِّ الأكْرَمِ
أَحْمِي ذِمَارِي وَوَجَدْتُ أَقْرُمِي ... كانوا علَى غارِبِ طَوْدٍ خِضْرِمِ[2]
أَعْيا عَلَى النَّاسِ فلم يُهَدَّمِ

فقال: عَدِّ عن هذا. فقال جميل: [الرجز]

لَهْفاً عَلى البَيْتِ المَعَدِّي لَهْفا ... من بَعْدِ ما كانَ قد اسْتَكَفَّا
وَلَوْ دعا الله ومَدَّ الكَفَّا ... لَرَجَفَتْ منهُ الجِبالُ رَجْفَا

فقال له: اركَبْ لا ركبتَ!

---

(١) الكاشح: المبغض

(٢) الأقرم: جمع قلة لقرم. وهو: السيد الكريم. والغارب: العالي. والطود: الجبل. والخضرم: الواسع.

قال الزُّبير وحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال: كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرجزَ به مَكِين العُذْرِيّ فقال: [الرجز]

يا بَكْرُ هَلْ تَعْلَمُ مَنْ عَلاَكَا خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى ذُراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارْجُزْ، وظنّ الوليد أنه يمدَحه. فنزل فقال: [الرجز]

أنا جَمِيلٌ في السَّنَام مِنْ مَعَدّ في الذُّرْوةِ العَلْياءِ والرُّكْنِ الأَشَدّ
والبيتِ من سَعْدِ بن زَيدٍ والعَدَدْ ما يَبْتَغِي الأعداءُ منِّي وَلَقَدْ
أُضْرِيَ بِالشَّتْمِ لِسانِي وَمَرَدْ أَقُودُ مَنْ شِئتُ وصعْبٌ لم أُقَدْ[1]

فقال له الوليد: اركب لا حَمَلَكَ الله!. قال: وما مدَح جميل أحداً قطّ.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزّبير قال: حدّثنا يونس بن عبد للّه بن سالم قال: وقف جميلٌ على الحَزين الدِّيليّ[2] والحزينُ يُنشد الناسَ. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تَسْمع شعري؟ قال: صالحٌ وسَط. فغضب الحزين وقال له: ممَّن أنت؟ فواللّه لأهجونَّك وعشيرتَك!. فقال جميل: إذاً تَنْدَم. فأقبل الحزين يُهَمْهِم يريد هجاءه. فقال جميل: [البسيط]

الدِّيلُ أذْنابُ بَكْرٍ حينَ تَنْسُبُهُمْ وَكُلُّ قَوْمٍ لهم من قَوْمِهِمْ ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه الله إلاّ كَفَّ عنهم، ولم يزالوا به حتى أمسك وآنصرف.

أخبرني الحرميّ ومحمد بن مَزْيَد ـ واللفظ له ـ قالا: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال: لمّا هاجى عُبَيدُ اللّه بن قُطْبة جميلاً وآستعلَى عليه جميلٌ، أعرض عنه، وأعترضه أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أُختاً لجميل. وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا يَنْصِب له[3]، حتى هجا أُخته فقال فيما ذكرها به من شعره: [الطويل]

إلى فَخِذَيْها العَبْلَتَيْنِ وكانَتا بِعَهْدِيَ لَفّاوَيْنِ أُرْدِفتا ثِقْلا[4]

---

(١) أضري بالشتم: لهج به.
(٢) الحزين بن سليمان الديلي احد شعراء العصر الأموي. هجّاء خبيث اللسان. توفي نحو سنة ٩٠هـ.
(٣) لا ينصب له: لا يناصبه العداء.
(٤) العبل: الضخم. واللفّاء: المكتنزة باللحم.

فغضِب جميلٌ حينئذ فواعده للمراجزة. قال الزُّبَير: فحدّثني بعضُ آلِ العبَّاس بن سَهْل بن سعد عن عبَّاس قال: قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَرْوان وقد أجازني وكَسَاني بُرْداً، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتي، فنزلتُ واديَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي الذي من عند عبد الملك وقلت أُصلّي مع الناس؛ فلقيني جميل، وكان صديقاً لي، فسلَّم بعضُنا على بعضٍ وتساءلْنا ثم افترقنا. فلما أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رَحْلي فقال: البُرْد الذي رأيتُه عليك تُعِيرُنِيهِ حتى أتجمَّل به؛ فإنَّ بيني وبين جَوَّاس مُرَاجَزةً، وتحضُر فتسمعُ. قال: قلت: لا بل هو لكَ كُسْوة، فكسوته إيَّاه، وقلت لأصحابي: ما من شيء أَحَبُّ إليّ من أن أسمع مُرَاجزتهما. فلمَّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أَرْسالاً حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ، وحضرتُ وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلَّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطُّ، وإذا بُرْدِي الذي كسوتُه إيَّاه قد جعله جُلاًّ لجمله؛ فتَرَاجَزا فرجزَ جميل، وكانت بُثَينة تُكْنَى أُمّ عبد الملك، فقال: [الرجز]

يا أُمّ عَبْدِ المَلِكِ اصْرِمِينِي	فبَيِّنِي صَرْمِي أوْ صِلِينِي
أَبْكِي وما يُدْرِيكِ ما يُبْكِينِي	أَبْكِي حِذَارَ أنْ تُفَارِقِينِي
وَتَجْعَلِي أَبْعَدَ مِنِّي دُونِي	إنَّ بَنِي عَمِّكِ أَوْعِدونِي
أن يَقْطَعُوا رأسِي إذا لَقُونِي	وَيَقْتُلُونِي ثم لا يَدُونِي[1]
كلاَّ وَرَبُّ البَيْتِ لو لَقُونِي	شَفْعاً ووَتْراً لَتَوَاكَلُونِي[2]
قد عَلِمَ الأعداءُ أنّ دُونِي	ضَرْباً كإيزاغ المخاضِ الجُونِ[3]
أَلاَ أَسُبُّ القَوْمَ إذ سَبُّونِي	بَلَى وما مَرَّ عَلَى دَفِينِ[4]
وسابحاتٍ بِلِوَى الحَجُونِ	قد جَرَّبُونِي ثم جرَّبونِي
حتى إذا شابُوا وشَيَّبُونِي	أخزاهُمُ الله ولا يُخْزِينِي
أَشْبَاهُ أَعْيَارٍ على مَعِينِ	أَخْسَنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُونِ[5]
فَهُنَّ يَضْرِطْنَ من اليَقِينِ	أنا جَمِيلٌ فتَعَرَّفونِي

(١) يدوني: يدفعون ديتي.

(٢) تواكلوني: وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً منّي وجبناً.

(٣) الإيزاغ: إخراج البول دفعة واحدة. والمخاض: النوق الحوامل. والجون: السود.

(٤) دفين: موضع. (انظر معجم البلدان ٢/٤٥٨).

(٥) الأعيار: جمع العير، وهو الحمار.

وما تَقَنَّعتُ فتُنكِروني وما أُغَنّيكُمْ لتَسألوني
أُنمَى إلى عاديَّةٍ طَحُونِ يَنشقُّ عنها السَّيلُ ذو الشُّؤونِ
غَمْرٌ يَدُقُّ رُجُحَ السَّفينِ ذو حَدَبٍ إذا يُرَى حَجُونِ[١]
تَنحَلُّ أحقادُ الرِّجالِ دُوني

قال: ورجَز جميل أيضاً: [الرجز]

أنا جَميلٌ في السَّنام من مَعَدّ

وقد تقدَّمت هذه الأُرْجوزة. ثم رجزَ بعده جَوَّاسٌ فلم يصنع شيئاً. قال: فما رأيتُ غَلَبَةً مثلَها قطُّ.

أخبرنا الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثنا بهْلول بن سليمان عن العلاَء بن سعيد البَلَوِيّ وجماعةٍ غيره من قومه أنّ رجلاً من بني عُذْرة كان يقال له خَوَّاتٌ، أُمُّه بَلَوِيَّة، وكان شاعراً، وكان جميل ابن جُذَامِيَّة. فخرج جميل إلى أخواله بجُذَام وهو يقول:

جُذَامُ سُيوفُ الله في كلِّ مَوطِنٍ إذا أَزَمَتْ يَومَ اللِّقاءِ أَزَامِ[٢]
هُمُ مَنَعُوا ما بَيْنَ مِصْرَ فَذِي القُرَى إلى الشّامِ مِنْ حِلٍّ بهِ وحَرَامِ
بِضَرْبٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِهِ وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخَاضِ تُؤَامِ[٣]
إذا قَصُرتْ يَوماً أَكُفُّ قَبِيلةٍ عن المَجْدِ نالَتْهُ أَكُفُّ جُذَامِ

فأعطَوْه مائة بَكْرة. قال: وخرج خَوَّاتٌ إلى أخواله من بَلِيّ وهو يقول:

[الطويل]

إنَّ بَلِيّاً غُرَّةٌ يُهتَدَى بها كما يَهتَدِي السّارِي بمُطَّلَعِ النَّجْمِ
هُمُ وَلَدُوا أُمِّي وَكُنْتُ ابنَ أُخْتِهِمْ ولم أَتَخَوَّلْ جِذْمَ قَوْمٍ بلا عِلْمِ[٤]

قال: فأعطَوه مائة غُرَّة ما بين فرس إلى وَليدة؛ ففخَر على صاحبه، وذكر أن

(١) رجح السفين: السفن الراجحة الثقيلة. ذو حَدَب: ذو ارتفاع. وحجون: بعيد.
(٢) أزام: شدّة، وهي مبنية على الكسر.
(٣) السَّكَنات: جمع سكنة، وهي مقر الرأس من العنق.
(٤) أتخوّل: أتخذ خالاً. والجذم: الأصل.

الغُرَّة الواحدةَ ممَّا أتَى به ممَّا معه تَعْدِل كلَّ شيء أتى به جميل. فقال عُبَيْد اللَّه بن قُطْبة: [الوافر]

ستَقضِي بَينَنا حُكَماءُ سَعْدٍ أقُطْبَةُ كانَ خَيراً أم صُبَاحُ

قال: وكان عبد اللَّه بن مَعْمَر أبو جميلٍ يلقَّب صُبَاحاً. وكان عُبَيد اللَّه بن قُطْبة يلقَّب حماظاً. فقال النَّخَّار العُذْريّ أحد بني الحارث بن سعد: قُطْبةُ كان خيراً من صُبَاح. فقال جميل يهجو بني الأحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخَّار:

إنَّ أَحَبَّ سُفَّلٌ أشْرارُ حُثَالَةٌ عُودُهُمُ خَوَّارُ[1]
أذَلُّ قَوْمٍ حِينَ يُدْعَى الجارُ كما أذلَّ الحارثَ النَّخَّارُ

وقال الأُبَيْرِق العُتْبي: قُطْبة كان خيراً من صُبَاح. فقال جميل: [البسيط]

يابْنَ الأُبَيْرِقِ وَطْبٌ بِتَّ مُسْنِدَهُ إلى وِسَادِك من حُمِّ الذُّرَى جُونِ
وأكلتانِ إذا ما شِئْتَ مُرْتَفِقاً بالسَّيْرِ مِنْ نَغَلِ الدِّفِينِ مَدْهونِ
أُذكُرْ وأُمِّكَ مِنِّي حِينَ تَنْكُبُنِي جِنِّي فيَغْلِب جِنِّي كُلَّ مَجْنُونِ

وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد في تفضيل قُطْبة على صُبَاح أقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له جعفر بن سُرَاقة أحدُ بني قُرَّة: [الطويل]

نَحْنُ مَنَعْنا ذَا القُرَى من عَدُوِّنا وعُذْرةَ إذ نَلْقَى يَهُوداً ويعشرا[2]
مَنَعْناهُ مِنْ عُلْيَا مَعَدٍّ وأنْتُمْ سَفَاسِيفُ رَوْح بين قُرْحَ وخَيْبَرَا[3]
فَرِيقانِ رُهْبَانٌ بأسفَلِ ذي القُرَى وبالشّأمِ عَرَّافُونَ فيمن تَنَصَّرَا

فلمَّا بلغتْ جميلاً اتَّقاه وعلم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل: [الطويل]

بَني عامرٍ أنَّى انْتَجَعْتُمْ وَكُنْتُمُ إذا حُصِّلَ الأقوامُ كالخُصْيةِ الفَرْدِ
فأنتم ولأيٍّ مَوضِعَ الذُّلِّ حَجْرَةً وقُرَّةُ أَوْلَى بالعَلاء وَبالمَجْدِ

فأعرض عنه جعفر ـ قال الزبير: بنو عامر بن ثَعْلَبة بن عبد اللَّه بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بن خَشْرَم بن كُرْز بن أبي حَيَّة بن الكاهن وهو

---

(١) السفل: جمع سافل، وهو الدنيء، ويقال لأسافل الناس وغوغائهم: سِفِلة.
(٢) يعشرا: غير واضحة المعنى، ولعلها تصحيف.
(٣) السفاسيف: جمع سفساف، وهو التراب الدقيق. والرَّوح: الريح. وقرح: سوق وادي القرى وقصبتها.

سَلَمة بن أَسْحَم بن عامر بن ثَعْلبة بن عبد اللّه بن ذُبْيان بن سعد هُذَيْم بن زيد. وزِيادَةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّة بن خِنْبِس بن عمرو بن ثَعْلبة بن عبداللّه بن ذُبْيان بن الحارث بن سَعْد هُذيم. ولأي بن عبد مَنَاة بن الحارث بن سعد هُذَيم ـ قال: فدخل جميل على هُدْبَةَ بن خَشْرَم السجنَ وهو محبوس بدم زِيَادَةَ بن زيد، وأهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيَّاهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقةٍ؛ فلما دخل عليه عرَض ذلك عليه؛ فقال هُدْبة: أنت يأبنَ قَمِيئةٍ[1] الذي تقول:

[الطويل]

بَنِي عامِرٍ أنّى أنْتَجَعْتُمْ وَكُنْتُمُ إذا عُدِّدَ الأقْوامُ كالخِصْيَةِ الفَرْدِ

أَمَا واللّه لئن خَلَّص اللّه لي ساقَيَّ لأَمُدّنّ لك مضمارَك؛ خذ بُرْدَيْكَ ونفقتَك. فخرج جميل؛ فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغْنِ عنِّي أَجْدَعَ بني عامر! وكانت بنو عامر قد قَلُّوا فحالفوا لأياً.

[لقاء جميل وعمر وتناشدهما الشعر]

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء ومحمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزْهر قالا: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخْزُوميّ قال: حدّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ

قال: شهدتُ عمرَ بن أبي رَبيعة وجميلَ بن عبد اللّه بن مَعْمَر وقد آجتمعا بالأبطح؛ فأنشد جميلٌ قصيدته:

[الطويل]

لَقد فَرِحَ الواشونَ أن صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةُ أو أبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولونَ مَهْلاً يا جَميلُ وإنني لأُقسِمُ ما بي عن بُثَيْنةَ من مَهَلِ
أَحِلْماً فَقَبْلَ اليَوْمِ كانَ أوانُهُ أَمَ اَخْشَى فقبلَ اليوم أُوعِدْتُ بالقتلِ
لَقَدْ أَنكَحُوا حَرْبِي نُبَيْهاً ظَعِينةً لَطِيفَةَ طَيِّ البَطْنِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ[2]

(١) القميئة: الذليلة، الوضيعة.

(٢) الشَّوَى: الأطراف. والخدل: الناعم البض.

وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ ... لآخرَ لم يَعْمِدْ بِكَفٍّ ولا رجْلِ
إذا ما تراجعنا الذي كانَ بيننا ... جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عينَيْ بُثَيْنةَ بالكُحْلِ

صوت

كلانا بَكَى أو كادَ يَبْكي صَبابَةً ... إلى إلْفِهِ واسْتَعْجَلَتْ عَبْرةً قَبْلِي
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلي مَعِي ما طَلَبْتُها ... ولكنْ طلابِيها لِمَا فاتَ من عقلي
فيا وَيْحَ نَفسي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بها ... ويا وَيْحَ أهلي ما أُصِيبَ بهِ أهْلِي
وقالت لأتراب لها لا زَعَانِفٍ ... قِصارٍ ولا كُسٍّ الثَّنَايا ولا ثُعْلِ[1]
إذا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهار اتَّقَيْنَها ... بأكسِيةِ الدِّيباج والخَزِّ ذي الخَمْلِ
تَدَاعَيْنَ فاسْتَعْجَمْنَ مَشْياً بِذِي الغَضَا ... دَبِيبَ القَطا الكُدْرِيِّ في الدَّمِثِ السَّهْلِ[2]
إذا ارْتَعْنَ أو فُزِّعْنَ قُمْنَ حَوالَها ... قِيامَ بناتِ الماءِ في جانِبِ الضَّحْلِ[3]
أَجِدِّيَ لا أَلْقَى بُثَيْنَةَ مَرَّةً ... مِنَ الدَّهْرِ إلا خائفاً أو على رِجْلِ[4]
خَلِيلِيَّ فيما عِشْتُما هَلْ رَأَيْتُما ... قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

قال: وأنشده عمرُ قوله: [الطويل]

جَرَى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيني وبينَها ... فَقَرَّبني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي
فَما أَنس م الأشياءِ لا أَنسَ مَوْقِفِي ... وَمَوْقِفَها وَهْناً بقارِعَةِ النَّخْلِ[5]
فلمَّا تواقَفْنا عَرَفْتُ الَّذِي بها ... كَمِثْلِ الّذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فَقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وَأَهْلُنا ... قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ
فقالَتْ فما شِئْتُنَّ قُلْنَ لها انْزِلي ... فَلَلأَرْضُ خَيْرٌ من وُقُوفٍ على رَحْلِ
فَأقبَلْنَ أمثالَ الدُّمَى فَاكْتَنَفْنَها ... وَكُلٌّ يُفَدِّي بالمَوَدَّةِ والأَهْلِ
نُجُومٌ دَرارِيٌّ تَكَنَّفْنَ صُورَةً ... مِنَ البدرِ وافَتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجْلِ[6]
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةَ أَنْ يَرَى ... عَدُوٌّ مكانِي أَوْ يَرَى كاشِحٌ فِعْلِي

---

(١) الزعانف: جمع زعنفة، وهي أردأ كل شيء. والكسّ: جمع كشاء وهي القصيرة الأسنان. والثعل: جمع ثعلاء، وهي من لها سن زائدة، أو دخلت إحدى أسنانها تحت الأخرى.

(٢) استعجم: سكت.

(٣) بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء. والضحل: الماء القليل.

(٤) الرجل: الخوف، الفزع.

(٥) وهناً: نحو منتصف الليل أو بعده بساعة.

(٦) الثجل: جمع ثجلاء، وهي العظيمة البطن المسترخية.

فقالَتْ وأَلْقَتْ جانبَ السِّتْرِ إنَّما ... مَعِي فتَحدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أهلي
فَقُلْتُ لها ما بِي لَهُمْ من تَرَقُّبٍ ... وَلٰكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلي
فلمّا ٱقْتَصَرْنا دُونَهُنَّ حَدِيثَنا ... وهُنَّ طَبِيباتٌ بحاجَةِ ذي التَّبْلِ[1]
عَرَفْنَ الذي نَهْوَى فقُلْنَ ٱئذَنِي لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ
فقالَتْ فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تَحَدَّثِي ... أتيناكِ وٱنسَبْنَ ٱنسِيابَ مَهَا الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقد أفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنَّما ... أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِينَ من ذاكَ من أَجْلِي

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخَطَّاب[2]! لا أقولُ واللَّهِ مثلَ هذا سَجِيسَ[3] الليالي! وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أحد؛ وقام مشمِّراً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هَلْ رأيتُما ... قَتيلاً بَكَى من حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي
أَبِيتُ مَعَ الهُلاَّكِ ضَيْفاً لأهلها ... وَأَهْلي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذوو فَضْلِ
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِي ما طَلَبْتُها ... وَلٰكِنْ طِلاَبِيها لِمَا فاتَ مِنْ عَقْلِي

الغناء للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر حَمَّاد والهشاميّ أن فيه لنافع الخير مولى عبد اللَّه بن جعفر لحناً من الثقيل الأوّل.

ومنها:

صوت

[الطويل]

أَلاَ أَيُّها البَيْتُ الَّذي حِيلَ دُونَهُ ... بنا أنتَ مِنْ بَيْتٍ وأَهْلُكَ من أهْلِ
ثلاثةُ أبياتٍ فَبَيْتٌ أُحِبُّهُ ... وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شكلي
كِلاَنا بَكَى أو كادَ يَبْكِي صَبابَةً ... إلى إلْفِهِ وٱستَعْجَلتْ عَبْرةٌ قبلي

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل الثاني بالبنصر.

---

(١) ذو التبل: الذي تبله الحب وأسقمه الهوى.
(٢) ابو الخطاب: كنية عمر بن أبي ربيعة.
(٣) لا أقول مثله سجيس الليالي: أي لا أقول مثله أبداً.

ومنها :

صوت

[الطويل]

لقد فَرِحَ الواشُونَ أن صَرَمَتْ حَبلي ... بُثَيْنَةُ أو أَبدَتْ لنا جانِبَ البُخْلِ

يقولون مَهْلاً يا جَميلُ وإنَّني ... لأُقسِمُ ما بِي عَنْ بُثَينةَ مِنْ مَهْلِ

الغناء لابن مُحْرِز من كتاب يونُس ولم يجنِّسْه، وذكر إسحاقُ أنه مما ينسَب إلى ٱبن مُحْرِز وابن مِسْجَح، ولم يصحّ عنده لأيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه.

[نافع يغنّي شعر جميل عند معاوية ثم يزيد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حدّثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسَّان قال: أخبرني نافعٌ مولى عبد اللَّه بن جعفر ـ وما رأيت أحداً قطُّ كان أشكلَ ظَرْفاً ولا أزينَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه ـ قال: قدِمْنا مع عبد اللَّه بن جعفر مرَّة على معاوية؛ فأرسل إليّ يزيدُ يَدعوني؛ فقلت: أكرَه أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني إلى ٱبن جعفر. قال: فَٱمْهَلْ حتى إذا سمَر أميرُ المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ ونَخْلُو نحن بما نريد قبل قيامِهما. فأتيتُه فغنَّيْتُه؛ فواللَّه ما رأيتُ فتًى أشرفَ أَرْيحيَّةً منه؛ واللَّه لألْقَى عليّ من الكُسَا الخَزّ والوَشْي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنَّا فيه، حتى قام معاويةُ ونَهض ابنُ جعفر معه، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية؛ فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يابنَ جعفر؟ قال: هذا واللَّه صوتُ نافع. فدخل علينا؛ فلما أحسَّ به يزيدُ تَناوم. فقال له معاوية: ما لك يا بُنَيّ؟ قال: صُدِعْتُ فرجوتُ أن يَسْكُنَ عنِّي بصوتٍ هذا. قال: فتبسَّم معاويةُ وقال: يا نافع، ما كان أَغْنانا عن قُدومِك!. فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحَايين يُذْكِي القلبَ. قال: فضحك معاويةُ وانصرف. فقال لي ٱبن جعفر: وَيْلَك! هل شرِب شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: واللَّه إنِّي لأرجو أن يكون من فِتْيان بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم. قال نافع: ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبد اللَّه بن جعفر بعدما ٱستُخْلِف، فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم. فلما نظرَ إليّ تبسَّم. ثم نَهض ٱبنُ جعفر وتبِعْناه. فقيل له: نظرَ إلى نافعٍ وتبسم. فقال ابنُ جعفر: هذا تأويلُ تلك الليلة. فقضى

حوائجَ ابن جعفر وأَضْعف ما كان يَصِلُه به معاويةُ. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه. قال: وَيْحَك يا نافع! ما أَخَّرْتُك إلا لأتفرَّغ لك. هاتِ لَحْنَك:

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هَلْ رَأيتُما قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

فأسمعتُه؛ فقال: أعِدْ وَيْلَك! فأعدتُه، ثم قال: أعدْ فأعدْتُه ثلاثاً. فقال: أحسنتَ؛ فسَلْ حاجتَك. فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلا أَعْطَانِيه. ثم قال: إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل ابن الزُّبَير فلعلَّنا أن نَحُجَّ فتَلْقانا بالمدينة!فإنّ هذا الأمرَ لا يصلحُ إلا هناك. قال نافع: فمَنَعنا والله من ذلك شُؤْمُ ابن الزُّبير.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفَرِيّ قال: حدّثنا القاسم بن أبي الزِّناد قال: خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامَ، فلما كان بالجَنَاب[1] لقيه جميلٌ، فقال له عمرُ: أنشدْني، فأنشده:

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هَلْ رأيتُما قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قاتِلِهِ قَبْلِي

ثم قال جميل: أنشِدْني يا أبا الخَطّاب، فأنشده: [الطويل]

ألم تَسْألِ الأطلالَ والمُتَربَّعَا بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا

فلما بلغ إلى قوله:

فَلَمّا تَواقَفْنا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وُجُوهٌ زَهاها الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفانِ لمّا عَرَفْنَنِي وَقُلْنَ آمْرُؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا
وَقَرَّبْنَ أَسْبابَ الهَوَى لِمُتَيَّمٍ يَقِيسُ ذِراعاً كلَّما قِسْنَ إصْبَعَا

قال: فصاح جميلٌ وآستَخْذَى وقال: ألاَ إن النَّسيب أُخذ من هذا، وما أنشده حرفاً. فقال له عمر: اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها. فقال له جميل: قد أَهْدر لهم السلطانُ دَمِي إن وجدوني عندها، وهاتِيكَ أبياتُها. فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنَّس حتى كُلِّم؛ فقال: يا جارية، أنا عمرُ بن أبي ربيعة، فأَعْلِمِي بثينة مكاني. فخرجتْ إليه بثينةُ في مَبَاذِلها وقالت: واللّه يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللاّتي يزعُمْنَ أن قد قتلهنّ الوجدُ بك؛ فآنكسر عمر؛ قال: وإذا امرأةٌ أَدْماءُ

(١) الجناب: موضع في أرض بني كلب بين العراق والشام في السماوة. (معجم البلدان ٢/ ١٦٤).

طُوَالَةٌ[١].

وأخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أبي هِفَّان عن إسحاق عن المسيَّبيّ والزّبَير فذكر مثلَ ما ذكره الزبير وزاد فيه قال: فقال لها قولَ جميل: [الخفيف]

وهُـمَـا قـالـتـا لَـوَ اَنَّ جَـمِـيـلاً عَـرَضَ الـيـومَ نَـظْـرةً فَـرَآنـا
بَـيْـنَـمـا ذاكَ مـنـهـمـا وإذا بِـي أُعْـمِـلُ الـنَّـصَّ سَـيْـرةً زَفَـيـانَـا[٢]
نَـظَـرَتْ نَـحْـوَ تِـرْبِـهـا ثـمَّ قـالـتْ قـد أتـانـا ـ ومـا عَـلِـمْـنـا ـ مُـنَـانَـا

فقالت: إنه ٱستَمْلَى منك فما أَفْلح؛ وقد قيل: اربُطِ الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلَّم من جَرْيه تعلَّم من خُلُقه.

وذكر الهَيْثَم بن عَديّ وأصحابه في أخبارهم: أن جميلاً طال مُقامُه بالشام ثم قدِم، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحيّ تذكُر شوقَها إليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلة في لقائه، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه؛ فسار إليها وحدَّثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقد كان أهلُها رَصَدوها، فلما فَقدوها تبِعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميلٌ فٱنْتَضَى سيفَه وشَدَّ عليهما فٱتَّقياه بالهرب؛ وناشدتْه بثينةُ اللّهَ إلاَّ انصرف، وقالت له: إن أقمتَ فضَحْتَني، ولعل الحَيّ أن يَلْحقوك. فأبى وقال: أنا مقيمٌ وٱمْضِي أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أحبُّوا. فلم تزل تُناشده حتى انصرف. وقال في ذلك وقد هجرتْه وٱنقطع التلاقي بينهما مدَّة: [الطويل]

أَلَـمْ تَـسْـأَلِ الـرَّبْـعَ الـخَـلاَءَ فَـيَـنْـطِـقُ وَهَـلْ تُـخبِـرنْكَ اليومَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ[٣]
وَقَـفْـتُ بِـهـا حَـتَّـى تَـجلَّـتْ عَـمَـايتِي وَمَلَّ الـوُقُـوفَ الأَرْحَـبِـيُّ الـمُـنَـوَّقُ[٤]
تَـعَـزَّ وإن كـانَـتْ عَـلَـيْـكَ كَـرِيـمَـةً لَـعَـلَّـكَ مِـنْ رِقٍّ لِـبَـثْـنَـةَ تَـعْـتِـقُ
لَـعَـمْـرُكُـم إن الـبِـعـادَ لَـشـائِـقِـي وَبَـعْـضُ بِـعـادِ الـبَـيْـنِ والـنـأي أَشْـوَقُ
لَـعَـلَّـكَ مَـحْـزُونٌ ومُـبْـدٍ صَـبَـابَـةً ومُـظْـهِـرُ شَـكْـوَى مـن أُنـاسٍ تَـفَـرَّقُـوا
وَبِـيـضٍ غَـرِيـراتٍ تُـثَـنِّـي خُـصُـورَهـا إذا قُـمْـنَ أَعْـجـازٌ ثِـقَـالٌ وأَسْـؤُقُ[٥]

(١) الأدماء: الشديدة السمرة. والطوالة: الطويلة.
(٢) النصّ: السير الشديد عند الهاجرة. وزفياناً: سريعاً.
(٣) سملق: قفر لا نبات فيها.
(٤) الأرحبي: النجيب من الإبل. والمنوّق: المذلَّل، المروَّض.
(٥) الأسؤق: جمع الساق.

غَرائرَ لم يَلْقَيْنَ بؤسَ مَعيشَةٍ يُجنُّ بهنَّ النّاظرُ المُتَنَوِّقُ[١]
وغَلْغَلْتُ من وَجْدٍ إليهنَّ بَعْدَما سَرَيْتُ وأحْشائي من الخوف تَخفِقُ[٢]
معي صارِمٌ قد أخْلصَ القَيْنُ صَقْلَهُ لَهُ حينَ أغْشيهِ الضَّريبَةَ رَوْنَقُ[٣]
فلولا ٱحتيالي ضِقْنَ ذَرْعاً بِزائِرٍ به من صَباباتِ إليهنَّ أوْلَقُ[٤]
تَسُوكُ بقُضْبانِ الأَرَاكِ مُفَلَّجاً يُشَعْشِعُ فيه الفارِسِيُّ المُرَوَّقُ[٥]
أبَثْنَةُ لَلْوَصْلُ الَّذي كانَ بينَنا نَضَا مثلَ ما يَنْضُو الخِضابُ فيَخْلُقُ
أبَثْنَةُ ما تَنْأَيْنَ إلاَّ كأنَّني بِنَجْمِ الثُّرَيَّا ما نأيْتِ مُعَلَّقُ

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أنْشِدْني أحسنَ ما تعرِف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتَعَتِّب[٦]. فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل: [الطويل]

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصَفْوٍ ذَنَائِبُهْ ودَعْهُ إذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشَارِبُهْ[٧]
أعاتِبُ مَنْ يحلو لَدَيَّ عِتابُهُ وأتْرُكُ مَنْ لا أشْتَهي وأُجَانِبُهْ
وَمِنْ لذَّة الدُّنيا وإنْ كُنْتَ ظالماً عِناقُكَ مظلوماً وأنتَ تُعاتِبُهْ

فقال: أَحْسنَ واللَّه! أعِدْها عليّ؛ فأعدتُها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم.

[فشله في لقاء بثينة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعيديّ قال: حدّثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيْماء قال:

كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدِّثني وأُحدِّثه، إذ ثار وتربَّد وجهُه، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أرى، ووثب نافراً مُقْشَعِرَّ الشعر متغيِّر اللون، حتى

---

(١) المتنوّق: المبالغ في تجويد أموره وتحسين لباسه.
(٢) غلغلت: أصابني الجهد والتعب.
(٣) القين: صانع السيوف.
(٤) الأولق: الجنون.
(٥) الفارسيّ المروّق: الخمر المصفاة.
(٦) متعتب: متجنٍّ.
(٧) الذنائب جمع ذنوب، وهو الدلو العظيمة. والطرق: أن تبول الإبل في الماء وتبعر فيه فتكدّره.

أُتِيَ بناقةٍ له قريبةٍ من الأرض مُجْتَمِعةٍ مُوَثَّقةِ الخَلْق فشَدَّ عليها رَحْلَه، ثم أُتيَ بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربه، ثم ثنَّى فشربت حتى رَويت؛ ثم قال لي: اشْدُدْ أداة رَحْلِك واشرَبْ واْسْقِ جَمَلك فإني ذاهبٌ بك إلى بعض مَذَاهبي، ففعلتُ. فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي، فسِرْنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا كلَّه، لا واللَّه ما نزلنا إلا للصَّلاة، فلما كان اليومُ الثالثُ دَفعنا إلى نسوةٍ فمال إليهنّ، ووجدنا الرجال خُلُوفاً[1]، وإذا قِدْرُ لبنٍ ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً. فلما رأيتُ القِدْرَ اْقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً، ثم أدخلتُ رأسي في القِدْر ما يثْنِيني حَرُّها حتى رَويت؛ فذهبتُ أُخْرِجُ رأسي من القِدْر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسِية[2]. فضَحِكْن منّي وغَسَلْنَ ما أصابني. وأُتِيَ جميلٌ بقِرًى فواللَّه ما التفت إليه. فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَوَاعِي الإبل[3]، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم؛ وجاء الناسُ فقالوا له: وَيْحَكَ! اْنْجُ وتَقَدَّمْ! فواللَّه ما أَكْبَرَهم كلَّ الإكبار. وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه، فإذا قَرُبوا منه قاتلهم ورمَى فيهم. وهامَ بِي جَمَلي، فقال لي: يَسِّرْ لنفسك مَرْكباً خلفي، فأَرْدَفَني خَلْفَه. ولا واللَّه ما انكسر ولا انْحلَّ عن فِرْصَته[4] حتى رجع إلى أهله، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيَّام وما التفت إلى طعام.

[لومٌ وجواب]

وشكا زوجُ بُثَينة إلى أبيها وأخيها إلْمامَ جميلٍ بها؛ فوجَّهوا إلى جميلٍ فأَعْذروا إليه وشكَوْه إلى عَشيرته وأَعْذروا إليهم وتوعَّدوه وإيّاهم. فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا: اسْتَخْلِصْ إليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك. فأقام مدَّةً لا يُلمّ بها. ثم لقي ابني عمِّه رَوْقاً ومسعدة، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

صوت

[الكامل]

زُورَا بُثَيْنَةَ فالحَبِيبُ مَزُورُ ... إنَّ الزِّيارَةَ لِلْمُحِبِّ يَسِيرُ

(١) خلوفاً: غائبين عن الحمى.
(٢) القلنسية: لغة في القلنسوة.
(٣) رواعي الإبل: الإبل الراعية.
(٤) الفرصة: القطعة من الصوف أو القطن.

إنَّ الترحُّلَ، إنْ تَلَبَّسَ أمْرُنا ... وَٱعتاقَنا قَدَرٌ أُحِمَّ، بكورُ

ـ الغناءُ لعَريبَ رَمَلٌ بالوسطى ـ

صوت

إنّي عَشِيَّةَ رُحْتُ وهي حَزِينَةٌ ... تشكو إليَّ صَبابَةً لَصَبُورُ
وتقولُ بِتْ عندي فَدَيْتُكَ ليلةً ... أشْكو إلَيْكَ فإنَّ ذاكَ يَسِيرُ

ـ الغناء لسُلَيم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر ذكر الهِشاميّ أنه لمُخارِق، وذكر حبش أنه لإبراهيم. وذكر حبش أن لحن مخارق خفيفُ رملٍ ـ

غَرَّاءُ مِبْسامٌ كأنَّ حَدِيثَها ... دُرٌّ تَحَدَّرَ نَظْمُه مَنْثُورُ
مَحْطُوطَةُ المَتْنَيْنِ مُضْمَرَةُ الحَشَى ... رَيَّا الرَّوادِفِ خَلْقُها مَمْكُور(١)
لا حُسْنِها حُسْنٌ ولا كَدَلالِها ... دَلٌّ ولا كَوقارِها تَوْقِيرُ
إنَّ اللسانَ بِذِكْرِها لَمُوكَّلٌ ... وَالقَلْبُ صادٍ والخواطِرُ صُور(٢)
وَلَئِنْ جَزَيْتِ الوُد منِّي مِثْلَهُ ... إنِّي بذلكَ يا بُثَيْنَ جَدِيرُ

فقال له رَوْق: إنك لعاجزٌ ضعيف في ٱستكانتك لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها، وإنَّك منها بين فجورٍ أرفَعُك عنه، أو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك، أو عمدٍ يُؤَدِّيك إلى التَّلَف، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعَرَّضتَ لها بعد إعذارهم إليك. وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرَّعتَ مرارةَ الحَزْم حتى تألَفَها وتَصْبِر نفسك عليها طائعةً أو كارهة ألِفْتَ ذلك وسَلَوْتَ. فبكى جميل وقال: يا أخي، لو ملكتُ اختياري لكان ما قلت صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا إلاّ كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألاَّ تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم، وأن تَحْمِلَ على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكاً نفسَك فٱعمَلْ على زيارتها ليلاً؛ فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلْعَب لهنَّ، فأجيءُ معك حينئذ سرّاً، ولي أخٌ من رَهْط بُثَينة من بني الأحَبّ، نَأوِي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتَكَ على هذا، فتقيم عنده

(١) محطوطة المتنين: ممدودتهما.
(٢) صُور: مائلات.

أيَّاماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقْضِيَ أَرَبَك؛ فشكره. ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رهط بُثَينة، فأخبره الخبرَ وٱستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه. فقال له: لقد جئتَني بإحدى العظائم؛ وَيْحَك! إن في هذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به. فقال: أنا أتحرَّز في أمره من أن يَظْهر، فواعَدَه في ذلك؛ ومضى إلى جميلٍ فأخبره القصة، فأتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده. وأرسل إلى بُثَينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه إليها؛ فلما رأته عرفتْ، فتَبِعتْها وجاءته فتحدَّثا ليلتَهما. وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودَّعها، وقال لها: عن غير قِلِيَ[1] واللّه ولا مَلَلٍ يا بُثَينة كان وَدَاعِي لك، ولكنِّي قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضِه نفسَه لقومه، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك، ثم ٱنصرف.

وقال في عَذْل رَوْقٍ ابن عمه إيَّاه: [الطويل]

لَقَدْ لامَنِي فيها أخٌ ذو قَرابَةٍ ... حَبيبٌ إليهِ في مَلامَتِهِ رُشْدِي
وقالَ أَفِقْ حتَّى متى أنتَ هائِمٌ ... ببَثْنَةَ فيها قد تُعِيدُ وقد تُبْدِي
فقلتُ له فيها قضَى الله ما تَرَى ... عليَّ وَهَلْ فيما قضَى الله مِنْ رَدِّ
فإنْ يَكُ رُشْداً حُبُّها أوْ غَوَايةً ... فَقَدْ جئتُهُ ما كانَ منِّي على عَمْدِ

صوت

لقد لَجَّ مِيثاقٌ منَ الله بَيْننا ... وليسَ لِمَنْ لم يُوفِ لِلّهِ من عَهْدِ
فلا وَأبيها الخَيْرِ ما خُنْتُ عَهْدَها ... ولا لِيَ عِلْمٌ بالَّذِي فَعَلَتْ بَعْدِي
وما زادَها الواشونَ إلا كَرامةً ... عليَّ وما زالتْ مَوَدَّتُها عِنْدِي

ـ الغناء لمتيَّم ثقيلٌ أوَّلُ عن الهشاميّ، وذكر ٱبن المعتزّ أنه لشارية، وذكر ابن خرْدَاذبه أنه لقَلَم الصالحيّة ـ

أفي النّاس أمثالي أَحَبَّ فَحَالُهُمْ ... كحالِيَ أمْ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي
وَهَلْ هٰكذا يلقَى المُحِبُّون مِثْل ما ... لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحَدٌ وَجْدِي

وقال جميل فيها: [الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا اليَوْمَ حتى تُسَلِّما ... على عَذْبةِ الأنيابِ طَيِّبةِ النَّشْرِ

---

(١) القلى: البغض.

أَلِمَّا بِهَا ثم اشْفَعا لي وسَلِّما عليها سَقاها اللَّهُ من سائغ القَطْرِ
وبُوحا بِذِكْري عندَ بَثْنَةَ وانْظُرا أترتاحُ يوماً أم تَهَشُّ إلى ذِكْري
فإنْ لم تَكُنْ تَقْطَعْ قُوَى الوُدِّ بيننا ولم تَنْسَ ما أسْلَفْتُ في سالفِ الدَّهْرِ
فَسَوْفَ يُرَى منها اشتياقٌ وَلَوْعةٌ بِبَيْنٍ وغَرْبٌ من مدامعِها يَجْرِي
وإن تَكُ قد حالَتْ عن العَهْدِ بَعْدَنا وأصْغَتْ إلى قولِ المُؤَنِّبِ والمُزْرِي
فَسَوْفَ يُرَى منها صُدُودٌ ولم تَكُنْ بِنَفْسِيَ من أهْلِ الخِيانَةِ وَالغَدْرِ
أعُوذُ بكَ اللَّهمَّ أن تشْحَطَ النَّوَى بِبَثْنَةَ في أدْنَى حَياتِي ولا حَشْرِي
وجَاوِزْ إذا ما مِتُّ بَيْنِي وَبَيْنَها فيا حَبَّذا مَوْتِي إذا جاوَرَتْ قَبْرِي
عَدِمْتُكَ من حُبٍّ أمَا مِنْكَ راحَةٌ وما بكَ عنِّي من تَوانٍ ولا فَتْرِ[1]
ألا أيُّها الحُبُّ المُبَرِّحُ هل تَرَى أخَا كَلَفٍ يُغْرِي بِحُبٍّ كما أُغْرِي
أجِدَّكَ لا تَبْلَى وَقَدْ بَلِيَ الهَوَى ولا يَنْتَهِي حُبِّي بُثَيْنَةَ لِلزَّجْرِ

صوت

هيَ البَدْرُ حُسْناً وَالنِّساءُ كَواكِبٌ وَشَتَّانَ ما بَيْنَ الكَوَاكِبِ وَالبَدْرِ
لقد فُضِّلَتْ حُسْناً على النَّاسِ مِثْلَما على ألْفِ شَهْرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنَّتْ شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ.

[تهاجرا ثم اصطلحا]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبَان قال: حدّثني الرحال بن سعد المازنيّ قال: وقع بين جميل وبثَينة هَجرٌ في غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدَّث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدَّث إلى غيرها، فيشُقُّ ذلك على بُثَينة وعلى جميل، وجعل كلُّ واحد منهما يَكْرَه أن يُبْدي لصاحبه شأنَه. فدخل جميلٌ يوماً وقد غلبَه الأمرُ إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثينة. فلما رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له؛ فجزع لذلك جميل، وجعل كلٌّ واحد منهما يُطالع صاحبه؛ وقد بلغ الأمر من جميل كلَّ مبلغ، فأنشأ يقول:

[الطويل]

لقد خِفْتُ أن يَغْتالَنِي المَوْتُ عَنْوةً وفي النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا

(١) الفَتْر: الفتور.

وإني لَتَثْنِينِي الحَفِيظَةُ كُلَّما لَقِيتُكِ يَوماً أنْ أَبُثَّكِ ما بِيا
ألم تَعْلَمِي يا عَذْبَةَ الرِّيقِ أنَّني أَظَلُّ إذا لم أُسْقَ رِيقَكِ صَادِيا

قال: فرَقَّتْ له بُثينة، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها: ما أحسنَ الصدقَ بأهله! ثم اصطلحا. فقالت له بثنية: أَنْشِدني قولَك: [الطويل]

تَظَلُّ وَرَاءَ السِّتْرِ تَرْنُو بِلَحْظِها إذا مَرَّ مِنْ أَتْرَابِها مَنْ يَرُوقُها

فأنشدها إيَّاها؛ فبكت وقالت: كلاًّ يا جميل! ومَنْ ترى أنه يَرُوقُني غيرُك!.

[خبر وفاته وأثره على بثينة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصْر المهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: ذكَر أيوب بن عَبَاية قال:

خرجتُ من تَيْمَاء في أغْباش[1] السَّحَر فرأيت عجوزاً على أتَان، فتكلَّمتْ فإذا أعرابيةٌ فصيحة. فقلت: ممن أنتِ؟ فقالت: عُذْرِيَّة. فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة؛ فقالت: والله إنَّا لعلى ماءٍ لنا بالجَنَاب وقد تنكَّبْنا الجادَّةَ[2] لجيوش كانت تأتينا من قِبَل الشام تُريد الحجاز، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلَّفوا معنا أحداثاً؛ فانحدروا ذاتَ عشيَّة إلى صِرْم[3] قريبٍ منا يتحدَّثون إلى جَوَارٍ منهم، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هَضْبةٍ تلْقاءنا، فسلَّم ونحن مُستوحشون وَجِلون. فتأمَّلتُه ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ. فقلت: أجميل؟ قال: إي والله؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقِطٌ مطحون وإلى عُكَّةٍ[4] فيها سَمْن ورُبٌّ[5]، فعَصَرْتها على الأَقِط ثم أدنيتُها منه وقلت: أَصِبْ من هذا، فأصاب منه؛ وقمتُ إلى سِقَاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً بارداً فشرِب منه وتراجعتْ نفسُه. فقلت له: لقد بلغتَ ولقِيتَ شَرّاً، فما أمرُك؟ قال: أنا والله في هذه الهَضْبةِ التي تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَرِيمُها أنتظر أن أرى فُرْجةً، فلما رأيتُ مُنْحَدَرَ فِتْيانكم أتيتُكم لأُوَدِّعكم وأنا عامدٌ إلى مِصْر. فتحدَّثنا ساعةً ثم ودَّعَنا وشخَص، فلم تَطُلْ غيبتُه أن جاءنا

---

(١) أغباش: جمع غبش، وهو ظلمة آخر الليل.
(٢) الجاذة: الطريق.
(٣) الصرم: الجماعة القليلة من الناس.
(٤) العكة: زق صغير للسمن.
(٥) الربّ: ما يطبخ من التمر.

نَعْيُه. فزعموا أنه قال حين حضرتْه الوفاة: [الكامل]

صَـدَعَ الـنَّـعِـيُّ ومـا كَـنـى بـجـمـيـلِ ... وثَـوَى بـمِـصْـرَ ثَـوَاءَ غـيـرِ قُـفـولِ[١]
ولـقـد أجُـرّ الـذَّيْـلَ فـي وادي الـقُـرَى ... نَـشْـوانَ بـيـن مـزارعٍ ونـخـيـلِ
قُـومِـي بُـثَـيـنَـةُ فـانْـدُبِـي بـعَـوِيـلِ ... وأبـكِـي خـلـيـلَـكِ دونَ كـلِّ خـلـيـلِ

أخبرني أبو الحسن الأسَدِيّ قال: حدّثني محمد بن القاسم عن الأصمعيّ قال: حدّثني رجلٌ شهد جميلاً لمَّا حضرتْه الوفاة بمِصْر أنه دعاه فقال: هل لك في أن أُعطيَك كلَّ ما أُخَلِّفه على أن تفعل شيئاً أعهَده إليك؟ فقال: قلت: اللهم نعم. قال: إذا أنا متُّ فخُذْ حُلَّتي هذه التي في عَيْبَتِي[٢] فاْعْزِلْها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك، وارْحَلْ إلى رَهْط بني الأحَبّ من عُذْرة - وهم رَهْط بُثينة - فإذا صرتَ إليهم فاْرتحلْ ناقتي هذه واْركَبْها، ثم اْلبَسْ حُلَّتي هذه واْشقُقْها ثم اْعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلاَك ذَمٌّ. ثم أنشدني هذه الأبيات: [الكامل]

صَـدَعَ الـنَّـعِـيُّ ومـا كَـنَـى بِـجَـمِـيـلِ ... وَثَـوَى بـمِـصْـرَ ثَـوَاءَ غَـيْـرِ قُـفُـولِ

- وذكر الأبيات المتقدّمة - فلما قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهْطَ بُثينة ففعلتُ ما أمرني به جميل، فما اْستتممْتُ الأبيات حتى بَرَزَتْ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهُنَّ طُولاً وبرَزَتْ أمامهن كأنها بدرٌ قد بَرز في دُجُنَّةٍ وهي تتعثَّر في مِرْطِها[٣] حتى أتتني، فقالت: يا هذا، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتَني، ولئن كنتَ كاذباً لقد فَضَحْتَني. قلت: والله ما أنا إلاَّ صادق، وأخرجتُ حُلَّتَه. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكَّتْ وجهَها، واجتمع نساءُ الحيِّ يبكين معها ويندُبْنَه حتى صَعِقَتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً، ثم قامت وهي تقول: [الطويل]

وإنّ سُـلُـوِّي عَـنْ جـمـيـلٍ لَـسـاعَـةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حانَ حِينُها
سـواءٌ عـلـيـنـا يـا جـمـيـلُ بـنَ مَـعْـمَـرٍ ... إذا مُـتَّ بـأسـاءُ الـحـيـاةِ ولِـيـنُـهـا

قال: فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً وباكيةً منه يومئذ.

---

(١) صدع النعي: صرح وجاهر.
(٢) العيبة: وعاء من أدم يوضع فيه المتاع.
(٣) المرط: كساء من صوف.

صوت
من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

أمسى الشَّبابُ مُوَدَّعاً مَحْمُودا ... وَالشَّيبُ مُؤْتَنِفَ المَحَلِّ جَدِيدًا[١]
وَتَغيَّرَ البِيضُ الأوانسُ بعدَما ... حَمَّلْتُهُنَّ مَوَاثِقاً وعُهُودا

عروضه من الكامل. الشعر ليزيد بن الطَّثْرِيَّة، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأوَّل بالبنصر. وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

---

(١) مؤتنف: مستأنف.

ذكر يزيد بن الطَّثْريّة وأخباره ونسبه

[توفي ١٢٦هـ / ٧٤٤م]

[اسمه ونسبه وكنيته ولقبه واسم أمه ونسبها]

ذكر ٱبن الكَلْبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر. وذكر البصريّون أنه من ولد الأعْوَر بن قُشَيْر. وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة. وإنما قيل له سلمةُ الخير لأنه كان لقُشَيْر ٱبنٌ آخر يقال له سلمةُ الشرّ قال: وقد قيل إنه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة.

والطَّثْريّة أمّه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ، امرأةٌ من طَثْر، وهم حَيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم. وقال غيره: إن طَثْراً من عَنْز بن وائل إخوةِ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار. وكان أبو جَرَاد أحدُ بني المنتفِق بن عامر بن عُقَيْل أَسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلاَّه وأخذ عليه إصْراً[1] لَيَبْعثَنّ إليه بفدائه أو لَيَأتينَّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَراد فوسَمه سِمَةَ إبله، فهم حُلَفاء لبني المُنْتَفِق إلى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرِّقين في بني عُقَيْل يُوَالُون بني المنتفق، وهم يُعَيَّرون ذلك الوَسْم. وقال بعضُ مَنْ يهجوهم:

عليه الوَسْمُ وسمُ أبي جَرَادِ

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْريّة: [الطويل]

ألاَ بئسما أن تَجْرِمُوني وتغضَبوا ... عليّ إذا عاتبتُكم يا بني طَثْرِ

(١) الإصر: العهد والميثاق.

وزعم بعض البصريين أن الطَّثْرِيّة أُمَّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبْد اللَّبن، فسُمِّيت الطَّثرِيَّة. وطَثْرةُ اللبن: زبدته.

ويُكْنى يزيدُ أبا المَكْشوح. وكان يلقَّب مُوَدِّقاً؛ سمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودّقهنّ[١].

أخبرني محمد بن خَلَف عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يزيد بن الطَّثريّة يقول: من أُفْحِمَ عند النساء فليُنْشِدْ من شعري. قال: وكان كثيراً ما يتحدَّث إلى النساء، وكان يقال: إنه عِنِّين[٢].

وروى عنه عبد اللَّه بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاَب عن سُعَاد بنت يزيد بن زُرَيْق امرأةٍ منهم أنّ يزيد بن الطَّثْريّة كان من أحسن مَنْ مَضَى وجهاً وأَطْيَبِه حديثاً، وأنّ النساء كانت مفتونةً به، وذكر الناسُ أنه كان عِنِّيناً، وذلك أنه لا عَقِبَ له، وأنَّ الناس أَمْحَلُوا[٣] حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهكت الجليلةُ؛ فأقبل صِرْمٌ من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده إلى بلاد بني قُشَيْر، وكانب بينهم وبين بني قُشَيْر حربٌ عظيمة؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمْيِ قشيرٍ بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدب والمَجَاعة ودِقَّة الأموال وما أشْرفوا عليه من الهَلَكة. ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشَيْرٍ فانتجعها الناسُ وطلبوها، فلم يَعْد أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً، فنَصَبت قشيرٌ لهم الحربَ. فقالت جرْم: إنما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين. قالوا: مما ذا؟ قالوا: من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التي لا باقيةَ لها. فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأَرْعَتْهم طَرَفاً من بلادها. وكان في جَرْم فتًى يقال له مَيَّاد، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامة آخِذاً بقلوب النساء. والغزلُ في جَرْم جائزٌ حسن، وهو في قُشَيْرٍ نائرة[٤]. فلمَّا نازلتْ جَرْمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيَّادُ الجَرْمِيّ فغدا إلى القُشَيْرِيَّاتِ يطلبُ منهنَّ الغَزَلَ والصِّبَا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات عند غَيْبة الرِّجال واشتغالِهم بالسَّقْي والرِّعْية وما أشبه ذلك؛ فدفَعْنه عنهنَّ وأسمعنَه ما يكره. وراحت رجالُهنَّ عليهنَّ وهنَّ مُغْضَبات؛ فقال عجائزُ منهنّ: والله ما ندري أرْعَيْتُم جَرْماً المَرْعَى أم أَرْعيتموهم نساءكم! فاشتدَّ ذلك عليهم فقالوا: وما أَدْراكنَّه؟ قُلْنَ: رجلٌ

---

(١) ودّق النساء: فتنهن بجماله وحلاوة حديثه.

(٢) العنين: العاجز عن الجماع.

(٣) أمحلوا: افتقروا.

(٤) النائرة: العداوة والشحناء.

منذُ اليومِ ظلَّ مجحراً[١] لنا ما يطلُع منا رأسُ واحدةٍ، يَدُور بين بيوتنا. فقال بعضهم: بَيِّتُوا جَرْماً فاصْطَلِموها[٢]. وقال بعضهم: قبيح! قومٌ قد سَقَيتُموهم مِيَاهَكم وأرعيتُموهم مَرَاعِيَكم وخَلَطتموهم بأنفسكم وأَجَرْتُموهم من القَحْط والسَّنَة نفتاتون عليهم هذا الافتيات! لا تفعلوا، ولكن تُصْبِحُوا[٣] وتَقَدَّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فإنه سفيهٌ من سُفَهائهم فليأخذوا على يَدَيْه. فإن يفعلوا فأَتِمُّوا لهم إحسانَكم، وإن يمتنعوا ويُقِرُّوا ما كان منه يَحِلَّ لكم البَسْطُ عليهم وتَخْرُجوا من ذِمَّتهم؛ فأَجْمعوا على ذلك. فلما أصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْم فقالوا: ما هذه البِدْعة التي قد جاورتُمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيَّة[٤] لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء، فبَرِّزُوا عنَّا أنفسَكم وأْذَنوا بحرب. وإن كان افتياتاً فغيِّروا[٥] على مَنْ فعله. وإنهم لم يَعْدُوا أن قالوا لجَرْم ذلك. فقام رجالٌ من جَرْم وقالوا: ما هذا الذي نالكم؟ قالوا: رجلٌ منكم أمس ظَلَّ يَجُرّ أذيالَه بين أبياتنا ما ندري عَلاَمَ كان أمرُه! فقَهْقهتْ جرمٌ من جَفَاء القشيْريِّين وعَجْرَفِيَّتِها وقالوا: إنكم لَتُحِسُّون من نسائكم ببلاءٍ؛ أَلاَ فابعَثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً. فقالوا: واللهِ ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهنّ إلا العفَّة والكرم، ولكن فيكم الذي قلتم. قالوا: فإنَّا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بني قُشَيْر إذا غدتِ الرجالُ وأُخلِف النساء، وتبعثون رجلاً إلى البيوت، ونتحالف أنَّه لا يتقدَّم رجلٌ منَّا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعْلمها بشيء مما دار بين القوم؛ فيَظلّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشيّاً الماءَ وتُخْلَى لهما البيوت، ولا تبرُز عليهما امرأةٌ ولا تُصَادِق منهما واحداً فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا عَدْلٌ إلا بمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها. قالوا: اللَّهمَّ نعمْ. فظَلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم، حتى إذا كان من الغد غَدوْا إلى الماء وتحالفوا أنَّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل. وغدا مَيَّاد الجَرْميّ إلى القُشَيْريّات، وغدا يزيد بن الطَّثْريّة القُشَيري إلى الجَرْمِيَّات؛ فظل عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهنّ إلا افْتَتَنَتْ به وتابعتْه إلى المودَّة والإخاء وقَبَض منها رَهْناً وسألتْه ألاَّ يدخل من بيوت جَرْمٍ إلاَّ بيتَها، فيقول لها: وأيَّ شيء تخافين وقد

(١) مجحراً لنا: كامناً لنا.
(٢) الاصطلام: الاستئصال.
(٣) تصبحوا: أي لتصبحوا مجذومة بلام أمر محذوفة، وهو جائز، ولا استسيغه.
(٤) السجية: الطبع.
(٥) غيّروا عليه: ازجروه واصرفوه عما فعل.

أخذْتِ منِّي المواثيقَ والعهود وليس لأحدٍ في قلبي نصيبٌ غيركِ؛ حتى صُلِّيت العصرُ. فانصرف يزيد بفَتَخ[١] كثيرٍ وذَبْلٍ[٢] وبَرَاقِعَ وانصرف مَكحولاً مدهوناً شبْعانَ رَيَّانَ مُرَجَّلَ اللِّمَّة. وظلَّ مَيَّادٌ الجَرْمِيّ يدور بين بيوت القُشَيْرِيّات مرجوماً مُقْصًى[٣] لا يتقرَّب إلى بيت إلا استقبلتْه الولائدُ بالعَمَد[٤] والجَنْدَل[٥]، فتهالك لهنّ وظنّ أنه ارتياد[٦] منهنّ له، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ منهنّ وجَهَده العطشُ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ[٧] قريباً إلى نصف النهار فتوسَّد يدَه ونام تحتها نُوَيْمَةً حتى أَفْرجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب وبَرد عطشُه قليلاً ثم قَرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد، فوجد أمَةً تَذُود غنماً في بعض الظُّعْن، فأخذ بُرْقُعَها فقال: هذا برقعُ واحدةٍ من نسائكم، فطرَحه بين يدي القوم؛ وجاءت الأمَةُ تَعْدو فتعلَّقتْ ببُرْقعها فرُدّ عليها وخجل مَيَّادٌ خجلاً شديداً. وجاء يزيد مُمْسياً وقد كاد القوم أن يتفرَّقوا، فنثَر كُمَّه بين أيديهم ملآنَ براقِعَ وذَبْلاً وفَتَخاً، وقد حَلَف القومُ ألا يعرِف رجلٌ شيئاً إلاَّ رفعه. فلما نَثَر ما معه اسودَّتْ وجوهُ جَرْمٍ وأمسكوا بأيديهم إمساكةً. فقالت قُشَيْر: أنتم تعرِفون ماكان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرّج الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده؛ فبسط كلُّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه. وتفرَّقوا عن حرب؛ وقالوا: هذه مَكِيدةٌ يا قُشَير. فقال في ذلك يزيد بن الطَّثْرِيّة: **[الطويل]**

فإنْ شئتَ يا مَيَّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ ... ولم نَنْفَسِ الدُّنيا على مَنْ يُصيبُها[٨]

أيذهبُ مَيَّادٌ بألبابِ نسْوَتِي ... وَنِسْوَةُ مَيَّادٍ صَحِيحٌ قُلُوبُها

وقال مَيَّاد الجَرْميّ: **[الوافر]**

لَعَمْرُكَ إنَّ جَمْعَ بَنِي قُشَيْرٍ ... لِجَرْمٍ في يزيدَ لَظالِمُونا

---

(١) الفَتَخ: جمع فتخة وهي حلقة لا فصّ لها تلبس في البنصر كالخاتم.

(٢) الذَّبْل: جلد السلحفاة تتخذ منها النساء أسورة وأمشاطاً.

(٣) مُقْصًى: مُبْعَداً.

(٤) العَمَد: قضبان الحديد.

(٥) الجندل: الصخر العظيم.

(٦) الارتياد: الطلب.

(٧) السمرة: واحدة السمر، وهو شجر العضاه.

(٨) نفس الشيء عليه: حسده عليه.

أَلَيسَ الظُّلْمُ أنّ أباكَ مِنَّا وأنَّكَ فِي كَتيبةِ آخَرِينَا
أحالِفَةٌ عليكَ بَنو قُشَيْرٍ يَمِينَ الصَّبْرِ أَمْ مُتَحَرِّجونا[١]

[وجده بوحشية ومرضه]

قال: وبُلِيَ يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم في ذلك اليوم يقال لها وَحْشية، وكانت من أحسن النساء. ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد إليها سبيلاً، فصار من العشق إلى أن أَشْرف على الموت واشتَدَّ به الجَهْد؛ فجاء إلى ٱبن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل، بعد ٱختلاف الأطبّاء إليه ويأسِهم منه، فقال له: يابنَ عمّ، قد تَعْلم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل، وأنّ التعزِّي أجمل، فما أَرَبُك في أن تقتل نفسَك وتأثَم بربِّك!. قال: وما هَمِّي يا بنَ عَمّ بنفسي وما لي فيها أمر ولا نهيٌ، ولا هَمِّي إلا نفسُ الجَرْمِيَّة؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأَرِنيها. قال: كيف الحيلة؟ قال: تحمِلني إليها. فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرميّة، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وحْشيَّة أَبَلّ[٢] قليلاً وراجعَ وطَمِع، وإذا أَيِس[٣] منها اشتدَّ به الوجع. فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلَّل به اليمنَ، حتى إذا دخل في قبيلة انتسب إلى أُخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة. وأَبَلَّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح، وطَمع فيه ٱبنُ عمِّه، وصارا بعد زمانٍ إلى حيّ وَحْشيَّة فلقيا الرُّعْيان وكَمَنا في جبل من الجبال. فجعل خليفةُ ينزل فيتعرَّض لرُعيان الشَّاء فيسألهم عن راعي وحشيّة، حتى لقي غلامَها وغنمَها؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيّة؟ فقال غلامها: هي والله بشرٍّ! لا حفِظ الله بني قُشَيْر ولا يوماً رأيناهم فيه! فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم - وكان بها طَرَفٌ مما بٱبن الطَّثْرِيَّة - فقال: وَيْحك! فإنّ ها هنا إنساناً يُداويها، فلا تقل لأحدٍ غيرها. قال: نعم إن شاء الله تعالى. فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها. فقالت له: وَيْحَك! فجِئْ به. ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، وظلّ عنده يرعَى غنمَه، وتأخَّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ، وانحدر بين يديْ غَنَمه حتى أراحها. ومشى فيها يزيد حتى قَرُبَتْ من البيت على أربع وتجلَّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم؛ فصار إلى وَحْشية، فسُرَّتْ به سروراً شديداً وأدخلته سِتْراً لها

---

(١) يمين الصبر: هي اليمين التي يحبس المرء حتى يحلفها.
(٢) أبلّ: شفي.
(٣) أيس: يئس.

وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَوَاحِباتها وأترابها. وقد كان عهِد إلى ابن عمّه أن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليالٍ، فإن لم يَرَه فلينصرفْ. فأقام يزيدُ عندها ثلاث ليال ورجع إلى أصحِّ ما كان عليه، ثم آنصرف فصار إلى صاحبه. فقال: ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرَّه. فقال: [الطويل]

لَوَ انَّكَ شاهَدْتَ الصِّبَا يابنَ بَوْزَلٍ ... بفَرْعِ الغَضَى إذْ راجَعَتْني غَيَاطِلُهْ[1]
لَشاهَدْتَ لَهْواً بعدَ شَحْطٍ منَ النَّوَى ... على سَخَطِ الأعْداءِ حُلْواً شَمَائلُهْ

صوت

وَيوماً كإبهامِ القَطَاةِ مُزَيَّناً ... لِعَيْنِي ضُحاهُ غالباً لِيَ باطلُه

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:

تُشاهِدُ لَهْواً بعد شَحْطٍ مِنَ النَّوَى

مُخَارِقٌ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني عليّ بن الصبَّاح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ وأُنشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرية، فلمَّا بُلِغ إلى قوله: [الطويل]

بِنَفْسِيَ مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بنانِهِ ... على كَبِدِي كانَتْ شِفاءً أَنامِلُهْ
ومَنْ هَابَنِي في كُلِّ أمْرٍ وَهِبْتُه ... فلا هُوَ يُعْطِيني ولا أنا سَائلُهْ

طَرِب لذلك وقال: هذا والله من مغنج الكلام.

[رسالة وجواب]

ونسخت من كتاب الحسن بن عليّ: حدّثنا عبد اللّه بن عمرو قال: حدّثني هشام بن محمد بن موسى قال حدّثنا عبد اللّه بن إبراهيم الطائيّ قال: حدّثتني عبداللّه بن رَوْح الغَنَويّ قال: حدّثتني ظَبْية بنت وزير الباهليّة قالت:

كتب يزيد بن الطَّثْريَّة إلى وحشيّة: [الطويل]

أُحِبُّكِ أطْرَافَ النَّهارِ بَشاشَةً ... وباللَّيلِ يَدْعُوني الهَوَى فأُجِيبُ

---

(١) الغياطل: الظلمات المتراكمة، استعارها هنا لجهالات الصبا والشباب.

لئنْ أصْبَحَتْ رِيحُ المَوَدَّةِ بَيْنَنا شَمَالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنُوبُ

فأجابته بقولها: [الطويل]

أُحِبّكَ حُبَّ اليَأسِ إنَ نفعَ الحيا وَإنْ لم يَكُنْ لي مِنْ هَواكَ طَبيبُ

[من أخباره وحبه]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني هانىء بن سعد أنّ ابن الطَّثريّة وابن بَوْزَل، وهو قَطَرِيّ بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برَمْلة حائل[١] بين قِفَار المِلْح؛ فقال يزيد لابن بوزل: إذهَبْ فاسقِ راحلتَك واسْقِنا. فلمَّا جاوز أوْفَى يزيدُ على أجْرَع[٢]، فرأى أشباحاً فأتاها. فقيل له: هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أي مُعْجَبون بها). فأتاها فظَلَّ عشيَّتَه وبات ليلته وأقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنُ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً. فلما دنا منه قال: [الطويل]

لَوَ انَّكَ شاهَدْتَ الصَّبَا يابنَ بَوْزَلٍ بجِزْعِ الغَضَى إذْ راجَعَتْني غَيَاطِلُهْ
بأسفَلِ خَلِّ المِلْح إذ دَيْنُ ذِي الهَوَى مُؤَدّىً وإذ خَيرُ الوِصالِ أوائلُهْ[٣]
لَشاهَدْتَ يوماً بعد شَحْطٍ من النَّوَى وبعد تَنائي الدّارِ حُلْواً شَمائلُهْ

وقد رُوِي:

وغَيْمَ الصِّبا إذ راجعتْني غَيَاطِلُهْ

فاخترط سيفَه[٤] ابنُ بَوْزَل؛ وحاوَطه[٥] يزيدُ بعَصاه، ثم اعتذر إليه وأخبره خبرَه فقَبِل منه. وقد روَى هذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْبانيّ وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هذه الأبياتَ: [الطويل]

ألاَ حَبَّذَا عَيْناكِ يا أُمَّ شَنْبَلٍ إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جال جائلُهْ
فَذَاكِ من الخُلاَّنِ كلُّ مُمَزَّجٍ تكونُ لأدْنَى مَنْ يُلاَقي وسائلُهْ

---

(١) رملة حائل: موضع باليمامة (معجم البلدان ٢/ ٢١٠).
(٢) الأجرع: كثيب جانب منه رمل وجانب حجارة.
(٣) خلّ الملح: موضع (معجم البلدان ٢/ ٣٨٥).
(٤) اخترط سيفه: استله من غمده.
(٥) حاوطه: داوره.

فَرُحْنا تَلَقَّانا به أُمُّ شَنْبَلٍ ضُحَيّاً وأبكتنا عَشِيّاً أصائلُهْ
وكنتُ كأنّي حينَ كانَ كلامُها وَدَاعاً وخَلَّى مَوْثِقَ العَهْدِ حاملُهْ
رَهِينٌ بِنَفْسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُهُ عن السّاقِ حتى جَرَّدَ السَّيْفَ قاتلُهْ[1]
فقالَ دَعُونِي سَجْدَتَيْنِ وأُرْعِدَتْ حِذَارَ الرَّدَى أحشاؤهُ ومَفَاصِلُهْ

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق: نزلتْ ساريةٌ[2] من بني سِدْرَةَ على بني قُشير بمالهم؛ فجعلتْ فِتْيانُ قُشير تترجَّل وتتزيَّن وتزور بيوتَ سِدْرة. فاستَنْهَوْهم[3]؛ فقال يزيد بن الطَّثْرِيّة: وما في هذا عليكم! زُورُوا بيوتنا كما نزور بيوتَكم، وقال: [الطويل]

دَعُوهُنَّ يَتْبَعْنَ الصِّبَا وتبادَلوا بنا لَيْسَ بأسٌ بَيْنَنَا بالتَّبادُلِ

ثم إنّ بني سِدْرة قالوا لنسائهم: وَيْحَكُنَّ فضَحْتُنَّنا! نأتي نساءَ هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحْتَجِبْنَ عنهم. فقالت كَهْلةٌ منهنّ: مُرُوا نساءَكم يجتمعْنَ إلى بيتي، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلا عندي، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعْدُ في بيوتكم ففعلوا. فجاء يزيدُ فقال: [الطويل]

سلامٌ عليكنَّ الغَداةَ فما لنا إليكنَّ إلا أن تَشَأْنَ سَبِيلُ

فقالت الكهلةُ: ومن أنت؟ فقال: [الطويل]

أنا الهائمُ الصَّبُّ الّذِي قادَهُ الهَوَى إليكِ فأمسَى في حِبالِكِ مُسْلَمَا
بَرَتْهُ دَوَاعِي الحُبِّ حتى تركْنَهُ سَقِيماً ولم يَتْرُكْنَ لَحْماً ولا دَمَا

فقالت: اخترْ إحدى ثلاثِ خِصال: إمَّا أن تمضي ثم ترجع علينا فإنَّا نرقُب عيونَ الرجال فإنهم قد سَبُّونا فيك؛ وإمَّا أن تختار أَحَبَّنا إليك، وأن تطلب امرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهَرَكَ الناسُ، ونسي الثالثة. فقال: سآخذ إحداهن، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال. قالت: وما هنّ؟ قال: إما أن أحمِلَكِ على مَرْضُوفٍ[4] من أمري فتركبيه، وإما أن تحمِليني على مَشْرُوجٍ[5] من أمرِك فأركبَه، وإما أن

(١) الكبول: جمع كبل وهو القيد.
(٢) سارية: جماعة يسيرون ليلاً.
(٣) استنهاه: طلب منه أن ينتهي.
(٤) المرضوف: المحمى.
(٥) المشروج: المشقوق. والكناية في الكلمتين واضحة.

تَلُزّي[١] بَكْرِي بين قَلُوصَيْك. قالت: لو وقع بَكْرُك بين قَلُوصيّ لطَمَرتَا[٢] به طَمْرةً يتطامن[٣] عنقُه منها. قال: كلاَّ! إنه شديد الوَجِيف[٤]، عارِمُ الوَظِيف[٥]، فغلَبها. فلما أتاها القوم قالت لهم: إنه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ. فإمَّا أن تُغْمِضوا له، وإمَّا تَرْحَلُوا عن مكانكم هذا؛ فرحَلوا وذهبوا. فقال حكيم بن أبي الخِلاَف السِّدْرِيّ في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم: [الطويل]

فكانَ الَّذِي تُهْدُونَ للجارِ منكمُ بَخاتِجَ حَبّاتٍ كَثِيراً سُعالُها[٦]

[بينه وبين أسماء الجعفرية]

قال إسحاق فأخبرني الفَزَاريّ: أنّ قوماً من بني نُمَيْرٍ وقوماً من بني جَعْفَر تزاوروا؛ فزار شُبَّانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمَير، فقُبِلوا وحُدِّثوا، وزار بنو نُمَير بني جعفر فلم يُقْبَلوا؛ فاستنجَدوا ٱبنَ الطَّثْرِيّة فزار معهم بيوتَ بني جعفر، فأنشدهنّ وحدَّثهنّ فأُعجِبْنَ به واجتمعنَ إليه من البيوت. فتوعَّد بنو جعفر ٱبنَ الطَّثْرِيّة، فتَتَاركُوا وأمسك بعضُهم عن بعض. فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَرِيَّة إلى ٱبن الطَّثْرِيّة أن لا تَقْطَعْني، وإن مُنِعتُ فإنِّي سأتخلَّص إلى لقائك. فأنشأ يقول: [الطويل]

خَلِيلَيَّ بينَ المُنْحَنَى مِنْ مُخَمَّرٍ وبينَ اللِّوَى من عَرْفَجاءَ المُقَابِلِ[٧]
قِفَا بينَ أعناقِ اللِّوَى لِمُرِيَّةٍ جَنُوبٍ تُداوِي غُلَّ شَوْقٍ مُماطِلِ
لِكَيْما أرَى أسْماءَ أوْ لِتَمَسَّنِي رياحٌ بِرَيَّاها لِذَاذُ الشَّمائِلِ
لقدْ حادَلتْ أسْماءُ دونَك باللِّوَى عُيونَ العِدَا سَقْياً لها من مُحَادِلِ[٨]
ودسَّتْ رَسُولاً أنّ حَوْلِي عِصَابةً هُمُ الْحَرْبُ فاسْتَبطِنْ سلاحَ المُقَاتِلِ
عَشِيَّةَ ما لي مِنْ نَصِيرٍ بأرْضِها سوى السَّيفِ ضَمَّتْهُ إليَّ حَمَائلي

(١) لز: ألصق.
(٢) طمر: ستر.
(٣) تطامن عنقه: انخفض.
(٤) الوجيف: سرعة السير.
(٥) الوظيف: مستدق الذراع والساق من الخيل.
(٦) البخاتج: العصير المطبوخ.
(٧) مُخَمَّر: وادٍ لبني قشير. وعرفجاء وادٍ لهم (معجم البلدان ٥/ ٢٣، و٤/ ١٠٥).
(٨) المحادل: المراوغ.

فيا أيُّها الواشُونَ بالغِشّ بيننا ... فُرَادَى ومَثْنَى من عدوٍّ وعاذِلِ
دَعُوهنّ يَتْبَعْنَ الهَوَى وتبادَلُوا ... بنا، ليس بأسٌ بيننا بالتَّبَادُل
تَرَوْا حين نأتِيهنّ نَحْنُ وأنْتُمُ ... لِمَنْ وعلى مَنْ وَطْأةُ المُتَثاقِلِ
ومَنْ عُرِّيتْ لِلَّهْوِ قِدْماً رِكَابُهُ ... وشاعَتْ قَوَافِي شِعْرِهِ في القبائل
تُبَرِّزْ وُجُوهُ السَّابِقِينَ ويَخْتَلِطْ ... على المُقْرِفِ الكافي غبارُ القنابِلِ[1]
فَإنْ تَمْنَعوا أسماءَ أو يَكُ نَفْعُها ... لكم أو تَدِبُّوا بيننا بالغوائلِ[2]
فَلَنْ تَمْنَعُونِي أنْ أُعَلِّل صُحْبَتي ... على كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَدَى العَيْنِ قابِلِ

[حبسه وخلاصه]

قال إسحاق: وحدّثني أبو زِيَاد الكِلاَبيّ، أن يزيد بن الطَّثْرِيّة كان شريفاً مِتْلافاً يغشاه الدَّيْن؛ فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر؛ ثم إنه كَثُر عليه دَيْنٌ لمولًى لعُقْبَةَ بن شَرِيك الحَرَشيّ يقال له البربريّ فحبسه له عُقْبة بالعَقيق من بلاد بني عُقَيْل، وعُقْبةُ عليها يومئذ أميرٌ. وقال المُفَضَّل بن سَلَمة قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: كان يزيد قد هَرَب منه، فرجع إليه من حبِّ أسماء، وكانت جارةَ البربريّ، فأخذه البربريّ. ويقال: إنه أعطاه بعيراً من إبل ثَوْر أخيه. فقال يزيد في السجن: [الطويل]

قَضَى غُرَمائي حُبُّ أسماءَ بعد ما ... تَخَوَّنَنِي ظُلْمٌ لَهُمْ وَفُجُورُ
فلو قَلَّ دَيْنُ البَرْبَرِيّ قَضَيْتُهُ ... ولكنَّ دَيْنَ البَرْبَرِيّ كَثِيرُ
وكنتُ إذا حَلَّتْ عَلَيَّ دُيُونُهُمْ ... أَضُمُّ جَنَاحِي منهمُ فأطِيرُ
عليَّ لهم في كُلِّ شهرٍ أَدِيَّةٌ ... ثمانونَ وافٍ نَقْدُها وجَزورُ[3]
نَجِيءُ إلى ثَوْرٍ فَفِيمَ رَحِيلُنا ... وثَوْر علينا في الحياةِ صَبُورُ
أشُدُّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى ... بنا خَلَّةً جَزْلُ العطاءِ غَفُورُ
فذلكَ دَأْبِي ما بَقِيتُ وما مَشَى ... لِثَوْرٍ على ظهر البِلاد بَعيرُ

ويُروى: «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إن عُقْبة حَجَّ على جمل له يقال له ٱبن الكُمَيْت أنْجب ما ركِب الناسُ، وثبتَ ٱبنُ الطَّثْرِيّة في السجن حتى انصرف عُقْبة بن شَرِيك من مكة، فأرسل ٱبنَ الكميت في مخاضه مستقبِلةَ الرَّبيع وهي بحاضرة

(١) المقرف: النذل. والكافي: الخادم. والقنابل: جمع قنبلة، وهي الطائفة من الناس أو الخيل.
(٢) الغوائل: جمع غائلة، وهي الشر والفساد.
(٣) الأديّة: المال القليل.

العَقيق، تأكل الغَضَى وتشرب بأَحْسائه[١]، وانحدر عُقْبة نحو اليَمامة وعليها المُهَاجِر بن عبد اللّه الكِلاَبيّ. فلمَّا ضاقت بابن الطَّثْريّة المَخَارِج قال له صاحبٌ له: لا أعلم لك أنجَى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلاّ أن تركَب ٱبن الكُمَيْت فيُنجيكَ نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحَدَّاد[٢] على أن يُرسله ليلةً إلى ٱبن عمّه جُعْلاً؛ فشكا إليه وَجْدَه بها فأرسله. فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم ابنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجهه قَصْدَ اليَمامة يريد عُقْبَةَ بن شَريك؛ وقال في طريقه: [الطويل]

لَعَمْريَ إن ٱبْنَ الكُمَيْتِ على الوَجَا ... وَسَيْريَ خَمْساً بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ[٣]
لَطَلْقُ الهَوَادِي بالوَجِيفِ إذا وَنَى ... ذواتُ البَقَايا والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ[٤]

فورد اليَمامةَ فأناخ بٱبنِ الكُمَيت على باب المهاجر، فكان أوَّل مَنْ خرج عليه عُقْبة بن شريك. فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال: وَيْحَك! أيزيدُ أنت؟ قال: نعم. وهذا ابن الكُمَيت؟ قال: نعم. ويحك! فما شأنك؟ قال: يا عقبة، فارٌّ منك إليك؛ وأنشده قصيدتَه التي يقول فيها: [الكامل]

يا عُقْبَ قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العَصا ... عَنِّي وكُنْتُ مُؤَزَّراً مَحْمُودا
صِلْ لي جَناحِي وٱتَّخِذْني عُدَّةً ... ترمي بي المُتَعَاشِيَ الصِّنْدِيدا[٥]

فقال له عقبة ـ وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلَها ـ أُشهِدكم أَنِّي قد أبرأته من دَيْن البربريّ وأن له ابنَ الكُمَيْت؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذان البيتان من القصيدة التي أوَّلها:

أمْسَى الشبابُ مُوَدَّعاً مَحْمُودا

وهي من جيِّد شعره، يقول فيها: [الطويل]

ومُدِلَّةٍ عند التبذُّلِ يَفْتَرِي ... منها الوِشَاحُ مُخَصَّراً أُمْلُودا[٦]

(١) الأحساء: الأراضي السهلية التي يستنقع فيها الماء. واحدها: حسي.
(٢) الحداد: هنا السجان.
(٣) الوجا: رقة الخف من كثرة المشي وشدته.
(٤) ذوات البقايا: الخيل التي تبقى جارية بعد أن يتوقف غيرها. والعتيق: النجيب. والهمرجل: السريع.
(٥) المتعاشي: المظهر العشى كأنه لا يريد أن يرى. والصنديد: الشديد القوي.
(٦) التبذل: ترك التزين. يفتري منها الوشاح: يلفها، يكسوها. والوشاح نسيج عريض تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها. والمخصّر. الدقيق. والأملس والناعم اللين.

نـازعـتُـهـا غُـنْـمَ الـصِّـبَـا إنّ الـصِّـبَـا ... قـد كـانَ مـنّـي لـلـكـواعِـبِ عِـيـدا
يـا لـلـرِّجـالِ وإنّـمـا يَـشْـكُـو الـفَـتَـى ... مَـرَّ الـحَـوادِثِ أو يـكـون جَـلِـيـدا
بـكَـرَتْ نَـوَارُ تـجُـدُّ بـاقِـيَـةَ الـقُـوَى ... يَـوْمَ الـفِـراقِ وتُـخْـلِـفُ الـمَـوْعُـودا(١)
وَلَـرُبَّ أمـرِ هَـوًى يـكـونُ نَـدامَـةً ... وسـبـيـلِ مَـكْـرَهَـةٍ يـكـونُ رَشِـيـدا

ثم قال يفخر:

لا أتَّـقِـي حَـسَـكَ الـضَّـغـائِـنِ بـالـرُّقَـى ... فِـعْـلَ الـذَّلِـيـلِ وإنْ بَـقِـيـتُ وَحِـيـدا(٢)
لـكـنْ أُجَـرِّدُ لـلـضـغـائـنِ مِـثْـلَـهـا ... حـتـى تَـمُـوتَ ولـلـحُـقـودِ حُـقـودا

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد اللّه بن عمرو بن أبي سعد قال: حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ وأُنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطُّثْريّة: هي والله من مغنج الكلام: [الطويل]

بِـنَـفْـسِـيَ مَـنْ لَـوْ مَـرَّ بَـرْدُ بَـنَـانـهِ ... عـلـى كَـبِـدِي كـانَـتْ شـفـاءً أنـامِـلُـهْ
ومَـنْ هـابَـنـي فـي كُـلِّ شَـيْءٍ وَهِـبْـتُـهُ ... فـلا هُـوَ يُـعـطـيـنـي ولا أنـا سـائـلُـهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحْشيَّةَ الجَرْمِيَّة التي مضى ذكرها.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حدّثتني ظَبْية قالت: مرَّ يزيد بن الطَّثْريّة بأعداء له؛ فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإِبلَ على أثره؛ فخشي أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة، فنزل فسَبقهم عَدْواً، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها. فقال في ذلك: [الطويل]

ألاَ هـل أتَـى لَـيْـلَـى عـلـى نـأيِ دارِهـا ... بـأنْ لـم أُقـاتِـلْ يـومَ صَـخْـرٍ مُـذَوِّدا(٣)
وأنّـيَ أسْـلَـمْـتُ الـرِّكـابَ فـعُـقِّـرَتْ ... وقـد كُـنْـتُ مِـقْـداماً بـسيـفِـيَ مُـفْـرَدَا
أثَـرْتُ فـلـم أسْـطِـعْ قـتـالاً ولا تَـرَى ... أخـا شـيـعَـةٍ يـومـاً كـآخَـرَ أوْحَـدا
فَـهَـلْ تَـضْـرِمَـنَّ الـغـانِـيـاتُ مَـوَدَّتـي ... إذا قـيـلَ قـدْ هـابَ الـمَـنُـونَ فـعَـرَّدا(٤)

---

(١) تجدّ: تقطع.
(٢) الضغائن: الأحقاد.
(٣) مذوّداً: ذائداً، مدافعاً.
(٤) عرّد: فرّ.

[يُنصَب له فخٌّ فتقع فيه وحشيّة]

أخبرني يحيى إجازةً عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زِياد قال: كان يزيد بن الطَّثْريّة يتحدَّث إلى نساء قُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْمِيّ، ومنزلهما بالفَلج[١]. فبلغ ذلك قُدَيكاً فشَقَّ عليه فزجَر نساءه عن ذلك، فأبَيْنَ إلاَّ أن يدخل عليهنّ يزيد. فدخل عليهنّ قُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أخَواتِه وبناتِ عمِّه وغيرَهن من حُرَمه، ثم قال لهنّ: قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه، وإن لله عليّ نَذْراً واجباً ـ وٱختَرَط سيفَه ـ إن لم أضرب أعناقكنّ به. فلما ملأهنّ رُعْباً ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

جعلتُ عصاماً عِبْرةً حينَ رابَني ... أناسيُّ من أهلِي مِرَاضٌ قُلوبُها

ثم إنّ قُدَيكاً رأى يزيدَ قائماً عند باب أهله، فظنّ أنه يُوَاعد بعض نسائه، فٱرتَصده على طريقه وأمر بزُبْيَةٍ فحُفِرتْ على الطريق ثم أَوْقد فيها ناراً لَيِّنةً ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما: تَبَصَّرَا هل تَرَيانِ أحداً؛ فلم يَلْبَثا إلاَّ قليلاً حتى خرجتْ بنت أخي قُدَيْك، وكان يقال لها وَحْشِيَّة، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه العبدان؛ ومضت حتى وقعتْ على الزُّبْية[٢] فاحترق بعضُها، وأمَر بها فأُخرجتْ، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره. فقال قُدَيْك: [الطويل]

شَفَى النَّفسَ من وَحْشِيَّةَ اليومَ أنّها ... تَهادَى وقد كانَتْ سريعاً عَنِيقُها[٣]
فإلاَّ تَدَعْ خَبْطَ المَوارِدِ في الدُّجَى ... تَكُنْ قَمَناً من غَشْيةٍ لا تُفِيقُها[٤]
دواءُ طبيبٍ كانَ يعلمُ أنهُ ... يُداوي المجانينَ المُخلَّى طَرِيقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال: [الطويل]

سَتَبْرَأُ من بعدِ الضَّمَانَةِ رجلُها ... وتأتي الذي تَهْوَى مُخلّىً طريقُها[٥]
عَلَيَّ هَدَايا البُدْنِ إن لم أُلاقِها ... وإن لم يكنْ إلا قُدَيْكٌ يَسُوقُها

(١) الفلج: مدينة بأرض اليمامة (معجم البلدان ٤/ ٢٧١).
(٢) الزبية: حفرة تصاد بها الأسود.
(٣) العنيق والعنق: ضرب من السير السريع.
(٤) القمن: الجدير.
(٥) الضمانة: الزمانة، والعاهة.

يُحَصِّنُها منّي فُدَيْكٌ سَفاهَةً ... وقد ذَهَبَتْ فيها الكُبَاسُ وحُوقُها[١]
تُذيقُونَها شَيْئاً مِنَ النَّارِ كُلَّما ... رأتْ من بَني كَعْبٍ غلاماً يَرُوقُها[٢]

قال: وإنما كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار.

وقال يزيد أيضاً: [البسيط]

يا سُخْنَةَ العَيْنِ لِلجَرْميِّ إذ جَمَعَتْ ... بَيْني وبينَ نَوارٍ وَحْشَةُ الدَّارِ
خُبِّرْتُهُمْ عَذَّبوا بالنّارِ جارَتَهُمْ ... ومَنْ يُعَذِّبُ غَيْرَ الله بالنّارِ

فبلغ ذلك فُدَّيْكاً فقال: [الوافر]

أحالِفَةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ ... يَمِينَ الصَّبْرِ أم متحرِّجونا

ـ ويروى: يمين الله ـ.

فإنْ تَنْكُلْ قُشَيْرٌ تَقْضِ جَرْمٌ ... وتقضِ لها مَعَ الشبهِ اليَقِينا
ألَيسَ الجَوْرُ أنَّ أباكَ منّا ... وأنَّكَ في قبيلةِ آخرينا
لَعَمْرُ الله إنّ بني قُشَيْرٍ ... لِجَرْمٍ في يَزِيدَ لَظالِمُونا
فَإلاَّ يَخلِفُوا فعليكَ شَكْلٌ ... ونَجْرٌ ليس مما يعرفونا[٣]
وَأعْرِفُ فيكَ سِيمَا آلِ صَقْرٍ ... وَمِشْيَتَهُمْ إذا يَتَخَيَّلونا

قال: وكانت جَرْمٌ تدَّعيه، وقُشَيْرٌ تدَّعيه؛ فأراد أن يُخبر أنه دَعِيّ.

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه: [الطويل]

وإنَّا لَسيَّارون بالسُّنَّةِ التي ... أُحِلَّتْ وفينا جَفْوَةٌ حين نُظْلَمُ
ومنَّا الذي لاقته أُمُّك خالياً ... فلم تدرِ ما أيّ الشهورِ المُحَرَّمُ

فقال يزيد يهجو فُدَيْكاً: [الرجز]

أنْعَتُ عَيْراً من عُيُورِ القَهْرِ ... أَقْمَرَ من شرِّ حَمِيرٍ قُمْرِ[٤]
صَبَّحَ أبياتَ فُدَيْكٍ يَجْرِي ... مَنْزِلَةَ اللُّؤم ودارَ الغَدْرِ

---

(١) الكباس: الكمرة الضخمة. وحوقها: ما استدار من حروفها.
(٢) يروقها: يعجبها.
(٣) الشكل: الهيئة. والنجر: اللون.
(٤) القهر: موضع في أسفل الحجاز مما يلي نجداً (معجم البلدان ٤/٤١٨). والأقمر: الشديد البياض.

فلَقِيتُهُ عند بابِ العَقْرِ يَنْشِطُها والدِّرْعُ عند الصَّدرِ[1]
نَشْطَكَ بالدَّلْوِ قَرَاحَ الجَفْرِ[2]

[أخبار وشعر]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثنا أبو الحارث هانىء بن سَعْد الخَفَاجيّ قال: ذُكرتْ ليزيد بن الطَّثْريّة امرأةٌ حَدَثَةٌ جميلةٌ؛ فخرج حتى يَدْفَعَ إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدَّثان، فسلَّم عليهم، فأَوْجستْ أنه يزيد ولم تَتَثَبتْ، ورأتْ عليه مَسْحة. فقالت: أيُّ ريح جاءت بك يا رجل؟ قال: الجَنُوبُ. قالت: فأيّ طير جرتْ لك الغَداة؟ قال: عنزٌ زَنِمةٌ[3] رأيتُها يُدَاوِرُها ثَعْلَبان؛ فانقضَّ عليها سِرْحَانٌ[4] فراغ الثعلبان. قال: فطَفَرتْ[5] وراء سِتْرِها، وعرفتْ أنه يزيد.

قال إسحاق وحدّثني عَطَرَّد قال: قال قَطَرِيّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْريّة: انْطَلِقْ معي إلى فلانةَ وفلانة فإنهنَّ يَبْرُزْنَ لك ويستتِرْنَ عنِّي، عسى أن أراهنّ اليوم على وجهك. فذهب به معه، فخرج عليهما النِّسوةُ وظَلاَّ يتحدَّثان عندهن حتَّى تَرَوَّحا. وقال يزيد في ذلك: [الطويل]

علـى قَطَرِيٍّ نعمةٌ إن جَزَى بها يَزِيدُ وإلاَّ يَجْزِهِ الله لي أجْرا
دَنَوْتُ به حتَّى رَمَى الوَحْشَ بعدما رَأى قَطَرِيٌّ من أوائلها نَفْرا

أخبرنا يحيى إجازةً عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَطَرَّد قال:

نزل نَفَرٌ من صُدَاءَ[6] بناحية العَقيق، وهو منزلُ ابن الطَّثْريّة، نصفَ النهار فلم يأتهم أحد؛ فأبصرهم ابن الطَّثْريّة فمرَّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله. فلما رآهم مُرْمِلِين[7] أَنْفَذ إليهم هديَّةً ومضَى على حِيَاله ولم يراجعْهم. فسألوا عنه

(١) العقر: موضع. وينشطها: يرفعها.
(٢) الجفر: البئر.
(٣) عنز زنمة: لها زنمتان متدليتان من حلقها.
(٤) السرحان: الذئب.
(٥) طفرت: قفزت.
(٦) صُداء: مخلاف باليمن (معجم البلدان ٣/ ٣٩٧).
(٧) المرمل: الذي نفد زاده.

بعدُ حتى عرفوه، فحَلاَ عندهم وأَعْجبهم. ثم إنّ فتًى منهم وادَّه فآخاه فأهدى له بُرْداً وجُبَّة ونَعْلين. ثم أغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطَرِّف بن الأعلم بن رَبيعة بن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم. وفي ذلك يقول الشاعر:

مُـغَـارَ آبـن هَـمَّـامٍ عـلـى حَـيّ خَـثْـعَـمَـا

فأخذ منهم إبلاً ورَقيقاً، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه، وكان يهواها الذي آخَى يزيدَ، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نحِل جسمُه وتغيَّرتْ حالُه؛ فأقبل الفتى حتَّى نزل العَقِيق متنكِّراً؛ فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية. فقال: أفيك خير؟ قال: نعم. قال: فإني أدفعها إليك. فَخَبَّأه في عرِيشٍ له أيَّاماً حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها إليه. فبعث إليها قَطَرِيَّ بن بَوْزَل، فاعترَض لها بين أهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وَطَّن له ناقةً مُفَاجَّةً[1] فقال: النَّجَاءَ فإنك لن تُصْبح حتى تخرجَ من بلاد قُشَيْر وتصيرَ إلى دار نَهْد فقد نجوتَ؛ وأنا أُخْفِي أثَرَكَ فعفَّى[2] أثَره، وقال لابنة خَمَّارة كان يشرب عندها: اسْحَبي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ. ثم بُحث على ذلك حتى قيل: قد كان قَطَرِيٌّ أحْدَثَ الناسِ بها عهداً؛ فاستُعْدِيَ عليه فظُفر بيزيد فأُخذ مكانه فحُبِس بحُجْر[3]، حبسه المُهَاجر. ففي ذلك يقول يزيد: [الطويل]

أَلاَ لا أُبَـالـي إن نَـجـا لـي ابنُ بَـوْزَلٍ ... ثَـوَائِـي وتَـقْـيِـيـدِي بِـحُـجْـرٍ لَـيَـالِـيَـا
إذا حُـمَّ أَمْـرٌ فَـهْـو لا بُـدَّ واقِـعٌ ... لـه لا أُبَـالِـي مـا عَـلـيَّ ولا لِـيَـا
هـو الـعَـسَـلُ الـمـاذِيُّ طَـوْراً وتـارَةً ... هو السَّمُّ والذِّيفانُ والـلَّيْثُ عـاديا[4]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب عن محمد بن سَلاَّم الجُمَحِيّ قال: حدّثني أبو الغَرَّاف قال: كان يزيد بن الطَّثْرِيّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً، وكان أخوه ثَوْرٌ سَيِّداً كثيرَ المال والنَّخل والرَّقيق، وكان متنسِّكاً كثير الحج والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يُلِمُّ

(١) تفاجت الناقة: باعدت بين رجليها.
(٢) عفّى أثره: محاه وأزاله.
(٣) حجر: قرية باليمامة (معجم البلدان ٢/ ٢٢٣).
(٤) الماذيّ: العسل الأبيض. والذيفان: السمّ الناقع القاتل.

بالحيّ إلا الفَلْتة والوَقْعة[١]، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْريّة فتُسْقَى على عَيْنه. فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرَّ بِخبَاءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر؛ فلما رأيْنَه قلن: يا يزيد، أطْعِمْنا لحماً. فقال: أعطينَنِي سِكِّيناً فأعطينه، ونحرَ لهنَّ ناقةً من إبل أخيه. وبلغ الخبرُ أخاه؛ فلما جاءه أخذ بشَعْره وفسَّقه وشتَمه. فأنشأ يزيد يقول: [البسيط]

يا ثَوْرُ لا تَشْتِمَنْ عِرْضِي فداكَ أبي ... فإنَّما الشَّتْمُ للقوم العَوَاوِير

ما عَقْرُ نابٍ لأمثال الدُّمَى خُرُدٍ ... عِينٍ كِرام وأبكارٍ مَعَاصِير[٢]

عَطَفْنَ حَوليَ يسألْنَ القِرَى أُصُلاً ... وليس يَرْضَيْنَ منّي بالمَعاذير

هَبْهُنَّ ضيفاً عَرَاكم بعد هَجْعَتِكم ... في قِطْقِطٍ من سَقِيطِ اللَّيل منثور[٣]

وليس قُرْبَكُمُ شاءٌ ولا لَبَنٌ ... أيَرْحَلُ الضَّيْفُ عنكم غَيْرَ مَجْبُورِ

ما خَيْرُ واردةٍ لِلْماءِ صادرةٍ ... لا تَنْجَلِي عن عَقِير الرِّجْلِ مَنْحُورِ

أخبرني أبو خَليفة قال: قال ابن سَلاَّم:

كان يزيد بن الطَّثْريّة يتحدَّث إلى امرأة ويُعْجَب بها. فبينما هو عندها إذ حدَث لها شابٌ سِواه قد طلع عليه، ثم جاء آخرُ ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن؛ فقال: [الطويل]

أرَى سَبْعَةً يَسْعَوْن لِلْوَصْلِ كُلُّهُم ... لَهُ عند ليلَى دِينَةٌ يَسْتَدِينُها

فألقَيْتُ سَهْمِي وسْطَهُمْ حينَ أَوْخَشُوا ... فما صارَ لي من ذاكَ إلاَّ ثَمِينُها[٤]

وكنتُ عَزُوفَ النَّفْس أَشْنأُ أنْ أرَى ... على الشِّرْك مِنْ وَرْهاءَ طَوْعٌ قَرِينُها[٥]

فَيَوْماً تَرَاها بالعُهُودِ وَفِيَّةً ... وَيوماً على دينِ ابنِ خَاقَانَ دِينُها

يَداً بِيَدٍ مَنْ جاء بالعَيْن منهمُ ... ومَنْ لم يَجِىءْ بِالعَيْنِ حِيزَتْ رُهونُها

وقال فيها وقد صارَمها: [الطويل]

ألاَ بِأبي مَنْ قد بَرَى الجِسْمَ حُبُّهُ ... ومَنْ هُوَ مَرْمُوقٌ إليَّ حَبِيبُ

---

(١) الفلتة والوقعة: أراد وقتاً بعد آخر.

(٢) الخرد: جمع خريدة، وهي المرأة الحيية، والبكر التي لم تمسّ. والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العينين. والمعاصير: جمع معصر، وهي الفتاة التي بلغت الشباب.

(٣) القطقط: المطر المتتابع.

(٤) أوخشوا: خلطوا وصاروا إلى الرذالة.

(٥) أشنأ: أكره. والورهاء: الحمقاء. والقرين: الزوج.

ومــن هُــوَ لا يــزدادُ إلا تَــشَــوُّقــاً وَلَـيْـسَ يُـرى إلاَّ عَـلَـيْـهِ رَقِـيـبُ
وإنِّـي وإنْ أَحْـمَـوْا عـلـيَّ كـلامَـهـا وحـالَـتْ أعـادٍ دُونـهـا وحُـرُوبُ[١]
لَمُـثْـنٍ عـلـى لـيـلَـى ثـنـاءً يَـزِيـدُهـا قَـوَافٍ بـأفـواهِ الـرُّواةِ تَـطِـيـبُ
أَلَيْلَى احْذَرِي نَقْضَ القُوَى لا يَزَلْ لنا على النأي والهِجْرانِ منكِ نَصِيبُ
وكُونِي على الوَاشِينَ لَدَّاءَ شَغْبَةً كما أنا لِلْواشِي أَلَدُّ شَغُوبُ[٢]
فإنْ خِفْتِ ألاَّ تُحْكِمِي مِرَّةَ القُوَى فَـرُدِّي فُـؤادِي والـمَـزارُ قَـرِيـبُ

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفَاجَة قال: استعدت جَرْمٌ على ابن الطَّثْريّة في وَحْشِيَّة(امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَوْر أخي يزيد بن الطَّثْريّة وأمره بأدبه، فجعل عقوبتَه حَلْق لِمَّته فحلَقها، فقال يزيد: [الطويل]

أقـولُ لِـثَـوْرٍ وهـو يَـحْـلِـقُ لِـمَّـتِـي بحَجْنَاءَ مَرْدُودٍ عليها نِصَابُها[٣]

ـ قال عبد الرحمن: كان عمِّي يحتجّ في تأنيث المُوسَى بهذا البيت ـ.

تَبَرَّقْ بـهـا يـا ثـورُ لـيـسَ ثَـوابُـهـا بـهـذا ولـكـنْ غَـيْـرُ هـذا ثـوابُـهـا
ألاَ رُبَّـمـا يـا ثَـوْرُ قـد غَـلَّ وَسْـطَـهـا أَنامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضَابُها[٤]
وتَسْلُكُ مِدْرَى العاجِ في مُدْلَهِمَّةٍ إذا لم تُفَرَّجْ مات غَمّاً صُؤابُها[٥]
فـراحَ بـهـا ثَـوْرٌ تَـرِفُّ كـأنَّـهـا سَلاسِلُ دِرْعٍ خِيرُها وانسكابُها[٦]
مُنَعَّمَةٌ كالشَّرْيَةِ الفَرْدِ جادَها نِجاءُ الثُّريَّا هَطْلُها وذِهَابُها[٧]
فأصْبَحَ رأسِي كالصُّخَيْرَةِ أَشْرَفَتْ عـلـيـهـا عُـقَـابٌ ثـم طـارَتْ عُـقـابُـهـا

ونظير هذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمَّتُه فرثاها، وليس من هذا الباب، ولكن يُذكر الشيء بمثله:

(١) أحموا: منعوا، حرّموا.
(٢) اللداء: العدوّة.
(٣) الحجناء: كل حديدة ملويّة.
(٤) غل وسطها: دخل وسطها.
(٥) المدرى: المشط. والمدلهمة: السوداء.
(٦) ترف: تتلألأ. والخِير: الهيئة.
(٧) الشرية: شجرة الحنظل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عبد الرحمن عن عمه قال: شَرِب طُخَيْمٌ الأَسَدِيّ بالحِيرة، فأخذه العبَّاس بن مَعْبَد المُرِّيّ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر، فحلَق رأسَه؛ فقال: [الطويل]

وبالحِيرةِ البَيْضاءِ شَيْخٌ مُسَلَّطٌ إذا حلَف الأيمانَ باللّه بَرَّتِ
لقد حَلَقُوا مِنّا غُدَافاً كأنَّها عَناقيدُ كَرْمٍ أَيْنَعَتْ فاسْبَطَرَّتِ[1]
يَظَلُّ العَذَارَى حينَ تُحلَقُ لِمَّتِي على عَجلٍ يَلْقُطْنَها حينَ جُزَّتِ

أخبرني محمد عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بني كِلاَب قال: أُخِذَ فتىً منَّا مع بعض فَتَيَات الحيّ، فحُلِق رأسُه فقال: [الكامل]

يا لِمَّتِي ولقد خُلِقْتِ جَمِيلَةً وَكَرُمْتِ حينَ أصابَكِ الجَلَمانِ[2]
أمْسَتْ تَرُوقُ الناظرينَ وأصبحتْ قَصَصاً تكون فواصِلَ المَرْجانِ[3]

أخبرني وَكيع قال: حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعْلَى قال: حدّثنا أبو مُحَلِّم قال: كان ليزيد بن الطَّثْرِيّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه، فكان يزيد يُغير على ماله ويُتْلفه، فيتحمَّله ثَوْر لمحبته إيَّاه. فقال يزيد في ذلك: [الطويل]

نُغِيرُ على ثَوْرٍ وَثَوْرٌ يَسُرُّنا وَثَوْرٌ علينا في الحَياة صَبُورُ
وذلك دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى لِثورٍ على عَفْرِ التُّرابِ بَعِيرُ

[مقتله ورثاؤه]

وقُتِل يزيد بن الطَّثْرِيّة في خلافة بني العبَّاس، قتلتْه بنو حَنيفة.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكَلْبِيّ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجَرَّاح العُقَيْليّ قال: أغارتْ بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بني قُشَيْر جارٌ لهم؛ فقُتل القُشَيْريّ ورجلٌ من بني عُقَيْل واطَّرَدتْ[4] إبلٌ من العُقَيْليِّين؛ فأتى

(١) الغداف: الشعر الطويل الأسود الوافر. واسبطرّت: طالت.
(٢) الجلمان: ما يجز به الشعر.
(٣) القصص: ما قصّ من الشعر.
(٤) اطّرَدَ: مطاوع طرد. وطرد الإبل: ساقها.

الصَّرِيخُ[١] عُقَيْلاً فلحِقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بني حَنِيفَة رجلاً وعقَروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبِثوا سنة. ثم إن عُقَيْلاً انحدرتْ منتجِعةً من بلادها إلى بلاد بني تَميم، فَذُكِرَ لحَنيفةَ وهم بالكَوْكَبَةِ والقيضاف، فغزتْهم حَنيفةُ، وحَذِر العُقَيْليُّون وأتتْهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم؛ فبلغَ ذلك من بني عُقَيل وتلهَّفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليَغْزُوا حنيفة، ثم تشاوروا. فقال بعضهم: لا تغزوا قوماً في مَنَازلهم ودُورهم فيتحصَّنُوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمنُ أن يفضحوكم، فأقاموا بالعَقيق. وجَاءت حنيفةُ غازيةً كَعْباً لا تتعدَّاها حتى وقعت بالفَلَج، فتطاير الناسُ، ورأسُ حَنِيفةَ يومئذ المُنْدَلِفُ، وجاء صَريخُ كَعْب إلى أبي لَطِيفةَ بن مُسْلم العُقَيْلِيّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها؛ فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه هولٌ شديد، فأرسل في عُقَيل يستمدّها؛ فأتته ربيعةُ بن عُقَيْل وقُشَيرُ بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأَفْناءُ خَفَاجةَ، وجاش إليه الناس[٢]؛ فقال: إني قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلَم ما تُشير به. قال أبو الجَرَّاح: فأصبح صُبْح ثالثةٍ على فرس له يَهْتِف: أعزّ الله نصرَكم وأمتَعنا بكم! انصرفوا راشدين فلم يكن بأسٌ؛ فانصرف الناسُ؛ وصار في بني عمِّه ورَهْطِه دِنْيَةً. وإنما فعل ذلك لتكون له السُّمْعةُ والذِّكر. فكان فيمن سار معه القُحَيْف بن خُمير ويزيد بن الطَّثْرِيّة الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِف، رَمَوْه في عينه، وسَبَوْا وأَسَروا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليَمَامة وصنَعوا ما أرادوا. ولم يُقتل ممن كان مع أبي لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بن الطَّثْرِيَّة، نَشِبَ[٣] ثوبُه في جِذْلٍ[٤] من عُشَرَةٍ[٥] فانقلب، وخبَطه القومُ فقُتل. فقال القُحَيْف يرثيه: [الوافر]

أَلاَ تَبْكِي سَرَاةُ بَنِي قُشَيْرٍ ... على صِنْدِيدِها وعلى فَتاها
فإنْ يُقْتَلْ يَزيدُ فَقَدْ قَتَلْنا ... سَرَاتَهُمُ الكُهولَ على لِحَاها
أبا المَكْشوحِ بَعْدَكَ مَنْ يُحَامِي ... وَمَنْ يُزْجِي المَطِيَّ على وَجَاها[٦]

(١) الصريخ: الاستغاثة.
(٢) جاش إليه الناس: ساروا إليه ليلاً.
(٣) نشب: علق.
(٤) الجذل: أصل الشجرة.
(٥) العُشَرَة: ضرب من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض، أو شجر العضاه.
(٦) يزجي بالمطيّ: يسوقها.

وقال القُحَيْف أيضاً يرثيه: [الرجز]

إن تَقْتُلوا منَّا شَهِيداً صابرا فقد تَرَكْنا منكُمُ مَجَازرا
عشرينَ لمَّا يدخُلوا المَقابِرا قَتْلَى أُصِيبَتْ قَعَصاً نَحائرا[١]
نعجاً تَرَى أرجُلَها شَوَاغِرَا[٢]

وهذه من رواية ابن حَبِيبَ وحدَه. وقال القُحَيْف أيضاً ولم يَرْوِها إلا ابن حبيبَ: [الرجز]

يَا عَيْنُ بَكِّي هَمَلاً على هَمَلْ على يَزيدَ ويزيدَ بن حَمَلْ
قتّال أبطالٍ وجَرّارِ حُلَلْ

قال: ويزيد بن حَمَل قشَيْريّ قُتِل يومئذ أيضاً. وقالت زينب بنت الطَّثْرِيّة ترثي أخاها يزيد - وعن أبي عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأبيات لأمّ يزيد، قال: وهي من الأزْد. ويقال: إنها لوَحْشِيَّة الجَرْمِيَّة: [الطويل]

أرَى الأثْلَ من بطن العَقِيق مُجَاوِرِي مُقِيماً وقدْ غالَتْ يَزِيدَ غوائلُهْ
فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضَائِلٌ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَبَآدِلُهْ[٣]
فتًى لا تَرَى قَدَّ القميص بخَصْره وَلكنَّما تُوهِي القَمِيصَ كواهلُهْ
إذا نزَلَ الضِّيفانُ كانَ عَذَوَّراً على الحَيِّ حتى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ[٤]
يَسُرُّك مَظْلُوماً ويُرْضِيكَ ظالماً وَكَلُّ الّذِي حَمَّلْتَهُ فَهْوَ حامِلُه
إذا جَدَّ عندَ الجِدِّ أرضاكَ جِدُّهُ وذو بَاطِلٍ إن شِئتَ ألهاكَ باطلُهْ
إذا القَوْمُ أمُّوا بيتَهُ فهو عامِدٌ لأفضَلِ ما أمُّوا له فهو فاعِلُه
مَضَى وَوَرِثْناه دَرِيسَ مُفاضَةٍ وأبيَضَ هندِيّاً طويلاً حمائلُه[٥]
وقد كانَ يَحْمِي المَحْجِرَيْنِ بسيفهِ ويبلغُ أقْصَى حَجْرَةِ الحَيِّ نائلُهْ
فَتًى ليس لابن العَمِّ كالذئبِ إن رأى بِصاحِبِهِ يَوْماً دماً فهو آكِلُهْ

---

(١) القعص: الموت الوحيّ السريع.
(٢) شواغر: مرفوعات.
(٣) البآدل: جمع بأدلة وهي لحمة بين العنق والترقوة.
(٤) الضِّيفان: الضيوف. والعذوّر: القليل الصبر عما يطلبه. وتستقل مراجله: تنصب قدوره، كناية عن كرمه.
(٥) دريس مفاضة: درع واسعة، عتيقة لكثرة استعمالها. والهندي: السيف المصنوع في الهند، وهو من أجود السيوف. وطويلاً حمائله: كناية عن طول حامله.

سَيَبْكِيهِ مولاهُ إذا ما تَرَفَّعَتْ عَنِ السّاقِ عندَ الرَّوْعِ يَوماً ذلاَذِلُهْ

الذُّلْذُل: هُدْب الثياب.

وقد أخبرنا الحَرَمِيّ عن الزّبَير عن عمر بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن عباس بن عبد الصمد قال: قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْر السَّلُوليّ: أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمِّك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ألا إنِّي قلتُ: [الطويل]

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيفِ لا متضائِلٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتُهُ وأَباجِلُه[1]

فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه إلى العُجَيْر السَّلُوليّ من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطَّثْرِيّة أو إلى أمّه وأتى بأبياتٍ أُخَر ليست منها، وسيُذكر ذلك في أخبار العُجَيْر مشروحاً إن شاء الله تعالى.

وممَّا يُغنَّى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْرِيّة قوله:

صوت [الطويل]

بنفسيَ مَنْ لا بُدَّ أنّيَ هاجِرُهْ وَمَنْ أنا في المَيْسُورِ والعُسْرِ ذاكِرُهْ

ومن قد رماهُ النّاسُ بي فاتَّقاهُمْ بِبُغْضِيَ إلاّ ما تُجِنُّ ضَمائِرُهْ

عروضه من الطويل. غنّى في هذين البيتين عبد اللّه بن العباس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف الثقيل بالبنصر. وغنَّتْ فيه عَرِيبُ وفي أبيات أضافتْها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأوَّل آخَرَ. وغنَّت عُلَيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ. وذكر الهشاميّ أن لإبراهيم فيها لحناً ماخُورِيّاً. والأبياتُ المُضَافةُ: [الطويل]

بِنَفْسِيَ من لا أُخْبِرُ النّاسَ باسْمِهِ وإنْ حَمَلَتْ حِقْداً عليَّ عشائِرُهْ

بأهْلِي ومالي مَنْ جَلَبْتُ له الأذَى ومَنْ ذِكْرُه مَنّي قَرِيبٌ أسامِرُهْ

ومَنْ لو جَرَتْ شَحْناءُ بيني وبينهُ وحاوَرَني لم أدرِ كَيْفَ أحاوِرُهْ

(١) الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الرجل، أو في باطن الذراع.

صوت

من المائة المختارة

[المتقارب]

شـأتْـكَ الـمـنَـازلُ بـالأَبْـرَقِ دَوارِسَ كـالـعِـيـنِ فـي الـمُـهْـرَقِ
لآلِ جَـمِـيـلَـةَ قـد أخْـلَـقَـتْ ومـهـمـا يَـطُـلْ عـهْـدُه يُـخْـلِـقِ
فـإنْ يـقُـلِ الـنّـاسُ لـي عـاشِـقٌ فـأيْـنَ الـذي هُـوَ لَـمْ يَـعْـشَـقِ
ولـم يَـبْـكِ نُـؤيـاً عـلـى عَـبْـرةٍ بـداءِ الـصَّـبَـابـةِ والـمَـغْـلَـقِ

شأتك: بعُدتْ عنك. والشأو: البعد. يقال: جرى الفرسُ شَأواً، يريد طَلَقاً. والمُهْرَق: الصحيفة، والجمع المَهَارق. يريد أنّ الدار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها.

الشعر للأحوص. والغناء لجَميلة، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق. وفيه لَعطَّرد ثقيلٌ أوَّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لمعبد خَفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش. وفيه رمل يقال إنه لفَريدة، ويقال إنه لمالك. وقيل إن الثقيل الأوَّل لابن عائشة. وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعَطَرَّد أيضاً.

ذكر جميلة وأَخبارها

[توفيت نحو ١٢٥هـ /نحو ٧٤٣م]

[ولاؤها وشعر عبد الرحمن بن أرطأة فيها]

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزْرج، وكانت تنزل فيهم، فغلَب عليها ولاءُ زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تَنْزِل بالسُّنْح(١) وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدِّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِيَاد الأنصاري الأمَويّ السَّعِيديّ. وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنها مولاةٌ للحَجَّاج بن عِلاَط السُّلَميّ. وهي أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحَبَابةُ وسَلاَّمة وعقيلة العقِيقية والشَّمَّاسِيَّتان خُلَيْدة ورُبَيْحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطَأة:

صوت [المتقارب]

إنّ الـدَّلاَل وَحُـسْـنَ الـغـنـا ... ءِ وَسْـطَ بُـيـوتِ بَـنِـي الـخَـزْرَجِ
وَتِـلْـكُـمْ جَـمِـيـلـةُ زَيْـنُ الـنِّـسـاءِ ... إذا هِـيَ تَـزْدانُ لِـلْـمَـخْـرَجِ
إذا جِـئْـتَـهـا بَـذَلَـتْ وُدَّهـا ... بِـوَجْـهٍ مُـنِـيـرٍ لـهـا أَبْـلَـجِ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطأة. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: فيه للدَّلال وجَميلة لحنانِ.

(١) السُّنح: موضع قرب المدينة. (معجم البلدان ٣/ ٢٦٥).

[غناؤها]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُحْرزيّ قال: كانت جميلة أعلمَ خلق اللّه بالغناء، وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جَميلة وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغَنِّين.

قال إسحاق وحدّثني أيُّوب بن عَبَاية قال: حدّثني رجل من الأنصار قال: سُئِلت جميلة: أنَّى لكِ هذا الغناء؟ قالت: واللّه ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذتُ تلك النَّغَمات فبنيتُ عليها غِنائي، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء، فعلِمتُ وألقيتُ، فسمعني مَوالِياتِي يوماً وأنا أُغنّي سرّاً ففهِمْنَنِي ودخلْنَ عليّ وقُلْنَ: قد علمنا فما تَكْتُمِينا. فأقسمْنَ عليّ، فرفعتُ صوتي وغنَّيْتُهنّ بشعر زُهَير بن أبي سُلْمَى: [البسيط]

وما ذَكَرْتُكِ إلاّ هِجْتِ لي طَرَباً ... إنّ المحبَّ ببعض الأمرِ مَعْذُورُ
ليسَ المُحِبُّ بِمَنْ إنْ شَطَّ غَيَّرَهُ ... هَجْرُ الحَبِيبِ وفي الهِجرانِ تَغْيِيرُ

صوت

[البسيط]

نام الخَلِيُّ فَنَوْمُ العَيْنِ تَغْذِيرُ ... مِمّا ادَّكَرْتُ وهمُّ النَّفْسِ مَذْكُورُ[١]
ذَكَرْتُ سَلْمَى وما ذِكْري بِراجِعِها ... وَدُونَها سَبْسَبٌ يَهْوِي به المُورُ[٢]

ـ الشعر لزُهير. والغناء في هذين البيتين لجَميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش ـ فحينئذ ظَهر أمري وشاع ذكري، فقَصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم؛ فكان الجواري يتكاوَسْنَنِي[٣]، فربماانصرف أكثرهنّ ولم يأخُذْنَ شيئاً سوى ما سمِعْنَني أُطارحُ لغيرهنّ، ولقد كَسبتُ لمَوَالِيَّ ما لم يخطُر لهنّ ببال، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ.

وحدّثني أبو خليفة قال حدّثني ابن سلاَّم قال: حدّثني مَسْلَمة بن محمد بن مَسْلَمة الثَّقفيّ قال: كانت جميلةُ ممَّن لا يُشَكُّ في فَضيلتها في الغناء، ولم يَدَّعِ أحدٌ مقارَبَتَها في ذلك، وكلُّ مدنيّ ومكيّ يشهد لها بالفضل.

---

(١) تعذير: قليل.
(٢) السبسب: المفازة. والمور: الغبار تثيره الرياح.
(٣) يتكاوسن: يحطن ويتزاحمن.

[مجلس غناء]

قال إسحاق وحدّثني هشام بن المُرِّيَّة المدنيّ قال: حدّثني جرير المدنيّ - قال إسحاق: وكانا جميعاً مغنِّيَيْن حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنَّا، فأمَّا هشام فبلغ الثمانين، وأمّا جرير فلا أدري - قال جرير:

وفَد ابنُ سرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَح ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعض من وفَدوا عليه، فأجمع رأيُهم على النزول على جَميلة مولاة بَهْزٍ، فنزلوا عليها. فخرجوا يوماً إلى العَقِيق متنزِّهين، فوردوا على مَعْبَد وابن عائشةَ فجلسوا إليهما فتحدَّثوا ساعةً؛ ثم سأل معبدٌ ابنَ سُريج وأصحابَه أن يَعْرِضوا عليهم بعضَ ما ألَّفوا. فقال ابن عائشة: إنّ للقوم أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أبا عبَّاد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فلْيَعْمَل كلُّ واحد منَّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به. قال معبد: يابن عائشة، قد أعجبتْك نَفْسُكَ حتى بلَّغتْك هذه المرتبةَ! قال ابن عائشة: أوَغَضِبْتَ يا أبا عَبَّاد! إنّي لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقَّصك فإنك لأنت المُفَادُ منه. قال معبدٌ: أمَّا إذ قد اختلفنا وأصحابُنا المَكِّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَماً. قال ابن عائشة: إنّ أصحابنا شركاءُ في الحكومة. قال ابن سُرَيج: على شَريطةٍ؛ قال: على أن يكون ما نُغَنِّي به من الشعر ما حُكِّمت فيه امرأةٌ. قال ابن عائشة ومَعْبَد: رَضِينا، وهي أمّ جُنْدَب. فأجمع رأيُهم على الاجتماع في منزل جَميلة من غَدٍ. فلما حضروا قال ابن عائشة: ما تَرى ياأبا عبَّاد؟ قال: أرى أن يبتدىء أصحابُنا أو أحدُهم قال ابن سُرَيج: بل أنتما أوْلى. قالا: لم نكن لنفعل. فأقبل ابن سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدىء فأبَى. فأجْمع رأيُ المكيِّين على أن يبتدىء ابنُ سُرَيج. فغنَّى ابن سريج:

صوت

[الطويل]

ذَهَبْتَ من الهِجْرانِ في غَيْرِ مَذْهَبِ ... ولم يَكُ حقّاً كلُّ هٰذا التَّجنُّبِ
خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أمّ جُنْدَبِ ... أُقَضِّ لُبَاناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ
فإنّكما إن تُنْظِرانِيَ ساعَةً ... منَ الدَّهرِ تَنْفَعْني لَدَى أمّ جُنْدَبِ
ألم تَرَياني كُلّما جِئْتُ طارِقاً ... وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

- الشعر لامرىء القيس. ولابن سريج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسَّبابة في مجرى الوسطى، وخفيفُ رملٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق -.

وغنّى مَعْبَد:

صوت

[الطويل]

فَلِلّهِ عينا مَنْ رأى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشَتَّ وأَنْأَى من فِراق المُحَصَّبِ[١]
عَلَوْنَ بأَنْطاكيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أو كَجَنَّةِ يَثْرِبِ[٢]
فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نَخْلَةٍ وآخَرُ منهم جازعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[٣]
فَعَيْناكَ غَرْبَا جَدْوَلٍ في مُفَاضَةٍ كَمَرِّ خَلِيجٍ في سَنيحٍ مُثَقَّبِ[٤]

وغنّى ابن مِسْجَح:

صوت

[الطويل]

وقالتْ فإنْ يُبْخَلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ يَسُؤكَ وإن يُكْشَفْ غرامُكَ تَدْرَبِ[٥]
وإنّكَ لم يَفْخَرْ عليك كفاخرٍ ضَعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبِ[٦]
وإنّكَ لم تَقْطَعْ لُبَانَةَ عاشِقٍ بمثلِ بُكُورٍ أوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبِ[٧]
بأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كأنَّ قُتُودَها على أَبْلَقِ الكَشْحَيْن ليس بمُغْرَبِ[٨]
يُغَرِّدُ بالأسْحارِ في كُلِّ سُدْفَةٍ تَغَرُّدَ مَيّاحِ النَّدامى المُطَرِّبِ[٩]

وغنّى ابنُ عائشة:

---

(١) المُحَصَّب: موضع رمي الجمار بين مكة ومنى (معجم البلدان ٥/ ٦٢).

(٢) العقمة: ضرب من الوشي. والجرمة: ما قطع من البسر. شبه الثياب التي تحملها الإبل وألوانها بأنواع البسر بألوانه المختلفة.

(٣) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة. (معجم البلدان ١/ ٤٤٩). وجزع الوادي: قطعه عرضاً. وكبكب: هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت بعرفة. (معجم البلدان ٤/ ٤٣٤).

(٤) الغرب: الدلو العظيمة، والمفاضة: الأرض الواسعة. والخليج: الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ. والسنيح المثقب: اللؤلؤ المثقوب. شبه العينين بدلوين يسيل منهما الدمع كأنه اللؤلؤ.

(٥) درب به وعليه: مرن عليه وحذقه.

(٦) المغَلَّب: المغلوب دائماً حتى أصبحت له عادة.

(٧) اللبانة: الحاجة. والبكور: السير باكراً. والمؤوَّب: المردّد، المكرَّر.

(٨) الأدماء: الناقة البيضاء، أو السمراء. والحرجوج: الناقة الطويلة الجسيمة الشديدة. والقتود، جمع قتد، وهو خشب الرحل. والكشح: الخاصرة. والمُغْرَب: الذي كل شيء منها أبيض وهو أقبح البياض، وهو عيب في النوق.

(٩) يغرّد: يطرّب. والسُّدفة: الطائفة من الليل. والميّاح: المتبختر في مِشيته. والندامى: سيل الماء إلى الروضة.

صوت [الطويل]

وقد أَغْتَدي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها ... وَماءُ النَّدَى يَجْرِي على كُلِّ مِذْنَبِ(١)
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ لاحَهُ ... طِرادُ الهَوَادِي كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ(٢)
إذا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وابتَلَّ عِطْفُهُ ... تقولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بأَثْأَبِ(٣)
له أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وساقَا نَعَامةٍ ... وصَهْوةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ(٤)

وغنَّى ابن مُحْرِز:

صوت [الطويل]

فلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ولِلسَّاقِ دِرَّةٌ ... ولِلزَّجْرِ منهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ(٥)
فأَدركَ لَمْ يَجْهَدْ ولم يُبْلِ شَدَّهُ ... يَمُرُّ كخُذْرُوفِ الوَلِيدِ المُثَقَّبِ(٦)
تَذُبُّ به طَوْراً وطَوْراً تُمِرُّهُ ... كَذَبِّ البَشِيرِ بالرِّداءِ المُهَدَّبِ(٧)
إذا ما ضَرَبْتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلَةً ... تَرَقَّبُ منِّي غَيْرَ أَدْنَى تَرَقُّبِ(٨)

وغنَّى الغريض:

صوت [الطويل]

أخا ثقةٍ لا يَلْعَنُ الحَيُّ شَخْصَهُ ... صَبُوراً على العِلاَّتِ غيرَ مُسَبَّبِ(٩)

---

(١) المنجرد: القصير الشعر. والأوابد: الوحوش، وقيد الأوابد الذي يلحقها كأنه يقيدها. ولاحه: أضناه وغيّره. والهوادي: السابقات، المتقدمات. والشأو: الغاية والأمد والشوط. والمغرِّب: البعيد المدى.

(٢) عطف كل شيء: جانبه. وهزيز الريح: صوتها. والأثأب: شجر ينبت في بطون الأودية، للريح في أضعاف أغصانه حفيف قويّ وشدّة صوت.

(٣) الأيطل: الخاصرة. وصهوة العير: ظهر الحمار. والمرقب: مكان مرتفع من الأرض يتخذ للمراقبة.

(٤) الألهوب: شدة العدو التي تثير الغبار. وللساق درّة: أي استدرار للعدو.

(٥) لم يجهد: لم يتعب. ولم يبل شدّه: لم يجرب كل سرعته. والخذروف: عويد مشقوق في وسطه يربط به خيط ويدور فيسمع له حنين، يشبه به كل شيء سريع.

(٦) البشير: الذي يأتي شخصاً أو قوماً ببشارة. وذبّ البشير: تلويحه بردائه دلالة على أنه جاءهم بخير.

(٧) الدف: الجنب، والصفحة. وأدنى الترقب: الترقب الدقيق، الشديد.

(٨) المذنب: مسيل الماء إلى الروضة.

(٩) غير مسبّب: غير مَسْبوب.

رأينـا شِيـاهـاً يَـرْتَـعِـيـنَ خَـمِـيـلَـةً كَمَشْيِ العَذَارَى في المُلاَءِ المُجَوَّبِ[١]
ومـا أنْـتَ أَمْ مَـا ذِكْـرُهـا رَبَـعِـيَّـةً تَـحُـلُّ بـإيـرٍ أو بـأكْـنـاف شُـرْبُـبِ[٢]
أَطَـعْـتُ الـوُشَـاةَ وَالـمُـشَـاةَ بِـصُـرْمِـهـا فَـقَـدْ أنْـهَـجَـتْ حِـبَـالُـهـا لِـلـتَّـقَـضُّـبِ[٣]

فقالت جميلةُ: كلُّكم مُحسِنٌ وكلّكم مُجيد في معناه ومذهبه. قال ابن عائشة: ليس هذا بمُقنِع دون التفضيل. فقالت: أمَّا أنت يا أبا يحيى[٤] فتُضْحِك الثَّكْلَى بحُسْن صوتك ومشاكلتِه للنفوس. وأمَّا أنت يا أبا عَبَّاد[٥] فنَسِيجُ وَحْدِك بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غِنائك. وأمَّا أنت يا أبا عثمان[٦] فلك أوَّلِيَّةُ هذا الأمر وفضيلتُه. وأمَّا أنت يا أبا جعفر[٧] فمع الخُلفاء تصلُح. وأمَّا أنت يا أبا الخَطَّاب[٨] فلو قَدَّمتُ أحداً على نفسي لقدَّمتُك. وأمَّا أنت يا مَوْلَى العَبَلات[٩] فلو ابتدأتَ لقدَّمتُك عليهم. ثم سألوها جيمعاً أن تغنِّيهم لحناً كما غَنَّوا؛ فغنَّتْهم بيتاً لامرىء القيس وأربعة أبيات لعَلْقَمة[١٠] وهي: [الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ مُـرَّا بِـي عَـلَـى أمِّ جُـنْـدَبِ أُقَـضِّ لُـبـانـاتِ الـفُـؤادِ الـمُـعَـذَّبِ
لَـيَـالِـيَ لا تَـبْـلَـى نَـصِـيـحَـةُ بَـيْـنِـنـا لَـيَـالِـيَ حَـلُّـوا بـالـسُّـتـارِ فَـغُـرَّبِ[١١]
مُـبَـتَّـلَـةٌ كـأنَّ أَنْـضَـاءَ حَـلْـيِـهـا عـلـى شادِنٍ مـن صَـاحَـةٍ مُـتَـرَبِّـبِ[١٢]

---

(١) الشياه: جمع شاة، وهي هنا البقرة الوحشية. والخميلة: الأرض ذات الشجر الذي أصبح لها كالخمل للثوب. والملاء: جمع ملاءة، وهي نوع من اللباس. والمجوَّب: الذي له جيب.
(٢) اير: جبل بأرض غطفان (معجم البلدان ١/ ٢٩٠). وشربب: وادٍ في ديار بني سليم (معجم البلدان ٣/ ٣٣٢). وأكناف المكان: نواحيه.
(٣) أنهجت: بليت، وخلقت. والتقضب: التقطع.
(٤) أبو يحيى: كنية ابن سريج.
(٥) أبو عبّاد: كنية معبد.
(٦) ابو عثمان: كنية ابن مسجح.
(٧) ابو جعفر: كنية ابن عائشة.
(٨) أبو الخطاب: كنية ابن محرز.
(٩) مولى العبلات: لقب الغريض.
(١٠) هو علقمة الفحل: شاعر جاهلي معاصر لامرىء القيس، وله معه مساجلات.
(١١) الستار: جبل بالعالية في ديار بني سليم. (معجم البلدان ٣/ ١٨٨) وغُرَّب: جبل في ديار بني كلب (معجم البلدان ٤/ ١٩٢).
(١٢) المبتَّلة الواسعة المنكبين، الضامرة الخصر. والشادن: ولد الظبية. وصاحة: جبل أحمر بالركاء والدخول، وقيل غير ذلك انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٧. والمتربِّب: المربَّى.

مَـحَـالٌ كـأَجْـوازِ الـجَـرادِ وَلُـؤْلـؤٌ ... من القَـلَقِـيِّ وَالكَبِيسِ المُلَوَّبِ[١]
إذا أَلْـحَـمَ الـواشُـونَ لِـلـشَّـرِّ بَيْـنَـنـا ... تَبَـلَّـغَ رَسُّ الحبِّ غَيْـرُ المُكَـذَّبِ[٢]

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها. فقالت لهم: ألاَ أُحدِّثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غِنائكم وتَمامُ اختياركم؟ قالوا: بَلَى واللَّه. قال الغريض: قد واللَّه فهمتُه يا سيِّدتي. قالت: لعنك اللَّه يا مخنَّث! ما أجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك! وما يُلام فيك أبو يحيى إذ عرفتَه؛ فهاته حدِّثنا. قال: يا سيِّدتي وسيِّدةَ مَنْ حضر، واللَّه لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ، ولكِ الفضلُ والعُتْبَى. قالت: نازع امرؤ القيس عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ الفحلَ الشعرَ؛ فقال له: قد حَكَّمتُ بيني وبينك امرأتَك أُمَّ جُنْدَب؛ قال: قد رَضِيتُ. فقالت لهما: قُولا شعراً على رَويٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ. فقال امرؤ القيس: [الطويل]

خَـلِـيـلـيَّ مُـرَّا بِـي عَـلَـى أمِّ جُـنْـدَبِ ... أُقَـضِّ لُـبـانـاتِ الـفُـؤادِ الـمُـعَـذَّبِ

وقال علقمة: [الطويل]

ذَهَبْتَ من الهِجْرانِ في غَيْرِ مَذْهَبِ ... وَلَـمْ يَـكُ حـقـاً كُـلُّ هٰـذا الـتَّـجَـنُّـبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ عَلْقمةَ. فقال لها زوجُها: بأيّ شيء غلَّبْتِهِ؟ قالت: لأنَّك قلت: [الطويل]

فَـلِـلـسَّـوْطِ أُلْـهُـوبٌ وَلِـلـسَّـاقِ دِرَّةٌ ... ولِـلـزَّجْـرِ مِـنْـهُ وَقْـعُ أَهْـوَجَ مِـنْـعَـبِ[٣]

فَجَهَدْتَ فرسَك بسَوْطِك، ومَرَيْتَه[٤] بساقِك وزَجْرك، وأتْعبتَه بجَهْدك. وقال علقمةُ: [الطويل]

فَـوَلَّـى عَـلَـى آثـارِهِـنَّ بِـحَـاصِـبٍ ... وَغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلْهِبِ[٥]

(١) المحال: ضرب من الحلي المحزز. والأجواز: جمع جوز، وهو وسط الشيء. والقلقيّ: ضرب من القلائد. والكبيس: حلي مجوف يحشى طيباً ويكبس. والملوّب: المعطر بالملاب.
(٢) ألحم: أولج. ورس الحب: الراسخ منه.
(٣) المِنْعَب: الأحمق المصوت.
(٤) مَرَى الفرسَ: حمله على ابراز مقدرته على الجري بسوط ونحوه.
(٥) على آثارهن: أي على آثار البقر الوحشي. والغيبة: المطرة الشديدة. والشؤبدب: الدفعة من المطر. شبه السرعة بالمطر الغزير.

فَأَدْرَكَهُنَّ ثانِياً من عِنانِهِ ... يَمُرُّ كَمَرِّ الرّائِحِ المُتَحَلِّبِ[(١)]

فلم يضرب فرسَه بسوط، ولم يَمْرِه بساق، ولم يتُعبْه بزَجْر. فقال ابن عائشة: جُعِلتُ فِداكِ! أتأذَنِينَ أن أُحدِّث؟ قالت: هِيه. قال: إنما تزوَّج أُمَّ جُنْدَب حين هرَب من المُنْذر بن ماء السماء فأتى جَبَليْ طَيءٍ، وكان مُفَرَّكاً[(٢)]. فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له: قُمْ يا خيرَ الفِتيان فقد أصبحتَ، فلم يقم، فكرَّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلع، فرجع فقال لها: ما حملكِ على ما صَنَعتِ؟ فأمسكتْ. وألحَّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العَجِيزة، سريعُ الإراقة، بطيءُ الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكتَ. فلما أصْبح أتى علقمةَ وهو في خَيْمته وخَلْفَه أمّ جُنْدَب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك، فتحاكما إلى أمّ جُنْدَب، ففضَّلت أمُّ جندب عَلْقمة على امرىء القيس. فقال لها: بم فَضَّلتِه عليّ؟ قالت: فرسُ ابن عَبَدَةَ أجودُ من فرسك. زجرتَ وضربت وحرَّكت ساقيْك، وابنُ عَبَدَةَ جامدٌ لا مقتدر. فغضب من قولها وطلَّقها، وخلَف عليها عَلْقمةُ. فقالت جميلة: ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا!. ثم دعتْ بالغَداء فأُتي بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة. ثم قالت: لولا شَناعةُ[(٣)] مجلسنا لكان الشراب مُعَدّاً ولكنّ الليل بيننا. فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث. فلما جَنَّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكل رجلٍ منهم بعود، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ، ثم قالت: اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد، وغنَّتْ بشعر امرىء القيس: [المتقارب]

أَأَذْكَرْتَ نَفْسَكَ ما لَنْ يَعُودَا ... فَهاجَ التَّذَكُّرُ قَلْباً عَمِيدَا
تَذَكَّرْتَ هِنْداً وَأَتْرابَها ... وَأَيَّامَ كُنْتَ لَها مُسْتَقِيدا[(٤)]
وَيُعْجِبُكَ اللَّهْوُ والمُسْمِعاتُ ... فأصْبَحْتَ أزْمَعْتَ مِنْها صُدُودا
وَنادَمْتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ ... فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدا[(٥)]

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك. ثم قالت: تَغَنَّوْا جميعاً بلحنٍ

(١) الرائح: سحاب المساء. والمتحلب: المتساقط بغزارة.
(٢) المفرّك: الذي تبغضه امرأته.
(٣) الشناعة: القبح.
(٤) مستقيداً: سهل القياد.
(٥) أوجهني: جعلني وجيهاً، شرّفني.

واحد؛ فغنَّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنَّته. وعلم القوم ما أرادتْ بهذا الشعر، فقال ابن عائشة: جُعلتُ فِداكِ! نرجو أن يدوم مجلسنا، ويُؤثر أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كل ما نَملكه. قال أبو عَبَّاد: وكيف بذاك!. فباتوا بأنعم ليلةٍ وأحسنها. قال إسحاق، قال أبي، قال لي يونس: قال أبو عبَّاد: لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيره مثلَ ذلك اليوم، ولا أحسَبه يكون بعدُ. قال يونس: ولا أدركْنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغْنا. قال إسحاق: ولا أنا، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعدُ.

[عبد الله بن جعفر يزورها طالباً السَّماع]

وحدّثني أبي قال: حدّثنا يونس قال: قال لي أبو عَبَّاد: أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبقْتُ الناسَ إليها، فإذا مجلسُها غاصٌّ؛ فسألتُها أن تُعَلِّمني شيئاً؛ فقالت لي: إنّ غيرك قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك. فقلْتُ: جُعِلتُ فِداكِ! إلى متى تَفْرُغِينَ مِمَّن سَبقني! قالت: هو ذاك، الحقُّ يَسَعُك ويَسَعُهم. فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ اللَّه بن جعفر ـ وإنه لأوَّل يوم رأيتُه وآخرُه وكنت صغيراً كَيِّساً، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ـ فقامت وقام النَّاس، فتلقَّتْه وقبَّلتْ رجليْه ويديْه، وجلس في صدر المجلس على كَوْم لها وتحوَّق أصحابُه حَوْلَه[1]، وأشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرَّق النَّاسُ، وغمَزتْنِي أن لا أبرح فأقمتُ. وقالت: يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومَوَاليَّ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقل قدميك إلى أَمَتِك؟ قال: يا جَميلة، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِكِ ألاَّ تغنِّي أحداً إلاَّ في منزلِكِ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً ماذّاً فسيحاً. قالت: جُعِلتُ فداكَ! فأنا أصِيرُ إليكَ وأُكفِّر. قال: لا أُكلِّفكِ ذلك، وبلغني أنك تُغنِّين بيتين لامرىء القيس تُجيدين الغناءَ فيهما، وكان اللَّهُ أنْقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت. قالت: يا سيِّدي نعم! فاندفعتْ تغنّي فغنَّتْ بعُودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء؛ فسبَّح عبدُ اللَّه بن جعفر والقومَ معه. وهما: [الطويل]

ولـمـا رأتْ أنَّ الـشَّـريـعَـةَ هَـمُّـهـا وَأنَّ الـبَـيـاضَ مـن فَـرَائِـصِـهـا دَامِـي[2]

---

(١) تحوّقوا حوله: أحاطوا به.

(٢) الشريعة: مورد الماء. وهمها: مرادها.

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ الَّتي عِنْدَ ضارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِي[١]

ـ ولابنِ مِسْجَح في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما ـ فلما فرغتْ قالت جميلة: أيْ سيِّدي أَزِيدُكَ؟ قال: حَسْبي. فقال بعضُ من كان معه: بأبي جُعلت فداكَ! وكيف أَنْقذ اللَّهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين؟ قال: نعمْ، أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضلُّوا الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء، وجعَل الرجَلُ منهم يَسْتَذْري[٢] بفَيْءِ السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال:

وَلَمّا رأَتْ أنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّها وأنَّ البَياضَ من فَرائِصِها دامِي
تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التَّي عندَ ضارِجٍ يَفِيء عَلَيْها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِي

فقال الراكبُ: مَنْ يقول هذا؟ قال امرؤ القَيْس. قال: واللَّه ما كذَب؛ هذا ضارِجٌ عندكم، وأشار لهم إليه، فحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عَذْبٌ وإذا عليه العَرْمَضُ والظلُّ يَفِيءُ عليه، فشربوا منه رِيَّهم وحمَلوا ما اكتفَوْا به حتى بلَغوا الماءَ، فأتوا النبيَّ ﷺ فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر امرىء القيس، وأنشدوه الشعرَ. فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار**». فكلٌّ استحسن الحديثَ. ونَهض عبدُ اللَّه بن جعفر ونَهض القومُ معه. فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه.

قال إسحاق: حدّثني بعض أهل العلم عن ابن عَيَّاش عن الشَّعْبيّ قال:

رأيت دَغْفَلاً النَّسابةَ يحدِّث أنه رأى العباسَ بن عبد المطَّلب سأل عمرَ بن الخَطَّاب عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتقَر عن معانٍ عُورٍ أصحَّ بَصَراً. قال إسحاق: معنى خسَف: احتفرَ. وهو من كِنْدَةَ من اليمن، وليست لهم فصاحةُ مُضَر، ولا شعرُهم بجيِّد. فجَعل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما قاله: أصحَّ بصراً أي أجودَ شعراً. ومعنى افتقَر: احتفر. والفَقيرة: الحَفيرة تُحفر للفَسِيلة لتُغْرَس. وكل ما ابتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير. والمعنى أنه قال شعراً جيِّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر.

---

(١) ضارج: موضع في بلاد عبس. (معجم البلدان ٣/ ٤٥٠). والعرمض: الطحلب. والطامي: المرتفع.
(٢) يستذري: يستظلّ.

وقال عُمارة بن عُقيل بن بلال بن جَرير بن الخَطَفَى: سمعت أبي يقول: دخل جدّي على بعض ملوك بني أمية؛ فقال: ألاَ تخبرني عن الشعراء؟ قال: بَلَى. قال: مَنْ أشعر الناس؟ قال: ابنُ العشرين (يعني طَرَفة). قال: فما تقول في امرىء القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين، فأُقْسِم باللّه لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[1]. قال: فما رأيُك في ابن أبي سُلْمَى؟ قال: كان يَبْري الشعر. قال: فما رأيُك في ذي الرُّمَّة؟ قال: قدَر من طريف الكلام وغريبه وحَسَنِه على ما لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعرَ.

[مكانتها في الغناء وأستاذيتها وإعجاب الناس بغنائها]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حدّثني أيّوب بن عَبَايَة عن رجل من الأنصار قال: زار معبدٌ مالكَ بن أبي السَّمْح؛ فقال له: هل لك أن نصير إلى جَميلة؟ فمضيا جميعاً فقصداها؛ فأذنتْ لهما فدخلا، فأخرجتْ إليها رُقْعة فيها أبيات، فقالت لمعبد: بَعث بهذه الرقعة إليّ فلان أُغنِّي فيها. فقال مَعْبد: فابتدئي؛ فابتدأتْ جميلةُ فغنَّت:

صوت [مجزوء الرمل]

إنَّــمــا الــذُّلْــفــاءُ هَــمِّــي فــلْــيَــدَعْــنِــي مَــنْ يَــلُــومُ

فغنَّى معبد:

أحْــسَــنُ الــنّــاسِ جَــمِــيــعــاً حِــيــنَ تَــمْــشِــي وَتَــقُــومُ

فغنَّت جميلة:

حَــبَّــبَ الــذُّلْــفــاءَ عِــنْــدِي مَــنْــطِــقٌ مــنــهــا رَخِــيــم

فغنَّى معبد:

أَصِــلُ الــحَــبْــلَ لِــتَــرْضَــى وَهْــيَ لِــلْــحَــبْــلِ صَــرُومُ

فغنَّت جميلة:

(١) رفعت له ذلاذله: رفعت له الأطراف المتدلّية في ثوبه. قميص، كناية عن خدمته له.

حُـبُّـهــا فِــي الــقَــلْــبِ داءٌ مُــســتَــكِــنٌّ لا يَــرِيــمُ

طريقةٌ واحدة ـ الشعر للأحوص. وذكر ابن النَّطاح أنه للبَخْتَرِيّ العِبَاديّ والغِناء لمَعْبد، وله فيه لحنانِ خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالسّبابة في مجرى البِنْصَر عن ابن المكيّ، وثقيل أوَّل بالوسطى عن عَمْرو. وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكيّ أن له فيه خفيفَ ثقيل آخر. وذكر حَمَّاد بن إسحاق أن فيه لمالكٍ وجَميلةَ لحنين ـ وقالت لمَعْبد ولمالك: يغنِّي كلُّ واحد منكما لحناً مما عمله. فغنَّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به، وكان مُعْجَباً بها، وكانت هي له مُكْرِمة، وهو قوله: [المتقارب]

شَــأَتْــكَ الــمَــنــازِلُ بــالأَبْــرَقِ دَوارِس كــالــعَــيْــنِ فــي الــمُــهْــرَقِ
لآلِ جَــمــيــلَــةَ قَــدْ أَخْــلَــقَــتْ وَمَــهْــمــا يَــطُــلْ عَــهْــدُهُ يُــخْــلِــقِ
فَــإنْ يَــقُــلِ الــنّــاسُ لِــي عــاشِــقٌ فــأيْــنَ الَّــذِي هُــوَ لَــمْ يَــعْــشَــقِ
وَلَــمْ يَــبْــكِ نُــؤْيــاً عــلــى عَــبْــرَةٍ بــداءِ الــصَّــبــابَــةِ والــمَــغْــلَــقِ

ـ في هذه الأبيات ثقيلٌ أوَّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعَطَرَّد، وذكر ابن المكيّ أنه لجَميلة. وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مَجْراها، ذكر إسحاق أنه لعَطَرَّد أيضاً وعمرو، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوَّل لابن عائشة. وذكر حَبَش أنَّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعْبد وأن خفيفَ الرَّمَل لمالك ـ قال معبد: فسُرَّتْ جميلةُ بما غنَّيتُها به وتبسَّمت وقالت: حَسْبُك يا أبا عَبَّاد! ولم تَكْنِني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أخا طيِّىء هاتِ ما عندك وجِئْنا مثلَ قول عَبْد ابن قَطَن[١]؛ فاندفع وغنَّى بلحنٍ لها، وقد تغنَّى به أيضاً معبدٌ لها. واللحنُ: [الطويل]

أَلاَ مَــنْ لِــقَــلْــبٍ لا يَــمَــلُّ فَــيَــذْهَــلُ أَفِــقْ فَــالــتَّــعَــزِّي عَــنْ بُــثَــيْــنَــةَ أَجْــمَــلُ
فَــمــا هٰــكَــذا أَحْــبَــبْــتَ مَــنْ كــانَ قَــبْــلَــهــا ولا هٰــكَــذا فِــيــمــا مَــضَــى كُــنْــتَ تَــفْــعَــلُ
فَــإِنَّ الَّــتِــي أَحْــبَــبْــتَ قَــدْ حِــيــلَ دُونَــهــا فَــكُــنْ حــازِمــاً وَالــحَــازِمُ الــمُــتَــحَــوِّلُ

ـ لحنُ جَميلة هكذا ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر. وفيه ألحان عِدَّةٌ مع أبيات أُخَرَ من القصيدة، وهي لجميل ـ فقالت جميلة: أحسنت واللّٰه في غنائك وفي الأداء عنّي. أمَّا قوله: «شَأَتْك» فأراد بعُدتْ عنك. والشَّأْو: البعد، يقال: جَرَى القرس شَأْواً أو شأوين أي طَلقاً أو طَلَقين. والمُهْرَق: الصحيفة بما فيها من الكتابة، والجمع

(١) عبد ابن قطن: معبد لأنه مولى ابن قطن.

مَهَارِق؛ قال ذو الرمّة: [الطويل]

كَمُسْتَعْبِرٍ في رَسْم دارٍ كأنَّها ... بِوَعْساءَ تَنْضُوها الجَمَاهِيرُ مُهْرَقُ[1]

والعين أن تتعيَّن الإداوة أو القِرْبةُ التي تُخْرَز ويَسِيل الماء عن عيون الخَرْز. فشبَّه ما بقي من الدار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأما الذَّلْفاء الذي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أهلُ المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلَّقها: [البسيط]

لا بارَكَ اللَّهُ في دارٍ عَدَدْتُ بها ... طلاقَ ذَلْفاءَ من دارٍ ومَن بَلَدِ

فلا يَقُولَنْ ثلاثاً قائلٌ أبداً ... إنّي وَجَدْتُ ثلاثاً أنْكَدَ العَدَدِ

فكان إذا عَدَّ شيئاً يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

[قصة شعرٍ غنَّته جميلة]

وقالت جميلة: حدّثتني بُثَينة ـ وكانت صَدُوقةَ اللسان جميلةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفةَ البطن والفرج ـ قالت: واللَّه ما أرادني جَميلٌ رحمةُ اللَّه عليه بريبةٍ قطّ ولا حَدَّثت أنا نفسي بذلك منه. وإنّ الحيّ انتجعوا موضعاً، وإني لفي هَوْدج لي أَسيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنْشِد أبياتاً، فلم أتمالكْ أن رميتُ بنفسي وأهلُ الحيّ ينظرون، فبقيت أطلب المُنْشِدَ فلم أقف عليه، فناديتُ: أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءَك منه؟ وأنا أحسبه قد قَضَى نَحْبَه ومَضَى لسبيله، فلم يُجِبْنِي مُجِيب؛ فناديت ثلاثاً، وفي كل ذلك لا يردُّ عليّ أحدٌ شيئاً. فقال صَوَاحِبَاتِي: أصابكِ يا بُثَيْنة طائفٌ من الشيطان؟ فقلت: كَلاَّ! لقد سمعتُ قائلاً يقول! قُلْنَ: نحن معكِ ولم نسمعْ! فرجعتُ فركبت مطيَّتي وأنا حَيْرَى والهةُ العقل كاسفةُ البال، ثم سرْنا. فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتِفُ بذلك الشعر بعينه، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت، فلما قَرُبت منه انقطع؛ فقلت: أيها الهاتف، ارحمْ حَيْرتي وسكِّن عَبْرتي بخبر هذه الأبيات؛ فإن لها شأناً! فلم يردّ عليّ شيئاً. فرجعتُ إلى رَحْلي فركبت وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل؛ وفي كل ذلك لا يُخْبرني صَوَاحِبَاتي أنهنّ سمِعْنَ شيئاً. فلما كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول: يا بُثَينة، أَقْبِلي إليّ أُنبِئْك عمَّا تريدين. فأقبلتُ نحوَ الصوت، فإذا شيخٌ كأنه

(١) الوعساء: الأرض اللينة. والجماهير: جمع جمهور وهو الرمل الكثير المتراكم.

من رجال الحيّ، فسألتُه عن اسمه وبَيْته. فقال: دَعِي هذا وخُذِي فيما هو أهمُّ عليكِ. فقلتُ له: وإن هذا لَمِمّا يَهُمُّني. قال: اقنَعي بما قلتُ لكِ. قلت له: أنت المنشدُ الأبيات؟ قال: نعم. قلتُ: فما خبرُ جميل؟ قال: نعمْ فارقتُه وقد قَضَى نَحْبَه وصار إلى حفْرته رحمة الله عليه. فصرَختُ صَرْخةً آذنتُ منها الحيَّ، وسقطتُ لوجهي فأُغْمِي عليّ، فكأنَّ صوتي لم يسمَعْه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتي، ثم أَفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني. فقال لي أهلي: ما خبركِ وما شأنُكِ؟ فقصصْتُ عليهم القصَّة. فقالوا: يَرْحَم الله جميلاً. واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأسعدْنَني بالبكاء، فأقَمْنَ كذلك لا يفارقْنَنِي ثلاثاً، وتحزَّن الرجالُ أيضاً وبَكَوْا ورَثَوْه وقالوا كلُّهم: يَرْحَمُه الله، فإنه كان عفيفاً صَدُوقاً! فلم أكتحلْ بعده بإثْمِد[1] ولا فَرقتُ رأسي بمَخيط ولا مُشط ولا دهَنْتُه إلا من صُدَاع خِفْتُ على بَصرِي منه ولا لبِستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أبْكِيه إلى الممات. قالت جميلة: فأنشدتْني الشعرَ كلَّه وهذا الغناء بعضُه، وهو: [الطويل]

ألا مَنْ لِقَلْبٍ لا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ ... أَفِقْ فَالتَّعَزِّي عَنْ بُثَيْنَةَ أَجْمَلُ

[مجلس غناء يجمع جميلة وابن سريج ومعبد]

قال ابن سَلاَّم: حدّثني جرير قال:

زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها. فلما قدِم عليها أنزلتْه وأكرمتْه وسألتْه عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبرُ. وكانت تُطَارِحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها. وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقةٌ ظريفةٌ، فابتدأتْ تُطارِحها. فقال ابن سُرَيج: سبحانَ الله! نحن كنَّا أحقَّ بالابتداء. قالت جميلة: كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمَّر عليه. فقال ابن سُرَيج: صدقتِ جُعلت فداءكِ! وما أدري أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤك. فقالت له: كُفَّ يا عُبَيد، فإنَّ النبيّ ﷺ قال: «**احْثُوا في وجوه المَدَّاحين الترابَ**». فسكت ابنُ سُرَيج. وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائي: [الطويل]

أتَعْرِفُ آثارَ الدِّيارِ تَوَهُّماً ... كَخَطِّكَ في رَقٍّ كِتاباً مُنَمْنَما

---

(١) الإثمد: ما يكتحل به.

أذاعَتْ بِهِ الأرواحُ بَعْدَ أَنِيسِها شُهوراً وَأيَّاماً وحَوْلاً مُجَرَّما[1]
فَأَصْبَحْنَ قَدْ غَيَّرْنَ ظاهِرَ تُرْبِهِ وَغَيَّرَتِ الأنْواءُ ما كانَ مَعْلَما
وَغَيَّرها طُولُ التَّقادُمِ وَالبِلَى فما أعْرِفُ الأطْلالَ إلا تَوَهُّما

قال: فحُدِّثْتُ أنه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذَّاق أهل الغناء، فكلُّهم قال: مَزَامِيرُ داود! قال ابنُ سُرَيج لها: أفأُسْمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاتِه؛ فغنَّى: [الطويل]

دِيار الَّتي قامَتْ تُريكَ وَقَدْ عَفَتْ وَأَقْوَتْ مِنَ الزُّوَّارِ كَفاً ومِعْصَما
تَهَادَى عَلَيْها حَلْيُها ذاتَ بَهْجَةٍ وَكَشْحاً كطَيِّ السَّابِرِيَّةِ أَهْضَما[2]
فَبانَتْ لِطَيَّاتٍ لَها وَتَبَدَّلَتْ بِهِ بَدَلاً مَرَّتْ بِهِ الطَّيْرُ أَشْؤُما
وَعاذِلَتانِ هَبَّتا بَعْدَ هَجْعَةٍ تَلُومانِ مِتْلافاً مُفِيداً مُلَوَّما

قالت جميلةُ: أحسنتَ يا عُبيد، وقد غفرْنا لك زَلَّتَك لحسن غنائك. قال مَعْبد: جُعلت فداءَكِ! أفلا أُسْمِعُكِ أنا أيضاً لَحْناً عملتُه في هذا الشعر؟ قالت: هاتِ وإنِّي لأعلم أنك تُحْسِن. فاندفع فغنَّى: [الطويل]

فَقُلْتُ وَقَدْ طالَ العِتابُ عَلَيْهِما وَأَوْعَدَتانِي أنْ تَبِينا وتَصْرِما
ألا لا تَلُومانِي عَلى ما تَقَدَّما كَفَى بِصُرُوفِ الدَّهْرِ لِلْمَرْءِ مُحْكِما
تَلُومانِ لَمّا غَوَّرَ النَّجْمُ ضَلَّةً فَتًى لا يَرَى الإنفاقَ في الحَقِّ مَغْرَما

قالت جميلةُ: ما عدوت الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها. قال مالكٌ: أفلا أُغنِّيكِ أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتُكَ إلاَّ تُجِيد الغناء وتُحْسِن، فهات. فاندفع فغنَّى في هذا الشعر: [الطويل]

يُضِيءُ لَنا البَيتُ الظَّلِيلُ خَصَاصُهُ إذا هِيَ لَيْلاً حاوَلَتْ أنْ تَبَسَّما[3]
إذا انْقَلَبَتْ فَوْقَ الحَشِيَّةِ مَرَّةً تَرَنَّمَ وَسْواسُ الحُلِيِّ تَرَنُّما[4]
ونَحْراً كفَاثُورِ اللُّجَيْنِ يَزِينُهُ تَوَقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ مُنَظَّما[5]

(١) العام المُجرَّم: السنة الكاملة.
(٢) السابرية: ضرب من الثياب رقيق جيد. والكشح الأهضم: المنضمّ.
(٣) الخصاص: جمع خصاصة وهي الفرجة.
(٤) وسواس الحليّ: صوته.
(٥) الفاثور: الخوان المتخذ من الفضة. واللجين: الفضة. والشذر: جمع شذرة وهي اللؤلؤة الصغيرة.

كَجَمْرِ الغَضَى هَبَّتْ بهِ بَعْدَ هَجْعَةٍ ... مِنَ اللَّيْلِ أَرْواحُ الصَّبَا فَتَنَسَّما

فقالت: جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نَظَمْتَ، وإنَّ صوتَك يا مالكُ لمِمَّا يَزيد العقلَ قوَّةً والنفسَ طِيباً والطبيعةَ سُهولة، وما أحسَب أن مجلسَنا هذا إلاّ سيكون عَلَماً وفي آخرِ الزمان متواصَفاً؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعايِن وخاصَّة في الغناء.

[جميلة تغني للأحوص وابن أبي ربيعة وابن أبي عتيق]

وحدّثني الحسن بن عُتْبة اللَّهَبِيّ قال: حدّثني من رأى ابن أبي عَتيق وابنَ أبي ربيعة والأحوصَ بن محمد الأنصاريّ وقد أتَوا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم، فلما جلسوا سألت عمرَ وأَحْفتْ؛ فقال لها: إنِّي قصدتُك من مكة للسلام عليكِ. فقالت له: أهلُ الفضل أنتَ. قال: وقد أحببتُ أن تُفرِّغي لنا نفسَكِ اليومَ وتُخْلي لنا مجلسَكِ؛ قالت: أفعل. قال لها الأحوص: أُحبُّ ألاّ تُغنِّي إلاّ ما أسألكِ. قالت: ليس المجلس لكَ، والقوم شركاؤكَ فيه. قال: أَجَلْ. قال عمر: إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكُنْ. قال الأحوص: كَلاَّ!. قال عمر: فإنِّي أَرَى أن نجعل الخيارَ إليها. قال ابنُ أبي عَتيق: وفَّقكَ اللّه. فدعتْ بالعود وغنَّتْ: [المنسرح]

تَمْشِي الهُوَيْنَى إذا مَشَتْ فُضُلاً ... مَشْيَ النَّزِيفِ المَخْمُورِ في الصُّعُدِ[1]
تَظَلُّ مِنْ زَوْرِ بَيْتِ جارَتِها ... وَاضِعَةً كَفَّها عَلى الكَبِدِ
يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ سَدِمٍ ... عالٍ رَهِينٍ مُكَلَّمٍ كَمِدِ[2]
أزْجُرُه وَهْوَ غَيْرُ مُزْدَجِرٍ ... عَنْها وَطَرْفِي مُكَحَّلُ السَّهَدِ

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلْزَلةٌ وللدار هَمْهمةٌ: فقال عمر: للّه دَرُّكِ يا جَميلة! ماذا أُعْطِيت! أنت أوَّلُ الغناء وآخره!. ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العودَ وغنَّتْ: [البسيط]

شَطَّتْ سُعَادُ وَأَمْسَى البَيْنُ قد أَفِدَا ... وأَوْرثُوكَ سَقاماً يَصْدَعُ الكَبِدا
لا أَسْتَطِيعُ لها هَجْراً ولا تِرَةً ... ولا تَزالُ أحادِيثِي بها جُدُدا

---

(١) فضلاً: مبتذلة في ثوب واحد. والنزيف: المحموم، والسكران الذي أذهبت الخمرة عقله. والصُعُد: الأمكنة العالية.

(٢) السّدِم: الشديد العشق. والمكلّم: المجرّح. والكمد: الحزين.

ـ الغناء فيه لسِيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جَميلة. وذكر إبراهيمُ أن فيه لحناً لحَكَم الوادِي. وذكر الهِشَاميّ وابن خُرْداذبه أنه من ألحان عمر بن عبد العزيز بن مَرْوان في سُعَاد وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر إبراهيمُ أن لابن جامع فيه أيضاً صنْعةً ـ فاستَخفَّ القومَ أجمعين، وصفَّقوا بأيديهم وفحَصوا بأرجلهم وحرَّكوا رُؤوسَهم، وقالوا: نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ من المكروه، ما أحسنَ ما غنَّيت وأجملَ ما قلتِ!. وأُحْضِر الغَداءُ فتغدّى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارَّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبة واليابسة، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عتيق مثلَ ذلك؛ فقال الأحوصُ: لكنَّني أشرب؛ وما جزاءُ جَميلة أن يُمتَنع من شرابها!. قال عمر: ليس ذلك كما ظننته. قالت جميلة: من شاء أن يَحْمِلَني بنفسه ويَخْلِطَ رُوحي بروحه شكرناه، ومن أَبَى ذلك عذرناه، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنْس بمحادثته. قال ابن أبي عَتيق: ما يحسُن بنا إلا مساعدتُكِ. قال عمر: لا أكون أخسَّكم، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغنَّت صوتاً بشعر لعمر: [الرمل]

وَلَقَدْ قالتْ لِجاراتٍ لَها ... كالمَها يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها
خُذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُنِي ... وَمَضَتْ تَسْعَى إلى قُبَّتِها
لَمْ تُعانِقْ رَجُلاً فيما مَضَى ... طَفْلَةٌ غَيْداءُ في حُلَّتِها
لَمْ يَطِشْ قَطُّ لها سَهْمٌ وَمَنْ ... تَرْمِهِ لا يَنْجُ مِن رَمْيَتِها

ـ لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهِشَاميّ أنَّ فيه لابن المكيّ رَمَلاً بالبنصر. وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلاً بالوسطى ـ فصاح عمر: وَيْلاه! ويلاه! ثلاثاً، ثم عَمَد إلى جَيْب قميصِه فشقَّه إلى أسفله فصار قَبَاءً[1]، ثم آب إليه عقلُه فندِم واعتذر وقال: لم أملكْ من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالذي أصابكَ وأُغْمي علينا، غير أنَّا فارقْناك في تخريق الثياب. فدعت جميلةُ بثياب فخلَعتْها على عمرَ، فقبلها ولبسها، وانصرف القومُ إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي عَتيق، فوجَّه عمر إلى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معهُ، فقبِلتْها جميلةُ. وانصرف عمرُ إلى مكة جَذْلانَ مَسْروراً.

---

(١) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب يتمنطق به.

[جميلة تذهب إلى مكة للحجّ]

قال إسحاقُ: وحدّثني أبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا: حَجَّتْ جميلةُ، وأخبرني إسماعيلُ بن يونُس قال: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة. قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثني أبي عن سِيَاطٍ وابنُ جامع عن يونُسَ الكاتبِ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني عمِّي مُصْعب قالوا جميعاً: إنّ جَميلة حَجَّتْ ـ وقد جمعتُ رواياتهم لتقارُبها، وأحسَب الخبر كلَّه مصنوعاً وذلك بيِّنٌ فيه ـ فخرج معها من المغنِّين مشيِّعين حتى وافَوْا مكةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذَّاق بالغناء هِيتٌ وطُوَيْسٌ والدَّلاَل وبَرْدُ الفؤاد ونَوْمَةُ الضُّحى وفِنْدٌ ورَحْمةُ وهِبَةُ اللّه ـ هؤلاء مَشَايخُ وكلُّهم طيِّب الغناء ـ ومَعْبَدٌ ومالِكٌ وابنُ عائشة ونافِعُ بن طُنْبورَةَ وبُدَيحٌ المَليح ونافعُ الخير، ومن المغنيات الفَرهَةُ وعَزَّةُ المَيْلاء وحَبَابَةُ وسَلاَّمةُ وخُلَيدة وعُقَيلة والشمّاسيّة وفَرْعَةُ وبُلْبُلةُ ولَذَّةُ العيشِ وسُعيدة والزَّرْقاء، ومن غير المغنِّين ابنُ أبي عَتِيق والأحْوَص وكثيِّر عَزَّةَ ونُصَيب وجماعةٌ من الأشراف، وكذلك من النساء من مَواليها وغيرهنّ. وأما سِيَاطٌ فذكرَ أنه حَجَّ معها من القِيَانِ مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدْرها ولحقَّها زُهَاءُ خمسين قَيْنةً، وجّه بهنّ مَواليهنّ معها فأعطَوْهنّ النفقات وحَملوهنّ على الإبل في الهوادج والقِبَابِ وغير ذلك؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهماً فما فوقَه حتى رجَعْنَ. وأما يونُس فذكر أنه حَجّ معها من الرجال المغنين مع من سَمَّينا زُهَاءُ ثلاثين رجلاً، وتخايروا في اتخاذ أنواع اللِّباس العَجيب الظَّريف وكذلك في الهوادج والقِباب. وقيل، فيما قال أهلُ المدينة: إنهم ما رأَوْا مثلَ ذلك الجَمْع سَفْراً طيباً وحُسْناً ومَلاَحةً. قالوا: ولما قاربُوا مكة تلقَّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَرِيض وابنُ مُحْرِز والهُذَليُّون وجماعةٌ من المغنِّين من أهل مكة وقِيَانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا، ومن غير المغنين عمرُ بن أبي ربيعة والحارث بن خالدٍ المخْزُوميّ والعَرْجِيّ وجماعةٌ من الأشراف. فدخلتْ جَميلةُ مكةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إلا وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أبناء أهلِ مكةَ من الرجال والنساء ينظُرون إلى جَمْعِها وحُسْن هيئتهم. فلما قضتْ حجّها سألها المكّيون أن تجعل لهم مجلساً. فقالت: للغناءِ أم للحديثِ؟ قالوا: لهما جميعاً. قالت: ما كنت لأخلِطَ جِدّاً بهَزْلٍ، وأبتْ أن تجلس للغناء. فقال عمرُ بن أبي ربيعة: أَقْسمتُ على من كان في قلبه

حبٌّ لاستماع غنائها إلاَّ خرج معها إلى المدينة، فإني خارج. فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلُّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممَّن نشِط، فخرجتْ في جَمْع أكثَر من جَمْعِها بالمدينة. فلما قَدِمَتِ المدينةَ تلقَّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء، فدخلتْ أحسنَ مما خرجتْ به منها، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها. فلما دخلتْ منزلَها وتَفرَّق الجمعُ إلى منازلهم ونزل أهلُ مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلِّمين، وما استنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير.

[مجلس غناء في المدينة بعد الحجّ]

فلما مضى لمَقْدَمِها عشرةُ أيام جلستْ للغناء؛ فقالت لعمر بن أبي رَبيعة: إني جالسةٌ لك ولأصحابك، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم، فغَصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء. فابتدأتْ جميلةُ فغنَّتْ صوتاً بشعر عمر: [البسيط]

هَيْهَاتَ مِنْ أَمَةِ الوَهَّابِ مَنْزِلُنا ... إذا حَلَلْنَا بِسِيفِ البَحْرِ مِنْ عَدَنِ
واحْتَلَّ أَهْلُكِ أَجْياداً فَلَيْسَ لَنا ... إلا التَّذَكُّرُ أو حَظٌّ مِنَ الحَزَنِ(١)
لَوْ أنَّها أبْصَرتْ بِالجِزْعِ عَبْرَتَهُ ... وَقَدْ تَغَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلى فَنَنِ(٢)
إذاً رأتْ غَيْرَ ما ظَنَّتْ بِصاحِبِها ... وَأَيْقَنَتْ أنَّ عَكّاً لَيْسَ مِنْ وَطَنِي(٣)
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يَوْمَ الخَيْفِ مَوْقِفَها ... وَمَوْقِفِي وكِلانَا ثَمَّ ذو شَجَنِ
وَقَوْلَها لِلثُّرَيَّا وَهْيَ باكِيَةٌ ... وَالدَّمْعُ منها على الخَدَّيْنِ ذو سُنَنِ
بالله قُولي لَهُ في غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ... ماذا أَرَدْتَ بِطُولِ المُكْثِ في اليَمَنِ
إنْ كُنتَ حَاوَلْتَ دُنْيا أو نَعِمْتَ بها ... فما أَصَبْتَ بِتَرْكِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

فكلُّهم استحسن الغناءَ، وضَجَّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا غناءً قَطُّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم. ودَمَعتْ عينُ عمرَ حتى جرَى الدمعُ على ثيابه ولِحْيته. وإنه ما رُئِيَ عمرُ كذلك في مَحْفِلِ غيره قَطُّ. ثم أقبلتْ على ابن سُرَيج فقالت: هاتِ؛ فاندفع يغنِّي ورفع صوته بشعر عمر:

---

(١) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا. (معجم البلدان ١/ ١٠٥).

(٢) الفنن: الغصن.

(٣) عك: قبيلة.

أَلَـيْـسَـتْ بـالَّـتِـي قـالَـتْ ... لِـمَـوْلاةٍ لَـهـا ظُـهْـرا
أَشِـيـرِي بـالـسَّـلام لَـهُ ... إذا هُـوَ نَـحْـوَنَـا نَـظَـرا
وَقُـولِـي فـي مُـلاطَـفَـةٍ ... لِـزَيْـنَـبَ نَـوِّلِـي عُـمَـرا
وَهٰـذا سِـحْـرُكَ الـنِّـسْـوا ... نَ قَـدْ خَـبَّـرْنَـنِـي الـخَـبَـرا

فسُمِع من ابن سُرَيج في هذا اللَّحْن من الحُسْن ما يقال إنه ما سُمع مثلُه. ثم قالت لسَعِيد بن مِسْجَح: هاتِ يا أبا عثمان؛ فاندفع فغنَّى: [الطويل]

قَدْ قُلْتُ قَبْلَ البَيْنِ لَمَّا خَشِيتُهُ ... لِتُعْقِب وُدّاً أو لِتَعْلَم ما عِنْدِي
لَكِ الخَيْرُ هَلْ مِنْ مَصْدَرٍ تَصْدُرينَهُ ... يُرِيحُ كَما سَهَّلْتِ لي سُبُلَ الوِرْدِ
فَلَمَّا شكَوْتُ الحُبَّ صَدَّتْ كأنَّما ... شَكَوْتُ الَّذِي أَلْقَى إلى حَجَرٍ صَلْدِ
تَوَلَّتْ فأَبْدَتْ غُلَّةً دُونَ نَقْعِها ... كَما أَرْصَدَتْ مِنْ بُخْلِها إذا بَدَا وَجْدي

فاستُحْسِن ذلك منه وبرّع فيه. ثم قالت: يا مَعْبَد هاتِ؛ فغنَّى: [الطويل]

أُحَارِبُ مَنْ حارَبْتَ مِنْ ذي عَداوَةٍ ... وَأَحْبِس مالِي إنْ غَرِمْتَ فأَعْقِلُ(١)
وَإنِّي أَخُوكَ الدّائِمُ العَهْدِ لَمْ أَحُلْ ... إنَ ٱبْزاكَ خَصْمٌ أو نبا بِكَ مَنْزِلُ(٢)
سَتَقْطَعُ في الدُّنيا إذا ما قَطَعْتَني ... يَمِينَكَ فانْظُرْ أيَّ كَفٍّ تَبدَّلُ

قالت جميلةُ: أحسنتَ يا مَعْبَد اختيارَ الشعر والغناء ـ هذا الشعر لمَعْن بن أَوْس ـ ثم قالت: هات يابنَ مُحْرِز؛ فإنِّي لم أُؤخِّرْك لخَسَاسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة، ولكنَّني رأيتُك تحبّ من الأمور كلِّها أوسطَها وأعدلَها، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين المكيِّين والمدنيِّين. فغنَّى: [الطويل]

وَقَفْتُ بِرَبْعٍ قَدْ تحمَّل أهْلُهُ ... فأَذْرَيْتُ دمعاً يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ
بسائلةِ الرَّوْحاءِ أَوْ بَطْنِ مَثْغَرٍ ... لها الضّاحِكاتُ الرّابياتُ سَواهِلُهْ(٣)
هُوَ المَوْتُ إلاَّ أنَّ لِلْمَوْتِ مُدَّةً ... مَتَى يَلْقَ يَوْماً فارِغاً فَهْوَ شاغِلُهْ

فقالت جميلة: يا أبا الخَطّاب، كيف بَدَا لك في ثلاثةٍ وأنت لا ترى ذلك؟ قال: أحببتُ أن أُواسيَ مَعْبداً. قال معبدٌ: والله ما عَدَوت ما أردت. ثم قالت

(١) غرمت: أصابك غرم. وأعقل: أحبس مالي وأحتمل فيه الثقل عنك.
(٢) لم أحل: لم أتبدل. وأبزاك خصم: بطش بك وقهرك.
(٣) مثغر: ماء لجهينة. (معجم البلدان ٥/ ٥٤).

للغَرِيض: هاتِ يا مَوْلَى العَبَلاتِ فاندفع يغنّي: [الطويل]

فَوا نَدَمِي عَلَى الشَّبابِ وواندَمْ ... نَدِمْتُ وبانَ اليَوْمَ منّي بِغَيْرِ ذَمّ
وَإذْ إخْوَتِي حَوْلِي وإذْ أنا شائِخٌ ... وإذ لا أُجِيبُ العاذِلاتِ مِنَ الصَّمَمْ
أرادَتْ عَراراً بالهَوانِ وَمَن يُرِدْ ... عَراراً لَعَمْرِي بالهَوانِ فقَدْ ظَلَمْ[1]

قالت جميلة: أحْسن عمرو بن شَأس ولم تُحْسِن إذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض. والله ما وَضَعْناك إلاّ موضعَك ولا نَقَصْنا من حظِّك! فبماذا أهَنَّاك!. ثم أقبلتْ على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه. فأقبل القومُ عليه وقالوا له: قد أخطأتَ إن كنت عَرَّضْت. فقال: قد كان ذلك، ولستُ بعائدٍ. وقام إلى جميلة فقبَّل طَرَفَ ثوبها واعتذر. فقبِلتْ عذرَه وقالت له: لا تَعُدْ. ثم أقبلتْ على ابن عائشة فقالت: يا أبا جَعْفَر هاتِ؛ فتغنَّى بشعر النابغة: [الطويل]

سَقَى الغَيْثُ قَبْراً بَيْنَ بُصْرَى وجاسِم ... عَلَيْهِ مِنَ الوَسْمِيِّ جَوْدٌ وَوابِلُ[2]
وَأنْبَتَ حَوْذاناً وعَوْفاً مُنَوِّراً ... سَأُتْبِعُهُ مِنْ خَيرِ ما قالَ قائِلُ[3]
بَكَى حارِثُ الجَوْلانِ مِنْ هُلْكِ رَبِّهِ ... فَحَوْرانُ مِنهُ خاشِعٌ مُتَضائِلُ[4]
وما كان بَيْني لَوْ لَقِيتُكَ سالِماً ... وَبَيْنَ الغِنَى إلاّ لَيالٍ قَلائِلُ

قالت جميلةُ: حَسَنٌ ما قلتَ يا أبا جَعْفر. ثم أقبلتْ على نافع وبُدَيح فقالت: أُحِبُّ أن تغنّيانِي صوتاً واحداً؛ فغنَّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد: [الوافر]

ألاَ يا مَنْ يَلُوم على التَّصابِي ... أفِقْ شَيْئاً لِتَسْمَعَ مِنْ جَوابِي
بَكَرْتَ تَلُومُنِي في الحُبِّ جَهْلاً ... وما فِي حُبِّ مِثْلِي مِنْ مَعَابِ
ألَيْسَ مِنَ السَّعادَةِ غَيْرَ شَكٍّ ... هَوَى مُتَواصِلَيْنِ على اقْتِرابِ
كَرِيمٌ نالَ وُدّاً في عَفافٍ ... وَسِتْرٍ مِنْ مُنَعَّمَةٍ كَعَابِ

فقالت جميلة: هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نُحِتُّما من بقيَّة الكرم وواحدِ الشرف: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ثم أقْبلتْ على الهذليِّين

---

(١) عرار: هو عرار بن عمرو بن شأس. كان أبوه عمرو شاعراً مخضرماً في الجاهلية والاسلام. وكان بين عرار وزوجة أبيه أم حسان نزاع فحاول أبوه أن يصلح بينهما فلم يفلح فطلق زوجته.

(٢) بصرى وجاسم: بلدان بحوران. والجَوْد: المطر.

(٣) الحوذان، وعوف: نبتان طيبا الرائحة.

(٤) الجولان: بلاد وجبل من نواحي دمشق (معجم البلدان ٢/١٨٨) وحوران: كورة واسعة من أعمال دمشق. (معجم البلدان، ٢/٣١٧).

الثلاثة فقالت: غَنُّوا صوتاً واحداً؛ فاندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْترةَ العَبْسِيّ: [الكامل]

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ
كَيفَ المَزَارُ تَرَبَّعَ أهلُها بِعُنَيْزتَيْنِ وأهلُنا بالغَيْلَمِ[١]
إن كُنتِ أَزْمَعْتِ الفِراقَ فإنَّما زُمَّتْ رِكَابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِمِ
شَرِبتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأَصْبَحتْ زَوْراءَ تَنفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ[٢]

قالت: ما رأيتُ شيئاً أشبهَ بغنائكم من اتِّفاق أرواحكم. ثم أقبلتْ على نافع بن طُنْبورةَ فقالت: هاتِ يا نَقْشَ الغَضَار[٣] ويا حَسَن اللسان؛ فاندفع يغني:

[المنسرح]

يا طُولَ لَيْلِي وَبِتُّ لَمْ أَنَمِ وِسَادِيَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِي
أنْ قُمْتُ يَوْماً على البَلاَطِ فَأَبْـ صَرْتُ رَقَاشاً وَلَيْتَ لَمْ أَقُمِ

فقالت جميلة: حَسَنٌ واللّه - ولابن سُرَيج في هذا اللحنِ أربعةُ أبياتٍ - في صَوْت - ثم قالت: يا مالكُ هاتِ؛ فإنّي لم أُؤخِّرْك لأنك في طبقة آخرِهم، ولكنّي أردتُ أن أختمَ بك يومَنا تبرُّكاً بك وَكَيْ يكون أوَّلُ مجلسنا كآخرِه ووَسَطُه كَطَرَفِهِ، وإنك عندي ومَعْبداً لفي طريقة واحدة ومذهب واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالمٌ ولا ينكره إلا عاضِل. الحقَّ أقول، فمن شاء فَلْيُنكِر؛ فسكتَ القومُ كلُّهم إقراراً لما قالت. واندفع يغنّي: [الطويل]

عدُوٌّ لِمَنْ عَادَتْ وسَلْمٌ لِسَلْمِها وَمَنْ قرَّبتْ سَلْمَى أحَبَّ وقَرَّبا
هبِيني امرَأً إمَّا بَرِيئاً ظَلَمْتِهِ وإمّا مُسِيئاً تابَ بَعْدُ وأَعْتَبا
أَقُولُ التِماسَ العُذْرِ لمَّا ظَلَمْتِنِي وَحَمَّلْتِنِي ذَنْباً وما كُنتُ مُذْنِبا
لِيَهْنِئْكِ إشْماتُ العَدُوِّ بِهَجْرِنا وَقَطْعُكِ حَبْلَ الوَصْلِ حَتَّى تَقَضبا[٤]

قالت جميلة: ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له. وقطعت المجلسَ وانصرف عامَّةُ الناس وبقي خواصُّهم.

(١) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع في ديار بني سعد.
(٢) الدحرضان: موضع. وحياض الديلم: الأعداء، وقيل: ماءة لبني عبس.
(٣) نقش الغضار: لقب نافع بن طنبورة. والغضار: الطين اللزج الأخضر.
(٤) تقضب: تقطع.

[مجلس غناء آخر في الغد]

فلما كان اليومُ الثاني حَضَرَ القومُ جميعاً. فقالت لطُوَيس: هاتِ يا أبا عَبْد النّعِيم. قال: فَأَنْكَرَ ما فعلتْ جميلةُ في اليوم الأوَّل؛ لأنّ طُوَيساً لم يكن يرضَى بذلك. فأخبرني ابنُ جامع أن جميلةَ صَنَّفَتْهم طويساً وأصحابه وابن سُرَيج وأصحابه، ثم أقْرعتْ بينهم؛ فخرجت القرعةُ الأولى لابن سُرَيج وأصحابه والثانية لطُوَيسٍ وأصحابِه. فابتدأ طويسٌ فغنَّى: [المنسرح]

قد طالَ لَيْلِي وَعادَ لِي طَرَبِي ... مِنَ حُبِّ خَوْدٍ كَرِيمَةِ الحَسَبِ
غَرَّاءَ مِثْلِ الهِلالِ آنِسَةٍ ... أو مِثْلِ تِمْثالِ صُورَةِ الذهَبِ
صادَتْ فَؤادِي بِجِيدِ مُغْزِلَةٍ ... تَرْعَى رِيَاضاً مُلْتَفَّةَ العُشُبِ[1]

فقالت جميلة: حسنٌ والله يا أبا عبد النَّعِيم. ثم قالت للدَّلاَل: هات يا أبا يَزيد؛ فاندفع فغنَّى: [البسيط]

قَدْ كُنْتُ آمُلُ فِيكُمْ أَمَلاً ... وَالمَرْءُ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ أَمَلَهْ
حتى بَدا لي منكُم خُلُفٌ ... فزجَرْتُ قلبي فأرْعَوَى جَهَلَهْ
لَيْسَ الفتى بمخلَّد أبداً ... حَيّاً وليس بفائتٍ أجلَهْ
حَيٌّ البَغُومَ ومَنْ بعَقْوتها ... وقَفَا العَمُودِ وإن خَلا أَهَلَهْ[2]

قالت: حسن واللّه يا أبا يزيد. ثم قالت لهِيتٍ: إنَّا نُجِلُّك اليومَ لكِبَر سِنِّك ورِقَّة عَظْمِك. قال: أجل يا مَامَا. ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمَةِ الضُّحَى: هاتيَا جميعاً لَحْناً واحداً؛ فغَنَّيا: [الطويل]

إنِّي تَذَكَّرْتُ فلا تَلْحَنِي ... لُؤلُؤةً مَكْنُونَةً تَنْطِقُ
مَسْكَنُها طَيْبَةُ لَمْ يَغْذُها ... بُؤْسٌ ولا والٍ بها يَخْرُقُ
قَدْ قُلْتُ وَالعِيسُ سِراعٌ بِنا ... تُرْقِلُ إرقالاً وما تُعْنِقُ[3]
يا صاحِبَي شَوْقي أرَى قاتِلي ... ومُورِدِي مِنها جَوًى يُقْلِقُ

قالت جميلة: أحسنتُما. ثم قالت لفِنْد ورَحْمة وهبة الله: هاتُوا جميعاً صوتاً

(١) المغزلة: الظبية ذات الغزال.
(٢) البغوم: ذات الصوت الرقيق اللين. والعقوة: ساحة الدار. والعمود: هضبة عندها ماء لبني جعفر (معجم البلدان ٤/١٥٨).
(٣) العيس: النوق. والإرقال والإعناق: ضربان من السير السريع.

واحداً فإنكم متفقون في الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغَنَّوْا:

أشاقَكَ مِنْ نَحْوِ العَقِيقِ بُرُوقُ لَوامِعُ تَخْفَى تارَةً وتَشُوقُ
وما لِيَ لاَ أَهْوَى جَوارِيَ بَرْبَرٍ وَرُوحِي إلى أَزْواجِهِنَّ تَتُوق
لَهُنَّ جَمالٌ فائِقٌ ومَلاحَةٌ ودَلٌّ على دَلِّ النِّساءِ يَفُوقُ

وكان بَرْبَرٌ حاضراً، فقال: جواريّ والله على ما وَصَفْتُم، فمن شاء أقرّ ومن شاء أنكر. فقالت جميلة: صدَق. ثم غنَّت جميلة بشعر الأعشى ـ ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها: [البسيط]

بانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُها انْقَطَعا وَاحْتَلَّتِ الغَوْرَ فالجَدَّيْنِ فالفَرَعَا[1]
واسْتَنْكَرَتْني وما كانَ الَّذِي نَكِرَتْ من الحَوادِثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا
تَقُولُ بِنْتي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحلاً يا رَبِّ جَنِّبْ أبي الأَوْصابَ والوَجَعَا
وكانَ شَيْءٌ إلى شَيْءٍ فَغَيَّرَهُ دَهْرٌ مُلِحٌّ على تَفْرِيقِ ما جَمَعا

فلم يُسْمَعْ شيءٌ أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها في اليوم الثاني. وقطعت المجِلسَ فانصرفَ القومُ وأقام آخرون.

[مجلس ثالث في اليوم الثالث]

فلما كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهن فضرَبْنَ وضرَبتْ فضَرَبْنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ؛ ثم غنَّت على عُودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر: [الطويل]

فإنْ خَفِيَتْ كانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةً وإنْ تَبْدُ يَوْماً لَمْ يُعمِّمْكَ عارُها
مِنَ الخَفِراتِ البِيضِ لَمْ تَرَ غِلْظَةً وَفي الحَسَبِ الضَّخْم الرَّفيعِ نِجَارُها[2]
فَما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَا جَثْجاثُها وَعَرارُها[3]
بأَطْيَبَ مِنْ فِيها إذا جِئْتَ طارِقاً وَقَدْ أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

فدمَعت أعينُ كثير منهم حتى بَلَّ ثوبَه وتنفَّس الصُّعَدَاء وقال: بنفسي أنتِ يا

(١) الجدّان: موضع (انظر معجم البلدان ٢/ ١١٢). والفرع: موضع بين الكوفة والبصرة. معجم البلدان ٤/ ٢٥٣).
(٢) النجار: الأصل.
(٣) الجثجاث والعرار: نباتان طيبا الرائحة.

جميلةُ!. ثم قالت للجواري: ٱكفُفْنَ؛ وقالت: يا عَزَّة غنِّي؛ فغنَّت بشعر لعمَر:

[المتقارب]

تَـذَكَّـرتَ هِـنـداً وَأَعْـصـارَهـا ... وَلَـمْ تَـقْـضِ نَـفْـسُـك أوطـارَهـا

تَـذَكَّـرتِ الـنَّـفْـسُ مـا قَـدْ مَـضَـى ... وهـاجَـتْ عـلـى الـعَـيْـنِ عُـوَّارَهـا[1]

لِـتَـمْـنَـحَ رامَـةَ مِـنَّـا الـهَـوَى ... وَتَـرْعَـى لِـرَامَـةَ أسْـرَارَهـا

إذا لَـمْ نَـزُرْهـا حِـذارَ الـعِـدَا ... حَـسَـدْنـا عـلـى الـزَّوْرِ زُوَّارَهـا

فقالت جميلة: يا عَزَّة، إنكِ لباقيةٌ على الدهر، فهنيئاً لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء. ثم قالت لحبابَة وسَلاَّمةَ: هاتِيَا لَحْناً واحداً؛ فغَنَّتا: [الطويل]

كَـفَـى حَـزَنـاً أنـي أَغِـيـبُ وتَـشْـهَـدُ ... ومـا نَـلْـتَـقِـي والـقـلـبُ حَـرَّانُ مُـقْـصَـدُ

وَمِـنْ عَـجَـبٍ أنّـي إذا الـلَّـيْـلُ جَـنَّـنِـي ... أقُـومُ مـن الـشَّـوْقِ الـشَّـدِيـدِ وأقـعُـدُ

أَحِـنُّ إلـيـكُـمْ مِـثْـلَ مَـا حَـنَّ تـائِـقٌ ... إلى الـوِرْدِ عَـطْـشـانُ الـفـؤاد مُـصَـرَّدُ[2]

وَلِـي كَـبِـدٌ حَـرَّى يُـعَـذبـهـا الـهَـوَى ... وَلـي جَـسَـدٌ يَـبْـلَـى ولا يَـتَـجَـدَّدُ

فاستُحْسن غناؤهما. ثم أقبلتْ على خُلَيدةَ فقالت لها: بنفسي أنت! غنِّي؛ فغنَّتْ: [الوافر]

أَلاَ يـا مَـنْ يَـلُـومُ عَـلـى الـتَّـصـابـي ... أَفِـقْ شَـيْـئـاً لِـتَـسْـمَـعَ مِـنْ جَـوابِـي

بَـكـرْتَ تَـلُـومُـنِـي فـي الـحُـبِّ جَـهْـلاً ... ومـا فِـي حُـبِّ مِـثْـلِـي مِـنْ مَـعَـابِ

أَلَـيْـس مِـنَ الـسَّـعـادَةِ غَـيْـرَ شَـكٍّ ... هَـوَى مُـتَـواصِـلَـيْـنِ عـلـى اقْـتِـرابِ

كَـرِيـمٌ نـالَ وُدّاً فـي عَـفَـافٍ ... وسَـتْـرٍ مِـنْ مُـنَـعَّـمَـةٍ كَـعَـابِ

فاستُحْسِن منها ما غنَّتْ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جداً. ثم قالت لعُقَيلة والشَّمّاسِيَّة: هاتِياً، فغَنَّتا: [الطويل]

هَجَرْتِ الحَبِيبَ اليَوْمَ في غَيْرِ ما اجْتَرَمْ ... وَقَطَّعْتِ مِنْ ذي وُدِّكِ الحَبْلَ فانْصَرَمْ

أَطَعْتِ الوُشاةَ الكاشِحِينَ وَمَنْ يُطِعْ ... مَـقَـالَـةَ واشٍ يَـقْـرَعِ الـسِّـنَّ مِـنْ نَـدَمْ

---

(١) العُوّار: القذى يتجمع في العين فيسبب لها الألم والوجع.

(٢) المصرّد: الذي يسقى بتقطع فلا يرتوي.

ثم قالت لقَرْعة وبُلْبُلَة ولذَّةِ العَيْش: هاتِينَ فغنِّينَ؛ فاندفعنَ بصوتٍ واحد:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كانَ الفؤادُ مِنَ الهَوَى ... بَغَى سَقَماً إنِّي إذاً لَسَقِيمُ
عَلَيَّ دِماءُ البُدْنِ إن كانَ حُبُّها ... عَلى النَّأْيِ في طُولِ الزَّمانِ يَرِيمُ
تُلِمُّ مُلِمَّاتٌ فَيُنْسَيْنَ بَعْدَها ... ويُذْكَرُ منها العَهْدُ وَهْوَ قَدِيمُ
فَأُقْسِمُ ما صافَيْتُ بَعْدَكِ خُلَّةً ... ولا لَكِ عِنْدِي في الفؤادِ قَسِيمُ

قالت: أحسنْتُنَّ! وهو لعَمْرِي حَسَنٌ. وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء: غَنِّيا؛ فغَنَّتا:

قَدْ أرسَلُوني يُعَزُّونِي فَقُلْتُ لَهُمْ ... كيفَ العَزَاءُ وقد سارَتْ بِها الرُّفَقُ
إسْتَهْدَتِ الرِّيمَ عَيْنَيْهِ فَجادلَها ... بِمُقْلَتَيْهِ وَلَمْ تُتْرَكْ لَهُ عُنُقُ

فاستُحْسِن ذلك. ثم قالت للجماعة فغنَّوْا، وانقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسانٍ إلى وطنه. فما رُئِيَ مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث.

[لحن لجميلة يدفع الموصلي لطلب الغناء]

وحدّثتني[(١)] عمَّتي - وكانت أسنَّ من أبي وعُمِّرتْ بعده - قالت: كان السبب في طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه، لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بن محمد الكاتب، فانصرف وهو كئيبٌ حَزين مغمومٌ لم يَطْعَم ولم يُقْبِل علينا بوجهه كما كان يفعل. فسألته عن السبب فأمسك، فألححتُ عليه فانتهرني، وكان لي مُكْرِماً، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلسِ إلى بيت آخر، فتبِعَني وترضَّانِي وقال لي: أُحدِّثكِ ولا كتمانَ منكِ: عَشِقْتُ صوتاً لامرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْني الله منه برحمته. فقالت: أتظُنُّ أن الله يُحْيي لك ميِّتاً! قال: بل لا أشُكّ. قالت: فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعْطاه إلا نبيٌّ ولا نبيَّ بعد محمدﷺ!. وأمَّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحْذِقَه وتُغَنِّيَه عشرَ مِرَارٍ، فتَمَلَّه ويذهبَ عشقُك له!. فكأنه ارْعَوَى ورجَع إلى نفسه، وقام فقبَّل رأسي ويدي ورجْلي وقال لي: فرَّجْتِ عنِّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغَمّ، ثم تمثَّل: «حبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمّ» ولزِم بيتَ يونُسَ حتى حذَق الصوتَ، ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونُس وانضمَّ إلى سِياطٍ، وكان من أحذقِ أهل زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمَّن مَضَى. قالت عمَّتي: فقلت

(١) راوي الخبر هو إسحاق الموصلي.

لإبراهيم: وما الصوتُ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحْسِن أداءَ الغناء: [المتقارب]

مِنَ البَكَراتِ عِراقيَّةٌ تُسَمَّى سُبَيعَةَ أَطْرِيتُها
مِنْ آلِ أبي بَكْرَةَ الأكرمينَ خَصَصْتُ بِوُدِّي فأصْفَيْتُها
وَمِنْ حُبِّها زُرْتُ أهلَ العِراقِ وَأَسْخَطْتُ أَهْلِي وأرْضَيْتُها
أمُوتُ إذا شَحَطَتْ دارُها وأحْيا إذا أنا لاقَيْتُها
فأُقْسِمُ لَوْ أنَّ ما بي بِها وَكُنْتُ الطَّبِيبَ لَدَاوَيْتُها

قالت عمَّتي: هذا شعرٌ حَسَنٌ، فكيف به إذا قُطِّع ومُدِّد تمديدَ الأطْرِبة وضُرب عليها بقُضْبان الدِّفْلَى على بطون المِعْزَى! فما مضت الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدّىً، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه؛ ولقد أذكرني بما يُؤْثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ. فبَيْنا أنا يوماً جالسةٌ إذ طَلع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً؛ فقال لي: ألاَ أُحدِّثك بعَجَبٍ قلت: وما هو؟ قال: إن لي شريكاً في عشق صوت جميلة. قلت: وكيف ذلك؟ قال: كنت عند سِيَاطٍ في يومنا هذا وأنا أغنِّيه الصوتَ وقد وقَّفَني فيه على شيء لم أكن أحكمتُه عن يونُس، وحضر عند سِياطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبَّح على الصوت تسبيحاً طويلاً، فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغتُ أنا وسِيَاطٌ من اللحن قال الشيخ: ما أَعجب أمرَ هذا الشعر وأَحْسَنَ ما غُنِّي به وأحسن ما قال قائله! فقلت له دون القوم: وما بلَغ من العَجَب به؟ قال: نعم! حَجَّتْ سُبَيْعةُ من ولد عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ، وكانت من أجملِ النساء، فأبصرها عمرُ بن أبي رَبيعة، فلما انحدرتْ إلى العراق اتَّبعها يُشيِّعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخَوَرْنَقُ. فقالت له: لو بلغتَ إلى أهلي وخطبتني لزوَّجوك. فقال لها: ما كنتُ لأَخْلِطَ تشييعي إياكِ بخِطْبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً؛ فرجع ومَرَّ بالمدينة فقال فيها: [المتقارب]

مِنَ البَكَراتِ عِراقيَّةٌ تُسَمَّى سُبَيْعَةَ أطْرَيْتُها

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغَنِّي بهذا الشعر ففعلتْ. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها، فحسُن موقعُ ذلك منه، فوجَّه إلى بعض مَوَالِياتِه ممن كانت تطلُب الغناء أن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها؛ فطارحتْها إياه أيَّاماً حتى حذَقَت ومهَرتْ به. فلما رأى ذلك عمر قال: أرى أن تَخرُجي إلى سُبيعة وتغنِّيها هذا الصوتَ وتُبلِّغيها رسالتي؛ قالت: نعم جعلني الله فداكَ. فأتتها فرحَّبتْ بها، وأعلمتْها الرسالةَ، فحَيَّتْ وأكرمتْ، ثم غنَّتْها فكادت أن تموت فرحاً وسروراً

لحسن الغناء والشعر. ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له: إنها خارجة في تلك السنة. فلما كان أوانُ الحج استأذنتْ سُبَيعةُ أباها في الحجّ، فأبَى عليها وقال لها: قد حَجَجْتِ حِجَّةَ الإسلام. قالت له: تلك الحِجَّةُ هي التي أسْهرتْ ليلي وأطالت نهاري وتوَّقتْني إلى أن أعودَ وأزُور البيتَ وذلك القبرَ، وإن أنت لم تأذَنْ لي مُتُّ كَمَداً وغَمّاً؛ وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يئستُ فالموت لا شكَّ نازلٌ بي. فلما رأى ذلك أبوها رَقَّ لها وقال: ليس يَسَعُني منعُها مع ما أرى بها، فأذِن لها. ووافَى عمرُ المدينة ليعرف خبرَها؛ فلما قدِمَتْ علم بذلك. وسألها أن تأتيَ منزلَ جميلة، وقد سبقَ إليه عمرُ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها. فقالت لها سُبَيعة: جعلني الله فِداكِ! أَقْلقني وأَسْهرنِي صوتُكِ بشعر عمرَ فيّ، فأَسْمعيني إيَّاه. قالت جميلةُ: وعَزَازةً لوجهكِ الجميل! فغَنَّتْها الصوتَ، فأُغْمِيَ عليها ساعةً حتى رُشَّ على وجهها الماءُ وثاب إليها عقلُها. ثم قالت: أعيدي عليّ، فأعادت الصوتَ مراراً في كل مرَّة يُغْشَى عليها. ثم خرجتْ إلى مكة وخرج معها. فلما رجعتْ مَرَّتْ بالمدينة وعمرُ معها، فأتت جميلةَ فقالت لها: أعيدي عليّ الصوتَ ففعلتْ؛ وأقامتْ عليها ثلاثاً تسألها أن تُعيد الصوتَ. فقالت لها جميلة: إني أُريد أن أُغنّيك صوتاً فاسمعيه. قالت: هاتِيه يا سيِّدتي؛ فغَنَّتْها: [الكامل]

أبَتِ المَلِيحَةُ أن تُوَاصِلَني ... وَأظُنُّ أنِّي زائِرٌ رَمْسِي[1]
لا خَيْرَ في الدُّنْيا وَزِينَتِها ... ما لَمْ تُوَافِقْ نَفْسُها نَفْسِي
لا صَبْرَ لي عَنْها إذا حَسَرَتْ ... كالبَدْرِ أوْ قَرْنٍ من الشَّمْسِ
وَرَمَتْ فُؤادَكَ عندَ نَظْرَتِها ... بِمَلاحَةِ الإِيثارِ وَالأُنْسِ

قالت سُبيعة: لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه. فقال عمر: فإنه والله أحسنُ من ذلك فأمّا الشعرُ فلا. قالت جميلة: صدقت والله. قالت عمَّتي، قال لها أبي: لعَمْرِي إنّ ذلك على ما قالا.

ولابن سُرَيج في هذا الشعر لَحْنٌ عن جَميلة وربما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل.

---

(١) الرمس: القبر.

[جميلة تفكِّر في اعتزال الغناء]

أخبرني من يفهم الغناء قال: بلغني أنّ جميلة قعدتْ يوماً على كرسيٍّ لها وقالت لآذنتِها: لا تحجُبي عنَّا أحداً اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمرّ بالباب فاعْرِضي عليه مجلسي؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصَّتِ الدارُ بالناس؛ فقالت جميلةُ: اصعَدوا إلى العَلاَلِيّ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتِ السطوحُ. فجاءتها بعض جواريها فقالت لها: يا سيِّدتي، إن تمادَى أمرُكِ على ما أرى لم يَبْقَ في دارِك حائطٌ إلاَّ سقط، فأظْهِري ما تريدين. قالت: اجلسي. فلما تعالَى النهارُ واشتدَّ الحرّ آستسقى الناسُ الماءَ فدَعَت لهم بالسَّوِيق، فشرب من أراد؛ فقالت: أقسمتُ على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلاَّ شرب، فلم يبق في سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلاَّ شرب، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمَراوح الكبار، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسِيّ صغارٍ فيما بين كلِّ عشرةِ نَفَرٍ جاريةٌ تروِّح. ثم قالت لهم: إنّي قد رأيتُ في منامي شيئاً أَفْزَعني وأَرْعَبني، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفْتُ أن يكون قُرْبَ أجلي، وليس ينفعني إلاَّ صالحُ عملي، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفَّقكِ الله وثبَّت عَزْمك! وقال آخرون: بل لا حَرَجَ عليكِ في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة: قد تكلمت الجماعةُ، وكلُّ حزب بما لديهم فَرِحُون، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكْتُهم في رأيهم، فاستمِعوا الآن لقولي وأَنْصِتُوا ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامي؛ فمن قبل قولي فالله مُوَفِّقُهُ، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربي. فسكت القومُ جميعاً. فتكلَّم الشيخ فحمِد الله وأَثْنى عليه وصلَّى على محمد النبيّ ﷺ ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوُّكم وظفِر بكم ولا تُفْلِحوا بعدها أبداً. إنكم قد انقلبتُم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممَّن لا يزال يُنْكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم. فأكثر ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا؛ لأن الغناء من أكبر اللذات وأَسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات، يُحْيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ في الرأي ويتيسَّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبَّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه، ويبْرِىءُ المَرْضَى ومن مات قلبُه وعقله وبصره، ويزيد أهلَ الثروة غِنًى وأهلَ الفقر قناعةً ورِضاً باستماعه

فيَعْزِفُون عن طلبِ الأموال. من تمسَّك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً؛ لأنه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسنُ منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربنا عزّ وجلّ. وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرَّ بالحق له. ثم قال لجميلة: أَوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسِك ما ذكرتُ؟ قالت: أجلْ وأنا أستغفر الله. قال لها: فاختِمي مجلسَنا وفرِّقي جماعتَنا بصوت فقط؛ فغنَّتْ:

أفـي رَسْـم دارٍ دَمـعُـكَ الـمُـتَـرَقْـرِقُ سَفَاهاً! وما اسْتنطاقُ ما لَيْسَ يَنْطِقُ
بِحَيْثُ الْتَقَى جَمْعٌ وأَقْصَى مُحَسِّرٍ مَغَانِيهِ قد كادَتْ عنِ العَهْدِ تَخْلُقُ(١)
مُقـامٌ لَـنـا بَـعْـدَ الـعِـشـاءِ وَمَـنْـزِلٌ بـهِ لَـمْ يُـكَـدِّرْه عَـلَـيْـنـا مُـعَـوِّقُ
فـأحْـسَـنُ شَـيْءٍ كـانَ أوَّلُ لَـيْـلـنـا وَآخِـرُهُ حُـزْنٌ إذا نَـتَـفَـرَّقُ

فقال الشيخ: حَسَنٌ واللهِ! أمثلُ هذا يترك! فيم يَتَشاهد الرجالُ! لا والله ولا كرامةَ لمن خالف الحقّ. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فضيلته، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة.

[مزاحٌ وغناء]

وقال أبو عبد الله: جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرْنُساً طويلاً، وألبستْ من كان عندها برانسَ دون ذلك، وكان في القوم ابنُ سُرَيج، وكان قبيحَ الصَّلَع قد اتخذ وَفْرَةَ شعر يضعها على رأسه، وأحبَّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعته. فلما بلغ البرنسُ إلى ابن سُرَيج قال: دبَّرْتِ عليّ وربِّ الكعبة! وكشَف صَلْعَتَه ووضع القَلَنْسيةَ على رأسه، وضحك القومُ من قُبْح صَلْعتِه؛ ثم قامت جميلةُ ورقَصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرْنُس الطويل وعلى عاتقها بُرْدةٌ يَمَانِيةٌ وعلى القوم أمثالُها، وقام ابنُ سُرَيج يرقُص ومَعْبَد والغَرِيض وابنُ عائشة ومالكٌ وفي يد كلّ واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقْصِها؛ فغنَّت وغنَّى القومُ على غنائها: [الكامل]

ذَهَـبَ الـشَّـبـابُ وَلَـيْـتَـهُ لَـمْ يَـذْهَـبِ وَعَـلاَ الـمَـفَـارِقَ وَقْـعُ شَـيْـبٍ مُـغْـرِبِ(٢)

(١) جمع: المزدلفة. ومحسّر: موضع بين منى والمزدلفة (معجم البلدان ٥/ ٦٢).
(٢) المُغْرِب: الأبيض.

وَالغانياتُ يُرِدْنَ غَيْرَكَ صاحِباً ... ويَعِدْنَكَ الهِجْرانَ بعد تَقَرُّبِ
إنّي أقُولُ مقالَةً بِتَجارِبِ ... حَقاً وَلَمْ يُخبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ
صَافِ الكَرِيمَ وَكُنْ لِعرْضِكَ صائِناً ... وَعَنِ اللَّئيمِ وَمِثْلِه فَتَنَكَّبِ

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبِسوا، ثم ضربتْ بالعود وتمشَّتْ وتمشَّى القوم خَلفَها، وغنَّتْ وغَنّوا بغنائها بصوت واحد:

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تَأَوُّداً ... قُبَّ البطون رواجِحَ الأكْفالِ
فِيهِنَّ آنِسَةُ الحَدِيثِ حَيِيَّةٌ ... لَيْسَتْ بِفاحِشَةٍ ولا مِتْفالِ[1]
وتكونُ رِيقَتُها إذا نَبَّهْتَها ... كالمِسْكِ فَوْقَ سُلافَةِ الجِرْيالِ[2]

ثم نعرَتْ[3] ونعر القوم طرباً، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابَهم ورجعوا إلى زيِّهم، وأذِنتْ لمن كان ببابها فدخلوا؛ وانصرف المغنّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري.

[مجلسٌ خاصّ لعبد الله بن جعفر]

وحدّثتني عمَّتي قالت: سمعت سِيَاطاً يحدّث أباكَ يوماً بأحاديثِ جميلةَ فقال: بنفسي هي وأمّي! فما كان أحسن وجهَها وخَلْقَها وغناءَها! ما خلّفتِ النساءُ مثلَها شبيهاً؛ فأعجبني ذلك. ثم قال سياط: جلستْ جميلةُ يوماً للوِفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد إلى أعجازهنّ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبَّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجان، وزيَّنتهن بأنواع الحليّ، ووجَّهتْ إلى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أمْلتْ عليه: «بأبي أنت وأمّي! قَدْرُك يَجِلّ عن رسالتي وكَرَمُك يحتمل زَلَّتي؛ وذنبي لا تُقال عَثْرتُه ولا تُغْفَر حَوْبتُه. فإن صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشَر أهلِ البيت يُؤثر، والخيرُ والفضلُ كله فيكم مُدَّخر، ونحن العبيد وأنتم المَوَالي. فطُوبَى لمن كان لكم مُقَارِباً وإلى وجوهكم ناظراً! وطُوبَى لمن كان لكم مُجاوِراً، وبعِزِّكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً! والويل لمن جهِل قَدْرَكم ولم

---

(1) المتفال: التي تركت الطيب فتغير ريحها.
(2) الجريال: من أسماء الخمر.
(3) نعرت: صوّتت.

يعرِف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم! فصغيرُكم كبير بل لا صغيرَ فيكم، وكبيركُم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم. وبالكتاب نسألُك وبحقّ الرسول ندعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هَيَّأتُه لك لا يحسُن إلاَّ بك ولا يتمّ إلا معك، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه، ولا يُسْلَكُ به غيرُ طريقه». فلما قرأ عبد الله الكتاب قال: إنَّا لنعرف تعظيمَها لنا وإكرامَها لصغيرنا وكبيرنا وقد علمتُ أنَّها قد آلتْ أليَّة(١) ألاَّ تغنِّي أحداً إلاَّ في منزلها. وقال للرسول: والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا وكان في عَزْمي المرورُ بها. فأمَّا إذ وافق ذلك مُرَادَها فإنِّي جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها. فلمَّا صار إلى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه إليها وصرَف بعضَهم. فنظر إلى ذلك الحُسنِ البارع والهيئة الباذَّة(٢)، فأعجبه ووقع في نفسه؛ فقال: يا جميلة! لقد أُوتيتِ خيراً كثيراً، ما أحسنَ ما صنعتِ!. فقالت: يا سيِّدي، إنّ الجميل للجميل يصلُح، ولك هيَّأتُ هذا المجلس. فجلس عبد الله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجَوَارِي صَفَّيْن؛ فأقسم عليها فجلستْ غيرَ بعيد. ثم قالت: يا سيِّدي، ألاَ أُغَنِّيك؟ قال: بلى! فَغَنَّتْ: [الطويل]

بَنِي شَيبةِ الحَمْدِ الَّذي كان وَجْهُهُ ... يُضِيءُ ظلامَ اللَّيلِ كالقَمَرِ البَدْرِ(٣)
كُهُولُهُم خَيرُ الكُهُولِ ونَسْلُهُمْ ... كَنَسْلِ المُلوكِ لا يَبُورُ ولا يَحْرِي(٤)
أبو عُتْبةَ المُلْقي إليكَ جَمَالَهُ ... أغَرُّ هِجانُ اللَّوْن من نَفَرٍ زُهْرِ
لِساقِي الحَجيج ثم للخَيْر هاشم ... وَعَبْدِ مَنافٍ ذلكَ السَّيِّدِ الغَمْرِ(٥)
أبوكُمُ قُصَيٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعاً ... به جَمَّعَ الله القَبائِلَ من فِهْرِ(٦)

فقال عبد الله: أحسنتِ يا جميلةُ وأحسنَ حُذَافةُ ما قال! بالله أَعِيدِيه عليّ فأعادته، فجاء الصوت أحسنَ من الارتجال. ثم دعت لكل جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهنّ

---

(١) آلت ألية: أقسمت يميناً، أخذت على نفسها عهداً.
(٢) الهيئة الباذّة: الغالبة الفائقة، وكأنها تغلب من ينظر إليها.
(٣) شيبة الحمد: لقب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جدّ الرسولﷺ.
(٤) لا يبور: لا يهلك. ولا يحري: لا ينقص.
(٥) ساقي الحجيج: هو عبد المطلب جد الرسولﷺ. وكانت سقاية الحجاج لبني هاشم في الجاهلية.
(٦) قصيّ: هو قصي بن كلاب. وفهر: هو فهر بن مالك بن النضر جدّ جاهلي يتصل به النسب النبويّ الشريف.

بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدَّتْها لهنّ، فضربن وغنَّتْ عليهنّ هذا الصوتَ وغنَّى جواريها على غِنائها. فلمَّا ضربنَ جميعاً قال عبد الله: ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون! وإنه لَممَّا يَفْتن القلبَ! ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لما علموا فيه. ثم دعا ببَغْلته فركبها وانصرف إلى منزله. وقد كانت جميلةُ أعدَّتْ طعاماً كثيراً، وكان أراد المُقام، فقال لأصحابه: تَخلَّفوا للغداء، فتَغَدَّوْا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحُذافة بن غانم بن عُبَيد الله بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب.

[لجوء العرجيّ إلى منزل جميلة]

قال وحدّثني بعض المكّيّين قال: كان العَرْجِيّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً سَخِيّاً شجاعاً أديباً ظريفاً. ويشبَّه شعرُه بشعر عُمَر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهما، وكان صاحبَ صَيْد. فخرج يوماً متنزِّهاً من مكَّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَوَاليه ومعه كِلاَبُه وفُهوده وصُقُوره وبَوازيه نحوَ الطائف إلى مالٍ له بالعَرْج ـ وبهذا الموضع سُمِّي العَرْجيّ ـ فجرى بينه وبين مولًى لبني أميَّة كلامٌ، فأمضَّه المولَى فكفَّ عنه العرجيّ حتى أَوَى إلى منزله، ثم هجَم عليه ومعه غِلْمانه فأمَرهم أن يُوثِقوه، ثم أمرهم أن ينكِحوا امرأته وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أميرَ مكة ما فعل فطلَبه، فخرج من منزله وأخرج معه غلمانَه ومَوَالِيَه وآلةَ الصَّيْد وتوجَّه نحو المدينة وقد ركِب أفراسَه وأعدَّ عُدَّتَه. فلم يزل يتصيَّد ويَقْصِف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلاً، وأراد المُقام في منزل جميلة، وكانت آلت ألاَّ تغنِّي بشعره ولا تُدخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثة سِنِّه. فلما أُعْلِمتْ بمكانه ليلاً قالت: طارق! إن له لشأناً! فاستخبرت خبرَه فقيل لها: إنه قدِم مُسْتَخْفِياً، ولم يرَ بالمدينة موضعاً هو أطيبُ له من منزلك، والأيمانُ تكفَّر، والأشرافُ لا يُرَدُّون. فقالت لرسولها إليه: منزلي منزلُ جَوَازٍ، ولا يمكن مثلَك الاستخفاءُ فيه، فعليك بالأحوص ـ وكان الأحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة ـ فقال: أَنَّى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا! قالت: ٱئتِه عنِّي وقل له: قد غنَّينا بذلك الشعر؛ فإنْ أحببتَ أن تظهر وتبقى مودَّتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد الله، إذ أُصْلِح ما بيننا، وأَنزِلْه منزلك. قال لها: ليس هذا بمُقْنِعِي؛ أمَّا إذ أَبَيْت أن أُقيم بمنزلك فوَجِّهي معي رسولاً إلى الأَحْوَص؛ فإنَّ منزله أحبُّ المنازل إليّ بعد منزلك. فوجَّهَتْ معه إلى الأحوص بعضَ مَوْلَياتها؛ فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جُوارَه وستَر أمرَه. فقال شعراً

ووَجَّه به إلى جميلة: [الطويل]

أَلاَ قاتَلَ اللهُ الهَوَى كيفَ أخلَقَا … فلم تُلفِهِ إلاَّ مَشُوباً مُمَذَّقَا[١]
وما مِنْ حَبيبٍ يَستَزِيرُ حبيبَهُ … يُعاتِبُهُ في الوُدِّ إلا تَفَرَّقا
أَمَرَّ وصالُ الغانياتِ فأصبَحَتْ … مَضَاضَتُهُ يَشْجَى بها مَنْ تَمَطَّقا[٢]
تَعَلَّقَ هٰذا القَلْبُ لِلحَيْنِ مَعْلَقاً … غَزَالاً تَحَلَّى عِقْدَ دُرٍّ ويَارَقا[٣]
إذا قلتُ مَهْلاً للفؤادِ عن الَّتي … دعتْكَ إليها العَيْنُ أغْضَى وأطْرَقا
دعانَا فلم نَسْتَبْقِ حُبّاً بما نَرَى … فما منكَ هذا العذلُ إلا تَخرّقا
فقد سَنَّ هذا الحُبَّ مَنْ كان قَبلَنا … وقادَ الصِّبَا المَرْءَ الكَرِيمَ فأعْنَقَا[٤]

فلمّا قرأتْ شعرَه رقَّتْ له وقالت: كيف لي بإيلائي ألاَّ يدخل منزلي ولا أُغَنِّيَه بشعره؟! فقيل لها: يدُخل منزلك وتغنِّين وتكفِّرين عن يمينك. فوجَّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأحْوَصَ في تلك الليلة، فجاءاها؛ وعرَّفت الأحوصَ تكفير اليمين؛ فقال لها: وأنا والله شفيعُه إليك؛ ففرِّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوَى، فتُؤْنسينه وتَسُرِّينه وتغنِّينه بشعره. فغنَّت: [الطويل]

أَلاَ قاتَلَ اللهُ الهَوَى كيفَ أخْلَقَا … فلم تُلفِهِ إلاَّ مَشُوباً مُمَذَّقا

[غضبت على الأحوص ثم صالحته]

وحدّثني بعض أهلنا قال: قال يونس بن محمد: كان الأحوصُ مُعْجَباً بجميلة، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها إذا جلستْ. فصار إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتِن مَنْ رآه، فشغلَ أهلَ المجلس، وذهبت اللحونُ عن الجواري وخلَطن في غنائهنّ. فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخْرِج الغلام؛ فالخَلَلُ قد عمَّ مجلسي وأفسد عليّ أمري. فأبى الأحوصُ وتغافل، وكان بالغلام مُعْجَباً، فآثر لَذَّتَهُ بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلامُ إلى الوجوه الحِسان من الجواري ونظرن إليه، وكان مجلساً عامّاً. فلما خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأُخْرِج؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقلْ شيئاً؛ فأحمد

---

(١) الممذّق: المخلوط، غير الصافي.
(٢) تمطّق: تذوق، تمضغ.
(٣) اليارق: السّوار.
(٤) أعنق: سار سيراً منبسطاً سريعاً.

أهلُ المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظنَّ بك، أكرمَكِ الله! فقالت: إنه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري، ولا رأيتُ له وجهاً قبل ذلك؛ وإنه لَيعِزّ عليَّ غضبُ الأحوص، ولكن الحقّ أولى، وكان ينبغي له ألاَّ يُعَرِّض نفسَه وإيّاي لما نكره مثلَه. فلمَّا تفرَّق أهلُ المجلس بعثتْ إليه: الذنبُ لك ونحن منه بُرءَاءُ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبي، فلِمَ عَرَّضتَني للَّذي كان؛ فقد ساءني ذلك وبلغَ منّي؛ ولكن لم أجد بُدّاً من الذي رأيت إمَّا حياءً وإمَّا تصنُّعاً. فردَّ عليها: ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تَمْحِينَ به ما كان منك. قالت: أفعلُ ذلك سرّاً؛ قال الأحوص: قد رَضِيتُ. فجاءاها ليلاً فأكرمتهما، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلاَّ عجائزَ من مَواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنِّيه من شعره: [الطويل]

وبالقَفْر دارٌ من جَميلةَ هَيَّجَتْ ... سَوَالِفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ(١)

وكانَتْ إذا تَنْأى نَوًى أو تَفَرَّقَتْ ... شدَادُ الهَوَى لم تَدْرِ ما قَوْلُ مِشْغَبِ(٢)

أسِيلةُ مَجْرَى الدَّمْعِ خُمْصانةُ الحَشَا ... بَرُودُ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ(٣)

تَرَى العينُ ما تهوَى وفيها زيادةٌ ... من الحُسْنِ إذ تَبْدُو ومَلْهًى لمُلْعِبِ

قال يونس: ما لها صوتٌ أحسنُ منه، وابنُ مُحْرِزٍ يغنّيه وعنها أخذه، وأنا أُغَنِّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه. وقال المحدِّث لي بهذا الحديث عن يونس: إنّ هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنه لطُفَيْل الغَنَوِيّ قاله في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن المُهَلْهِل بن المُخْتَلِس بن عبد رُضاً أحدُ بني نَبهان، ونَبْهان لقبٌ له، ولكنه سُودان بن عمرو بن الغَوْث بن طيِّىء، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعْب، واستحرَّ القتلُ في غَنِيٍّ بن أعْصُر ومالك بن أعْصُر؛ وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطُّفَاوةُ وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان، وغَطَفان بن سعد عمُّهم. وكانت غَنِيّ مع بني عامرٍ في دارهم مواليَ لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء. ثم إنّ غَنِيّاً أغارتْ على طيِّىء وعليهم

---

(١) المنصب: المتعب.
(٢) المشغب: المشاغب.
(٣) المشرعب: الطويل.

سيار بن هريم؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة: [الطويل]

وبِالقَفرِ دارٌ من جَمِيلَةَ هَيَّجَتْ سَوَالفَ شَوْقٍ في فؤادكَ مُنْصِبِ

وحدّثني أيُّوب بن عَبَاية قال: كان عمرو بن أحمر بن العَمَرّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرَّاص بن مَعْنَ بن مالك بن أعْصُر بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهليّة والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجَّه أبو بكر خالداً إلى الشام؛ ولم يأتِ أبا بكر. وقال في خالد رحمه الله. [الطويل]

إذا قالَ سَيْفُ الله كُرُّوا عَلَيْهِمُ كَرَرْتُ بِقَلْبٍ رابطِ الجأْشِ صارِمِ

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيِّدة: [البسيط]

أدْرَكْتُ آل أبي حَفْص وأُسْرتَهُ وقبلَ ذاكَ ودهراً بعدَهُ كَلِبا
قد تَرْتَمِي بِقَوافٍ بَيْنَنا دُوَلٌ بين الهَناتَيْنِ لا جِدّاً ولا لَعِبَا
الله يعلمُ ما قَوْلي وقَوْلُهُمُ إذ يَرْكَبُونَ جَنَاناً مُسْهَباً وَرِبَا[1]

وقال في عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: [البسيط]

حُثِّي فليسَ إلى عثمانَ مُرْتَجَعٌ إلاّ العداءُ وإلاّ مُكْنِعٌ ضررُ[2]
إخالُها سَمِعَتْ عَزفاً فَتَحْسَبُهُ إهابَةَ القَسْرِ لَيْلاً حينَ تَنْتَشِرُ[3]

وقال في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: [البسيط]

مَنْ مُبْلِغٌ مَألُكاً عنِّي أبا حَسَنٍ فارتَحْ لِخَصْمٍ هَداكَ الله مَظْلُومِ

فلما أُنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطاب، قالت: والله لأعملنّ فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلا بكى. قال إبراهيم: وصدَقتْ؛ والله ما سمعتُه قَطُّ إلا أبكاني؛ لأني أجد حين أسمعه شيئاً يضغَط قلبي ويَحْرِقه فلا أملك عيني، وما رأيتُ أحداً قطُّ سمعه إلا كانت هذه حالَه.

---

(١) الجنان: الأمر الخفي. والوَرِب: الفاسد.
(٢) المكنع: الذليل الحقير.
(٣) الإهابة: مصدر أهاب بالشيء، أي دعاه. والقسر: اسم رجل. وتنتشر: تتوزع.

صوت

من المائة المختارة

[الكامل]

يـا دارَ عَـبْـلـةَ مـن مَـشَـارِقِ مَـأْسَـلِ دَرَسَ الـشُّـؤونُ وَعَـهْـدُها لـم يَـنْـجَـلِ
فـاسْـتَـبْـدَلَـتْ عُـفْـرَ الـظُّـبـاءِ كـأنَّـمـا أبْـعارُها فـي الصَّـيْـفِ حَبُّ الـفُـلْـفُـلِ
تَـمْـشِـي الـنَّـعـامُ بـه خَـلاءً حـولَـهُ مَشْيَ النَّصارَى حولَ بيتِ الـهَـيْـكَـلِ
إحـذَرْ مَـحَـلَّ الـسَّـوءِ لا تَـحْـلُـلْ بـهِ وإذا نَـبَـا بـكَ مَـنْـزِلٌ فـتَـحَـوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق، لعَنْتَرة بن شَدَّاد العَبْسيّ. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفَاف البُرْجُميّ، إلا أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه. والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ، ولحنه المختار، على ما ذكره أبو أحمد، من الثقيل الأوَّل. وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى. وذكر إسحاق أنْ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأوَّل المطلق في مجرى الوسطى، وأن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنِّسه. وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوسطى، وأن لابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً أوَّل، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله. وقد ذكر يونس أيضاً أن فيه غناءً لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته.

ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

[توفي نحو ٢٢ق. هـ /نحو ٦٠٠م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره]

هو عَنْتَرةُ بن شَدَّاد، وقيل: ابن عمرو بن شدَّاد، وقيل: عنترة بن شدَّاد بن عمرو بن معاوية بن قَرَاد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء؛ وذلك لتشقّق شَفتيه. وأمُّه أَمَةٌ حبشيَّةٌ يقال لها زَبِيبة، وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدَّاد، وكانوا إخوته لأمّه. وقد كان شدَّاد نفاه مرَّةً ثم اعترف به فأُلحق بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب اعترفتْ به وإلاّ بقي عبداً.

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكَّريّ عن محمد بن حَبِيبَ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ، قالا: كان عنترة قبل أن يدَّعيه أَبُوه حرّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يُراودني عن نفسي؛ فغضِب من ذلك شدَّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرِّحاً وضربه بالسيف؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفَّته عنه. فلما رأتْ ما به من الجِراح بكتْ ـ وكان اسمها سُميَّة وقيل: سُهَيَّة ـ فقال عَنْتَرة:

صوت [البسيط]

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ العينِ مَذْرُوفُ   لَوْ أنَّ ذا مِنْكَ قَبْلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ

كـأنّـهـا يَـوْمَ صَـدّتْ مـا تُـكَـلّـمـنِـي ظَبْيٌ بعُسْفانَ ساجِي العَيْنِ مَطْرُوفُ[1]
تَـجَلّلَتْنِيَ إذ أهْـوَى الـعَـصَا قِـبَلِي كـأنّـهـا صَـنَـمٌ يُـعـتـادُ مَـعْـكُـوفُ
الـعَـبْـدُ عَـبْـدُكُـمْ وَالـمَـالُ مـالُـكُـمُ فَـهَـلْ عَـذابُـكِ عَـنّـي الـيَـوْمَ مَـصْـرُوفُ
تَـنْـسَـى بَـلائـي إذا مـا غـارَةٌ لَـحِـقَـتْ تَـخْـرُجُ مـنـهـا الطُّـوالاتُ الـسَّـراعِـيـفُ
يَـخْـرُجْـنَ مـنـهـا وَقَـدْ بُـلَّـتْ رَحـائِـلُـهـا بـالـمـاءِ تَـرْكُـضُـهـا الـشُّـمُّ الـغَـطـارِيـفُ
قَـدْ أطـعُـنُ الـطَّـعْـنَـةَ الـنَّـجْـلاءَ عَـنْ عُـرُضٍ تَـصْـفَـرُ كَـفُّ أخِـيـهـا وَهْـوَ مَـنْـزُوفُ

غنّى في البيت الأوّل والثاني عَلّويه، ولحنه من الثقيل الأوَّل مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال إنه لابن سُرَيج، وهو من منحول ابن المكيّ.

قوله «مذروف»: من ذَرَفت عينُه، يقال: ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفاً وذَرْفاً، وهو قَطْرٌ يكاد يتصل. وقوله «لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف»: أي قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره. «ساجي العين»: ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف»: أصابت عينَه طَرْفَةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجللتني»: ألقت نفسها عليّ. و«أهوى»: اعتمد. «صنم يعتاد»: أي يُؤْتَى مرَّةً بعد مرَّة. و«معكوف»: يُعْكَفُ عليه. و«السراعيف»: السِّراع، واحدتها سُرْعوفة. و«الطُّوالاَت»: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. و«الغطاريف»: الكرام والسادة أيضاً. والغطرفة: ضرب من السير والمشي يُختال فيه. و«النجلاء»: الواسعة، يقال: سِنَانٌ مِنْجَلٌ: واسع الطعنة. «عن عُرُض»: أي عن شِقٍّ وحَرْف. وقال غيره: أَعْتَرِضه اعتراضاً حين أقتُله.

[اعتراف أبيه به]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمِّي عن ابن الكلبيّ، وأخبرني إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة قال: قال ابن الكلبيّ: شَدَّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه. وهو عنترة بن عمرو بن شدَّاد؛ وقد سمعتُ من يقول: إن شدَّاداً عمُّه، كان نشأ في حِجْره فنُسب إليه دون أبيه. قال: وإنما ادَّعاه أبوه بعد الكِبَر؛ وذلك لأن أمّه كانت أَمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة، وكانت العربُ في الجاهليّة إذا كان

(١) عسفان: منهلة بين الجحفة ومكة، وقيل غير ذلك. (انظر معجم البلدان ٤/ ١٢١).

للرجل منهم ولدٌ من أَمَةٍ استعبدوه. وكان لعنترة إخوةٌ من أمّه عبيدٌ. وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إيَّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على بني عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً، فتبعهم العَبْسِيُّون فلحِقوهم فقاتلوهم عمَّا معهم وعنترةُ يومئذ فيهم؛ فقال له أبوه: كُرَّ يا عنترةُ. فقال عنترة: العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرَّ، إنما يُحْسِن الحِلاَبَ والصَّرّ[1] فقال: كرّ وأنت حرّ. فكَرَّ وهو يقول: [الرجز]

أنا الهَجِينُ عَنْتَرَهْ كُلُّ آمرِىءٍ يَحْمِي حِرَهْ
أسْوَدَهُ وَأحْمَرَه وَالشَّعَرَاتِ المُشْعَرَهْ
الواردات مِشْفَرَهْ

وقاتلَ يومئذ قتالاً حسناً، فادَّعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبَه.

وحكى غير ابن الكلبيّ أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أغاروا على طيّىء. فأصابوا نَعَماً، فلما أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة: لا نَقسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخَطْبُ بينهم كرَّتْ عليهم طيّىء؛ فاعتزلهم عنترة وقال: دُونَكم القومَ، فإنَّكم عَدَدُهم. واستنقذت طيّىء الإبل. فقال له أبوه: كرّ يا عنترةُ. فقال: أوَيُحْسنُ العبد الكَرّ! فقال له أبوه: العبدُ غيرُك، فاعترف به، فكرّ واستنقذ النَّعَم، وجعل يقول: [الرجز]

أنا الهَجِينُ عَنْتَرَهْ كُلُّ آمرِىءٍ يَحْمِي حِرَهْ

الأبيات:

قال ابن الكلبيّ: وعنترةُ أحدُ أَغْربة[2] العرب، وهم ثلاثة: عنترة وأُمّه زَبِيبة، وخُفَاف بن عُمَيْر الشَّرِيديّ وأمّه نُدْبة، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْديّ وأُمّه السُّلَكةُ، وإليهنّ يُنسبون. وفي ذلك يقول عنترة: [الكامل]

إنّي آمرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وأحْمِي سائِرِي بالمُنْصُلِ
وإذا الكَتِيبةُ أحْجَمَتْ وتلاحَظَتْ أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعَمّ مُخْوَلِ

يقول: إنّ أبي من أكرم عَبْس بشطري، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّي فيه

(١) صَرّ الناقة: شدّ ضرعها بالصرار لئلا يرضعها ابنها.
(٢) الأغربة جمع غراب. وأغربة العرب سمّوا بذلك لسوادهم، وقد جاءهم السواد من أمهاتهم ومنهم عنترة بن شداد والسليك بن السلكة.

ضَرْبي بالسيف، فأنا خيرٌ في قومي ممن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغني غَنائي.
وأحسب أنّ هذه القصيدة هي التي يُضاف إليها البيتان اللذان يُغَنَّى فيهما، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغَبْراء[١].

[حامي اللواء]

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: غزتْ بنو عَبْس بني تميم وعليهم قَيْس بن زُهَيْر، فانهزمت بنو عَبْس وطلبتْهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحِقتهم كَبْكَبةٌ[٢] من الخيل، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ[٣]. وكان قيس بن زُهَير سيِّدَهم، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذ، فقال حين رجع: والله ما حَمَى الناسَ إلا ابنُ السوداء. وكان قيس أكولاً. فبلغ عنترةَ ما قال؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتُوفَ كأنَّني ... أصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتوفِ بمَعْزِلِ
فأجَبْتُها إنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لا بُدَّ أنْ أُسْقَى بكأسِ المَنْهَلِ
فاقْنَيْ حَياءَكِ لا أبا لَكِ وَاعْلَمِي ... أنِّي امْرُؤٌ سأمُوتُ إنْ لَمْ أُقْتَلِ
إنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلتْ ... مِثْلي إذا نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ
إنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِي وَأحْمِي سائِري بالمُنْصُلِ
وإذا الكَتِيبَةُ أحْجَمَتْ وتلاحَظَتْ ... أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ
وَالخَيْلُ تَعْلَمُ وَالفَوارِسُ أنَّنِي ... فَرَّقتُ جَمْعَهُمُ بِضَرْبَةِ فَيْصَلِ
إذ لا أُبادِرُ في المَضِيقِ فَوارِسي ... أوَ لا أُوَكَّلُ بالرَّعِيلِ الأوَّلِ
إنْ يُلْحَقُوا أكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا ... أشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أنْزِلِ
حِينَ النُّزُولُ يكونُ غايةَ مِثْلِنا ... ويَفِرُّ كُلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ[٤]
وَالخَيْلُ ساهِمَةُ الوُجُوهِ كأنَّما ... تُسْقَى فَوارِسُها نَقِيعَ الحَنْظَلِ
وَلَقَدْ أبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأظَلُّه ... حَتى أنالَ به كَرِيمَ المَأكَلِ[٥]

(١) حرب داحس والغبراء: حرب طويلة كانت بين بني ثعلبة وبني رياح. ورد ذكرها في الجزء الخامس من الأغاني.
(٢) الكبكبة: الجماعة من الناس.
(٣) المدبر: المولي الأدبار، الفارّ.
(٤) المستوهل: الخائف، الضعيف.
(٥) الطوى: الجوع.

عَرُوضه من الكامل. غنَّت في الأربعة الأبيات الأُوَل والبيت الثاني عَرِيبُ خفيفَ رَمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العُبَيْس.

«الحتوف»: ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف. «عن عَرَض»: أي ما يعرض منها. «بمعزل»: أي في ناحية معتزلة عن ذلك. و«منهل»: مورد. وقوله: «فَاقني حياءك»: أي احفظيه ولا تضيِّعيه. و«الضَّنْك»: الضيق. يقول: إن المنيّة لو خُلِقتْ مثالاً لكانت في مثل صورتي. و«المَنْصِب»: الأصل. و«المُنْصُل»: السيف، ويقال مُنْصَل أيضاً بفتح الصاد، وأحجمت: كَعَّتْ. و«الكتيبة»: الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر. و«تلاحظت»: نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ. وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمُؤخر العين. و«الفيصل»: الذي يفصِل بين الناس. وقوله: «لا أبادر في المضيق فوارسي» أي لا أكون أوَّل منهزم ولكني أكون حاميتهم. و«الرعيل»: القطعة من كل شيء. و«يُسْتَلْحَمُوا»: يُدْرَكوا. والمُسْتَلْحِم: المُدْرِكَ؛ وأنشد الأصمعيّ: [البسيط]

نَـجَّـى عِـلاجـاً وبِـشْـراً كُـلُّ سَـلْـهَـبَـةٍ وَاسْتَلْحَمَ المَوْتُ أَصْحابَ البَرَاذِين[1]

و«ساهمة»: ضامرة متغيِّرة، قد كَلَحَ فوارسُها لشدَّة الحرب وهَوْلها. وقوله: «ولقد أبيت على الطوى وأظله»: قال الأصمعيّ: أبيت بالليل على الطَّوَى وأظَلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أي ما لا عيبَ فيه عليّ، ومثله قوله: إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُهما طعاماً ولا شراباً: أي لا أذوق فيهما. والطَّوَى: خَمَصُ البطن، يقال: رجل طَيَّان وطاوِي البطن.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثنا ابن عائشة قال: أُنْشِد النبيُّ ﷺ قولَ عَنْتَرَة. [الكامل]

وَلَـقَـدْ أَبِـيـتُ عـلـى الـطَّـوَى وأَظَـلُّـهُ حَـتَّـى أنـالَ بِـهِ كَـرِيـمَ الـمـأكَـلِ

فقال ﷺ: **«ما وُصِفَ لي أعرابيٌّ قَطُّ فأحببتُ أن أراه إلاَّ عنترةَ».**

(١) السلهبة: الفرس الطويلة.

[إلحاقه إخوته لأمه بعبس]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة: أن عنترة كان له إخوة من أُمّه، فأحبّ عنترةُ أن يدَّعيَهم قومُه؛ فأمر أخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل»، فقال له: أرْوِ مُهْرَكَ من اللَّبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاءً. فإذا قلت لكم: ما شأنُ مُهْرِكمْ مُتَخَدِّداً[1] مهزولاً ضامراً، فاضرب بطنَه بالسيف كأنّك تُريهم أنك قد غَضِبتَ مما قلتُ. فَمرَّ عليهم، فقال له: يا حنبل، ما شأنُ مهركم متخدّداً أعجر[2] من اللبن؟ فأهوَى أخوه بالسيف إلى بطن مُهْره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عَنْتَرَةُ: [الكامل]

أَبَـنِـي زَبِـيـبَـةَ مـا لِـمُـهْـرِكُـمُ مُـتَـخَـدِّداً وَبُـطُـونُـكُـمْ عُـجْـرُ
أَلـكُـمْ بِـإِيـغـالِ الـوَلِـيـدِ عَـلَـى أَثَـرِ الـشِّـيـاهِ بِـشَـدَّةٍ خُـبْـرُ

وهي قصيدة. قال: فاستلاطه نفرٌ من قومه ونفاه آخرون. ففي ذلك يقول عنترة: [الوافر]

أَلا يـا دارَ عَـبْـلَـةَ بـالـطَّـوِيِّ كَـرَجْـعِ الـوَشْـمِ فـي كَـفّ الـهَـدِيِّ

وهي طويلة يُعدِّد فيها بلاءَه وآثاره عند قومه.

أخبرني عمّي قال: أخبرني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال: قيل لعنترة: أنت أشجَعُ العرب وأشدُّها؟ قال: لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً، وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْماً، ولا أدخلُ إلا موضعاً أرى لي منه مَخْرَجاً، وكنتُ أعتمد الضعيفَ الجبانَ فأضربُه الضربَة الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجَاع فأُثَنِّي عليه فأقتله.

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال: قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألفَ فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترة فكنَّا نحمِل إذا حمل ونُحْجِم إذا أحجم. وكان فينا الرَّبيع بن زياد وكان ذا رَأْي فكنا نستشيره ولا نُخالفه. وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنَّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدَقتَ.

---

(١) المتخدّد: الضامر. الهزيل.
(٢) البطن الأعجر: المليء.

[موت عنترة]

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثنا أبو سعيد السكريّ قال: قال محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل عن أبي عبيدة وابن الكلبيّ قالا:

أغار عنترةُ على بني نَبْهان من طيّىء فطَرَد لهم طريدةً[١] وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول: [الرجز]

آثـارُ ظُـلْـمَـانٍ بـقـاعٍ مُـخْـرِبِ[٢]

قال: وكان زِرّ بن جابر النَّبْهانيّ في فُتُوَّة، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سَلْمَى، فقطع مَطَاه[٣]؛ فتحاملَ بالرَّمْيَة حتى أتى أهله؛ فقال وهو مجروح: [الطويل]

وَإنَّ ابْنَ سَلْمَى عِنْدَهُ فاعْلَمُوا دَمِي ... وَهَيْهاتَ لا يُرْجَى ابْنُ سَلْمَى ولا دَمِي

يَحُلُّ بأكْنافِ الشِّعابِ وَيَنْتَمِي ... مكانَ الثُّرَيّا لَيْسَ بالمُتَهَضَّمِ

رَماني ولم يَدْهَشْ بأزْرَقَ لَهْذَمٍ ... عَشِيَّةَ حَلُّوا بَيْنَ نَعْفٍ ومَخْرِمِ[٤]

قال ابن الكلبيّ: وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص. وأما أبو عمرو الشَّيْبانيّ فذكر أنه غزا طيّئاً مع قومه، فانهزمت عَبْسٌ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبَر أن يعود فيركب؛ فدخل دَغَلاً، وأبصره رَبيئةُ[٥] طيّىء فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنّ واحتاج وعجز بكِبَر سنِّه عن الغارات، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ، فخرج يتقاضاه إيَّاه؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرْجٍ[٦] وناظرة[٧]، فأصابته فقتلته.

قال: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال: كان عمرو بن معديكرب يقول: ما أُبالي مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب ما لم يلقَني حُرَّاها وهَجِيناها. يعني

(١) طرد الطريدة: ساقها.
(٢) الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام.
(٣) المطا: الظهر.
(٤) النَّعْف: ما انحدر عن السفح وغلظ. والمَخْرِم: منقطع أنف الجبل.
(٥) الربيئة: الطليعة.
(٦) شرج: ماء لبني عبس بنجد من أرض العالية. (معجم البلدان ٣/ ٣٣٤).
(٧) ناظرة: ماء لبني عبس. (معجم البلدان ٥/ ٢٥٢).

بالحُرَّيْنِ عامرَ بن الطُّفَيْل وعُتَيْبةَ بن الحارث بن شِهَاب، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة.

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر.

[نبذة عن عبد قيس البرجمي]

وأمّا عبد قَيْس بن خفَاف البُرْجُميّ فإنِّي لم أجد له خبراً أذكره إلاّ ما أخبرني به جعفر بن قُدَامة قال: قرأت في كتاب لأبي عثمان المازنيّ: كان عبد قَيْس بن خفَاف البُرْجُميّ أتى حاتمَ طيِّىء في دِماء حملَها عن قومه فأسلموه فيها وعجزَ عنها، فقال: والله لآتينّ مَنْ يحمِلها عنِّي، وكان شريفاً شاعراً شُجَاعاً؛ فقدِم على حاتم وقال له: إنه وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدّمتُ مالي وأخَّرتُ أهلي، وكنتَ أوثقَ الناس في نفسي. فإن تحمَّلتَها فكَمْ من حَقٍّ قضَيْتَه وهَمٍّ كَفَيْتَه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم أنسَ غدَك؛ ثم أنشأ يقول: [الطويل]

حَمَلْتُ دِماءً لِلْبَرَاجِمِ جَمَّةً ... فجِئتُكَ لَمّا أسْلَمَتْني البَراجِمُ
وقالوا سَفَاهاً لِمْ حَمَلْتَ دِماءَنا ... فَقُلْتُ لَهُمْ يَكْفِي الحَمَالَةَ حاتِمُ
مَتَى آتِهِ فيها يَقُلْ لِيَ مَرْحَباً ... وَأهلاً وَسَهْلاً أخطأتْكَ الأشائِمُ
فَيَحْمِلُها عَنّي وإنْ شِئْتُ زادَني ... زِيادَة مَنْ حِيزَتْ إليهِ المَكارِمُ
يَعِيشُ النَّدَى ما عاشَ حاتمُ طَيِّىءٍ ... وإنْ ماتَ قامَتْ لِلسَّخاءِ مَآتِمُ
يُنادِينَ ماتَ الجُودُ مَعْكَ فلا نَرَى ... مُجِيباً له ما حامَ في الجَوِّ حائِمُ
وقالَ رجالٌ أنْهَبَ العامَ مالَهُ ... فَقُلْتُ لَهُمْ إنِّي بذلكَ عالِمُ
وَلٰكِنَّهُ يُعْطَى مِنَ امْوَالِ طَيِّىءٍ ... إذا حَلَقَ المالَ الحُقُوقُ اللَّوازِمُ
فيُعْطِي الَّتي فيها الغِنَى وكأنَّهُ ... لِتَصْغِيرِهِ تِلْكَ العَطِيَّةَ جارِمُ
بِذٰلِكَ أوصاهُ عَدِيٌّ وَحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وَعَبْدُ الله تلكَ القَمَاقِمُ[1]

فقال له حاتم: إني كنتُ لأُحِبّ أن يأتيني مثلُك من قومك، وهذا مِرْباعي[2] من الغارة على بني تميمَ فخذه وافراً، فإنْ وَفَى بالحَمالة وإلا أكملتُها لك، وهي

(١) القماقم: جمع قمقام، وهو السيد الجامع للسيادة الواسع الخير.

(٢) المرباع: ربع الغنيمة، وهي حصة الرئيس.

مائتا بعير سوى نيبها وفِصالها[١]، مع أنّي لا أُحِبّ أن تُؤَبِّس قومَك بأموالهم. فضحِك أبو جُبَيْل[٢] وقال: لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم وأيّ بعير دفعتَه إليّ وليس ذَنَبُه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها وزاده مائةَ بعير، وانصرف راجعاً إلى قومه. فقال حاتم: [الوافر]

أتـانـي الـبُـرْجُـمِـيُّ أبـو جُـبَـيْـلٍ ... لِـهَـمٍّ فـي حَـمَـالـتِـه طَـوِيـلِ

فَـقُـلْـتُ لَـهُ خُـذِ الـمِـرْبـاعَ مِـنْـهـا ... فَـإنِّـي لَـسْـتُ أرْضـى بِـالـقَـلِـيـلِ

عَـلـى حـالٍ ولا عَـوَّدْتُ نَـفْـسِـي ... عَـلـى عِـلاَّتِـهـا عِـلَـلَ الـبَـخِـيـلِ

فَـخُـذْها إنَّـهـا عَـلَـيْـكَ مائـتَـا بَـعِـيرِ ... سِـوَى الـنَّـابِ الـرَّذِيَّـةِ والـفَـصِـيـلِ

ولا مَـنٌّ عَـلَـيـكَ بـهـا فـإنِّـي ... رَأَيـتُ الـمَـنَّ يُـزْرِي بـالـجَـمِـيـلِ

فـآبَ الـبُـرْجُـمِـيُّ ومـا عَـلَـيْـهِ ... مِـنَ اعْـبـاءِ الـحَـمـالـةِ مـن فَـتِـيـلِ

يَـجُـرُّ الـذَّيْـلَ يَـنْـفُـضُ مِـذْرَوَيْـهِ ... خَـفِـيـفَ الظَّـهْـرِ مِـنْ حِـمْـلٍ ثَـقِـيـلِ[٣]

---

(١) النيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنة. والفصال: جمع فصيل وهو ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمه.

(٢) أبو جبيل: كنية عبد قيس بن خفاف، وهذا ما يتبين من السياق.

(٣) المذروان: طرفا الألية.

ذكر أبي دُلَفَ ونسبه وأخباره

[توفي ٢٢٦هـ / ٨٤٠م]

[اسمه ولقبه ونسبه ومكانته وبعض أخباره]

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. ومَحَلُّه في الشجاعة وعُلُوّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَناء في المَشَاهد وحُسْن الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظرائه. وذكرُ ذلك أجمع مما لا معنى له لطُوله؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْنَع. وله أشعارٌ جِيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة. فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه:

صوت

[الوافر]

بِنَفْسِي يا جِنَانُ وأنْتِ مِنِّي ... مَحَلَّ الرُّوحِ مَنْ جَسَدِ الجَبَانِ
وَلَوْ أنِّي أقُولُ مَكَانَ نَفْسِي ... خَشِيتُ عَلَيْك بادِرَةَ الزَّمانِ
لإِقْدامِي إذا ما الخَيْلُ حامَتْ ... وَهابَ كُماتُها حَرَّ الطِّعانِ

وله فيه لحن. وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظّام.

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: لقي إبراهيم النَّظام غلاماً حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لولا ما سَبَق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحدٍ أن يكبُر عن أن يَسأل، كما أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول، لمَا أنَبْتُ إلى مُخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك، لكنه سببُ الإخاء وعَقْد المودَّة، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام ـ وهو لا يعرفه: لئن قلتَ ذلك أيها الرجل لقد قال

أستاذنا إبراهيم النَّظّام: الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة؛ وكياني مائلٌ إلى كِيانك بكُلِّيَّتي. ولو كان الذي انطوى عليه عَرَضاً لم أعتَدّ به وُدّاً، ولكنه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعدَمُه بعَدَمها؛ وأقول كما قال الهذليّ:

فَتَيَقَّنِي أنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ... ثُمَّ افْعَلِي ما شِئْتِ عَنْ عِلْمِ

فقال له النَّظّام: إنما كلَّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُسْتَحْسَن؛ ولو علمتُ أنّ محلَّك مثلُ محلّ مَعْمَر وطَبَقتِه في الجَدَل لَمَا تَعَرَّضتُ لك. قال أبو الحسن: ومن هذا أخذ أبو دُلَف قوله: [الوافر]

أُحِبُّكِ يا جِنانُ وأنتِ مِنّي ... مَحَلَّ الرُّوحِ منْ جَسَدِ الجَبانِ

ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله:

صوت

[البسيط]

فـي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضاءَ طالِعَةً ... كأنَّما أُنبِتتْ في ناظِرِ البَصَرِ
لَئِنْ قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ عَنْ بَصَرِي ... لَمَا قطعتُك عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكَرِي[١]

[حربه الخوارج وبابك الخُرَّميّ]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال: حدّثتني أبي قال: سمعت عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلَف يقول: حدّثتني ظَبْية جارية أبي قالت: إنّي لمَعَهُ ليلةً بالسَّرَادِنِ[٢] وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسَّكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّرَاة أطرافَ عسكره؛ فلبس الجَوْشَنَ[٣] ومضى فقتَل وأسَر وانصرف إليّ في آخر اللّيل وهو يغنّي ـ قالت: والشعر له:

صوت

[مجزوء الخفيف]

لَيْلَتِي بِالسَّرَادِنِ ... كُلِّلتْ بالمَحاسِنِ

---

(١) المقراض: المقصّ.
(٢) السَّرادِن: موضع ببلاد فارس.
(٣) الجوشن: الدرع أو السربال.

وَجَـــــــوَارٍ أَوَانِــــــسٍ كـــالــظِّــبـــاءِ الــشَّــــوادِنِ
بُــدِّلَــتْ بـــالــمُــمَــسَّــكــا تِ أدْراعَ الـــجَـــوَاشِــــنِ

الشعر لأبي دُلفَ. والغناء له رملٌ بالسّبابة في مجرى البنصر.

وقال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإِفْشين خَيْذَر بن كاوُوس[1] لمَّا خرج لمحاربة بابَك[2]، ثم تنكَّر له؛ فوجَّه يوماً بمن جاء به ليقتله. وبلغَ المعتصمَ الخبرُ، فبعث إليه بأحمد بن أبي دُوَاد[3] وقال له: أدْرِكْه، وما أُراك تلحَقه، فاحتَلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ. قال آبنُ أبي دُوَاد: فمضيتُ رَكْضاً حتى وافيتُه، فإذا أبو دُلَفَ واقفٌ بين يديه وقد أخذَ بيديه غلامان له تركيَّان، فرميتُ بنفسي على البِساط، وكنت إذا جئته دعا لي بمُصَلًّى، فقال لي: سبحانَ الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلستني هذا المجلسَ. ثم كلَّمتُه في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له، فجعل لا يزداد إلاَّ غِلظةً. فلما رأيتُ ذلك قلت: هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفْق به فلم ينفع، وليس إلا أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدْق؛ فقمتُ فقلت: كم تُراك قدَرتَ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملتُ إليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ!. قال: فذلّ حتى لصِق بالأرض وبان لي الاضطرابُ فيه. فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَفَ وأخذت بيده، وقلت له: قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعلْ يا أبا عبد اللّه. فقلت: قد فعلتُ. وأخرجت القاسم فحملتُه على دابَّة ووافيتُ المعتصمَ. فلما بَصُر بي قال: بك يا أبا عبد اللّه وَرِيَتْ زِنَادي، ثمَّ ردَّ عليّ خبري مع الإِفْشِين حَدْساً بظَنّه ما أخطأ فيه حرفاً؛ ثم سألني عما ذكره لي وهو كما قال، فأخبرتُه أنه لم يخطىء حرفاً.

وقال عليّ بن محمد: حدّثني جَدِّي قال: كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديداً. فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَف يغنِّي؛ فقال: ما أُراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمدَ بن أبي دُوَاد في موضع وأحضر أبا دُلَفَ وأمره أن

---

(١) الأفشين: قائد جيوش المعتصم، والظافر بمعركة عمورية ضد الروم؛ وأرسله المعتصم لقتال بابك الخرميّ، ثم غضب عليه وقتله سنة ٢٢٨هـ.

(٢) بابك الخرميّ: زعيم الخرمية زمن المعتصم. حاربه المعتصم وكسره. قتله المعتصم وصلبه سنة ٢٢٥هـ.

(٣) ابن أبي دؤاد: وزير المعتصم.

يغنّي، ففعل ذلك وأطال؛ ثم أخرج أحمدَ بن أبي دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سَوْءةٌ لهذا من فِعْل! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسَك كما أرى! فخجِل أبو دُلَفَ وتشوَّر[١]، وقال: إنهم أكرهوني على ذلك. فقال: هَبْهُم أكرهوك على الغِناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة!.

قال عليّ وحدَّثني جَدِّي: أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنه كان نديماً للواثق، وكان أبو دُلَفَ قد وُصِفَ للمعتصم فأحب أن يسمعه، وسأل الواثقَ عنه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا على الفَصْد[٢] غداً وهم عندي. فقال له المعتصم: أُحِبُّ ألاّ تُخفي عليّ شيئاً من خبركم. وفُصِد الواثق، فأتاه أبو دُلَفَ وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الواثق حضورَ أبي دُلَفَ عنده؛ فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تَلَقَّوْه حين برزَ من الدِّهْليز إلى الصَّحْن[٣]؛ فجاء حتى جلس، وأمرَ بنُدماء الواثق فرُدُّوا إلى مجالسهم. قال حَمْدون: وخَنَستُ عن مجلسي[٤] الذي كنتُ فيه لحَدَاثتي، فنظر المعتصم إلى مكاني خالياً، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له، فأمَرَ بإحضاري فرجعت إلى مكاني، وأمرَ بأن يُؤتَى بِرَطْلٍ من شرابه فأُتِيَ به؛ فأقبل على أبي دُلَفَ فقال له: يا قاسم، غَنِّ أميرَ المؤمنين صوتاً؛ فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال: أُغنِّي أميرَ المؤمنين صوتاً بعينه أو ما اخترته؟ قال: بل غَنِّ صنعتَك في شعر جرير:

بَانَ الخَلِيطُ بِرامَتَينِ فَوَدَّعُوا

فغنَّاه إيَّاه. فقال المعتصم: أحسن! أحسن! ثلاثاً، وشرب الرَّطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركبه، وأمَر أبا دُلَفَ أن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما، فخرجتُ أسعَى مع رِكابه، فثُبِّتُّ في ندَمائِه من ذلك اليوم، وأمرَ لأبي دُلَفَ بعشرين ألف دينار.

(١) تشوّر: خجل.
(٢) الفصد: اخراج مقدار من دم المريض بقصد العلاج.
(٣) صحن الدار: ساحتها التي في وسطها.
(٤) خنست عن مجلسي: تراجعت.

نسبة الصوت الذي غنَّاه أبو دلف

صوت

بَانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا   أَوَ كُلَّما اعْتَزَمُوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
كَيْفَ العَزاءُ ولم أجِدْ مُذْ غِبْتُمُ   قَلْباً يَقَرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ

عَروضه من الكامل. الشعر لجرير، والغناء لأبي دُلَفَ ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال: كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديَّة يستخفّ مُطِيع بن إياس، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلةٌ حسنة. فذكر له مُطِيع بن إياس حمَّاداً الراوية، وكان مُطَّرَحاً مَجْفُوّاً في أيَّامهم. فقال له: دَعْني، فإنَّ دولتي كانت في بني أميَّة وما لي عند هؤلاء خير. فأبى مُطيع إلا الذهابَ به إليه. فاستعار سواداً وسيفاً؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلَّم عليه وجلس. فقال له جعفر: أَنْشِدني. فقال: لمن أيها الأمير؟ قال: لجرير. قال حماد: فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبي إلاّ قولَه:

بَانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا

فاندفعتُ أُنْشِده إيَّاه حتى بلغتُ إلى قوله:

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ على العَصَا   هَلاَّ هَزِئْتِ بِغَيْرِنا يا بَوْزَعُ

قال حمَّاد: فقال لي جعفر: أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه؛ فقال: إيش هو بَوْزع؟ قلتُ: اسم امرأة. قال: امرأةٌ اسمُها بَوْزَع! هو بريءٌ من الله ورسوله ومن العبَّاس بن عبد المطَّلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولاً من الغِيلان! تركتَني والله يا هذا لا أنام اللَّيل من فزع بَوْزَع! يا غلمان، قَفَاه. قال: فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا. ثم قال: جُرُّوا برجله، فجرُّوا برجلي حتى أُخرِجتُ من بين يديه وقد تَخَرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً مما جرى من ذلك. وكان أغلظ من ذلك عليّ غَرَامتي السوادَ والسيف. فلما انصرف إليّ مُطِيع جعل يتوجَّع لي. فقلت له: ألم أخبرك أنِّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظِّي قد مضى مع من مضى من بني أمية!.

رجع الحديث إلى أخبار أبي دُلَف.

[بعض الأخبار عن كرمه]

وكان أبو دُلَف جواداً ممدَّحاً؛ وفيه يقول عليّ بن جَبَلة: [المديد]

إنَّمـا الـدُّنيـا أبُـو دُلَـفٍ ... بَـيْـنَ مَـغْـزَاهُ ومُـحْـتَـضَـرِهْ
وإذا وَلَّـى أبُـو دُلَـفٍ ... وَلَّـتِ الـدُّنـيـا عـلـى أثَـرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه. وفيها يقول:

ذادَ وِرْدَ الـغَـيِّ عـن صَـدَرِهْ ... وارْعَـوَى وَالـلَّـهْـوُ مِـنْ وَطَـرِهْ
نَـدَمِـي أنَّ الـشَّـبـابَ مَـضَـى ... لَـمْ أُبَـلِّـغْـهُ مَـدَى أَشَـرِهْ[1]
حَـسَـرتْ عَـنِّـي بَـشـاشَـتُـهُ ... وَذَوَى الـمَـحْـمُـودُ مِـنْ ثَـمَـرِهْ
وَدَمٍ أهْـدَرْتُ مِـنْ رَشَـأٍ ... لَـمْ يُـرِدْ عَـقْـلاً عـلـى هَـدَرِهْ
فـأتَـتْ دونَ الـصِّـبَـا هَـنَـةٌ ... قَـلَـبَـتْ فُـوقِـي عـلـى وَتَـرِهْ[2]
دَعْ جَـدَا قَـحْـطـانَ أو مُـضَـرٍ ... فـي يَـمَـانِـيـهِ وَفِـي مُـضَـرِهْ
وآمْـتَـدِحْ مِـنْ وائـلٍ رَجُـلاً ... عُـصُـرُ الآفـاقِ مِـنْ عُـصُـرِهْ
الـمَـنـايـا فـي مَـقَـانِـبِـهِ ... وَالـعَـطـايـا فـي ذَرَا حُـجَـرِهْ[3]
مَـلِـكٌ تَـنْـدَى أنَـامِـلُـهُ ... كـانْـبِـلاجِ الـنَّـوْءِ عَـنْ مَـطَـرِهْ
مُـسْـتَـهِـلٌّ عَـنْ مَـواهِـبِـهِ ... كـابْـتِـسـامِ الـرَّوْضِ عَـنْ زَهَـرِهْ
جَـبَـلٌ عَـزَّتْ مَـنَـاكِـبُـهُ ... أمِـنَـتْ عَـدْنـانُ فِـي نَـفَـرِهْ
إنَّـمـا الـدُّنـيـا أبـو دُلَـفٍ ... بَـيْـنَ مَـغْـزاهُ ومُـحـتَـضَـرِهْ
فـإذا وَلَّـى أبُـو دُلَـفٍ ... وَلَّـتِ الـدُّنْـيـا عـلـى أثَـرِهْ
كُـلُّ مَـنْ فـي الأرْضِ مِـنْ عَـرَبٍ ... بَـيْـنَ بـادِيـهِ إلـى حَـضَـرِهْ
مُـسْـتَـعِـيـرٌ مـنـهُ مَـكْـرُمَـةً ... يَـكْـتَـسِـيـهـا يَـوْمَ مُـفْـتَـخَـرِهْ

وهذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمونَ على عليّ بن جَبَلة حتى سلّ لسانه

---

(١) الأشر: البطر.
(٢) الفوق: موضع الوتر.
(٣) المقانب: جمع مقنب وهو جماعة من الفرسان دون المائة تجتمع للغارة.

من قَفاه، وقولُه في أبي دُلَف أيضاً: [البسيط]

أنتَ الَّذِي تُنْزِلُ الأيّامَ مَنْزِلَها وَتَنْقُلُ الدَّهرَ مِنْ حالٍ إلى حالِ
وما مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أحَدٍ إلاَّ قَضَيْتَ بأرزاقٍ وآجالِ

وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليّ بن جبلة إن شاء الله تعالى؛ إذ كان القصد ها هنا أمرَ أبي دُلَف.

أخبرني أحمد بن عُبيد اللّه بن عَمَّار قال: كنَّا عند أبي العباس المبرّد يوماً وعنده فتًى من ولد أبي البَخْتَرِيّ وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه، وفتًى من ولد أبي دُلَف العِجْليّ شبيه به في الجمال. فقال المبرِّد لابن أبي البختريّ: أعرف لجدّك قصَّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسْبَقْ إليها. قال: وما هي؟ قال: دُعِيَ رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقَوْه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم: [المتقارب]

نَبِيذانِ في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ لإيثارِ مُثْرٍ عَلى مُقْتِرِ
فَلَوْ كانَ فِعْلُكَ ذا في الطَّعامِ لَزِمْتَ قِياسَكَ في المُسْكِرِ
وَلَوْ كُنْتَ تَطْلُبُ شَأْوَ الكِرامِ صَنَعْتَ صَنِيعَ أبي البَخْتَرِي
تَتَبَّعَ إخْوانَهُ في البِلادِ فَأَغْنَى المُقِلَّ عَنِ المُكْثِرِ

فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَرِيّ فبعث إليه بثلاثمائة دينار. قال ابن عمَّار: فقلت: قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا. قال: وما فعل؟ قلت: بلغه أنّ رجلاً افتقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترِضْ في الجند؛ فقال:

[البسيط]

إلَيْكِ عَنّي فَقَدْ كَلَّفْتِنِي شَطَطاً حَمْلَ السِّلاحِ وَقِيلَ الدَّارِعِينَ قِفِ
تَمشِي المَنايا إلى غَيْرِي فأكْرَهُها فَكَيْفَ أمْشِي إليها عارِيَ الكَتِفِ
حَسِبتِ أنَّ نَفادَ المالِ غَيَّرَنِي وأنَّ رُوحِيَ في جَنْبَيْ أبِي دُلَفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له: كم أمّلتِ امرأتُك أن يكون رزقُك؟ قال: مائة دينار. قال: وكم أمّلتَ أن تعيش؟ قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان؛ وأمر بإعطائه إيَّاه. قال: فرأيتُ وجهَ ابن أبي دلف يتهلَّل، وانكسر ابن أبي البَخْتَرِيّ انكساراً شديداً.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال:

أخبرني عليّ بن القاسم قال: قال عليّ بن جَبَلة: زرتُ أبا دُلَفَ بالجَبَل[١]، فكان يُظهر من إكرامي وبِرِّي والتَّحفِّي بي أمراً مُفْرِطاً، حتى تأخَّرتُ عنه حيناً حياءً. فبعث إليّ مَعْقِل بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعتَ عنِّي، وأحسبك استقللتَ بِرِّي بك، فلا يُغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضَى. فقلت: والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البِرّ، وكتبت إليه: [الطويل]

هَجَرْتُك لَمْ أهجُرْكَ مِنْ كُفرِ نِعْمَةٍ وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِّيادَةِ بالكُفْرِ
وَلٰكِنَّنِي لَمَّا أتَيْتُكَ زائِراً فأفْرَطْتَ في بِرِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
فَمِ الآنَ لا آتِيكَ إلا مُسَلِّماً أزورُكَ في الشَّهْرَيْنِ يَوْماً أوِ الشَّهْرِ[٢]
فإنْ زِدْتَنِي بِرّاً تَزَايَدْتُ جَفْوَةً وَلَمْ تَلْقَنِي طُولَ الحَياةِ إلى الحَشْرِ

فلمَّا قرأها مَعْقِل استحسنها جِدّاً وقال: أحسنتَ والله! أَمَا إنَّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دُلَفَ قال: قاتله الله ما أشعره وأدقَّ معانيه! فأعجبتْه فأجابني لوقته ـ وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجوابِ: [الطويل]

ألاَ رُبَّ ضَيْفٍ طارِقٍ قَدْ بَسَطْتُهُ وَآنَسْتُهُ قَبْلَ الضِّيافَةِ بالبِشْرِ
أتانِي يُرَجِّينِي فما حالَ دُونَهُ ودونَ القِرَى والعُرْفِ من نائلي سِتْرِي
وَجَدْتُ لَهُ فَضْلاً عليَّ بِقَصْدِهِ إلَيَّ وبِرّاً زادَ فيهِ على بِرِّي
فَزَوَّدْتُهُ مالاً يَقِلُّ بَقاؤُهُ وَزَوَّدَنِي مَدْحاً يَدُومُ على الدَّهْرِ

قال: وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار؛ فقلت حينئذ: ـ إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ـ الأبيات.

أخبرني عليّ بن سليمان قال: أخبرنا المبرّد قال: أخبرني إبراهيم بن خَلَف قال: بينا أبو دُلَفَ يسير مع مَعْقِل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مَرَّا بقَصْر، فأشرفتْ منه جاريتان؛ فقالت إحداهما للأُخرى: هذا أبو دُلَفَ الذي يقول فيه الشاعر:

إنَّما الدُّنْيا أبو دُلَفٍ

فقالت الأخرى: أَوَهذا! قد والله كنتُ أُحِبُّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه.

(١) الجبل: اسم جامع لمدن كثيرة بين أذربيجان وعراق العرب وفارس وبلاد الديلم (معجم البلدان ٢/ ١٠٣).
(٢) فَمِ الآن: فمن الآن. حذفت النون للضرورة.

فألتفت أبو دُلَفَ إلى مَعْقِل فقال: ما أنصفْنا عليَّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقَّه، وإن ذلك لمن كبير همِّي. قال: وكان أعطاه ألفَ دينار.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

أمَّا القَطاةُ فإنِّي سَوْفَ أنعَتُها ... نَعْتاً يُوافِقُ مِنها بَعْضَ ما فيها
سَكَّاءُ مَخْطُوبَةٌ في رِيشِها طَرَقٌ ... صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافيها(١)

عروضه من البسيط. والشعر مختلَف في قائله، ينسب إلى أَوْس بن غَلْفاءَ الهُجَيْميّ وإلى مُزَاحِم العُقَيْليّ وإلى العبَّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْدي وإلى العُجَيْر السَّلُوليّ وإلى عمرو بن عُقَيْل بن الحَجَّاج الهُجَيْميّ وهو أصح الأقوال؛ رواه ثعلب عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ. وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست مما يُغَنَّى فيه وأبياتاً ليست في الرواية. وقد رُوِيَ أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبياتَ فقال كل واحد منهم بعضاً. وأخبارُ ذلك وما يُحتاج إليه في شرح غريبه يُذْكَر بعد هذا. والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى: وفي هذين البيتين مع أبيات أُخَر من القصيدة اشتراكٌ كثيرٌ بين المغنِّين يتقدَّم بعضُ الأبيات فيه بعضاً ويتأخَّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره. والأبياتُ تُكْتَب ها هنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلِّ صانع في شيء منها إليه؛ وهي بعد البيتين الأوَّلين، إذ كانا قد مضيا واستُغْنِيَ عن إعادتهما:

لمَّا تَبَدَّى لَها طارَتْ وَقَدْ عَلِمَتْ ... أنْ قَدْ أظَلَّ وَأنَّ الحَيَّ غاشِيها
تَشْتَقُّ في حَيْثُ لم تُبْعِدْ مُصَعِّدَةً ... ولم تُصَوِّبْ إلى أدْنَى مَهَاوِيها(٢)
تَنْتاشُ صَفْراءَ مَطْروقاً بَقِيَّتُها ... قد كادَ يأزِي عَنِ الدُّعْمُوص آزِيها(٣)
ما هاجَ عَيْنَكَ أمْ قَدْ كادَ يُبْكِيها ... مِنْ رَسْمِ دارٍ كَسَحْقِ البُرْدِ باقيها(٤)
فلا غُنَيْمَةَ تُوفِي بالَّذِي وَعَدَتْ ... ولا فؤادُكَ حَتَّى المَوْتِ ناسِيها

(١) السكّاء: التي صغرت أذنها ولزقت برأسها. والمخطوبة: المصفرّة. والطَّرَق في الريش: أن يكون بعضه فوق بعض. والصهب: جمع أصهب وهو الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض.
(٢) تشتق: تقطع.
(٣) سيشرح الأصفهاني هذا البيت لاحقاً.
(٤) سحق البُرد: البُرد البالي.

ثبط مولى عبد اللّه بن جعفر خفيفَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أمَّا القطاة» والذي بعده، و«تنتاش صفراء» خفيف ثقيل رمل بالبنصر عن عمرو. ولإبراهيم الموصليّ في «لما تبدَّى لها» و«أمَّا القطاة» خفيف رمل عن الهشامي. ولعمَر الوادي في «أمَّا القطاة» ثقيلٌ بالوسطى. ولابن جامع في «لما تبدَّى لها» وبعده «أمَّا القطاة» خفيفُ رمل. ولسِيَاط في الأوَّل والثاني وبعدهما «تشتق في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر، ومن الناس من ينسُب لحنَه إلى عمر الوادي وينسب لحن عمر إليه. ولعَلّويه في «أما القطاة» والذي بعده رَملٌ هو من صدور أغانيه ومُقَدَّمها. فجميع ما وجدتُه في هذه الأبيات من الصنعة أحدَ عشرَ لحناً.

[وصف القطاة]

فأمَّا خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُوليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ ومُزَاحِماً العقَيْليّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وحُمَيْدَ بن ثَوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادَّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. ومرَّ بهم سِرْبُ قطاً؛ فقال أحدهم: تعالَوْا حتى نَصفَ القَطَا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأيُّنا كان أحسنَ وصفاً لها غلَب أصحابه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أَوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أمَّا القطاة» وقال حُميد أبياتاً وصف ناقتَه فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال: [الطويل]

كما انْصَلَتَتْ كَدْراءُ تَسْقِي فِراخَها ... بِشَمْظَةَ رِفْهاً وَالمِياهُ شُعُوبُ[1]
غَدَتْ لَمْ تُباعِدْ في السَّماءِ وَدُونَها ... إذا ما عَلَتْ أُهْوِيَّةٌ وصَبُوبُ[2]
قَرِينَةُ سَبْعٍ إنْ تَوَاتَرْنَ مَرَّةً ... ضَرَبْنَ فَصَفَّتْ أَرْؤُسٌ وجُنُوبُ[3]
فَجاءَتْ وما جاءَ القَطا ثُمَّ قَلَّصَتْ ... بِمَفْحَصِها وَالوارِداتُ تَنُوبُ[4]

---

(١) انصلتت: جرت في سيرها وأسرعت. وشمظة: موضع قريب من عكاظ كانت فيه أيام الفجار. (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٦٣). والمياه شُعُوب: بعيدة المورد.

(٢) الأهوية: الهاوية. والصبوب: منحدر الوادي.

(٣) تواترن: تتابعن واحده إثر واحدة.

(٤) قَلّصت: انضمت وانزوت. والمفحص: مجثم القطاة أو الدجاجة لتبيض وترقد فيها. وتنوب: ترجع.

وجـاءَتْ ومَـسْـقَـاهـا الَّـذِي وَرَدَتْ بـهِ ... إلى الصَّدْرِ مَشْدُودُ العِصَامِ كَتِيبُ[١]
تُـبـادر أطْـفـالاً مَـسـاكِـيـنَ دُونـهـا ... فَـلاً لا تَـخَـطَّـاهُ الـعُـيـونُ رَغِـيـبُ[٢]
وَصَـفْـنَ لَـهـا مُـزنـاً بـأرْضٍ تَـنُـوفَـةٍ ... فَـمـا هِـيَ إلاّ نَـهْـلَـةٌ وَتَـؤُوبُ[٣]

وقال العباس بن يزيد بن الأسود ـ هكذا ذكر ابن الكلبيّ، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّة: [البسيط]

حَـذَّاءُ مُـدْبِـرَةً سَـكَّـاءُ مُـقْـبِـلَـةً ... لِلماءِ في النَّحْرِ منها نَوْطَةٌ عَجَبُ[٤]
تَـسْـقِـي أُزَيْـغِـبَ تُـرْوِيـهِ مُـجاجَـتـهـا ... وذاكَ مِنْ ظَمْأَةٍ مِنْ ظِمْئِها شَرَبُ[٥]
مُـنْـهَـرِتُ الـشِّـدْقِ لـم تَـنْـبُـتْ قَـوادِمُـهُ ... في حاجِبِ العَيْنِ مِنْ تَسْبِيدِهِ زَبَبُ[٦]
تَدْعُـو الـقَـطَـا بِـقَـصِـيرِ الـخَـطْـوِ لَـيْـسَ لَـهُ ... قُـدَّامَ مَـنْـحَـرِهـا رِيـشٌ ولا زَغَـبُ
تَـدْعُـو الـقَـطَـا وَبِـهِ تُـدْعَـى إذا انْـتَـسَـبَـتْ ... يـا صِـدْقَـهـا حِـيـنَ تَـدْعُـوهُ وَتَـنْـتَـسِـبُ

وقال مُزَاحِم العُقَيليّ: [الطويل]

أذلِــكَ أمْ كُــدْرِيَّــةٌ هــاجَ وِرْدَهــا ... مِـنَ الـقَـيْـظِ يَـوْمٌ واقِـدٌ وسَـمُـومُ
غَـدَتْ كَـنـواةِ الـقَـسْـبِ لا مُـضْـمَـحِـلَّـةٌ ... ونـاةٌ ولا عَـجْـلَـى الـفُـتـورِ سَـؤُومُ[٧]
تُـواشِـكُ رَجْـعَ الـمَـنْـكِـبَـيـن وَتَـرْتَـمِـي ... إلـى كَـلْـكَـلٍ، لـلـهـادياتِ قَـدُومُ[٨]
فَـمـاانْـخَـفَـضَـتْ حتـى رأتْ ما يَـسُـرُّهـا ... وَفَـيْءُ الـضُّـحَـى قـد مـالَ فَـهْـوَ ذَمِـيـمُ
أَبـاطِـح وَانـتـصَّـتْ عـلـى حَـيْـثُ تَـسْـتَـقِـي ... بـهـا شَـرَكٌ لِـلْـوارِداتِ مُـقِـيـمُ[٩]
سَـقَـتْـها سُيولُ المُدْجِناتِ فأصْبَحَتْ ... عَـلاَجِـيـمَ تَـجْـرِي مَـرَّةً وَتَـدُومُ[١٠]
فَـلَـمَّـا اسْـتَـقَـتْ مِـنْ بـارِدِ الـمـاءِ وَانْـجَـلَـى ... عَـنِ الـنَّـفْـسِ مِـنْـهـا لَـوْحَـةٌ وَهُـمُـومُ[١١]

---

(١) العصام: حبل تشدّ به القربة وتحمل. والكتيب: المخروز.
(٢) الرَّغيب: الواسع.
(٣) التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.
(٤) الحذاء: القصيرة الذنب. والنوطة: الحوصلة.
(٥) المجاجة: اللعاب، الريق. والظمأة: ما بين الشربين والوردين.
(٦) منهرت الشدق: واسعه. والتسبيد: أول ظهور ريش الطائر. والزَّبب: كثرة الزغب.
(٧) القسب: تمر يابس يتفتت في الفم، ونواه شديد قويّ. والوناة: البطيئة القيام والقعود.
(٨) الكلكل: الصدر. والهاديات: السابقات، المتقدمات.
(٩) انتصت: انتصبت. والأصل: انتصت العروس: جلست في المنصة.
(١٠) المدجنات: السحب الدائمة المطر. والعلاجيم: جمع علجوم، وهو الماء الغزير. وتدوم: تستقر وتهدأ.
(١١) اللوحة: الظمأة، العطشة.

دَعَتْ باسْمِها حِينَ اسْتَقَتْ فاسْتَقَلَّها قَوَادِمُ حُجْنٌ رِيشُهُنَّ مُلِيمُ(١)
بِجَوْزٍ كَحُقِّ الهاجِرِيَّةِ زانَهُ بأطْرَافِ عُودِ الفارِسيِّ وُشُومُ(٢)

- يعني حُقّ الطيب. شبَّه حوصلتها به. والوشوم يعني الشِّيَة التي في صدرها -.

لتسقِيَ زُغْباً بالتَّنُوفَةِ لَمْ يَكُنْ خِلافَ مُوَلاَّها لَهُنَّ حَمِيمُ
تَرَائِكَ بالأرْضِ القَلاةِ وَمَنْ يَدَعْ بِمَنْزِلِها الأولادَ فَهْوَ مُلِيمُ(٣)
إذا اسْتَقْبَلَتْها الرِّيحُ طَمَّتْ رَفِيقَةً وَهُنَّ بِمَهْوًى كالكُرَاتِ جُثُومُ(٤)
يُرَاطِنَّ وَقْصاءَ القَفَا وَحْشةَ الشَّوَى بِدَعْوَى القَطَا لَحْنٌ لَهُنَّ قَدِيمُ(٥)
فَبِتْنَ قَرِيراتِ العيُونِ وَقَدْ جَرَى عَلَيْهِنَّ شِرْبٌ فاسْتَقَيْنَ مُنِيمُ
صَبِيبُ سِقَاءٍ نِيطَ قَدْ بَرَكَتْ بهِ مُعَاوِدةٌ سَقْيَ الفِرَاخِ رَؤومُ

وقال العُجَيْر - فيما روَى ابن الكلبيّ، وقد تروى لغيره: [الوافر]

سأَغْلِبُ وَالسَّماءِ وَمَنْ بَناها قَطاةَ مُزَاحِمٍ ومَنِ انتحاها
قَطاةُ مُزاحِمٍ وأبِي المُثَنَّى عَلَى حُوزِيَّةٍ صُلْبٍ شَوَاها(٦)
غَدَتْ كالقَطْرَةِ السَّفْواءِ تَهْوِي أمامَ مُجَلْجِلٍ زَجِلٍ نَفَاها(٧)
تَكَفَّأ كالجُمانَةِ لا تُبالِي أبِالمَوْماةِ أضْحَتْ أم سِواها
نَبَتْ منها العَجِيزَةُ فاحْزَأَلَّتْ وَنَبَّسَ لِلتَّقَتُّلِ مَنْكِبَاها(٨)
كأنَّ كُعُوبَها أطْرافُ نَبْلٍ كساها الرَّازِقِيَّةَ مَنْ بَرَاها(٩)

قال: واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوْس بن غَلْفاء.

وأخبرني أحمد بن عُبيد اللّه بن عَمَّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن

---

(١) حُجن: عُوج.
(٢) الحق: وعاء صغير ذو غطاء. والهاجرية: المرأة الحضرية. والوشوم جمع وشم.
(٣) المليم: الذي يفعل ما يلام عليه.
(٤) طمّت: أسرعت.
(٥) يراطنّ: يتكلمن بكلام غير مفهوم والوقصاء: القصيرة.
(٦) الحوزية: الناقة التي انحازت عن الابل فلا تخالطها.
(٧) السفواء: السريعة. والمجلجل: السحاب فيه رعد.
(٨) احزألت: ارتفعت. ونَبَّس: تحرك.
(٩) الرّازقية: ثياب كتان بيض.

قَعْنَب بن مُحْرِز الباهليّ قال حدّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيْد بن ثور والعُجَير السَّلُوليّ ومُزاحِم العُقَيليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمَّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها؛ فقالت: [الطويل]

أَلاَ كُـلُّ مـا قـالَ الـرُّواة وأنـشَـدُوا ... بـهـا غَـيْـرَ ما قـالَ الـسَّـلُـوليُّ بَـهْـرَجُ

وحكمتْ له. فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها: [الطويل]

كـأنَّـكِ وَرْهـاءُ الـعِـنـانَـيْـنِ بَـغْـلَـةٌ ... رَأَتْ حُصُناً فعارَضَتْهُنَّ تَشْحَجُ[1]

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عُبيدة مذكورةً عن دَمَاذ عنه وأنَّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده: [الطويل]

تَجُوبُ الدُّجى سَكَّاءُ مِنْ دُونِ فَرْخِها ... بِـمَـطْـلَـى أُرِيكٍ نَـفْـنَـفٌ وَسُـهـوبُ[2]

فَـجـاءَتْ وَقَـرْنُ الـشَّـمْـسِ بـادٍ كـأنَّـهُ ... هِـجانٌ بِصَحْراءِ الخُبَيْبِ شَبُوبُ[3]

لِـتَـسْـقِـيَ أَفْـراخـاً لَـهـا قَـدْ تَـبَـلَّـلَـتْ ... حَـلاَقِـيـمُ أَسْـمـاطٌ لـهـا وَقُـلُـوبُ[4]

قِـصـارُ الـخُـطَـا زُغْبُ الرُّؤوسِ كـأنَّـهـا ... كُـرَاتٌ تَـلَـظَّـى مَـرَّةً وتَـلُـوبُ[5]

فأمَّا ما ذكرتُ من رواية ثَعْلب في الأبيات التي فيها الغناءُ فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أن أبا الحُضَيْر أنشده لعمرو بن عُقَيْل بن الحَجّاج الهُجَيميّ: [البسيط]

أَمَّـا الـقَـطـاةُ فَـإنِّـي سَـوْفَ أَنْـعَـتُـهـا ... نَـعْـتاً يُـوافِـق نَـعْـتِـي بَـعْـضَ ما فِـيـهـا

صَـفْـرَاءُ مَـطْـرُوقَـةٌ فـي رِيـشِـهـا خَـطَـبٌ ... صُـفْـرٌ قَـوادِمُـهـا سُـودٌ خَـوافِـيـهـا

مِـنْـقـارُهـا كَـنَـواةِ الـقَـسْـبِ قَـلَّـمَـهـا ... بِـمِـبْـرَدٍ حـاذِقُ الـكَـفَّـيـن يَـبْـرِيـهـا

تَـمْـشِـي كَـمَـشْـيِ فـتـاةِ الـحَـيِّ مُـسْـرِعَـةً ... حِـذَارَ قَـوْمٍ إلـى سِـتْـرٍ يُـوارِيـهـا

ـ قال الأصمعيّ: مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فوق بعض. والخَطَب: لون الرماد، يقال للمشبَّه به أخطب ـ.

---

(١) الورهاء: الحمقاء، الخرقاء.

(٢) تجوب الدجى: تقطع الظلمة. والمطلى: سيل ضيق في الأرض. وأريك: وادٍ في بلاد بني مرة (معجم البلدان ١/ ١٦٥) والنفنف: الصحراء. والسهوب: الفلوات، جمع سهب.

(٣) الهجان: الأبيض. والخبيب: جبل من رمل لاطيء بالأرض، وأراد به هنا موضعاً بعينه. وشَبُوب: تجاوز رجلاه يديه في العدو. كناية عن سرعته وشدّه ونشاطه.

(٤) حلاقيم أسماط: لا سمة فيها.

(٥) تلوب: تعطش، وتدور حول الماء مفتشة عنه من غير أن تصل إليه.

تَنْتاشُ صفراءَ مطروقاً بَقيَّتها قد كادَ يَأْزِي عن الدُّعْمُوص آزِيها

ـ تنتاش: تتناول بقية من الماء. والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول. وقوله: يأزي: أي يَقِلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته. والدّعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص ـ.

تَسْقِي رَذِيَّيْنِ بالمَوْماةِ قُوتُهما في ثُغرةِ النَّحْرِ من أعْلَى تَرَاقيها

ـ الرذيّ: الساقط من الضعف. يعني فرخيها ـ.

كأنَّ هَيْدَبَةً مِنْ فَوْقِ جُؤْجَئها أو جِرْوُ حَنْظَلَةٍ لم يَعْدُ رامِيها[١]

ـ جرو الحنظل: صغاره. وقوله: لم يعدُ من العَداء، أي لم يعد عليها فيكسِرها ـ.

تَشْتَقُّ مِنْ حَيْثُ لم تُبْعِدْ مُصَعِّدَةً وَلَمْ تُصَوِّبْ إلى أدْنَى مَهاوِيها

حَتى إذا اسْتَأنَسا لِلْوَقْتِ واحْتَضَرَتْ تَوَجَّسا الوَحْيَ منها عندَ غاشِيها

ـ ويروى: حتى إذا استأنسا للصوت. وتوجّسا: تسمَّعا. وَحْيها أي سُرْعة طيرانها. وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما ـ.

تَرَفَّعا عن شُؤونٍ غيرِ ذاكِيَةٍ عَلَى لَدِيدَيْ أعالي المَهْدِ أُدْحِيها[٢]

ـ الذاكية: الشديدة الحركة. والمهد: أفحوصها. ولديداه: جانباه ـ.

مَدَّا إلَيها بأفْواهٍ مُزَيَّنةٍ صُعْداً لِيَسْتَنْزِلا الأرْزاقَ مِنْ فِيها

كأنَّها حِينَ مَدَّاها لِجَنْأَتِها طَلَى بَوَاطِنَها بالوَرْسِ طَالِيها

ـ جَنْأتها: أي جنأت عليهما بصدرها لتَزُقَّهما ـ.

حِثْلَيْن رَضًّا رُفَاضَ البَيْضِ عَنْ زَغَبٍ وُرْقٌ أسافِلُها بِيضٌ أعَالِيها[٣]

ـ حِثْلَيْن: دقيقين ضاويين. رَضًّا: كسرا. والرُّفَاض: ما ارفضّ وتفرَّق ـ.

تَرَأَّدا حينَ قاما ثُمَّتَ اختَطَبا على نَحائِفَ مُنْآدٍ مَحانِيها

---

(١) الهيدبة: خمل الثوب.

(٢) الأُدحيّ: موضع تبيض فيه القطاة وتفرّخ فيه.

(٣) الوُرْق: جمع ورقاء وهي التي لونها اسود في غبرة.

ـ ترأَّدا: تثنّيا. واحتطبا: دَنَوا. والمنآد: المنعطف. ومَحانيها: حيث انحنت ـ.

تـكـادُ مِـنْ لِـيـنِـهـا تَـنـاد أسْـؤُقُـهـا ... تَـأوُّدَ الـزَّبْـلِ لـم تَـغـرِمْ نـوامِـيـهـا[1]

ـ تعرم: تشتد. ونواميها: أعاليها ـ.

لا أشْـتَـكِـي نَـوْشَـةَ الأيَّـام مِـن وَرَقِـي ... إلاَّ إلى مَنْ أرَى أن سَوْفَ يُشْكِيها[2]

لِـدِلْـهِـم مـأثُـراتٌ قـد عُـدِدْن لَـهُ ... إن الـمَـآثِـرَ مَـعْـدُودٌ مَـسَـاعِـيـهـا

تَـنْـمِـي بـهِ فـي بَـنـي لأيٍ دَعَـائِـمُـهـا ... وَمِـنْ جُـمَـانَـةَ لـم تَـخْـضَـعْ سَـوَارِيـهـا

بَـنَـى لَـهُ فـي بُـيُـوتِ الـمَـجْـدِ وَالِـدُهُ ... وَلَـيْـسَ مَـنْ لَـيْـسَ يَـبْـنِـيـهـا كَـبَـانِـيـهـا

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضُّبَعيّ الشاعر المعروف بابن الحدَّاد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرَّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعي شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أبو محلِّم: جُمَانَة بن جرير بن عبد تَغْلبة بن سَعْد بن الهُجَيْم، وهم أخوال دِلْهِم هذا الممدوح. ودلهم من بني لأيٍ ثم من بني يَزيد بن هِلاَل بن بَذْل بن عَمْرو بن الهَيْثَم، وكان أحدَ الشُّجعان، وهو قتَل الضَّحَّاك بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمد ليلة كَفَرْتُوثَا[3].

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى [الخفيف]

أيُّـهـا الـقَـلْـبُ لا أراكَ تُـفِـيـقُ ... طـالَـمـا قَـدْ تَـعَـلَّـقـتْـكَ الـعُـلـوقُ

مَـنْ يَـكُـنْ مِـنْ هَـوَى حَـبِـيـبٍ قَـرِيـباً ... فَـأنـا الـنّـازِحُ الـبَـعِـيـدُ الـسَّـحِـيـقُ

قُـدِّرَ الـحُـبُّ بَـيْـنَـنـا فـالـتَـقَـيْـنـا ... وَكِـلانـا إلـى الـلـقـاءِ مَـشُـوقُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره. والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن

(١) الزَّبل: نبات جعد شديد الخضرة.

(٢) نوشة الأيام: تناولها. ويُشكيها: يزيل أسباب شكواها.

(٣) كفرتوثا: قرية من أعمال الجزيرة. (معجم البلدان ٤/ ٤٦٨).

سُرَيج ثقيل أوَّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه أيضاً لمُخَارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ. وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ. وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم له خبراً فأذكُرَه.

صوت

من المائة المختارة [الخفيف]

مَنْ لِقَلْبٍ أضحَى بِكُمْ مُسْتَهامَا خائِفاً للوُشاةِ يُخفِي الكلاما
إنَّ طَرْفِي رَسُول نَفسِي وَنَفسِي عَنْ فؤادِي تَقْرَا عَلَيْك السَّلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره. والغناء لرياض جارية أبي حمَّاد خفيف ثقيل بالوسطى. وكان أبو حمَّاد هذا أحد القوَّاد الخُراسانية ومن أولاد الدُّعاة، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرُّه ويُهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيراً؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية؛ وأحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفَع من شأنها، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها. وليس فيما قلتُه في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصَّب له مثل مُتَيَّم وأبي دُلَف وغيرهم. ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحَّة ما قلناه. وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِي لها خبر.

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى [الخفيف]

راحَ صَحْبِي وَعاوَدَ القَلْبَ داءُ مِنْ حَبِيبٍ طِلابُهُ لِي عَناءُ
حَسَنُ الرَّأي وَالمَواعِيدِ لا يُلْـ ـفَى لِشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ وفاءُ
مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يُحِبُّ فَإنِّي لَيسَ لي ما حَيِيتُ عَنْهُ عَزاءُ
أُمَّ عُثْمانَ قَدْ قَتَلْتِ قَتِيلاً عَمْدَ عَيْنٍ قَتْلَتِهِ لا خَطاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكَره. والغناء لنافع بن طُنْبورة، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوَّل بالسّبابة في مجرى الوسطى. وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد اللّه بن

طاهر ثاني ثقيلٍ من جيِّد صَنْعته، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طُنبورة يُكْنَى أبا عبد اللّه، مُغَنٍّ محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقَّب نَقْشَ الغَضَار لحسن وجهه. وجعلتْه جميلة في المرتبة، لمَّا اجتمع المغنُّون إليها، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبي السَّمْح. وغنَّاها يومئذ:

يـا طُـولَ لَـيْـلِـي وَبِـتُّ لَـمْ أَنَـم ... وِسـادِيَ الـهَـمُّ مُـبـطِـنٌ سَـقَـمِـي
أنْ قُـمْـتُ يَـوْمـاً عـلـى الـبَـلاَطِ وأبْـ ... ـصَـرْتُ رَقَّـاشـاً فَـلَـيْـتَ لَـمْ أقُـمِ

فقالت جميلة: أحسنت والله يا نَقْش الغَضَار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان! . ولم يفارق ابن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمَل ذكره.

صوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى [مجزوء الكامل]

عَـتَـقَ الـفُـؤادُ مِـنَ الـصِّـبَـا ... وَمِـنَ الـسَّـفـاهَـةِ والـعَـلاَقِ
وَحَـطَـطْـتُ رَحْـلِـي عَـنْ قَـلُـو ... صِ الـغَـيِّ فـي قُـلُـصٍ عِـتَـاقِ
وَرَفَـعْـتُ فَـضْـلَ إزارِيَ الـ ... ـمَـجـرورِ عَـنْ قَـدَمِـي وَسـاقـي
وَكَـفَـفْـتُ غَـرْبَ الـنَّـفْـسِ حَـ ... ـتَّـى مـا تَـتُـوقُ إلـى مَـتَـاقِ

الشعر لسَعِيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت. والغناء لابن عَبَّاد الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيره.

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

[توفي ١١٥هـ / ٧٣٤م]

وقد مضى نسبُه في نسب جَدّه حسَّان بن ثابت متقدِّماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة، متوسِّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أُميَّة فمدحهم ووصَلوه. ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه.

[خبره مع هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال: حدّثني أبو عمرو الخَصَّاف عن العُتْبيّ قال: خرج سعيدُ بن عبد الرحمن بن حسَّان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم مُعاونتَه، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلَّق امرأتَه العثمانيّة ليتزوَّج أختَها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أنِ يزوِّجه. فمرَّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسَّان؟ قال: نعمْ أيها الأمير. فقال له: ما أقْدَمَكَ؟ قال: وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحِبتُهم من أهله، فلم أَنَلْ منه حُظوةً ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تُحِبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمَر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشِدْني قصيدةً بلغَتْني لك فشوَّقتْني إليك، وغُنِّيتُ في بعضها، فلم أزَلْ أتمنَّى لقاءك. فقال: أيّ قصيدة أيها الأمير؟ قال: قولك: [الطويل]

أبـائـنـةٌ سُـعْـدَى وَلَـمْ تُـوفِ بِـالـعَـهْـدِ ... وَلَـمْ تَـشْـفِ قَـلْـبـاً تَـيَّـمـتْـهُ عـلـى عَـمْـدِ
نَـعَـمْ أَفَـمُـودٍ أنـتَ إنْ شَـطَّـتِ الـنَّـوَى ... بِـسُـعْـدَى وَمـا مِـنْ فُـرْقَـةِ الـدَّهْـرِ مِـنْ رَدِّ

كأنْ قَدْ رَأيتَ البَيْنَ لا شَيءَ دونَهُ ... فَمِ الآنَ أعلِنْ ما تُسِرُّ مِنَ الوَجْدِ
لَعَلَّكَ مِنها بَعْدَ أنْ تَشْحَطَ النَّوى ... مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجلانَ من هِنْدِ[1]
فَوَيْلُ ابن سَلْمَى خُلَّةٌ غَيْرَ أنَّها ... تُبَلِّغُ مِنِّي وَهْيَ مازِحَةٌ جِدِّي
وَتَدْنو لَنا في القَوْلِ وَهْيَ بَعِيدَةٌ ... فَما إنْ بِسَلْمَى مِنْ دُنُوٍّ ولا بُعْدِ
وَمَهْما أكُنْ جَلْداً عَلَيْهِ فإنَّني ... على هَجْرِها غَيْرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ
إذا سُمْتُ نَفْسِي هَجْرَها قُطِعَتْ بِهِ ... فَجانَبْتُه فِيما أُسِرُّ وما أُبْدِي
كأنِّي أرَى في هَجْرِها، أيَّ ساعَةٍ ... هَمَمْتُ بهِ، مَوْتِي وفي وَصْلِها خُلْدِي
وَمِنْ أجْلِها صافَيْتُ مَنْ لا تُرِدْني ... عَلَيْهِ لَهُ قُرْبَى ولا نِعْمَةٌ عِنْدِي
وَأغْضَيْتُ عَيْنِي مِنْ رِجالٍ على القَذَى ... يَقُولُون أقوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدِي
وَأقْصَيْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أُدْنِي مكانَهُ ... وَأدْنَيْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أقْصَيْتُهُ جَهْدِي
فإنْ يَكُ أمْسَى وَصْلُ سَلْمَى خِلابَةً ... فما أنا بالمَفْتونِ في مِثْلِها وَحْدِي
فَأصْبَحَ ما مَنَّتْكَ دَيْناً مُسَوَّفاً ... لَواهُ غَرِيمٌ ذو اعْتِلالٍ وَذو جَحْدِ
تَجُودُ بِتَقْرِيبِ الَّذِي هُوَ آجِلٌ ... مِنَ الوَعْدِ مَمْطُولٌ وَتَبْخَلُ بالنَّقْدِ
وَقَدْ قُلْتُ إذْ أهْدَتْ إلَيْنا تَحِيَّةً ... عَلَيْها سَلامُ اللهِ مِنْ نازحٍ مُهْدِي
سَقَى الغَيْثُ ذاكَ الغَوْرَ ما سَكَنَتْ بِهِ ... وَنَجْداً إذا صارَتْ نَواهَا إلَى نَجْدِ

قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فَرغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رِفْد أحد ولا معونتِه ما بَقيتُ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: ابْعَثْ بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن تعدَم ما تُحِبُّه ما بَقيت. فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نِسْبَتُه:

صوت

[الطويل]

أَبائنَةٌ سُعْدَى وَلَمْ تُوفِ بالعَهْدِ ... وَلَمْ تَشْفِ قَلْباً أقْصَدَتْهُ على عَمْدِ[2]
وَمَهْما أكُنْ جَلْداً عَلَيْهِ فإنَّني ... عَلى هَجْرِها غَيْرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. ومن هذه القصيدة:

(١) ابن عجلان: هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب. شاعر جاهلي ضرب به المثل في العشق. انظر قصته مع محبوبته هند بنت كعب في الجزء التاسع عشر من الأغاني.
(٢) أقصدته: أصابته بسهامه فقتلته.

صوت

وأغْضَيْتُ عَيْنِي مِنْ رجالٍ عَلَى القَذَى ... يَقُولُونَ أقْوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدِي
إذا سُمْتُ نَفْسِي هَجْرَها قُطِعَتْ بهِ ... فَجانَبْتُهُ فِيما أُسِرُّ وما أُبْدِي

الغناء لابن مُحْرز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

[خبره مع عبد الصمد بن عبد الأعلى]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا الزّبَير بن بَكّار قال: حدّثني عمّي ومحمد بن الضَّحّاك بن عثمان قالا: وفَد سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراده على نفسه، وكان لُوطِيّاً زِنْدِيقاً؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول:

[الرمل]

إنَّهُ والله لَوْلا أنْتَ لَمْ ... يَنْجُ مِنِّي سالِماً عَبْدُ الصَّمَدْ

فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إنَّهُ قَدْ رامَ مِنِّي خُطَّةً ... لَمْ يَرُمْها قَبْلَهُ مِنِّي أحَدْ

فقال: وما هي؟ قال:

رامَ جَهْلاً بِي وجَهْلاً بِأَبِي ... يُدْخِلُ الأفْعَى إلى خِيسِ الأسَدْ[1]

قال: فضحِك هشامٌ وقال له: لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك.

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللّه بن عَمَّار قال: حدّثني عمر بن شَبَّة قال: أخبرنا ابن عائشة لا أعلمه إلا عن أبيه قال: سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان صديقاً له حاجةً ـ وقال هاشم بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم حاجةً ـ يكلِّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقْضِها له، ففَزِع[2] فيها إلى غيره فقضاها؛ فقال:

[الطويل]

سُئِلْتَ فَلَمْ تَفْعَلْ وَأَدْرَكْتُ حاجَتِي ... تَوَلَّى سِواكُمْ حَمْدَها وَاصْطِناعَها

---

(١) خيس الأسد: موضعه.

(٢) فزع إلى غيره: لجأ إلى غيره.

أَبَى لَكَ كَسْبَ الحَمْدِ رَأيٌ مُقَصِّرٌ ... وَنَفْسٌ أضَاقَ اللهُ بِالخَيْرِ بَاعَها
إذا ما أرادَتْهُ عَلَى الخَيْرِ مَرَّةً ... عَصاها وإنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أطاعَها

قال ابن عمّار: وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ سليمان بن أبي شَيْخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً.

[من أخباره وشعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا محمد بن زكريا الغَلاَبيّ عن ابن عائشة قال: قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرِّقَاع[1]: أَكْتِبْني شيئاً من شعرك. قال: ومن أيِّ العرب أنت؟ قال: أنا رجلٌ من الأنصار. قال: ومَنْ منكم القائل:

[الكامل]

إنَّ الحَمامَ إلى الحِجازِ يهِيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُهُ إذا يَتَرَنَّمُ
وَالبَرْقُ حِينَ أَشِيمُهُ مُتَيامِناً ... وَجَنائِبُ الأرواحِ حِينَ تَنَسَّمُ

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فاكتُبْ شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره.

وفي أوَّل هذه القصيدة غناءٌ نِسْبتُه:

صوت

[الكامل]

بَرِحَ الخَفاءُ فَأَيَّ ما بِكَ تَكْتُمُ ... وَالشَّوْقُ يُظْهِرُ ما تُسِرُّ فيُعْلَمُ
وَحَمَلْتَ سُقْماً مِنْ علائِقِ حُبِّها ... وَالحُبُّ يَعْلَقُهُ الصَّحِيحُ فيَسْقَم

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ، وذكره إبراهيم له ولم يجنِّسه. وفي هذه القصيدة يقول:

علويَّةٌ أمسَتْ وَدُونَ وِصالِها ... مِضْمَارُ مِصْرَ وعابِدٌ والقُلْزُمُ[2]

---

(١) عديّ بن الرقاع: شاعر كبير من أهل دمشق، كان معاصراً لجرير مقدماً عند بني أمية. توفي سنة ٩٥هـ.

(٢) عابد: جبل بمصر (معجم البلدان ٤/ ٦٤). والقلزم: بلدة شرقي مصر قرب جبل الطور إليها يضاف بحر القلزم (البحر الأحمر). (معجم البلدان ٤/ ٣٨٧).

خَوْدٌ تُطِيفُ بها نَواعِمُ كالدُّمَى مِمّا اصطَفَى ذُو النِّيقَةِ المُتَوسِّمُ[1]
حُلِّينَ مَرْجانَ البُحُورِ وَجَوْهَراً كالجَمْرِ فِيهِ على النُّحُورِ يُنَظَّمُ
قالَتْ ومَاءُ العَيْنِ يَغْسِلُ كُحْلَها عِنْدَ الفِراقِ بِمُسْتَهِلٍّ يَسْجُم
يا لَيْتَ أنَّكَ يا سَعِيدُ بأرْضِنا تُلْقِي المَراسِيَ ثاوِياً وتُخَيِّمُ
فَتُصِيبَ لَذَّةَ عَيْشِنا وَرَخاءَهُ فَنَكُونَ أجْواراً فماذا تَنْقِمُ
لا تَرْجِعَنَّ إلى الحِجازِ فإنَّهُ بَلَدٌ بِهِ عَيْش الكَرِيم مُذَمَّمُ
وَهَلُمَّ جاوِزْنا فَقُلْتُ لَها اقْصِرِي عَيْشٌ بِطَيْبَةَ ويحَ غَيْرِكِ أنْعَمُ
أيُفارِقُ الوَطَنُ الحَبِيبُ لِمَنْزِلٍ ناءٍ وَيُشْرَى بالحَدِيثِ الأقْدَمُ
إنَّ الحَمامَ إلى الحِجاز يَهِيجُ لي طَرَباً تَرَنُّمُهُ إذا يَتَرَنَّمُ
وَالبَرْقُ حِينَ أشِيمُهُ مُتَيَامِناً وَجَنائِبُ الأرْواحِ حِينَ تَنَسَّمُ
لَوْ لَجَّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يَكُنْ في النّاسِ مُشْبِهُها لَبَرَّ المُقْسِمُ
مِنْ أجْلِها تَرْكِي القَرارَ وخَفْضَهُ وَتَجَشُّمِي ما لَمْ أكُنْ أتَجَشَّمُ[2]
وَلَقَدْ كَتَمْتُ غَداةَ بانَتْ حاجَةً في الصَّدْرِ لم يَعْلَمْ بها مُتَكَلِّمُ
تَشْفِي بِرُؤيَتِها السَّقِيمَ وَتَرْتَمِي حَبَّ القُلُوبِ، رَمِيُّها لا يَسْلَمُ
رَقْراقَةٌ في عُنْفُوانِ شَبابِها فِيها عَنِ الخُلُقِ الدَّنِيِّ تَكَرُّمُ
ضَنَّتْ على مُغْرًى بِطُولِ سُؤالِها صَبٌّ كما يَسَلُ الغَنِيَّ المُعْدِمُ[3]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبو مُسْلِم عن الجِرْمازيّ قال: خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك فأتى عنبسة بن سعيد بن العاصي، وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمرَه إلى الخليفة فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلاَّ يسيراً حتى طَرقه لِصٌّ فسَرق متاعَه وكل شيء كان معه؛ فأتى عنبسةَ فتنجَّزه ما وعده؛ فاعتلَّ عليه ودافعه؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال: [المتقارب]

أعَنْبَسَ قَدْ كُنْتَ لا تَعْتَزِي إلى عِدَةٍ مِنكَ كانَتْ ضَلالا[4]

(١) ذو النيقة: ذو التخيّر.
(٢) تجشم: تحمل المشاق.
(٣) يَسَل: يسأل: حذف الهزة تخفيفاً وللضرورة الشعرية.
(٤) تعتزي: تنتسب.

وَعَــدْتَ عِــدَاتٍ لَــوَ أنــجــزتَــهــا إذاً لَــحُــمِــدْتَ وَلَــمْ تُــرزَ مــالا[1]
ومــا كــانَ ضَــرَّكَ لَــوْ قَــدْ شَــفَــعْــتَ فَــأعــطَــى الــخَــلِــيــفَــةُ عَــفــواً نَــوالا
وَقَــدْ يُــنْــجِــزُ الــحُــرُّ مَــوْعُــودَهُ وَيَــفْــعَــلُ مــا كــانَ بــالأمْــس قــالا
فَــيــا لَــيْــتَــنِــي وَالــمُــنَــى كــاسْــمِــهــا وَقَــدْ يَــصْــرِف الــدَّهْــرُ حــالاً فــحــالا
فَــعَــدْتُ وَلَــمْ أَلْــتَــمِــسْ مــا وَعَــدْتَ ويــا لَــيْــتَ وَعْــدَك كــانَ اعْــتِــلالا
وكــانَــتْ نَــعَــمْ مِــنْــكَ مَــخْــزُونَــةً وَقُــلْــتُ مِــنَ أوَّلِ يَــوْمٍ ألاَ لا
أرَى كَــذِبَ الــقَــوْلِ مِــنْ شَــرِّ مــا يُــعَــدُّ إذا الــنَــاسُ عَــدُّوا الــخِــصَــالا
فَــأبْــقَــيْــتَ لِــي عَــنْــكَ مَــنْــدُوحَــةً وَنَــفْــســاً عَــزُوفــاً تُــقِــلُّ الــسُّــؤالا
فَــإنْ عُــدْتُ أرْجُــوكُــمُ بَــعْــدَهــا فَــبُــدِّلْــتُ بَــعْــدَ الــعَــلاَءِ الــسَّــفَــالا
أأرْجُــوكَ مِــنْ بَــعْــدِ مــا قَــدْ عَــزَفْــتَ لَــعَــمْــرِي لَــقَــدْ جِــئْــتُ شَــيْــئــاً عُــضَــالا

[الوليد يستأنس به في الحج]

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يأثُره عن أبيه قال: كان سَعِيد بن عبد الرحمن بن حسَّان إذا وفَد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نُزُله وأعطاه وكساه وشفَع له. فلما حجّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمن في أوَّل مَنْ لقِيه، فسلَّم عليه، فردَّ الوليد عليه السلام وحيَّاه وقرَّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه، ولم يأنَس بأحد أُنسَه به. وأنشده سعيدٌ قولَه فيه:

يــا لَــقَــوْمِــي لِــلْــهَــجْــرِ بَــعْــدَ الــتَّــصــافِــي وَتَــنَــائــي الــجَــمِــيــعِ بــعــدَ ائــتــلافِ
مــا شَــجــا الــقَــلْــبَ بَــعْــدَ طُــولِ انْــدِمــالٍ غَــيْــرُ هــابٍ كــالــفَــرْخِ بــيــن أثــافِــي[2]
وَنَــعِــيــبِ الــغُــرابِ فــي عَــرْصَــةِ الــدّا رِ ونُــؤْيٍ تَــشْــفِــي عَــلَــيْــهِ الــسَّــوافِــي

وقد رَوى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان قال: رأى عَلَيَّ ابنُ عمر أوضاحاً[3] فقال: ألقها عنك فقد كَبِرتَ.

(١) لم ترز: لم ترزأ. لم تصب برزء.
(٢) الهابي: الرماد الدقيق، والهباء.
(٣) الأوضاح: حلى من فضة.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة [الخفيف]

ما جَرَتْ خَطْرةٌ على القَلْب مِنّي ... فِيكِ إلاّ اسْتَتَرْتُ عَنْ أصْحابِي
مِنْ دُموعٍ تَجْرِي فإنْ كُنتُ وَحْدِي ... خالياً أسْعَدَتْ دُموعِي انتحابي[١]
إنَّ حُبِّيَ إيّاكِ قَدْ سَلَّ جِسْمِي ... وَرَمانِي بالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبابِ
ارْحَمِي عاشِقاً لَكِ اليَومَ صَبّاً ... هائِمَ العَقْلِ قَدْ ثَوَى في التُّرابِ

الشعر للسيِّد الحِمْيَريّ، والغناء لمحمد نَعْجة خفيفُ رمل أيضاً. ولم أجد لهذا المغنِّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أخبار السيِّد متقدماً.

صوت

من المائة المختارة [الخفيف]

أَكرَعُ الكَرْعَةَ الرَّوِيَّةَ مِنْها ... ثُمَّ أضْحُو ما شَفَيْتُ غَلِيلي
كَمْ أتَى دُونَ عَهْدِ أمِّ جَمِيلٍ ... مِنَ إنَى حاجَةٍ ولُبْثٍ طَوِيلِ[٢]
وَصِياحِ الغُرابِ أنْ سِرْ فأسْرِعْ ... سَوْفَ تَحْظَى بنائِلٍ وَقَبُولِ

الشعر للأحوص. والغناء للبُرْدَان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر.

---

(١) انتحابي: بكائي الشديد.

(٢) إنى حاجة: إدراك حاجة، أو تأخيرها، والمراد هنا التأخير.

أخبار البُرْدان

البُرْدَانُ لقب غلَب عليه. ومن الناس من يقول: بُرْدان. من أهل المدينة، وأخذ الغناء عن معبد وقبلَه عن جميلة وعَزَّةَ المَيْلاَء. وكان مُعَدَّلاً مقبولَ الشَّهادة، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة.

قال هارون بن الزيَّات: حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمّد بن سلاَّم قال: هو بُرْدَانُ بضم الباء وتسكين الراء.

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه قال: قال إسحاق: كان بُرْدانُ متولِّيَ السوق بالمدينة. فقدَّم إليه رجل خَصْماً يدَّعى عليه حقّاً؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل: أنت بغير هذا أعلمُ منك بهذا. فقال: رُدُّوه فرُدَّ؛ فقال: لعلك تعني الغناء! إني والله به لعارف؛ ولو سمعت شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأني عارف، ومهما جَهِلتُ فإني بوجوب الحق عليك عالم؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه.

[سياط يأخذ عنه أصواتاً]

قال: وحدثني أبو أيّوب عن حَمَّاد عن أبيه عن ابن جامع عن سِياط قال: رأيت البُرْدَانَ بالمدينة يتولَّى سوقَها وقد أسنّ؛ فقلت له: يا عمّ، إني رويت لك صوتاً صنعتَه، وأحببتُ أن تصحِّحه لي. فضحِك ثم قال: نَعَمْ يا بُنَيّ وحبّاً وكرامة. لعله:

كـــم أتـــى دُونَ عَـــهْـــدِ أمّ جَـــمِـــيـــلِ

فقلت: [نعم][١] قال: مِل بنا إلى ها هنا؛ فمال بي إلى دار في السّوق، ثم قال: غَنِّه؛ فقلت: بل تُتمّ إحسانَك يا عمّ وتغنِّيني به فإنه أطيب لنفسي؛ فإن سمعتُه كما أقول غنَّيته وأنا غير متهيِّب، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ استعدته. فضحك ثم قال: أنت لستَ تريد أن تصحِّح غِناءك، إنما تُريد أن تقول سمعتني وأنا شيخ وقد انقطعتُ وأنت شابّ. فقلت للجماعة: إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفِّعني فيما طلبتُ منه! فسألوه، فاندفع فغنَّاه فأعاده ثلاثَ مرَّات؛ فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبرِ سِنِّه ونُقصان صوته. ثم قال: غَنِّه فغنَّيته؛ فطرِب الشيخ حتى بكى، وقال: اذهب يا بُنَيّ، فأنت أحسن الناس غناءً، ولئن عِشْتَ ليكونَنَّ لك شأن. قال: وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ الحديث مليحِ النادرة مقبول الشهادة قد لقي الناسَ، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أُغنِّيه فأفعل؛ فإذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح عليَّ شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدَّة أصوات.

صوت

من المائة المختارة

[الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بِحائِلٍ فَوُعالِ	دَرَسَتْ وَغَيَّرَها سِنُونَ خَوالِي[٢]
دَرَجَ البَوارِحُ فَوْقَها فَتَنَكَّرَتْ	بَعْدَ الأنِيسِ مَعارِفُ الأَطْلالِ[٣]
دِمَنٌ تُذَعْذِعُها الرِّياحُ وَتارَةً	تَعْفُو بِمُرْتَجِزِ السَّحابِ ثِقالِ[٤]
فَكَأنَّما هِيَ مِنْ تَقادُمِ عَهْدِها	وَرَقٌ نُشِرْنَ مِنَ الكِتابِ بَوالِي

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيل الأوَّل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أنّ في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أوَّل. وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوَّل بالوسطى وأنه أحد السبعة[٥]، وأن لإسحاق فيه ثاني ثقيل، وذكر الهشاميّ أنّ لحن إسحاق خفيف ثقيل.

---

(١) ليست في الأصل ويقتضيها المعنى.

(٢) حائل: موضع باليمامة (معجم البلدان ٢/ ٢١٠). ووُعال، جبل بين الكوفة والشام. (معجم البلدان ٥/ ٣٧٩).

(٣) البوارح: الرياح الحارة الشديدة التي تجري جرياناً شديداً.

(٤) تذعذعها: تحركها تحريكاً شديداً وتفرقها وتبددها.

(٥) أراد أصوات معبد المعروفة بالمدن. وهو سبعة أصوات.

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

[١٩ - ٩٠/هـ ٦٤٠ - ٧٠٨م]

[اسمه ولقبه ونسبه وكنيته]

هو غِيَاثٌ بن غَوْث بن الصَّلْت بن الطَّارِقة، ويقال ابن سَيْحَان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جُشَمَ بن بكر بن حَبِيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب. ويكنى أبا مالك. وقال المدائنيّ: هو غِياث بن غَوْث بن سَلْمة بن طَارِقة، قال: ويقال لسَلْمة سَلَمةُ اللّحام. قال: وبعَث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعة أرماح لفُرسان العرب؛ فأخذ أبو بَرَاء عامر بن مالك رُمْحاً، وسَلَمةُ بن طارِقة اللّحام رمحاً وهو جدّ الأخطل، وأنَسُ بن مُدْرِك رمحاً، وعمرُو بن مَعْدِيكرِبَ رمحاً.

والأخطل لقبٌ غلب عليه. ذكر هارون بن الزيَّات عن ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه؛ فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبتْ عليه. وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعَل بن عبد اللّه بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تَيْم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب حمَل حَمالةً، فأتى قومَه يسأل فيها؛ فجعل الأخطلُ يتكلَّم وهو يومئذ غلام. فقال عُتْبة: مَنْ هذا الغلام الأخطل؟! فلُقِّب به.

[بينه وبين كعب بن جعيل]

قال يعقوب وقال غير أبي عُبيدة: إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموه وضربوا له قُبّة؛ حتى إنه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُمْلأُ له غَنَماً. فأتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به؛ فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغَنَم وطرَدها؛ فسبَّه عُتْبة وردّ الغنم إلى مواضعها؛ فعاد وأخرجها وكعبٌ

ينظر إليه؛ فقال: إنّ غلامكم هذا لأخْطَلُ ـ والأخطل: السفيه ـ فغلَب عليه. ولَجّ الهجاء بينهما؛ فقال الأخطل فيه: [المتقارب]

سُمِّيتَ كَعْباً بِشَرِّ العِظَامِ وكانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الجُعَلْ
وَإنَّ مَحَلَّكَ مِنَ وَائِلٍ مَحَلُّ القُرَادِ مِنِ آسْتِ الجَمَلِ

فقال كعب: قد كنتُ أقول لا يقهَرني إلاّ رجل له ذكرٌ ونَبأ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أُهْجَى بهما منذ كذا وكذا، فغلَب عليهما هذا الغلام.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني قَبِيصةُ بن مُعاوية المهلَّبيّ قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل قال: حدّثني القَحْذَميّ قال: وقع بين ابنَيْ جُعَيْل وأُمِّهما ذَرْءٌ من كلام[1]، فأدخلوا الأخطل بينهم؛ فقال الأخطل: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّنِي وٱبْنَيْ جُعَيْلٍ وَأُمَّهُما لإِسْتارٌ لَئِيمُ[2]

فقال ابن جُعَيْل: يا غلام، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك؛ ولولا أنّ أُمّي سَمِيَّةُ أُمّك لتركتُ أمّكِ يحدو بها الرُّكبان؛ فسُمِّي الأخطل بذلك. وكان اسم أمِّهما وأمّ الأخطل ليلى.

وقال هارون: حدّثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن ابن الكلبيّ عن قوم من تَغْلِب في قصّة كعب بن جُعَيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيْدة ممن لم يسمِّه، وقال فيها: وكان الأخطل يومئذ يُقَرْزِم ـ والقرزمة: الابتداء بقول الشعر ـ فقال له أبوه: أبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ابن جُعَيل! وضربه. قال: وجاء ابن جُعَيل على تَفِئةِ ذلك[3] فقال: منْ صاحبُ الكلام؟ فقال أبوه: لا تَحْفِل به فإنه غلام أخطل. فقال له كعب: [الرجز]

شَاهِدُ هٰذا الوَجْهِ غِبَّ الحُمَّهْ

فقال الأخطل: [الرجز]

فَنَاكَ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ أُمَّهْ

(١) ذرء من كلام: قليل يسير من كلام.
(٢) إستار: أربعة.
(٣) على تفئة ذلك: على حين ذلك وزمانه.

فقال كعب: ما اسم أمِّك؟ قال: ليلى. قال: أردتَ أن تُعيذها باسم أُمّي. قال: لا أعاذها الله إذاً. وكان اسم أُمّ الأخطل ليلى، وهي امرأة من إيَاد؛ فسُمِّي الأخطلَ يومئذ، وقال: [الطويل]

هَجا النَّاسُ لَيْلَى أُمَّ كَعْبٍ فَمُزِّقَتْ ... فلَمْ يَبْقَ إلا نَفْنَفٌ أنا رافِعُهُ[1]

وقال فيه أيضاً: [الوافر]

هَجاني المُنْتِنَان ابْنا جُعَيْلٍ ... وَأيُّ النّاس يَقْتُلُهُ الهِجاءُ
وُلِدْتُمْ بعدَ إخْوَتِكُم مِنَ اسْتٍ ... فَهَلاً جِئْتُمُ مِنْ حَيْثُ جاءوا

فانصرف كعب، ولجَّ الهجاء بينهما.

[الشعراء الثلاثة: الأخطل وجرير والفرزدق ورأي النقاد والعلماء بشعرهم]

وكان نَصْرانيّاً من أهل الجزيرة. ومَحَلُّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، فجعلها ابن سَلاَّم أوّل طبقات الإسلام. ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضِّله عن الجماعة.

أخبرنا محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حدّثني عمّي الفضل قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عُبَيدة قال: جاء رجلٌ إلى يونس فقال له: مَنْ أشعرُ الثلاثة؟ قال: الأخطل. قلنا: من الثلاثة؟ قال: أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عَمَّنْ تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ وأبي عمرو بن العَلاَء وعَنْبَسَةَ الفِيل وميمون الأقْرَن الذين ماشُوا الكلام[2] وطرَقوه. أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال: قال أبو عُبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون. فقلتُ للرجل: سَلْه وبأيِّ شيء فَضَّلوه؟ قال: بأنه كان أكثرَهم عددَ طِوَالٍ جِيَادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأشَدَّهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وَهْب الدقّاق: أمَا إنّ حَمَّاداً وجَنَّاداً كانا لا يفضِّلانه. فقال: وما حَمَّاد وجَنَّاد! لا نحويَّان ولا بدويَّان ولا يُبْصِران الكسور ولا يُفْصِحان،

(١) النفنف: الهواء. وأراد: الشيء القليل اليسير.
(٢) ماش الكلام: غربله واستخرج أحسنه.

وأنا أُحَدِّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدَّوا إلى أمثالهم ماشُوا الكلام وطرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة، وألحقوا السليمَ بالسليم والمضاعفَ بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوفَ بالأجوف وبنات الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيَّة، وما عِلْمُ حَمَّاد وجَنَّاد!.

قال هارون: حدّثني القاسم بن يوسف عن الأصمعيّ، أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرها.

أخبرنا أبو خَليفة الفضل بن الحُباب قال: أخبرنا محمد بن سَلاَّم قال: سمعت سَلَمة بن عَيَّاش[1] وذكر أهلُ المجلس جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ففضَّله سلمةُ عليهما. قال: وكان إذا ذُكِرَ الأخطل يقول: ومَنْ مثل الأخطل وله في كل بيت شعرٍ بيتان! ثم يُنشِد قوله: [الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إذا العِشارُ تَرَوَّحتْ ... هَدجَ الرِّئال تَكُبُّهُنّ شَمالا[2]
أنَّا نُعَجِّلُ بالعَبِيط لِضَيْفِنا ... قَبْلَ العِيالِ وَنَضربُ الأبطالا[3]

ثم يقول: ولو قال:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إذا العِشا ... رُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّئالِ

كان شعراً، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالاً، كان أيضاً شعراً من رَوِي آخر.

أخبرنا أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبو يحيى الضَّبيّ قال: كَعْبُ بن جُعَيل لَقَّبه الأخطلَ، سمعه يُنشد هجاءً فقال: يا غلام إنك لأخْطَلُ اللِّسان؛ فلزمتْه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني

(١) سلمة بن عياش: شاعر راوية من أهل البصرة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة ١٧٠هـ.
(٢) العشار: التي أتى على حملها عشرة أشهر. وتروحت: ذهبت في الرواح. والرئال: أولاد النعام. والهدج: عدد متقارب.
(٣) اللحم العبيط: الطريّ الطازج، غير الناضج.

أحمد بن معاوية قال: حدّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سَعْد قال: كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلّ شجرة، فقلت له: قبَحك الله وقبح أباك! أمَّا أبوك فأفنى عمرَه في مديح عبد ثَقيف (يعني الحَجَّاج). وأمَّا أنت فامتدحتَ قثَمَ بن العباس فلم تهتد لمَنَاقِبه ومَناقبِ آبائه حتى امتدحتَه بقصر بناه. فقال: والله لئن سُؤتَني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أُخرى، فقلت: يا أبتِ، أنت أشعر أم الأخطل؟ فَجَرِض باللُّقْمة[1] التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بُنيَّ، لقد سَرَرْتَني وسُؤتَنِي. فأمَّا سرورك إيَّاي فلتِعهُّدِك لي مثلَ هذا وسؤالِك عنه. وأما ما سُؤتَنِي به فلذِكْرِكَ رجلاً قد مات. يا بُنَيَّ أدركْتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأكَلني به، ولكني أعانتني عليه خَصْلتان: كبَرُ سِنّ، وخُبْثُ دين.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد قال: سُئلَ حمَّاد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إليّ النصْرانيَّةَ!.

قال إسحاق، وحدّثني أبو عُبيدة قال: قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما قدَّمتُ عليه أحداً.

قال إسحاق، وحدّثني الأصمعيّ أن أبا عمرو أنشد بيتَ شعر، فاستجاده وقال: لو كان للأخطل ما زاد.

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو أنّ جريراً سُئل أيّ الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فتكلَّف منِّي ما لا يُطيق. وأمَّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفَرائص. وأمَّا أنا فمدينة الشعر.

وقال ابن النطّاح: حدّثني الأصمعيّ قال: إنما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطَّم. وكان الأخطل أَسَنَّ من جرير، وكان جرير يقول: أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركت له نابين لأكلني. قال: وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما فضَّلتُ عليه أحداً.

---

(١) جرِض باللُّقمة: غَصّ بها.

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: قال العَلاَء بن جَرير: إذا لم يجىء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ، والفرزدقُ لا يجىء سابقاً ولا سُكَّيْتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصَلِّياً وسُكَّيْتاً.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت: قال الأصمعيّ: قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدَّنا اجتزاءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر والخمر.

وروى إسماعيل عن عُبَيد اللّه عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب أنّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلاَج؛ فقال له: مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام؟ فقال له: وما تُريد إلى ذلك؟ قال: تَمَارَيْنا فيه. قال: الأخطل أمدَحُ العرب.

وقال هارون بن الزيَّات حدّثني هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال: سَمِعتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حَفْص، فحدَّثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمْرِ. قال: وكان أبو عُبَيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحَّة شعره.

وقال ابن النَّطاح حدّثني عبد اللّه بن رُؤبة بن العجاج قال: كان أبو عمرو يفضِّل الأخطل.

وقال ابن النَّطاح حدّثني عبد الرحمن بن بَرْزَج قال: كان حمَّاد يفضِّل الأخطلَ على جرير والفرزدق. فقال له الفرزدق: إنما تفضِّله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضَّلتُه بالفسق لفضَّلتُك.

قال ابن النَّطاح: قال لي إسحاق بن مَرَّار الشَّيْبانيّ: الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحُهم! فقال: لا واللّه! ولكن أهجاهم. مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول: [الطويل]

وَنَحْنُ رَفَعنا عَنْ سَلُولَ رِماحَنا ... وَعَمْداً رَغِبنا عن دِماءِ بَنِي نَصْرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال الأخطل: أشعرُ الناس قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلَبَة، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أبي سُلْمَى، وأشعر الناس رجل في قميصي.

[إعجاب عبد الملك بشعره]

أخبرني الحسن قال: حدّثني محمد قال: حدّثني الخَرَّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمَّاد ـ هكذا قال؛ وأظنه عليّ بن مجاهد ـ قال:

قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدْحَتك في ثلاثة أيّام وقد أقمتُ في مِدْحتِك: [البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فَراحُوا مِنْكَ أو بَكَرُوا

سنةً فما بلغْت كُلّ ما أردتُ. فقال عبد الملك: فأسْمِعْنَاها يا أخطلُ؛ فأنشده إيَّاها؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها؛ ثم قال: وَيْحَك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. وأمر له بجَفْنةٍ كانت بين يديه فمُلِئَتْ دراهمَ وألقى عليه خِلَعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

وقال ابن الزيَّات: حدّثني جعفر بن محمد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوَانَة قال: أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثَيِّر فيه: [الطويل]

فَما تَرَكُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ ... وَلٰكِنْ بِحَدِّ المَشْرَفِيّ استقَالَها

فأُعْجب به. فقال له الأخطل: ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه. قال: وما قلتَ؟ قال قلت: [الطويل]

أَهَلُّوا مِنَ الشَّهْرِ الحَرَامِ فأصْبَحُوا ... مَوالِيَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلتُه لك حقّاً وجعلك أخذتَه غَصْباً؛ قال: صدَقتَ.

[الأخطل يدعي أنه أشعر من الفرزدق وجرير وبعض أخباره]

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: أخبرنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا أبو دُقَاقة الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال: رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك؛ فلما انحدر دنوتُ منه فقلت: يا أبا مالك، مَنْ أشعرُ العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم. فقلت: فأين أنت منهما؟ قال: أنا واللاَّتِ

أشعرُ منهما. قال: فحلَف باللاَّتِ هُزؤاً واستخفافاً بدينه.

وروَى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ عن عاصم بن شِبْل الجَرْميّ أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوَه، وقال: واللاَّتِ والعُزَّى.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال: ذكَر الحِرْمازيّ أنّ رجلاً من بني شَيْبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنَّا، وإن كنَّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتِّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ، وإنّ لك عندي نُصْحاً. فقال: هاتِه، فما كَذَبتَ. فقلت: إنك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشَارَّته ومُهَارَّته. فقال: صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك، وصَلَتْك رَحِمٌ! فوَالصَّلِيبِ والقُرْبان لأتخلَّصنَّ إلى كُلَيْب خاصَّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزْيُه ويَشْمَلُهم عارُه. ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليبِ إذا مرَّ به البيتُ المُعَايَر السائر الجيِّد، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْراني.

أخبرني وَكيع قال: حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الحسن المدائنيّ قال:

أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردة، فتمثّل قولَ الأخطل: [الوافر]

إذا اصْطَبَحَ الفَتَى منها ثلاثاً ... بِغَيْرِ الماءِ حاولَ أن يَطُولاَ
مَشَى قُرَشِيَّةً لا شَكَّ فيها ... وَأرْخَى مِنْ مآزِرِه الفُضُولا

ثم قال: كأنّي أنظر إليه الساعةَ مُجَلَّلَ الإزار مستقبِلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشْق؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني طائع عن الأصمعيّ قال: أَنْشد أبو حَيَّة النّمَيْريّ يوماً أبا عمرو: [البسيط]

يا لَلمَعَدّ ويا لَلنَّاسِ كُلِّهِمُ ... ويا لَغائِبِهِمْ يَوْماً وَمَنْ شَهِدا

كأنه مُعْجَبٌ بهذا البيت؛ فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنك الأخطل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الغَلاَبيّ عن عبد الرحمن التَّيْمي عن

هشام بن سليمان المخزوميّ: أن الأخطل قدِم على عبد الملك، فنزل على ابن سرحون كاتبه. فقال عبد الملك: على مَنْ نزلتَ؟ قال: على فلان. قال: قاتلك الله! ما أعلمَكَ بصالح المنازل! فما تريد أن يُنْزِلك؟ قال: دَرْمَكٌ[1] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[2]. فضحك عبد الملك ثم قال له: وَيْلَك! وعلى أيّ شيء اقتتلنا إلا على هذا!. ثم قال: ألاَ تُسْلِمُ فنَفْرِضَ لك في الفَيْء ونُعطيَك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإنّ أوَّلها لَمُر وإن آخِرَها لَسُكْر! فقال: أمَّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلا كعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع. فضحِك ثم قال: ألاَ تزور الحَجَّاج! فإنه كتب يستزيرك. فقال: أطائعٌ أم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُرْبَه على قربك؛ إنني إذاً لكَمَا قال الشاعر: [الوافر]

كَمُبْتاعٍ لِيَرْكَبَهُ حِماراً ... تَخَيَّرَهُ مِنَ الفَرَسِ الكَبِيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحَجَّاج؛ فمدحه بقوله: [الكامل]

صَرَمَتْ حِبالَكَ زَينبٌ وَرَعُومُ ... وبَدَا المُجَمْجَمُ منهما المَكْتُومُ

ووجَّه بالقصيدة مع ابنه إليه، وليست من جيِّد شعره.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني محمد بن إسماعيل عن أبي غَسَّان قال: ذكروا الفرزدق وجريراً في حَلْقة المدائنيّ؛ فقلت لصَبَاح بن خاقَان: أُنْشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هات؛ فأنشدتُه: [الطويل]

ألَمْ يَأْتِها أنَّ الأرَاقِمَ فَلَّقَتْ ... جَمَاجِمَ قَيْس بَيْنَ رَاذانَ والحَضْر[3]
جَمَاجِمَ قَوْمٍ لَمْ يعافُوا ظُلامَةً ... وَلَمْ يَعْرِفُوا أينَ الوفاءُ مِنَ الغَدْر

قال: فسكت.

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة أن يونس سُئِل عن جرير والفرزدق والأخطل:

(١) الدَّرمَك: الدقيق الأبيض.
(٢) بيت رأس: قريتان إحداهما بالبيت المقدس والثانية من نواحي حلب، وكلتاهما مشهورة بالكروم وصناعة الخمر. (معجم البلدان ١/ ٢٠).
(٣) الأراقم: حيّ من تغلب قوم الأخطل. وراذان: قرية بأصبهان (انظر معجم البلدان ٢/ ١٣). والحَضْر: مدينة بين الموصل والفرات. (معجم البلدان ٢/ ٢٦٧).

أيهم أشعر؟ قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سَلْه ومَنْ هم؟ فقال: مَنْ شئتَ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلاَء وعيسى بن عمر وعَنْبَسة الفيل وميمون الأقْرَن، هؤلاء طرَقوا الكلام وماشُوه لا كمن تحكُمون عنه لا بدويِّين ولا نحويِّين. فقلت للرجل: سَلْه: وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء؟ قال: بأنه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط. قال أبو عُبيدة: فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْراً بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْراً إن لم تكن مثلَها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهده الصفة ثلاثاً. قال إسحاق: فسألت أبا عُبيدة عن العشر فقال:

عَفَا واسِطٌ من آلِ رَضْوَى فنَبْتَلُ[1]

و تأَبَّدَ الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ[2]

و خَفَّ القَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ وَابْتَكَرُوا

و كَذَبتْكَ عَيْنُكَ أمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ

و دَعِ المُعَمَّرَ لا تَسْأَلْ بمَصْرَعِهِ

و لِمَنِ الديارُ بِحائِلٍ فَوُعَالِ

قال إسحاق: ولم أحفظ بقيَّة العَشْر. قال: وقصائد جرير:

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ

وألاَ طَرَقَتْكَ وَأَهْلِي هُجُودُ

وأَهْوَى أراكَ بِرَامَتَيْنِ وُقُودا

قال: وقال أبو عُبيدة: الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطاً. وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي عُبَيدة مثلَه.

وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها.

---

(١) رضوى: هنا اسم امرأة. ونبتل: جبل في ديار طيّيء، وموضع على أرض الشام (معجم البلدان ٥/ ٢٥٧).

(٢) أحفار: موضع ببادية العرب (معجم البلدان ١/ ١١٥).

منها: **صوت** [البسيط]

تَـأَبَّـدَ الـرَّبْـعُ مِـنْ سَـلْـمَـى بـأَحْـفـارِ ... وَأَقْـفَـرَتْ مِـنْ سُـلَـيْـمَـى دِمْـنَـةُ الـدّارِ
وَقَـدْ تَـحُـلُّ بـهـا سَـلْـمَـى تُـجـاذِبُـنـي ... تَـسَـاقُـطَ الـحَـلْـيِ حاجاتي وأسْرارِي

غنَّاه عمر الواديّ هزجاً بالسّبابة في مجرى الوسطى. وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حَسَّان لمَّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك.

ومنها: **صوت** [البسيط]

خَفَّ الـقَـطِـينُ فَراحوُا مِنْكَ وَابْـتَـكَـرُوا ... وَأَزْعَـجَـتْـهُـمْ نَـوًى فـي صَـرْفِـهـا غِـيَـرُ
كـأَنَّـنـي شـارِبٌ يَـوْمَ اسـتُـبِـدَّ بِـهِـمْ ... مِنْ قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[1]
جـادَتْ بـهـا مِـنْ ذواتِ الـقـارِ مُـتْـرَعَـةٌ ... كَلْفاءُ يَنحتُّ عَنْ خُرْطُومِها المَدَرُ[2]

غنَّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر. ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه رمل آخر يقال إنه لعلّويه، ويقال إنه لإبراهيم. وفيه لعَلّويه خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني ابن النطَّاح عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أبيه: أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس؛ قال: الذي كان إذا مدَح رفَع، وإذا هجا وضَع. قال: ومَنْ هو؟ قال: الأعشى. قال: ثم مَنْ؟ قال: ابن العشرين (يعني طَرَفة). قال: ثم من؟ قال: أنا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: أخبرنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال: حدّثنا أبو قُحافَةَ المُرِّيّ عن أبيه قال: دخل الأخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعي؛ فقال له بِشْرٌ: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم. فقال للراعي: ما تقول! قال: أمَّا أشعر منِّي فعسى، وأمَّا أكرم فإن كان في أمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأمير فنعم. فلمَّا خرج الأخطل قال له رجلٌ: أتقول لخال

(١) جدر: قرية بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمر. (معجم البلدان ٢/١١٣).
(٢) الكلفاء: الحمراء فيها كدرة. والمدر: الطين.

الأمير أنا أكرم منك!. قال: وَيْلَك! إنّ أبا نسطوس وضع في رأسي أكْؤُساً ثلاثاً، فواللّه ما أعقِل معها.

قال: ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مَروان، فاستنشده؛ فقال: قد يَبِس حَلْقي، فمُرْ مَنْ يسقيني. فقال: اسقُوه ماء. فقال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير. قال: فاسقُوه لبناً. قال: عن اللبن فُطِمتُ. قال: فاسقُوه عسلاً. قال: شراب المريض. قاا: فتُرِيد ماذا؟ قال: خمراً يا أمير المؤمنين. قال: أوَ عَهِدتَنِي أسقي الخمرَ لا أمَّ لك! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت!. فخرج فلقي فَرَّاشاً لعبد الملك فقال: وَيْلَك! إنّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل صوتي[1]، فاسقِني شربةَ خمر فسقاه؛ فقال: اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتَهما يعتركان في بطني، اسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً. فقال: تركتني أمشي على واحدة، اعْدِلْ مَيْلي برابع فسقاه رابعاً؛ فدخل على عبد الملك فأنشده: [البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فَراحُوا مِنْكَ وَابْتَكَرُوا وَأزْعَجَتْهم نَوًى في صَرْفِها غِيَرُ

فقال عبد الملك: خُذْ بيده يا غلام فأخرِجْه، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمُره، وأحسن جائزتَه، وقال: إنّ لكل قوم شاعراً وإنّ شاعر بني أُميَّة الأخطل.

أخبرني أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلاَّم قال: قال أَبَانُ بن عثمان حدّثني سِمَاك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللَّجْلاج قال: دخلتُ حمَّاماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال: فقال: ممَّن الرجل؟ قلت: من بني ذُهْل. قال: أتروي للفرزدق شيئاً؟ قلت: نعم. قال: ما أشعرَ خليلي! على أنه ما أسرع ما رجع في هِبَته. قلت: وما ذاك؟ قال: قوله: [الكامل]

أَبَنِي غُدَانَةَ إنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالِ[2]
لَولا عَطِيَّةُ لاجْتَدَعْتُ أُنُوفَكُمْ مِنْ بَيْنِ ألأَمِ آنُفٍ وَسِبَالِ[3]

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان

(١) صَحِل صوتي: بُحّ صوتي.
(٢) بنو غدانة: بطن من يربوع. وعطية بن جُعال أحد سادات بني غدانة.
(٣) السِّبال: أطراف الشارب من الشعر. واحدته سبلة.

ينبغي أن تُنكره أنت. قال: كيف؟ قلتُ: هجوتَ زُفَر بن الحارث ثم خَوَّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ: [البسيط]

بَنِي أُمَيَّةَ إنِّي ناصِحٌ لَكُمُ ... فَلا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِناً زُفَرُ
مُفْتَرِشاً كافْتِراشِ اللَّيثِ كَلْكَلَهُ ... لِوَقْعَةٍ كائِنٍ فيها لَهُ جَزَرُ[1]

ومدحتَ عِكْرمةَ بن رِبْعِيّ فقلت: [البسيط]

قَدْ كُنْتُ أحْسَبُهُ قَيْناً وأُخْبَرُهُ ... فاليَوْمَ طُيِّرَ عَنْ أثوابِهِ الشَّرَرُ

قال: لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا. [فقال له الأخطل][2]: والله لولا أنك من قوم سَبَق لي منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال: [البسيط]

ما كُنْتَ هاجِيَ قَوْمٍ بَعْدَ مَدْحِهِمُ ... ولا تُكَدِّرُ نُعْمَى بَعْدَ ما تَجِبُ

أُخْرُجْ عنّي.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال: لمَّا استنزَل عبدُ الملكِ زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ من قِرْقيسيا[3]، أقعده معه على سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاَع[4]. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلاَفِه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أُجلسه معي أن يكون أكرمَ عليَّ منك؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعْجِبُني. فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال: أمَا والله لأقومَنَّ في ذلك مقاماً لم يَقُمْه ابن ذي الكَلاَع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينَه منه قال: [الوافر]

وكأسٍ مِثْلِ عَيْنِ الدِّيكِ صِرْفٍ ... تُنَسِّي الشَّارِبِينَ لَها العُقُولا
إذا شَرِبَ الفَتَى مِنْها ثَلاثاً ... بِغَيْرِ الماءِ حاوَلَ أنْ يَطُولاَ

(١) جَزَر. قتلى.
(٢) زيادة ليست في الأصل ويقتضيها سياق الكلام.
(٣) قرقيسيا: بلد على نهر الفرات. (معجم البلدان ٤/٣٢٨).
(٤) هو ابن ذي الكلاع الحميري. كان من رجالات معاوية الذين شهدوا معه صفين.

مَشَى قُرَشِيَّةً لا شَكَّ فِيها ... وَأَرْخَى مِنْ مآزِرِهِ الفُضُولاَ

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطَّةٌ في رأسك. قال: أَجَلْ واللهِ يا أمير المؤمنين حين تُجْلِسُ عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس: [الطويل]

وَقَدْ يَنْبُت المَرْعى على دِمَنِ الثَّرَى ... وَتَبْقَى حَزازاتُ النُّفُوسِ كما هِيا

قال: فقبض عبد الملك رجلَه ثم ضرب بها صدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال: أَذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور. فقال: أَنشُدُك الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذي أعطيتَني! . فكان زُفَرُ يقول: ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلة الشَّيْبانيّ قال: قال الأخطل: فَضَلتُ الشعراء في المديح والهجاء والنسيب بما لا يُلْحَق بي فيه. فأمَّا النَّسِيب فقولي: [الطويل]

أَلاَ يا اسْلَمِي يا هِنْدُ هِنْد بَني بَدْرِ ... وَإنْ كانَ حَيَّانَا عِدَى آخِرَ الدَّهْرِ
مِنَ الخَفِراتِ البيضِ أَمَّا وِشَاحُها ... فَيَجْري وأمَّا القُلْبُ منها فلا يَجْري[1]
تَمُوتُ وَتَحْيا بِالضَّجِيعِ وَتَلْتَوي ... بِمُطَّرِد المَتْنَيْن مُنْبتِر الخَصْرِ

وقولي في المديح: [البسيط]

نَفْسِي فِداءُ أَمِيرِ المؤمنين إذا ... أَبْدَى النَّواجِذَ يَوْماً عارِمٌ ذَكَرُ
الخائِضُ الغَمْرَةِ المَيْمُونُ طائِرُهُ ... خَلِيفَةُ الله يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ

وقولي في الهجاء: [الوافر]

وَكُنْتَ إذا لَقِيتَ عَبِيدَ تَيْم ... وَتَيْماً قُلْتَ أيُّهُمُ العَبِيدُ
لَئِيمُ العالَمِينَ يَسُودُ تَيْماً ... وَسَيِّدُهُمْ وإنْ كَرِهُوا مَسُودُ

قال عبد الخالق: وصدَق لعَمْري، لقد فَضَلَهم. أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني عمر بن شَبَّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال:

---

(١) القُلْب: السوار.

طَلَّق أعرابيٌّ امرأتَه فتزوَّجها الأخطل؛ وكان الأخطل قد طلَّق امرأته قبل ذلك. فبينا هي معه إذ ذكرتْ زوجها الأوَّل فتنفَّست؛ فقال الأخطل: [الطويل]

كِلانَا عـلـى هَـمٍّ يَـبِـيـتُ كـأنَّـمـا ... بِـجَـنْـبَـيْـهِ مِـنْ مَـسِّ الـفِـراشِ قُـرُوحُ
عـلـى زَوْجِـهـا الـمـاضِـي تَـنُـوحُ وإنَّـنِـي ... عـلـى زَوجَـتِـي الأُخْـرَى كَـذاكَ أنُـوحُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خَدَاش: أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهَلَّب: ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مَدْحِكم؛ فأعطِني عطيَّةً تبسُط بها لساني؛ فواللَّه لأُرَدِّيَنَّكم أردية لا يذهب صِقَالُها إلى يوم القيامة. فقال: أعْلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّي أُسألُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأهلِك ويظنّ ذلك منِّي حيلةً. فلما قدِم على إخوته لاموه كل اللَّوْم فيما فعله. فقال: قد أخبرتُه بعُذْرِي.

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: قال أبو الخطَّاب: حدّثني نوح بن جرير قال: قلت لأبي: أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنَهَرنِي وقال: بئس ما قلتَ! وما أنت وذاك لا أمَّ لك! فقلت: وما أنا وغيرَه! قال: لقد أُعِنتُ عليه بكُفْر وكِبَرِ سِنّ، وما رأيتُه إلاَّ خَشِيتُ أن يبتلعني.

أخبرني عمِّي عن الكُرَانيّ عن دَمَاذ عن أبي عُبَيْدة قال: قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نَصْرانيّ كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: يا لُكَع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبَّة خَزٍّ وحِرْزُ خَزٍّ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مَرْوان بغير إذن.

وقال هارون: حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد بن عبد اللَّه بن عليّ الدَّوْسيّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العَسْكر قال:

كنَّا بباب مَسْلَمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أصحابي: حَكَّمناك وتراضَيْنا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراس ثلاثةٍ أرسلتهن في رِهانٍ، فأحدُها سابقٌ الدهرَ كلَّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيْتاً وأحياناً متخلِّفاً. فأمَّا السابق في كل حالاته فالأخطل. وأمَّا المصلِّي في كل حالاته فالفرزدق. وأمَّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلَّف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد

له: [الطويل]

سَرَى لهُمُ لَيْلٌ كَأَنَّ نُجُومَهُ قَنادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ المُفَتَّلُ[1]

وقال: أحسن في هذا وسبَق. ثم أنشد: [الكامل]

التَّغْلَبِيَّةُ مَهْرُها فَلْسانِ وَالتَّغْلَبِيُّ جنازَةُ الشَّيْطانِ

وقال: تخلَّف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا. وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني محمد بن عمرو الجُرْجانيّ عن أبيه:

أنّ الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بِشْر بن مروان إذ دخل عليهما فتًى من أهل اليَمَامة؛ فقالا له: هل تَرْوِي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما: [الكامل]

لَوْ قَدْ بَعَثْتُ على الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَعَلَى البَعِيثِ لَقَدْ نَكَحْتُ الأخطلاَ

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أتُراه إنْ وَسَمَني يتورّكك على كِبَر سِنّك! ففزع الفتى فقام وقال: أنا عائذٌ بالله من شرّكما. فقالا: اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقيةَ يومهما.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: أخبرنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أبو يَعْلَى قال حدّثني عبد السلام بن حَرْب قال: نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه، فجاءه بعَشَاءٍ ثم قال له: إنّي نَصْرانيّ وأنت حَنِيفٌ، فأيُّ الشرابِ أحبُّ إليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لا يُنْشد بيتاً إلا أَتَمَّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلةَ شَرٌّ، مَنْ أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجَد لي وسجدتُ له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كَرِهتُ أن يفضُلني. فنادى الأخطلُ: يا بني تَغْلِبَ هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلما أصبح فرَّقها ثم شخَص.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: كان ممَّا يُقَدَّم به الأخطل أنه كان أخبثَهم هجاءً في عَفَافٍ عن الفحش. وقال الأخطل:

(١) الذبال: جمع الذبالة، وهي الفتيلة.

ما هجوتُ أحداً قطُّ بما تستحي العذراءُ أن تُنْشِده أباها.

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني محمد بن عَبَّاد المَوْصِليّ قال: خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجَّ بالأخطل. فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال: [الطويل]

بَكَى كُلُّ ذي شَجْوٍ مِنَ الشَّامِ شاقَهُ تَهامٍ فَأَنَّى يَلْتَقِي الشَّجِيَانِ

أَجِزْ يا أخطل؛ فقال: [الطويل]

يَغُورُ الَّذِي بالشَّامِ أو يُنْجِدُ الَّذي بِغَوْرِ تِهاماتٍ فَيَلْتَقِيانِ

أخبرني أحمد وحبيب قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: قيل لأبي العبَّاس أمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك، فتسمع شعرَه؟ قال: وما عسى أن يقول فيَّ بعد قول ابن النَّصْرانيَّة في بني أُمَيَّة: [البسيط]

شُمْسُ العَداوَةِ حَتَّى يُسْتَقادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلاماً إذا قَدَرُوا

أخبرني به وكيع عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ بمثله.

قال هارون وحدّثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّميميّ عن أبي بُرْدة الفَزاريّ عن رجل من تَغْلب قال: لحَظ الأخطل شَكْوةً[1] لأمِّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً وكان يُضَيَّق عليه؛ فقال لها: يا أمَّه، آلُ فلان يزورونك ويقضُون حقَّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليل، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وأولى بكِ. قالت: جُزِيتَ خيراً يا بُنَيّ! لقد نَبَّهتَ على مَكْرُمةٍ. وقامت فلبِست ثيابها ومضت إليهم. فمضى الأخطلُ إلى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه. وجاءت فلحَظت موضعَها فرأته فارغاً، فعلمتْ أنه قد دهاها، وعمَدت إلى خَشَبة لتضربَه بها؛ فهرَب وقال: [المتقارب]

أَلَمَّ عَلَى عِنَباتِ العَجُوزِ وَشَكْوَتِها مِنْ غِياثٍ لَمَمْ
فَظَلَّتْ تُنادِي ألا وَيْلَها وَتَلْعَن وَاللَّعْنُ مِنها أَمَمْ[2]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها

(١) الشكوة: وعاء صغير للّبن والماء يتخذ من جلد.
(٢) أمَم: قريب.

منه بنون، فكانت تُؤثرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أعنُزاً لها. وسائرُ القصة والشعر متَّفق. وقال في خبره: وهذا أوَّل شعر قاله الأخطل.

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن عليّ بن فَيْرُوز عن الأصمعيّ عن أُمَامَةَ ورَعُومَ اللّتين قال فيهما الأخطل:

صَـرَمـتْ أُمَـامَـةُ حَـبْـلَـهـا وَرَعُـومُ

ورَعُومُ وأُمامةُ بنتا سَعِيد بن إيَاس بن هانىء بن قَبِيصة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيْرِيتان فخدمتاه. ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجِبتا عنه؛ فسأل عنهما وقال: فأينَ ابنتاي؟ فأُخْبِر بكبرهما، فنسَب بهما. قال: والرَّعُوم هي التي كانت عند قُتَيْبة بن مُسْلِم وكان يقال لها أُمّ الأخماس، تزوَّجت في أَخماس[1] البَصْرة محمد بن المهلَّب وعامرَ بن مِسْمَع وعَبَّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم؛ وكان يقال لها الجارُود.

أخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدّثنا الخَرَّاز عن المدائنيّ قال: قال أبو عبد الملك: كانت بكر بن وائل إذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأخطل، وكان يدخل المسجدَ فيَقْعُدون إليه. قال: فرأيته بالجزيرة وقد شُكِي إلى القَسّ وقد أخذ بلِحيته وضربه بعصاه وهو يَصيء[2] كما يَصيء الفَرْخ. فقلت له: أين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟ فقال: يا بن أخي، إذا جاء الدِّين ذَلَلنا.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت: زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلاَل عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُسَاوِر قال: دخلتُ إلى الأخطل فسلَّمت عليه، فنسَبني فانتسبت، واستنشدته فقال: أُنشدك حبّة قلبي، ثم أنشدني: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَسْرِيت لا لَيْلَ عاجِزٍ ... بِسَلْهَبَةِ الخَدَّيْنِ ضاوِيَةِ القُرْبِ[3]
إلَيْكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَحَلْتُها ... عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ وَالمَنْزِلِ الرَّحْبِ

فقلت: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الأعشى. قلت: ثمّ مَنْ؟ قال: ثم أنا.
أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرويه عن أبي أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ

(١) أخماس البصرة هي: العالية، وبكر بن وائل، وتميم، وعبد العيس، والأزد.
(٢) يصيء: يصيح.
(٣) سلهبة الخدين: طويلة الخدَّين. وضاوية القرب: دقيقة الخصر.

قال: امتدح الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسَمائة درهم، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفَّاحاً وفرَّقه على الصِّبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبَحه الله! ما ضرَّ إلاَّ نفسَه.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثني سَلَمة النُّمَيْريّ - وتُوُفِّي وله مائةٌ وأربعون سنة - أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسعَ عَشْرَةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده؛ فأحْضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثلاً:

أُنِـيـخُـهـا مـا بَـدَا لـي ثـم أَرْحَـلُـهـا

ثم قال: أيُّكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهي له. فقال جرير: [البسيط]

كـأنَّـهـا نِـقـنِـقٌ يَـغـدُو بـصَـحْـراءِ[١]

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق: [البسيط]

كـأنَّـهـا كـاسِـرٌ بِـالـدَّوِّ فَـتْـخـاءُ[٢]

فقال: لم تُغنِ شيئاً. فقال الأخطل: [البسيط]

تُـرْخِـي الـمَـشـافِـرَ والـلَّـحْـيـيـنِ إرخـاءَ

فقال: اركبها لا حملك الله!.

وقال هارون بن الزيَّات: حدّثني الخَرَّاز عن المدائنيّ قال: هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه؛ فقال لأبيها: يا أبا الدَّلْماء، إنّ ابنتك تعرَّضتْ لي فاكْفُفْها. فقال له: هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها. فقال الأخطل: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ أبـا الـدَّلْـمـاءِ عَـنِّـي ... بـأنَّ سِـنـانَ شـاعِـرِكُـمْ قَـصِـيـرُ
فَـإنْ يَـطْـعُـنْ فَـلَـيْـسَ بِـذِي غَـنـاءٍ ... وإن يُـطْـعَـنْ فَـمَـطْـعَـنُـهُ يـسـيـرُ
مَـتـى مـا أَلْـقَـهُ ومَـعـي سِـلاحـي ... يَـخِـرّ عـلـى قـفَـاهُ فـلا يُـجِـيـرُ

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه؛ فقال: أمَّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

أخبرنا أبو خَلِيفة إجازةً عن محمد بن سَلاَّم قال: لمَّا حضرتِ الأخطلَ الوفاةُ

---

(١) النقنق: الظليم.

(٢) الكاسر: العقاب. والفتخاء: اللينة الجناح. والدوّ: الفلاة الواسعة.

قيل له: يا أبا مالك، ألاَ تُوصِي؟ فقال: [المتقارب]

أُوَصِّي الفَرَزْدَق عِنْدَ المَماتِ بِأُمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيارِهَا(١)
وَزارَ القُبُورَ أَبُو مالِكٍ بِرَغْمِ العُداةِ وأَوْتارِهَا

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سَلاَّم قال: قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العَلاَء: أيُّ البيتين عندك أجودُ: قول جرير: [الوافر]

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاح

أم قول الأخطل: [البسيط]

شُمْسُ العَداوةِ حَتَّى يُسْتَقادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلاماً إذا قَدَرُوا

فقلت: بيتُ جرير أحلى وأسْيَر، وبيتُ الأخطل أَجْزَل وأَرْزَن. فقال: صَدقتَ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصَّة والعامَّة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الحَلَبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلاً سأل حَمَّاداً الراوية عن الأخطل فقال: وَيْحَكم! ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حَبَّبَ إليّ شعرُه النَّصْرانية!.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثنا أبو عثمان الأشنانداني عن أبي عُبيدة قال: كان يونس بن حَبِيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة.

وقال هارون بن الزيَّات حدّثني أبو عثمان المازِنيّ عن العُتْبيّ عن أبيه:

أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز: أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ؟فقال له: أعْفِني. قال: لا والله لا أُعفيك. قال: إنّ الأخطل ضيَّق عليه كفرُه القولَ، وإنّ جريراً وسَّع عليه إسلامُه قولَه؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ. فقال له سليمان: فضَّلتَ والله الأخطلَ.

قال هارون وحدّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلْثُوم قال: قال عبد الملك للفرزدق: مَنْ أشعرُ الناسِ في الإسلام؟ قال: كفاك بابنِ النَّصْرانيّة إذا مدَح.

(١) الأعيار: جمع عير، وهو الحمار الوحشي.

أخبرَنا أحمد وحبيب قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال:

حُدِّثتُ أنّ الحجَّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له؛ فلما دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سَبُّك - يعني جريراً، وجريرٌ جالسٌ - فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركتَ خنازير أمِّك؟! قال: راعيةً مع أعيار أُمِّك؛ وإن أتيتنا قَرَيْناك منها. فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه. قال: صدقَ يا أمير المؤمنين، وما اعتذاري من ذلك!. [الوافر]

تَعِيبُ الخَمْرَ وَهْيَ شَرابُ كِسْرَى ... ويَشْرَبُ قومُكَ العَجَبَ العَجِيبَا
مَنيُّ العَبْدِ عَبْدِ أبي سُوَاجٍ ... أَحَقُّ من المُدامةِ أنْ تَعِيبا

فقال عبد الملك: دعوا هذا، وأَنْشِدْني يا جرير، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجَّاج يمدَحه بها، فأُحْفِظ عبدُ الملك، وقال له: يا جرير، إنّ الله لم ينصر الحجَّاج وإنما نَصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال: [البسيط]

شُمْسُ العَداوةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ... وَأَعْظَمُ النّاسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

فقال عبد الملك: هذه المُزَمِّرة؛ والله لو وُضِعتْ على زُبَر الحديدِ[1] لأذابتها. ثم أمر له بخِلَع فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إنَّ لكل قومٍ شاعراً، وإنَّ الأخطل شاعرُ بني أُمَيَّة.

فأمَّا قول الأخطل:

مَنيّ العَبْدِ عَبْدِ أبي سُوَاجٍ

فأخبرني بخبر أبي سُوَاجٍ عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبَّاس اليزيديّ قالا: حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال: حدّثنا محمد بن حَبِيبَ وأبو غسَّان دَمَاذ عن أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى أنّ أبا سُوَاجٍ وهو عَبَّاد بن خَلَف الضَّبِّيّ جاور بني يَرْبوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة، وكان لِصُرَدَ بن جَمْرة اليَرْبُوعي فرس يقال لها القَضيب، فتراهنا عشرين بعشرين، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ابن جَمْرَةَ حقَّه ومنَعه سَبَقه[2]، وجعل يفجُر بامرأته. ثم إنّ أبا سُوَاج ذهب إلى البَحْرَين يمتارُ؛

(١) زبر الحديد: قطع الحديد الكبيرة الضخمة.
(٢) السبق: ما يتراهن عليه المتسابقون.

فلما أقبل راجعاً، وكان رجلاً شديداً مُعْجَباً بنفسه، جعل يقول وهو يَحْدو: [الرجز]

يـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ بَـغَـتْ مِـنْ بَـعْـدِي

فسمِع قائلاً يقول من خَلْفِه: [الرجز]

نَـعَـمْ بِـمَـكْـوِيٍّ قَـفَـاهُ جَـعْـدِي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقَدِم إلى منزله فأقام به مدّةً، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أبي سُوَاج وقال: لا أرضَى أو تَقُدّي من است أبي سُوَاج سيراً. فأخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدَّ من باطن أَلْيَتَيْها سيراً فدفعه إليها؛ فجعله صُرَدُ بن جَمْرة في نعله، فقال لقومه: إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُوَاج فسَلُوني من أين أقبلت ففعلوا، فقال: من ذِي بِليَّان[1] وأُريد ذابِليَّان، وفي نعلي شِرَاكان، من استِ إنسان. فقام أبو سُوَاج: فطرَح ثوبَه وقال: أنشُدكم الله! هل ترَوْن بأساً؟ ثم أمر أبو سِوَاج غُلامين له راعيين أن يأخذا أمَةً له فيَتَراوحَاها؛ ودفع إليهما عُسّاً[2] وقال: لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسّ لأقتلَنَّكما. فباتا يتراوحانِها ويصُبَّان ما جاء منهما في العُسّ، وأمرَهما أن يحلبا عليه فحلَبا حتى ملآه؛ ثم قال لامرأته: والله لَتَسْقِنّه صُرَدَ أو لأقتلنّك: واختبأ وقال: ابعثي إليه حتى يأتيكَ ففعلتْ. وأتاها لعادتها كما كان يأتيها، فرحَّبَتْ به واستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيَّاه. فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يَتَمطّق[3] من اللَّبن الذي يشرَب وقال: إني أرى لبنكم خاثراً، أحسب إبلَكم رعَتِ السَّعْدان. فقالت: إنّ هذا من طُول مُكْثه في الإِناء، أقسمتُ عليكَ إلاَّ شربتَه. فلما وقع في بطنه وجد الموت، فخرج إلى أهله ولا يعلَم أصحابُه بشيء من أمره. فلما جَنَّ على أبي سُوَاج اللَّيل أتى أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلَّف الفرسَ وكلبَه في الدار؛ فجعل الكلب ينبَح والفرس يصهل؛ وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يَرْتَحِل. فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِه وفرسِه وعُسّه. فلما أصبح ركِب فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بني يَرْبُوع فقال: جزاكم الله من جيرانٍ خيراً! فقد أحسنتم الجِوار،

---

(١) ذو بليان: موضع. (معجم البلدان ١/٤٩٣).

(٢) العسّ: القدح الكبير.

(٣) يتمطق: يتذوق.

وفعلتم ما كنتم له أهلاً. فقالوا له: يا أبا سُوَاج، ما بَدَا لك في الانصراف عنَّا؟ قال: إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً، وقد قلتُ في ذلك: [مجزوء الكامل]

إنَّ المَمَنِيَّ إذا سَرَى ... في العَبْدِ أصْبَحَ مُسْمَغِدًّا[1]
أتُنالُ سَلْمَى باطِلاً ... وخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا
صُرَدَ بن جَمْرَةَ هَلْ لَقِيـ ... ـتَ رَثِيئَةً لَبَناً وعَضْدَا[2]

واعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمْرة. ثم رَمى بالعُسّ على صخرةٍ فانكسر وركَض فرسَه. وتنادَوْا: عليكم الرجلَ، فأعجزهم ولَحِق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيْميّ: [الطويل]

تُمَسِّحُ يَرْبُوعٌ سِبالاً لَئِيمَةً ... بها مِنْ مَنِيِّ العَبْدِ رَطْبٌ ويابِسُ

وإيَّاه عَنَى الأخطلُ بقوله:

وَيَشْرَبُ قَوْمُكَ العَجَبَ العَجِيبا

[خبر حبسه بكنيسة دمشق وإطلاقه]

أخبرنا أبو خَليفةَ قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: زعم محمد بن حَفْص بن عائشة التَّيْميّ عن إسحاق بن عبد اللَّه بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطَّلب قال: قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌ مع أبي، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق، وإذا الأخطل فيها محبوس، فجعلتُ أنظر إليه. فسأل عنّي فأُخْبر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لَرجلٌ شريف، وإني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتُك مقضيَّة. قال: إنّ القَسّ حبَسني ها هنا فتكلِّمُه لِيُخَلِّيَ عنّي. فأتيتُ القَسّ فانتسبت له، فرحَّب وعظَّم، قلت: إنّ لي إليك حاجةً، قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطلُ تُخَلِّي عنه. قال: أُعِيذُك بالله من هذا! مثلُك لا يتكلَّم فيه، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلُب إليه حتى مضى معي متَّكئاً على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عَدُوَّ الله! أتعود تشتمُ الناس وتهجوهم وتقذِف المُحْصَنات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويَسْتَخْذي له. قال: فقلت

(١) المسمغدّ: المرتوي من اللبن.
(٢) الرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو فيخثر.

له: يا أبا مالك، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذِي له!. قال: فجعل يقول لي: إنَّه الدِّين! إنَّه الدِّين!.

أخبرنا اليزيديّ عن عمه عُبيد اللَّه عن ابن حَبِيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسِّكاً بدينه. فمرَّ به الأُسْقُفّ يوماً، فقال لها: الحَقِيه فتَمَسَّحي به؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلاَّ ذَنَبَ حماره فتمسَّحتْ به ورجَعتْ. فقال لها: هو وذنب حماره سواء.

أخبرنا أبو خليفة قال: حدّثنا ابن سَلاَّم قال حدّثني يونس قال: قال أبو الغَرَّاف: سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول: [الكامل]

وَإذا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْراً يكونُ كصَالِحِ الأعْمالِ

فقال: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام!. فقال له: يا أمير المؤمنين، ما زلتُ مُسْلِماً في ديني.

[سؤاله الغضبان بن القبعثري الشيباني في حمالة]

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثنا ابن سَلاَّم قال: حدّثني يونُس وعبد الملك وأبو الغَرَّاف، فألَّفتُ ما قالوا، قالوا: أتى الأخطلُ الكوفةَ، فأتى الغَضْبَانَ بن القَبَعْثَرِيّ الشَّيْبانيّ فسأله في حَمَالةٍ؛ فقال: إن شئت أعطيتُك ألفين، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين. قال: وما بالُ الألفين وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطِكَها إلاَّ قليلٌ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكْرِيٌّ إلاّ أعطاك درهمين؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبصرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلاّ أعطاك درهمين، فخفَّتْ عليهم المؤنةُ وكَثُر لك النَّيْل. فقال: فهذه إذاً. فقال: نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا. فكتب بالبصرة إلى سُوَيْد بن مَنْجُوف السَّدُوسيّ فقدِم البَصْرَة ـ فقال يونس في حديثه ـ فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيث الحنفيّ؛ فأخبر مَنْ سمعه يقول: والله لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأوَّل: فأتى سويداً فأخبره بحاجته. فقال: نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له. وهو الذي يقول: [الوافر]

إذا ما قُلْتُ قَدْ صالَحْتُ بَكْراً ... أَبَى البَغْضاءُ والنَّسَبُ البَعِيدُ
وَأيَّامٌ لَنا وَلَهُمْ طِوَالٌ ... يَعَضُّ الهامَ فِيهِنَّ الحَدِيدُ

وَمُهْراقُ الدِّماءِ بِوارِدَاتٍ تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيدُ[١]
هُمَا أخَوانِ يَصْطَلِيانِ ناراً رِداءُ الحَربِ بَيْنَهُما جَدِيدُ

فقالوا: فلا والله لا نُعطيه شيئاً. فقال الأخطلُ: [الوافر]

فَإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْها فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[٢]
تَواكَلَني بنو العَلاَّت مِنْهُمْ وغالَتْ مالِكاً وَيَزِيدَ غُولُ[٣]
صَرِيعَا وائِلٍ هَلَكَا جَمِيعاً كأنَّ الأرْضَ بَعْدَهُما مُحُولُ[٤]

وقال في سُوَيْد بن مَنْجُوف ـ وكان رجلاً ليس بذي منظر: [الطويل]

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السُّوسُ أصْلَهُ لِمَا حَمَّلَتْهُ وائِلٌ بِمُطِيقِ

[من سقطات الأخطل]

أخبرنا أبوخَليفة قال، قال محمد بن سَلاَّم: كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً: كان مدح سِماكاً الأَسَديّ، وهو سِمَاك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ، ومسجد سِمَاك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام عليّ هارباً فلَحِق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال: [البسيط]

نِعْمَ المُجِيرُ سِمَاكٌ مِنْ بَني أسَدٍ بالقاعِ إذ قَتَلَتْ جِيرانَها مُضَرُ
قد كُنْتُ أحْسَبُهُ قَيْناً وأُخْبَرُهُ فاليَوْمَ طُيِّرَ عن أثوابِهِ الشَّرَرُ
إنّ سِماكاً بَنَى مَجْداً لأسْرَتِهِ حَتَّى المماتِ وَفِعلُ الخَيْرِ يُبْتَدَرُ

فقال سِمَاك: يا أخطلُ، أردت مَدْحِي فهجوتَنِي؛ كان الناس يقولون قولاً فحقَّقتَه. فلما هجا سُوَيْداً قال له سُوَيْد: والله يا أبا مالك، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردتَ مَدْحَ الأَسَديّ فهجوتَه ـ يعني قوله: [البسيط]

قد كُنْتُ أحْسَبُهُ قَيْناً وأُنْبَؤُهُ فَاليَوْمَ طُيِّرَ عَنْ أثوابِهِ الشَّرَرُ
إنَّ سِماكاً بَنَى مَجْداً لأسْرَتِهِ حَتَّى المَماتِ وَفِعْلُ الخَيْرِ يُبْتَدَرُ

---

(١) يوم واردات: يوم من أيام العرب كان بين بكر وتغلب. انظر الجزء الخامس من طبعة الأغاني هذه.
(٢) القبول: ريح الصبا.
(٣) بنو العلاّت: من كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى، وأراد مالك بن شيبان الجحدري من قيس بن ثعلبة، ويزيد بن الحارث الشيباني صاحب شرطة الحجاج.
(٤) المُحول: المجدبة.

ـ وأردتَ هجائي فمدحتَني، جعلتَ وائلاً حمَّلتني أمورَها، وما طَمِعتُ في بني تَغْلِب فضلاً عن بكر.

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبَانُ البَجَليّ قال: مرَّ الأخطل بالكوفة في بني رُؤاس ومؤذِّنُهم يُنادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: ألاَ تدخل يا أبا مالك فتصلِّي؟ فقال: [الوافر]

أُصَلِّي حَيْث تُذرِكُنِي صَلاتِي ... وَلَيْسَ البِرُّ عِنْدَ بَنِي رُؤَاسِ

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبو الحُصَيْن الأمَويّ قال:

بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له في نُزْهةٍ مع صاحب له، وطرأ عليهما طارىء لا يعرفانِه ولا يَستخِفَّانِه، فشرِب شرابَهما وثَقُل عليهما. فقال الأخطل في ذلك:

صوت [الطويل]

وَلَيْسَ القَذَى بالعُودِ يَسْقُط في الإنَا ... ولا بِذُبابٍ خَطْبُهُ أيْسَرُ الأمْر

وَلكِنَّ شَخْصاً لا نُسَرُّ بقُرْبِهِ ... رَمَتْنا به الغِيطانُ مِنْ حَيْثُ لا نَدْرِي

ويُرْوَى:

وَلكِنْ قَذَاها زائِرٌ لا نُحِبُّهُ

وهو الجيِّد. الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حدثنا الخليل بن أسَد قال حدّثنا العُمَريّ قال حدّثنا الهَيْثَم بن عَدِيّ عن ابن عيَّاش قال:

بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدَّث رجالُهم إلى النساء لا يروْن بذلك بأساً، وبين يديه باطِيةُ شراب والمرأةُ تُحَدِّثه وهو يشرب، إذ دخل رجلٌ فجلس، فثَقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم استحياءً منه. وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذُّبابُ في شَرابك. فقال: [الطويل]

وَلَيْسَ القَذَى بِالعُودِ يَسْقُطُ في الخَمرِ ... وَلا بِذُبابٍ نَزْعُهُ أيْسرُ الأمْرِ

وَلكِنْ قَذَاها زائِرٌ لا نُحِبُّهُ ... رَمَتْنا به الغِيطانُ مِنْ حَيْثُ لا نَدْري

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمِّي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرَانيّ عن الزِّياديّ عن عليّ بن الحفَّار أخي أبي الحجَّاج، أنّ الأخطل جاء إلى مَعْبَد في قَدْمةٍ قدمها إلى الشام. فقال له مَعْبَد: إنِّي أُحِبّ محادثتَك. فقال له: وأنا أحِبّ ذلك. وقاما يتَصَبَّحان الغُدْرَانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأكلا؛ فتَبِعهما أعرابيّ فجلس معهما. وذكر الخبر مثل الذي قبله.

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال، قال أَبَان بن عثمان: حدّثني أبي قال: دعا الأخطلَ شابٌّ من شَبَاب أهل الكوفة إلى منزله. فقال له: يابن أخي، أنت لا تَحْتَمِل المؤونة وليس عندك مُعْتَمَدٌ؛ فلم يزل به حتى انتجعه، فأتى الباب فقال: يا شَقْراء، فخرجتْ إليه امرأةٌ، فقال لأمِّه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعتْ غَزْلاً لها وآشترت له لحماً ونبيذاً وريْحاناً. فدخل خُصّاً لها فأكل معه وشرِب، وقال في ذلك: [الطويل]

وَبَيْتٍ كَظَهْرِ الفِيلِ جُلُّ مَتَاعِهِ ... أبارِيقُهُ وَالشَّارِبُ المُتَقَطِّرُ[1]

تَرَى فيهِ أثلامَ الأصِيصِ كأنَّها ... إذا بالَ فيها الشَّيْخُ جَفْرٌ مُعَوَّرُ[2]

لَعَمْرُكَ ما لاقَيْتُ يَوْمَ مَعِيشَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ يَوْمُ شَقْرَاءَ أقصَرُ

حَوَارِيَّةٌ لا يَدْخُلُ الذَّمُّ بَيْتَها ... مُطَهَّرةٌ يأوِي إلَيْها مُطَهَّرُ

وذكر هارون بن الزيَّات هذا الخبر عن حمَّاد عن أبيه أنه كان نازلاً على عِكْرمة الفيَّاض وأنه خرج من عنده يوماً، فمرَّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء. وذكر الخبرَ مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيَّام. وظنّ عِكرمةُ أنه غضِب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: استعينوا بهذه على أمركم. ولم يزل ينادمهم حتى رحَل.

---

(١) المتقطر: الرامي نفسه من عَلُ.

(٢) الأصيص: أسفل الدنّ، يبال فيه. والجفر: البئر الواسعة. والمعوّر: المغطى بالتراب.

[اجتماع الأخطل والفرزدق وجرير]

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَرْوان، وكان بِشْرٌ يُغْري بين الشعراء. فقال للأخطل: أُحكُمْ بين الفرزدق وجرير. فقال: أعْفِني أيها الأمير. قال: احكم بينهما، فاستعفاه بجَهْده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشؤومٌ؛ ثم قال: الفرزدق يَنْحِتُ من صَخْر، وجريرٌ يغرِف من بحر. فلم يرضَ بذلك جرير، وكان سببَ الهِجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته: [الكامل]

يا ذَا الغَبَاوةِ إنَّ بِشْراً قَدْ قَضَى ... ألاَّ تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوانِ

ندَعُوا الحكومَةَ لَسْتُمُ مِنْ أهْلِها ... إنّ الحُكُومَةَ في بَنِي شَيْبانِ

قتَلُوا كُلَيْبَكُمُ بِلَقْحَةِ جارِهِمْ ... يا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُمُ بِهِجانِ[1]

فقال الأخطل يردّ على جرير: [الكامل]

وَلَقَدْ تَنَاسَبْتُمْ إلى أحسابِكُمْ ... وَجَعَلْتُمُ حَكَماً مِنَ السُّلطان

فإذا كُلَيْبٌ لا تُسَاوِي دَارِماً ... حَتَّى يُساوَى حَزْرَمٌ بأَبَانِ[2]

وإذا جَعَلْتَ أباكَ في مِيزانِهِمْ ... رَجَحُوا وشالَ أبُوكَ في المِيزانِ

وَإذا وَرَدْتَ الماءَ كانَ لِدارِمٍ ... عِفْوَاتُهُ وَسُهُولَةُ الأعْطانِ[3]

ثم استطارا في الهجاء.

[جملة من أخباره]

أخبرني أبو خَلِيفَة قال: حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثنا أبو الغَرَّاف قال:

لما قال جرير: [الطويل]

إذا أخَذَتْ قَيْسٌ عَلَيْكَ وخِنْدِفٌ ... بِأقْطارِها لم تَدْرِ مِنْ أيْنَ تَسْرَحُ

---

(١) يشير إلى مقتل كليب. واللقحة: الناقة الحلوب.

(٢) دارم: قوم الفرزدق. وحزرم: جبل في ديار بني أسد. (معجم البلدان ٢/ ٢٥٢) وأبان: جبل لبني فزارة (معجم البلدان ١/ ٦٢).

(٣) عفواته: جمع عفوة، وهي من كل شيء صفوته وكثرته. والأعطان: جمع عطن، وهو مناخ الإبل حول المورد.

قال الأخطل: لا أين! سَدّ والله عليَّ الدنيا. فلما أُنشد قوله:

فَمَا لَكَ في نَجْدٍ حَصَاةٌ تَعُدُّها ... وما لَكَ مِنْ غَوْرَيْ تِهامَةَ أَبْطَحُ

قال الأخطل: لا أُبالي والله ألاَّ يكونَ فُتِحَ لي والصَّليب القولُ؛ ثم قال:

وَلٰكِنْ لنا بَرُّ العِراقِ وبَحْرُهُ ... وَحَيْثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماءِ يَسْبَحُ[1]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني محمد بن الحَجَّاج الأُسَيِّديّ قال: خرجتُ إلى الصائفةِ[2] فنزلتُ منزلاً ببني تَغْلِبَ فلم أجِدْ به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابِّي شِرًى[3] ولا قِرًى ولم أجد ظِلاًّ؛ فقلت لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد يُستَظَلُّ فيه؟ فقال: ممَّن أنت؟ قلت: من بني تميم. قال: ما كنتُ أرى عمّك جريراً إلاّ قد أخبرك حين قال: [الكامل]

فِينا المَساجِدُ والإِمامُ ولا تَرَى ... في آل تَغْلِبَ مَسْجِداً مَعْمُورا

أخبرني أبو خليفة قال: أنبأنا محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني شيخ من ضُبَيْعة قال: خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً ببني تَغْلِبَ فخرج متلثِّماً عليه ثيابُ سفره، فلقيه رجلٌ لا يعرفه. فقال: ممَّن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أَمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم؟! فأنشده مما قال لجرير. فقال: أَمَا سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم؟! فأنشده. ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما. فقال التغلَبيّ: من أنت؟ لا حيَّاك الله! والله لكأنك جرير. قال: فأنا جرير. قال: وأنا الأخطل.

أخبرني عمِّي قال أنبأنا الكُرَانيّ قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنيّ قال: دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلَّمه فخلَّط في كلامه. فقال له: ما هذا؟ فقال: [الوافر]

إذا شَرِبَ الفَتَى مِنْها ثَلاثاً ... بِغَيْرِ الماءِ حاوَلَ أنْ يَطُولاَ

مَشَى قُرَشِيَّةً لا عَيْبَ فِيها ... وَأَرْخَى مِنْ مآزره الفُضُولا

(١) القرقور: السفينة العظيمة.

(٢) الصائفة: الغزوة في الصيف.

(٣) شرى: أي شراءً.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال: أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيديّ قال: أخبرني أبو محمّد اليزيديّ قال: خرج الفرزدق يَؤُمّ بعض الملوك من بني أُميَّة، فرُفِع له في طريقه بيتٌ أحمر من أَدَم، فدنا منه وسأل فقيل له: [بيت][1] الأخطل. فأتاه فقال: انزل. فلمَّا نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلا أنه ضيفٌ؛ فقعدا يتحدَّثان. فقال له الأخطل: ممَّن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذاً من رَهْط أخي الفرزدق. فقال: تحفَظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم كثيراً. فما زالاَ يتناشدان ويتعجَّب الأخطل من حفظه شعرَ الفرزدق إلى أن عمِل فيه الشراب، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك: أنتم معشرَ الحَنِيفيَّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خَفِّض قليلاً وهاتِ من شرابك فاسْقِنا. فلمَّا عمِلت الرَّاحُ في أبي فِرَاس[2] قال: أنا والله الذي أقول في جرير فأنشَده. فقام إليه الأخطل فقبَّل رأسه وقال: لا جَزاك الله عنِّي خيراً! لِمَ كتمْتني نفْسَك منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتَنَاشُدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإيَّاي لأشعرُ منه ولكنه أُوتِيَ من سَير الشعر ما لم نُؤْتَه؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجَى منه، قلت: [البسيط]

قَوْمٌ إذا اسْتَنبحَ الأضيافُ كلبَهُمُ قالُوا لأُمِّهِمُ بُولِي على النَّارِ

فلم يَرْوِه إلاَّ حُكماء أهل الشعر. وقال هو: [الكامل]

وَالتَّغْلَبيّ إذا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَى حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الأمْثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلا رَوَوْه. فقَضَيا له أنه أَسْيَرُ شعراً منهما.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: قال المدائنيّ: كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمرَّ به عِكْرِمة الفيَّاض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلمَّا أمسى بعث إليه فتعشَّى معه، ثم قال له: أتُصيب من الشراب شيئاً؟ قال: نعم. قال: أيّه؟ قال: كلَّه إلاَّ شرابَك. فدعا له بشراب يُوافقه، وإذا عنده قَيْنتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِتْرٌ، وإذا الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان؛ فغمز السترَ بقضيبٍ في يده وقال: غنِّياني بأردية الشعر، فغنَّتاه بقول عمرو بن شَأْس: [الطويل]

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) أبو فراس: كنية الفرزدق.

وَبِيضٍ تَطَلَّى بِالعَبِيرِ كأنّما ... يَطَأنَ وإنْ أعْنَقْن في جُدَدٍ وَحْلا[1]
لَهَوْنا بها يَوْماً ويوماً بشاربٍ ... إذا قُلْتَ مَغْلُوباً وَجَدْتَ له عَقْلا

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكْرمةَ بن رِبْعيّ الفيَّاض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم قال:

قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ، فقال: إني تحمَّلتُ حَمَالتين لأحقِن بهما دماء قومي فنَهَره، فأتى سَيَّارَ بن البَزِيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتَى عِكْرِمةَ الفيَّاض، وكان كاتباً لبِشْر بن مَرْوان، فسأله وأخبره بما رَدَّ عليه الرجلان؛ فقال: أما إني لا أنهرُك ولا أعتذر إليك، ولكني أُعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً. قال: وحدث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردتَ أن تكافىء عِكرِمة يوماً فاليوم. فلبِس جُبَّة خَزٍّ وركب فرساً وتقلَّد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حَوْشَب وسيَّار نَفِسَا عليه ذلك، وقال له عِكْرِمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته:

لِمَنِ الدِّيارُ بحائلٍ فوُعالِ

حتى انتهى إلى قوله: [الكامل]

إنّ ابنَ رِبْعِي كَفَانِي سَيْبُهُ ... ضِغْنَ العَدُوّ وغَدْرةَ المُحتالِ
أغْلَيْتَ حِينَ تَوَاكَلَتْني وائِلٌ ... إنَّ المَكارِمَ عندَ ذاكَ غَوالِ
وَلَقَدْ مَنَنْتَ على رَبِيعَةَ كُلِّها ... وَكَفَيْتَ كُلَّ مُوَاكِلٍ خَذَّالِ
كابنِ البَزِيعَةِ أو كآخَرَ مِثْلِهِ ... أوْلَى لَكَ ابنَ مُسِيمَةِ الأجْمالِ[2]
إنَّ اللَّئيمَ إذا سألْتَ بَهَرْتَهُ ... وَتَرَى الكَرِيمَ يَرَاحُ كالمُخْتالِ[3]
وَإذا عَدَلْتَ بهِ رِجالاً لم تَجِدْ ... فَيْضَ الفُرَاتِ كراشِحِ الأوْشالِ[4]

قال: فجعل عَكْرِمة يبتهج ويقول: هذه والله أحبّ إليّ من حُمْر النَّعَم. ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

(١) أعنقن: سرن سيراً سريعاً. والجُدَد: الطرق.
(٢) أولى لك: ويل لك. ومسيمة الأجمال: راعية الإبل.
(٣) يراح: يستريح.
(٤) الأوشال: جمع وشل، وهو الماء القليل المتحلب من جبل أو صخرة.

صوت

من المائة المختارة

[الطويل]

أراعَكَ بالخابُورِ نُوقٌ وَأجْمالُ ... وَدارٌ عَفَتْها الرِّيحُ بَغدِي بأذْيالِ
وَمَبْنى قِبَابِ المالِكِيَّةِ حَوْلَنا ... وجُرْدٌ تَفَادَى بَيْنَ سَهْلٍ وَأجْبالِ

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المُكيّ إلى ابن محرز، وذكر الهشاميّ أنه منحول. وفيه لحُنَين الحِيريّ ثقيلٌ أوَّلُ عن الهشاميّ.

ذكر سائب خاثر ونسبه

[توفي ٦٣هـ/ ٦٨٢م]

[اسمه ونسبه وولاؤه وغناؤه]

كان سائب خاثر مولى بني لَيْث. وأصلُه من فَيْء كسْرَى، واشترى عبدُ الله بن جعفر ولاءَه من مواليه، وقيل: بل اشتراه فأعتقه، وقيل: بل كان على وَلائه لبني لَيْث، وإنما انقطع إلى عبد اللّه بن جعفر فلزمه وعُرِف به. وكان يبيع الطعام بالمدينة. واسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث «يشا».

قال ابن الكَلْبيّ وأبو غَسَّان وغيرُهما: هو أوّل من عمِل العُود بالمدينة وغنّى به. وقال ابن خُرْدَاذْبه: كان عبد اللّه بن عامر اشترى إماءً صَنَّاجاتٍ[1] وأتَى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه، وسمِع الناسُ منهنَّ، فأخذ عنهنَّ. ثم قدِم رجل فارسيٌّ بنَشِيطٍ، فغنَّى فأُعْجِب عبد اللّه بن جعفر به. فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربيَّة، ثم غدا على عبد اللّه بن جعفر وقد صنع:

لِـمَـنِ الـدِّيـارُ رُسُـومُـهـا قَـفْـرُ

قال ابن الكلبيّ: وهو أوّل صوت غُنِّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتْقَن الصنعة. قال: ثم اشترى عبداللّه بن جعفر نَشِيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأخذ عنه ابنُ سُرَيج وجميلةُ ومَعْبَد وعَزَّة المَيْلاءُ وغيرُهم.

قال ابن الكلبيّ وحدّثني أبو مِسْكين قال: كان سائب خاثر يُكْنى أبا جعفر،

(١) الصناجات: جمع صناجة، وهي اللاعبة بالصنج. والصنج: آلة موسيقية.

ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقْرَع بقَضِيب ويغنِّي مرتجِلاً، ولم يزل يغنِّي. وقُتل يومَ الحَرّة. ومرَّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل، فضربه برجله وقال: إنَّ ها هنا لحنجرةً حسنةً. وكان سائب من ساكني المدينة.

قال ابن الكلبيّ: وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعامَ، وكان تحته أربعُ نسوة، وكان انقطاعُه إلى عبد اللّه بن جعفر، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس[١] وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلَى ألا يغنِّيَ أحداً سوى عبداللّه بن جعفر، إلا أن يكون خليفةً أو وليَّ عهد أو ابنَ خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل. قال: وأخَذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحَل[٢] الناسُ بعضَه إليه، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك. وزعم ابن خُرْدَاذْبه أنّ أُمّ محمد بن عمرو الواقديّ القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

وقال ابن الكلبيّ: سائب خاثر أوّل من غَنَّى بالعربيّة الغناء الثقيل؛ وأوّل لحنٍ صنعه منه:

لِمَنِ الدِّيارُ رُسُومُها قَفْرُ

قال: فأَلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ.

قال: وحدّثني محمد بن يزيد أنّ أوّلَ صوت صنعه في شعر آمرىء القيس:

أفاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هٰذا التَّدَلُّلِ

وأنّ معبداً أخَذ لحنَه فيه فغنَّى عليه:

أمِنْ آلِ لَيْلَى بِاللِّوَى مُتَرَبَّعُ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقِيط قال: وفَد عبد اللّه بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقَّع له في حوائجه، ثم عَرَض عليه حاجةً لسائب خاثر؛ فقال معاوية: مَنْ سائب خاثر؟ قال: رجلٌ من أهل المدينة لَيْثيٌّ يَرْوي الشعر. قال: أَوَكُلٌّ من رَوَى الشعر أراد أن نَصِلَه! قال: إنه حَسَّنه. قال: وإنْ حَسَّنه! قال: أفأُدْخِله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال:

---

(١) سروات الناس: جمع سراة، وهو السيد الشريف.
(٢) نَحَلَ: نَسَب.

فألبسته مُمَصَّرتين[١] إزاراً ورِداءً. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنَّى:

لِمَنِ الدِّيارُ رُسومُها قَفْرُ

فالتفت معاويةُ إلى عبد اللَّه بن جعفر فقال: أَشْهَد لقد حسَّنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

نسبة هذا الصوت

[الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ رُسُومُها قَفْرُ ... لَعِبَتْ بِها الأرْواحُ وَالقَطْرُ
وخَلاَ لَها مِنْ بَعْدِ ساكِنِها ... حِجَجٌ مَضَيْنَ ثَمانٍ أوْ عَشْرُ
والزَّعْفرانُ عَلَى تَرَائِبِها ... شَرِقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ[٢]

الشعر يُنسب إلى أبي بكر بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْريّ، وإلى الحارث بن خالد المخزوميّ، وإلى بعض القرشيِّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. والغناء لسائب خاثر ثقيلٌ أوَّل بالسّبابة عن الكَلْبيّ وحَبَش، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ أوَّل بالوسطى، ووافق إسحاق في ذلك، وذكر أنّ الثقيل الأوَّل لنشيط. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنِّسه، وذكر الهشاميّ أن لحن معبد خفيفُ ثقيل، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل.

أخبرنا أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالوا: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني قَبِيصة بن عمرو قال: حدّثنا محمد بن المِنْهال عن رجل حدَّثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكَلْبيّ عن لَقِيط قال: أَشْرف معاويةُ بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنه، فسمع صوتاً أعجبه، واستخفَّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلَّ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه، واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيَّة ليلته حتى مَلَّ. فلما أصبح غدَا عليه يزيدُ. فقال له: يا بُنَيّ! مَنْ كان جليسَك البارحةَ؟ قال: أيّ جليس يا أمير المؤمنين؟ واستَعْجَم عليه. قال: عَرِّفْني فإنه لم يخفَ عليّ شيءٌ من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأَكْثِرْ له يا بُنَيّ من بِرّك وصِلتك، فما رأيتُ بمجالسته بأساً.

---

(١) الممصَّر من الثياب: الذي فيه صفرة خفيفة.
(٢) الشَّرِق: الممتلىء.

قال ابن الكلبيّ: قدم معاويةُ المدينةَ في بعض ما كان يقدَم؛ فأمر حاجبَه بالإذن للناس، فخرج الآذِنُ ثم رجع فقال: ما بالباب أحدٌ. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجَّه إليهم. فلما جلس قال بعض القرشيِّين لسائب خاثر: مُطْرَفي هذا لك - وكان من خَزٍّ - إن أنتَ اندفعتَ تُغَنِّي ومشيتَ بين السِّماطَيْن وأنت تغنِّي. فقام ومشى بين السماطين وغنَّى:

[الطويل]

لَنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فسمِع منه معاويةُ وطَرِب وأصْغى إليه حتى سكَت وهو مُسْتحسِنٌ لذلك، ثم قام وانصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المُطْرَفَ.

[مقتله يوم الحرّة]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الزُّبيريّ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البَزَّاز قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال: قتل سائب خاثر يومَ الحَرَّة، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدِّثهم ويقول: أنا مُغَنٍّ، ومن حالي وقصَّتي كيتَ وكيتَ؛ وقد خدَمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه. قالوا: فغنِّ لنا، فجعل يغنِّي؛ فقام إليه أحدُهم فقال له: أحسنتَ واللَّه! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيدَ خبرُه ومرَّ به اسمُه في أسماء من قُتِل يومئذ فلم يعرفه وقال: مَنْ سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المُغنِّي. فعرَفه فقال: وَيْلَه! ما له ولنا! ألم نُحسِنْ إليه ونَصِلْه ونَخْلِطْه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جَرَمَ أن بَغْيَه صرَعه. وقال المدائنيّ في خبره: فقال: إنَّا لله! أو بلغَ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه! ما أرَى أنه بقي بالمدينة أحدٌ. ثم قال: قبحَكم الله يا أهلَ الشام! تَجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: أنبأنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني قَبِيصةُ بن عمرو قال: حدّثني حاتم بن قَبيصة قال: حدّثني ابن جُعْدُبة قال: حدّثني مُوَيْلِك عن أبيه قال: قال لي سائب خاثر يومَ الحَرّة: هل سمعتَ شيئاً صنعتُه؟ فغنَّاني صوتاً:

صوت

[الطويل]

لِمَنْ طَلَلٌ بَيْنَ الكُرَاعِ إلى القَصْرِ ... يغَيِّب عَنَّا آيهُ سَبَلُ القَطْرِ[١]
إلى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِدٍ ... وأشعثَ تُرْسِيه الوَلِيدةُ بالفِهْرِ[٢]

قال: فسمعتُ عجباً مُعْجِباً، ثم ذكر أهلَه وولَده فبكى. فقلت له: وما يمنعك منهم؟ فقال: أمَّا بعدَ شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيدَ بن معاوية فلا! ثم تقدَّم حتى قُتِل.

صوت

من المائة المختارة

[المنسرح]

أَقْفَرَ مِنْ أهلِهِ مَصِيفُ ... فبَطْنُ نَخْلَةَ فالعَرِيفُ[٣]
هَلْ تُبْلِغَنِّي دِيارَ قَوْمِي ... مَهْرِيَّةٌ سَيْرُها زَفِيفُ[٤]
يا أمَّ نُعْمانَ نَوِّلينا ... قَدْ يَنْفَعُ النائِلُ الطَّفِيفُ
أعْمامُها الصِّيدُ مِنْ لُؤَيٍّ ... حَقّاً وأخْوالُها ثَقِيفُ

الشعر لأبي فَرْعَةَ الكِنَانيّ، والغناءُ لجَرادَتَيْ عبد اللّه بن جُدْعان، ولحنُه من خفيف الثقيل. وفيه في الثالث والرابع ثقيلٌ أوَّلُ مطلق.

---

(١) كراع الأرض: ناحيتها. وكراع: ما سال من أنف الجبل أو الحرة. والكراع اسم لجمع الخيل. وكراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).
(٢) الأشعث: الوتد. وترسيه: تثبته. والفهر: حجر يملأ الكف.
(٣) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة. (معجم البلدان ١/٤٤٩) والعريف: موضع، ولم نقف عليه في كتب البلدان التي بين أيدينا.
(٤) السير الزفيف: السريع.

ذكر جَرَادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُدْعان

هو عبد اللّه بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعْب بن لؤيّ بن غالب.

قال ابن الكلبيّ: كانت لابن جُدْعان أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجَرَادتين تتغنّيان في الجاهليّة، سمَّاهما بجرَادَتَيْ عادٍ. ووهبهما عبدُ اللّه بن جُدْعان لأميَّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ، وقد كان امتدحه وكان ابنُ جُدْعانَ سيِّداً جَواداً، فرأى أُميَّةَ ينظر إليهما وهو عنده فأعطاه إيَّاهما.

وأخبرني أبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرَائضِيّ قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة قال: حدّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبيّ عن مسروق عن عائشة قالت: قلتُ: يا رسول الله إن ابن جُدْعانَ كان في الجاهليَّة يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه؟ قال: **«لا، لَمْ يَقُلْ يوماً اغفِرْ لي خَطيئتي يَوْمَ الدِّين»**.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حدّثني جعفر بن الحسين قال: حدّثني إبراهيم بن أحمد قال:

قَدِمَ أُميَّة بن أبي الصَّلْت على عبد اللّه بن جُدْعانَ؛ فلما دخل عليه قال له عبد اللّه: أمرٌ ما أَتَى بك! فقال أميَّة: كلابُ غُرَماءَ[١] نَبَحَتْني ونَهَشَتْني. فقال له عبدُ اللّه: قدِمتَ عليّ وأنا عليلٌ من حقوق لَزِمَتْني ونهشتْني، فأنْظِرْني[٢] قليلاً، ما

---

(١) أنظرني: أمهلني.

في يدي، وقد ضَمنْتُك قضاءَ دينك ولا أَسْأَل عن مَبْلَغه. قال: فأقام أُميَّةُ أيّاماً، فأتاه فقال: [الوافر]

أأذكُرُ حاجَتِي أمْ قَدْ كَفَانِي — حَيَاؤكَ إنَّ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بالأمُورِ وأنْتَ قَرْمٌ — لكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ
كَرِيمٌ لا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ — عن الخُلُقِ السَّنِيِّ ولا مَسَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُوداً — إذا ما الكَلْبُ أجْحَرَهُ الشِّتَاءُ
إذا أثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْماً — كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
إذا خَلَّفْتَ عَبْدَ اللّهِ فاعْلَمْ — بأنَّ القَوْمَ لَيسَ لَهُمْ جَزاءُ
فأرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بناها — بَنُو تَيْمٍ وأنْتَ لَهُمْ سَمَاءُ
فَأبْرَزَ فَضْلَهُ حَقّاً عَلَيْهِمْ — كما بَرَزَتْ لِنَاظِرِها السَّمَاءُ
فَهَلْ تَخْفَى السَّمَاءُ على بَصِيرٍ — وَهَلْ بالشَّمْسِ طالِعَةً خَفَاءُ

فلما أنْشده أُميَّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال: خذ أيَّتهما شئتَ؛ فأخذ إحداهما وانصرف. فمرَّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لَقِيتَه عَليلاً، فلو ردَدْتها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ من كل حقّ ضَمِنه لك، فوقع الكلامُ من أميَّة موقِعاً وندِم، ورجع إليه ليردَّها عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جُدْعانَ: لعلك إنّما رَدَدْتَها لأن قريشاً لاموك على أخذهَا وقالوا كذا وكذا، فوصف لأمِيَّةَ ما قال له القوم. فقال أُمَيَّة: والله ما أخطأتَ يا أبا زُهَير. فقال عبد اللَّه بن جُدْعانَ: فما الذي قلتَ في ذلك؟ فقال أُميَّةُ:

صوت

[الطويل]

عَطاؤكَ زَيْنٌ لامْرِئٍ إنْ حَبَوْتَهُ — بِبَذْلٍ وما كُلُّ العَطاءِ يَزِينُ[1]
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ لامْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ — إليكَ كَما بَعْضُ السُّؤالِ يَشِينُ

ـ غنَّت فيه جرادتا عبد اللَّه بن جُدْعان ـ فقال عبد اللَّه لأمِيَّة: خُذِ الأُخرى؛ فأخذهما جميعاً وخرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ـ وقد أنشدَنا هذه

(١) حبوته: أعطيته.

الأبياتَ أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبَّة وفيها زيادة: [الوافر]

ومَا لِي لا أُحَيِّيهِ وَعِنْدِي مَوَاهِبُ يَطَّلِعْنَ مِنَ النِّجادِ
لأَبْيَضَ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ كَعْبٍ وَهُمْ كالمَشْرَفِيَّاتِ الحِدادِ[1]
لِكُلِّ قَبِيلَةٍ هادٍ وَرَأْسٌ وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هادي[2]
لَهُ بِالخَيْفِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ وَإِنَّ البَيْتَ يُرْفَعُ بالعِمادِ[3]
لَهُ داعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ وَآخَرُ فَوْقَ دارَتِهِ يُنادي[4]
إلى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزَى مِلاءٍ لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ[5]

وقال فيه أيضاً: [مجزوء الكامل]

ذُكِرَ ابنُ جُدْعانٍ بِخَيْـ ـرٍ كُلَّما ذُكِرَ الكِرامُ
مَنْ لا يَخُونُ ولا يَعُـ ـقُّ ولا تُغَيِّرُهُ اللِّئامُ
نَجُبُ النَّجِيبَةِ وَالنَّجِيـ ـبِ لَهُ الرِّحالَةُ وَالزِّمامُ[6]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق البَغَويّ قال: حدّثنا الأَثْرَم عن أبي عُبيدة قال: كان ابنُ جُدْعانَ سيِّداً من قريش؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده الفَالوذَ، فسأل عنه فقيل له: هذا الفالوذُ. قال: وما الفالوذُ؟ قالوا: لُبابُ البرّ يُلْبَك مع عسل النحل. قال: ابغُونِي غلاماً يصنعه؛ فأتَوْه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكةَ معه، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكة، فوضع الموائدَ بالأَبْطَح إلى باب المسجد، ثم نادى مُنادِيه: أَلاَ مَنْ أراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ فحضر الناسُ؛ فكان فيمن حضَر أميَّةُ بن أبي الصَّلْت؛ فقال فيه: [الوافر]

وما لِي لا أُحَيِّيهِ وَعِنْدِي مَوَاهِبُ يَطَّلِعْنَ مِنَ النِّجادِ
إِلَيّ وإنَّه لِلنَّاسِ نِهْيٌ ولا يَعْتَلُّ بالكَلِمِ الصَّوادِي[7]

وذكر باقي الأبيات التي مضت متقدِّماً.

---

(١) المشرفيات: سيوف منسوبة إلى المشارف.
(٢) الهادي: العنق. وهنا المتقدم على القوم.
(٣) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل. ومنه مسجد الخيف من منى. (انظر معجم البلدان ٢/ ٤١٢).
(٤) المشمعلّ: المرتفع، المنشرف.
(٥) الرُدُح: جمع رداح، وهي القصعة العظيمة. والشيزى: خشب أسود تصنع منه القصاع. والبُرّ: القمح. ويُلبَك: يُمزج.
(٦) النجب: السخيّ، الكريم، الجواد.
(٧) النِّهي: الغدير. والكلم الصوادي: الكلمات العطشى. يريد أنه لا يحتج ولا يمثل بالكلام الذي لا يجدي.

حدّثنا أحمد بن عُبيد اللّه بن عَمار قال: أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن عِمْران الجُرْجانيّ - وليس بصاحب إسحاق الموصليّ؛ قال: وهو شيخ لَقِيتُه بجُرْجان - قال: حدّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزِيّ قال: سألتُ سفيان بن عُيَينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسيرُ قول النبيّ ﷺ: «**كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» وإنما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شيءٌ؟ فقال لي: أعرَفتَ حديث مالك بن الحارث: يقول الله جَلّ ثناؤه: «إذا شَغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين»، قلت: نعمْ! أنتَ حدَّثْتَنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أمَا علمتَ ما قال أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت حين خرج إلى ابن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه. قلت: لا أدري؟ قال: قال: [الوافر]

أأذكُرُ حاجَتِي أمْ قَدْ كَفانِي ... حَياؤكَ إنَّ شِيمَتَكَ الحَياءُ
إذا أَثْنى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْماً ... كَفاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

ثم قال سفيان: فهذا مخلوقٌ يُنْسَب إلى الجود فقيل له: يكفينا من مسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا، فكيف بالخالق!.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدّثني جَبَّار بن جابر قال: دخل أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت على عبد اللّه بن جُدْعان وهو يجود بنفسه؛ فقال له أُميَّةُ: كيف تَجِدُك أبا زُهَير؟ قال: إني لمُدَابِر (أي ذاهب). فقال أُميَّةُ: [مجزوء الكامل]

عَلِمَ ابْنُ جُدْعانَ بن عمـ ... ـرو أنَّهُ يَوْماً مُدَابِرْ
وَمُسافِرٌ سَفَراً بعيـ ... ـداً لا يَؤوبُ بِهِ المُسافِرْ
فَقُدُورُهُ بِفِنائِهِ ... لِلضَّيْفِ مُتْرَعَةٌ زَوَاخِرْ
تَبْدُو الكُسُورُ من انْضِرا ... جِ الغَلْيِ فيها وَالكَرَاكِرْ[1]
فَكَأَنَّهُنَّ بما حَمِيـ ... ـنَ وما شُحِنَّ بها ضَرَائِرْ
بَذَّ المَعَاشِرَ كُلَّها ... بِالفَضْلِ قَدْ عَلِمَ المَعاشِرْ

(١) الكسور: جمع كسر، وهو نصف العظم بما عليه من لحم. واندراج الغلي: اتساعه. والكراكر: جمع كركرة: صوت غليان الماء.

وَعــلا عُــلُــوَّ الــشَّــمْــسِ حَــتَّــى مــا يُــفَــاخِــرُهُ مُــفَــاخِــرْ
دانَــتْ لَــهُ أبْــنــاءُ فِــهْــرٍ مِــنْ بَــنــي كَــعْــبٍ وعــامِــرْ
أنْــتَ الــجَــوادُ ابْــنُ الــجَــوادِ بِــكُــمْ يُــنَــافِــرُ مَــنْ يُــنَــافِــرْ

[شعر ابن جدعان في ذمّ الخمر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفَش قال: حدّثنا أبو سَعيد السُّكَّريّ قال: أخبرني أبو عبد الرحمن الغَلاَبيّ عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال: ما مات أحد من كبراء قُرَيش في الجاهليّة إلاّ ترك الخمرَ استحياءً ممَّا فيها من الدَّنَس؛ ولقد عابَها ابن جُدْعانَ قبل موته فقال: [الوافر]

شَرِبْتُ الخَمْرَ حَتَّى قالَ قَوْمِي أَلَسْتَ عَنِ السَّفَاهِ بِمُسْتَفِيقِ
وَحَتَّى ما أُوسَّدُ فِي مَبِيتٍ أنامُ بِهِ سِوى التُّرْبِ السَّحِيقِ
وَحَتَّى أَغْلَقَ الحانوتُ رَهْنِي وَآنَسْتُ الهَوانَ مِنَ الصَّدِيقِ[1]

قال: وكان سببُ تركه الخمرَ أن أميَّةَ بن أبي الصَّلْت شرِب معه فأصبحت عين أميَّةَ مُخْضرَّةً يخاف عليها الذَّهاب. فقال له: ما بال عينِك؟ فسكت. فلما ألحَّ عليه قال له: أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ. فقال: أوبَلَغ منّي الشَّراب الذي أَبلُغ معه من جليسي هذا! لا جَرَمَ لأَدِينَّها لك دِيَتَيْن؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم، وقال: الخمر عليّ حرام أن أذوقها أبداً، وتركها من يومئذ.

صوت من المائة المختارة

[مجزوء الرمل]

قَــدْ لَــعَــمْــرِي بِــتُّ لَــيْــلِــي كــأخِــي الــدّاءِ الــوَجِــيــعِ
وَنَــجِــيُّ الــهَــمِّ مِــنِّــي بــاتَ أدْنَــى مِــنْ ضَــجِــيــعِــي
كُــلَّــمــا أبْــصَــرْتُ رَبْــعــاً خــالِــيــاً فــاضَــتْ دُمُــوعِــي
لا تَــلُــمْــنــا إنْ خَــشَــعْــنــا أوْ هَــمَــمْــنــا بــالــخُــشُــوعِ
إذْ فَــقَــدْنــا سَــيِّــداً كــا نَ لَــنــا غَــيْــرَ مُــضِــيــعِ

الشعر للأحوص. والغناء لسَلاَّمةِ القَسّ ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوَّل بالوسطى في مَجْراها. وقد قيل: إن الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إن الغناء لمعبد وإنها أخذتْه عنه.

---

(١) أغلق الرهن: استحقه.

ذكر سَلاَّمَةِ القَسّ وخبرها

[توفيت نحو ١٣٠هـ/نحو ٧٤٨م]

كانت سَلاَّمَةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت، وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبي السَّمْح وذَوِيهم فمهَرت. وإنما سمِّيت سَلاَّمَةَ القَسِّ لأن رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَمِيّ من قُرَّاء أهل مكة، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته، شُغِف بها وشُهِر، فغلَب عليها لقبُه. واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من اتُّهِم به الوليدُ من جواري أبيه حين قال له قَتَلَتهُ: نَنْقِمُ عليك أنك تَطَأ جواريَ أبيك. وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: كانت حَبَابةُ وسَلاَّمةُ القَسِّ من قِيَان أهلِ المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتَين ضاربتين؛ وكانت سَلاَّمةُ أحسنَهما غناءً، وحَبَابَةُ أحسنَهما وجهاً. وكانت سَلاَّمةُ تقول الشعر، وكانت حَبَابة تتعاطاه فلا تُحْسِن. وأخبرني بذلك المَدائنيّ عن جَرير.

وحدّثني الزُّبَيْريّ قال حدّثني مَنْ رأى سَلاَّمةَ قال: ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سَلاَّمةَ. وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ.

حدّثني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار وإسماعيل بن يونُس قالا: حدّثنا أبو زيد عمر بن شَبَّة قال: حدّثني المَدائنيّ قال: كانت حَبَابَةُ وسَلاَّمةُ قَيْنتين بالمدينة؛ أمَّا سَلاَّمةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابن قَيْس الرُّقَيَّات: [الطويل]

لَقَد فَتَنَتْ رَيًّا وَسَلاَّمَةُ القَسّا ... فَلَمْ تَتْرُكا لِلْقَسِّ عَقْلاً ولا نَفْسَا
فَتَاتَانِ أمَّا مِنْهُما فَشَبِيهةُ الـ ... هِلال وأُخْرَى مِنْهُما تُشْبِهُ الشَّمْسَا

وغَنَّاه مالكُ بن أبي السَّمْح. وفيها يقول ابن قيس الرُّقيَّات: [البسيط]

أُختانِ إحداهُما كالشَّمْسِ طالِعَةً   في يَوْمِ دَجْنٍ وأُخْرَى تُشْبِهُ القَمَرا

قال: وفُتِن القَسُّ بسَلاَّمة، وفيها يقول: [الوافر]

أهابُكِ أنْ أقُولَ بَذَلْتُ نَفْسِي   وَلَوْ أنّي أُطِيعُ القَلْبَ قالا
حَياءً منكِ حَتَّى سُلَّ جِسْمِي   وَشَقَّ عَلَيَّ كِتْمانِي وطالا

[سبب حبّ القس لها وافتتانه بها]

قال: والقَسّ هو عبد الرحمن بن أبي عَمَّار من بني جُشَم بن معاوية، وكان منزلُه بمكة. وكان سببُ افتتانه بها فيما حدّثني خَلاَّد الأرْقَط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القَسُّ من أَعْبَد أهل مكة، وكان يُشَبَّه بعَطَاء بن أبي رَبَاح، وأنَّه سمع غناءَ سَلاَّمة القَسِّ على غير تعمُّد منه لذلك. فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ؛ فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أُخرِجَها إليك أو تدخلَ فتسمع! فأبى. فقال مولاها: أنا أُقْعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءها فأعجبه. فقال له: هل لك في أن أُخرجها إليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنَّت فشُغِف بها وشُغِفت به، وعرَف ذلك أهلُ مكة. فقالت له يوماً: أنا والله أُحبُّك. قالت: وأنا والله أُحِبُّك. قالت: وأُحِبُّ أن أضَعَ فمي على فمك. قال: وأنا والله أُحِبّ ذاك. قالت: فما يمنعك! فواللَّه إنّ الموضع لخالٍ. قال: إنِّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾[1] وأنا أكره أن تكون خُلَّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك؛ وقال من فَوْره فيها:

[الكامل]

إنَّ الَّتِي طَرَقَتْكَ بَيْنَ رَكائِبِ   تَمْشِي بِمِزْهَرِها وأنتَ حَرَامُ
لَتَصِيدُ قَلْبَكَ أوْ جَزاءَ مَوَدَّةٍ   إنَّ الرَّفِيقَ لَهُ عَلَيْكَ ذِمامُ
باتَتْ تُعَلِّلُنا وَتَحْسَبُ أنَّنا   في ذاكَ أيْقاظٌ وَنَحْنُ نِيامُ
حتَّى إذا سَطَعَ الضِّياءُ لِنَاظِرٍ   فإذا وَذلِكَ بَيْنَنا أحْلامُ
قَدْ كُنْتُ أعذِلُ في السَّفاهَةِ أهْلَها   فاعْجَبْ لِما تأتي بهِ الأيّامُ
فاليَوْمَ أعذِرُهُمْ وَأعْلَمُ أنَّما   سُبُلُ الضَّلالَةِ والهُدَى أقْسامُ

---

(١) سورة الزخرف. الآية ٦٧.

ومن قوله فيها: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَهـا لا يُـبْـعِـدِ الله دارَهـا إذا رَجَّعَتْ في صَوْتِها كيفَ تَصْنَعُ
تَـمُـدُّ نِـظـامَ الـقَـوْلِ ثُـمَّ تَـرُدُّه إلى صَلْصَلٍ في صَوْتِها يَتَرَجَّعُ

وفيها يقول: [الطويل]

أَلاَ قُلْ لِهٰذا القَلْبِ هَلْ أَنْتَ مُبْصِرُ وَهَلْ أَنْتَ عَنْ سَلاَّمَةَ اليَوْمَ مُقْصِرُ
أَلا لَيْتَ أَنّي حِينَ صَارَتْ بِها النَّوَى جَلِيسٌ لِسَلْمَى كلَّما عَجَّ مِزْهَرُ[1]

وقال في قصيدةٍ له: [البسيط]

سلاَّمُ وَيْحَكِ هَلْ تُحِبِّينَ مَنْ ماتا أوْ تَرْجعينَ على المَحْزُونِ ما فاتا

وقال أيضاً: [السريع]

سَلاَّمُ هَلْ لِي مِنْكُمُ ناصِرُ أَمْ هَلْ لِقَلْبِي عَنْكُمُ زَاجِرُ
قد سمِعَ الناسُ بوجدي بكم فمنهمُ اللاَّئمُ والعاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

[من أخبار سلامة وأختها ريّا]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال: حدّثني الجُمحيّ قال: كانت سلاَّمة ورَيَّا أُختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً. فاجتمع الأحْوص وابن قَيْس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات: إنِّي أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ؛ فإن أنتما غنَّيتماني بذلك وإلاَّ هجوتكما ولا أقرَبكما. قالتا: فما قلتَ؟ قال: قلتُ: [الطويل]

لَقَدْ فَتَنَتْ رَيَّا وَسَلاَّمَةُ القَسَّا فَلَمْ تَتْرُكا لِلْقَسِّ عَقْلاً ولا نَفْسا
فَتاتانِ أمَّا مِنْهُما فَشَبِيهَةُ الـ هِلالِ وَأُخْرَى مِنْهُما تُشْبِهُ الشَّمْسا
تَكُنَّانِ أَبْشاراً رِقاقاً وَأَوْجُهاً عِتَاقاً وأَطْرافاً مُخَضَّبَةً مُلْسا[2]

فغنَّته سَلاَّمة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال: قلت:

(١) عَجَّ: رفع صوته صائحاً.
(٢) الأوجه العتاق: الجميلة.

صوت

[الكامل]

أَسَلامُ هَلْ لِمُتَيَّمٍ تَنْوِيلُ ... أمْ هَلْ صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غُولُ
لا تَصْرِفِي عَنِّي دَلالَكِ إنَّهُ ... حَسَنٌ لَدَيَّ وإنْ بَخِلْتِ جَمِيلُ
أَزَعَمْتِ أنَّ صَبابَتِي أُكْذُوبَةٌ ... يَوماً وَأَنَّ زِيارَتِي تَعْلِيلُ

ـ الغناء لسَلاَّمةِ القَسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحَمَّاد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوّله استهلال عن الهشاميّ ـ فغنَّت الأبياتَ. فقال ابن قيس الرُّقَيَّات: يا سلاَّمة! أحسنتِ والله! وأظنُّكِ عاشقة لهذا الحَلَقِيّ! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجكَ إلى هذا؟ قال: حُسْنُ غنائها بشعرك، فلولا أنّ لك في قلبها محبَّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قَدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به، وما هذا منك إلاّ حسد، ونُبَيِّن لك الآن ما حسدتَ عليه. فقالت سَلاَّمة: لولا أنّ الدخول بينكما يُوجب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال ابن قيس الرقيّات: كلاَّ! قد أمِنتَ أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرَأْيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم عليه أنت؛ وتفرَّقا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه، فأذِن له وسلَّم عليه واعتذر. ومما قاله الأحوص في سَلاَّمةِ القَسّ وغُنّي به:

صوت

[الكامل]

أَسَلامُ إنَّكِ قَدْ مَلَكْتِ فأَسْجِحِي ... قَدْ يَمْلِكُ الحُرُّ الكَرِيمُ فيُسْجِحُ[1]
مُنِّي عَلَى عانٍ أَطَلْتِ عَناءَه ... فِي الغُلِّ عِنْدَكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ
إنِّي لأَنْصَحُكُمْ وَأعْلَمُ أنَّهُ ... سِيَّانِ عِنْدَكِ من يَغُشُّ وَيَنْصَحُ
وإذا شَكَوْتُ إلى سَلاَمَةَ حُبَّها ... قالَتْ أجِدٌّ مِنْكَ ذَا أمْ تَمْزَحُ[2]

الشعر للأحوص. والغناء لابن مِسْجَح في الأوَّل والثاني ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى

---

(١) أسجحي: أحسني العفو؛ تكرمي.

(٢) الأرقام: جمع رَقْم، وهو ثوب مخطط من الوشي أو الخز. وفي هذا البيت إقواء.

عن عمرو. ولدَحْمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوَّل بالبنصر فيه استهلال. وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال إنه لمالك؛ ويقال إنه لسَلاَّمةِ القَسّ.

أخبرني الحسين عن حَمَّاد عن أبيه قال، قال أيوب بن عَبَاية: كان عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أبي عمَّار من بني جُشَمَ بن معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عُبَّاد مكة، يسمَّى القَسّ لعبادته؛ وكانت سَلاَّمة بمكة لسُهَيْل، وكان يدخل عليها الشعراء فينشدونها وتُنشدهم وتغنِّي مَنْ أَحَبّ الغناء؛ ففُتن بها عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أبي عَمَّار القَسّ؛ فشاع ذاك وظهر، فسُمِّيت سَلاَّمَةَ القَسِّ بذلك.

قال إسحاق وحدّثني أيوب بن عَبَاية قال: سألها عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أبي عَمَّار القَسّ أن تغنِّيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ، وهو: [الكامل]

مـا بـالُ قَـلْـبِـكَ لا يَـزالُ يُـهِـيـمُـهُ ... ذِكَـرُ عَـوَاقِـبُ غَـيِّـهِـنَّ سَـقَـامُ
إنّ الَّـتِـي طَـرَقَـتْـكَ بَـيْـنَ ركـائِـبٍ ... تَـمْـشِي بِـمِـزْهَـرِهـا وأنْـتَ حَـرَامُ
لَـتَـصِـيـدُ قَـلْـبَـكَ أوْ جَـزاءَ مَـودَّةٍ ... إنَّ الـرَّفِـيـقَ لَـهُ عَـلَـيْـكَ ذِمـامُ
بـاتَـتْ تُـعَـلِّـلُـنـا وَتَـحْـسَـبُ أنّـنـا ... فـي ذاكَ أيْـقـاظٌ وَنَـحْـنُ نِـيـامُ
حَـتَّـى إذا سَـطَـعَ الـصَّـبـاحُ لِـنـاظِـرٍ ... فـإذا وَذلِـكَ بَـيْـنَـنـا أحْـلامُ
قد كُـنْـتُ أعـذِلُ في السَّـفـاهَـةِ أهْـلَـهـا ... فـاعْـجَـبْ لِـمَـا تـأتـي بـه الأيّـامُ
فَـالـيَـوْمَ أعْـذِرُهُـمْ وَأعْـلَـمُ أنّـمـا ... سُـبُـلُ الـغَـوايَـةِ والـهُـدَى أقْـسـامُ

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال: حدّثني جرير قال: لمَّا قدم يزيد بن عبد الملك مكةَ وأراد شراءَ سَلاَّمةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه، أمرَها أن تغنِّيه؛ فكان أوَّل صوت غنَّته: [الكامل]

إنَّ الَّـتـي طَـرَقَـتْـكَ بَـيْـنَ رَكـائِـبٍ ... تَـمْـشِي بـمِـزْهَـرِهـا وأنـتَ حـرامُ
وَالبِيضُ تَمْشِي كـالبُدُورِ وكـالدُّمَى ... ونَـوَاعِـمٌ يَـمْـشِـيـنَ فـي الأرْقـام[١]
لَـتَـصِـيـدُ قَـلْـبَـك أوْ جَـزاءَ مَـوَدَّةٍ ... إنَّ الـرَّفِـيـقَ لَـهُ عَـلَـيْـكَ ذِمـامُ[٢]

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أوَّلَ صوت غنَّته لمَّا اشتراها: [الطويل]

ألاَ قُلْ لِهٰذا القَلْب هَلْ أنْتَ مُبْصِرُ ... وَهَلْ أنْتَ عَنْ سَلاَّمَةَ اليَوْمَ مُقْصِرُ

(١) الأرقام: جمع رَقْم، وهو ثوب مخطط من الوشي أو الخز. وفي هذا البيت إقواء.

أَلاَ لَيْتَ أنّي حِينَ صارَ بها النَّوَى جَلِيسٌ لِسَلْمَى حَيْثُ ما عَجَّ مِزْهَرُ
وَإنّي إذا ما المَوْتُ زالَ بِنَفْسِها يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَها حِينَ تُقْبَرُ
إذا أخَذَتْ في الصَّوْتِ كادَ جَلِيسُها يَطِيرُ إلَيْها قَلْبُهُ حِينَ يَنْظُرُ
كأنَّ حَمَاماً راعِبِيّاً مُؤَدِّياً إذا نَطَقَتْ مِنْ صَدْرِها يَتَغَشْمَرُ[1]

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، مَنْ قائلُ هذا الشعر؟ فقصَّتْ عليه القصَّة، فرَقَّ له وقال: أحسنَ وأحسنتِ!.

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال: لمَّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سَلاَّمة، وكان الأحوصُ مُعْجَباً بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها؛ فلما أراد يزيد الرِّحْلة، قال أبياتاً وبعث بها إلى سَلاَّمةَ. فلما جاءها الشعر غَنَّتْ به يزيدَ وأخبرتْه الخبر، وهو:

صوت

عاوَدَ القَلْبَ مِنْ سَلاَمَةَ نَصْبُ فَلِعَيْنَيَّ مِنْ جَوَى الحُبِّ غَرْبُ[2]
وَلَقَدْ قُلْتُ أيُّها القَلْبُ ذُو الشَّوْ قِ، الَّذِي لا يُحِبُّ حُبَّكَ حِبُّ
إنَّهُ قَدْ دَنا فِراقُ سُلَيْمَى وَغَدَا مَطْلَبٌ عَنِ الوَصْلِ صَعْبُ

غنَّاه ابن مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن مِسْجح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن عَبَّاد وعَلّويه رَمَلان. وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ. هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ. وذكر حَبشٌ أنّ لسَلاَّمةِ القَسّ فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

قال إسحاق وحدّثني أيّوب بن عَبَايةَ قال: كانت سلاَّمة وريَّا لرجل واحد، وكانت حَبَابة لرجل، وكانت المقدَّمة منهنّ سَلاَّمةَ، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، فكانت حَبَابةُ تنظر إلى سَلاَّمةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها. فلمَّا رأت أُثْرتها عند يزيد ومحبَّةَ يزيد لها استخفَّتْ بها. فقالت لها سَلاَّمةُ: أيْ أُخَيَّة! نَسِيت لي فضلي عليك! ويلك! أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً وهي تُطارحنا وهي تقول لك: خُذي إحكام ما أُطارحكِ من

(١) يتغشمر: يصوّت.
(٢) النصب: الداء، البلاء. والغرب: الدمع.

أُختكِ سَلاَّمةَ، ولن تَزالِي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفاً!. قالت: صَدَقتِ خليلتي! والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حَبَابةُ وعاشت سَلاَّمة بعدها دهراً.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال: حدّثني عمِّي مُصْعَب عن عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزَاميّ الأكبر قال: لمَّا قدِم عثمانُ بن حَيَّانَ المُرِّي المدينةَ والياً عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس: إنَّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصْلِح فطَهِّرها من الغِناء والزِّنى. فصاح في ذلك وأجَّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أبي عَتِيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعَفاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلة من الأَجَل قَدِم فقال: لا أدخُل منزلِي حتى أدخلَ على سَلاَّمةِ القَسّ. فدخل عليها فقال: ما دخلتُ منزلي حتَّى جئتُكم أُسَلِّم عليكم. قالوا: ما أغفلَكَ عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال: آصبروا عليّ الليلةَ. فقالوا: نخاف ألاَّ يُمْكِنكَ شيءٌ ونُنْكَظَ[1]. قال: إن خفتم شيئاً فاخرجُوا في السَّحَر. ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حَيَّان فأذِن له، فسلَّم عليه وذكر له غَيْبَته وأنه جاءه ليقضي حَقَّه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنى، وقال: أرجو ألاَّ تكون عَمِلتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك. فقال: قد أصبتَ، ولكن ما تقول ـ أمتع الله بك ـ في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكْرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصلاة والصيام والخير، وأتى رسولُها إليك تقول: أتوجَّه إليك وأعوذ بك أن تُخْرِجَني من جوار رسول اللهﷺ ومسجده؟ قال: فإنِّي أَدَعُها لك ولكلامِك. قال ابن أبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإنْ رأيتَ أن مثلَها ينبغي أن يُتْرَكَ تركتها؛ قال: نعم. فجاءه بها وقال لها: اجعلي معك سُبْحةً وتَخَشَّعي ففعلتْ. فلمَّا دخلتْ على عثمان حدَّثته، وإذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجبَ بها، وحدَّثته عن آبائه وأمورهم ففَكه لذلك. فقال لها ابنَ أبي عتيق: اقرَئِي للأمير فقرأتْ له؛ فقال لها: احْدِي[2] له ففعلتْ، فكَثُر تَعَجُّبه. فقال: كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها! فلم يزلْ يُنْزله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغِناء. فقال لها ابن أبي عَتيق: غَنِّي، فغنَّتْ:

---

(١) أنكظه: أعجله. ونُنكَظ: نُعْجَل.

(٢) الحداء: ضرب من الغناء للإبل تسرع إذا سمعته.

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لمَّا دخَلْنَهُ بِكُلِّ لَبَانٍ واضِحٍ وَجَبِينِ[١]

فغنَّته؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال: لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج!. قال ابن أبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، يقولون: أَقَرَّ سلاَّمة وأخرج غيرَها. قال: فدَعُوهم جميعاً؛ فتركوهم جميعاً.

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي فَرْوة قال: قَدِمتْ رسلُ يزيدَ بن عبد الملك المدينةَ فاشْتَرَوْا سلاَّمةَ المغنِّية من آل رمّانَةَ بعشرين ألفَ دينار. فلما خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا إلى الرُّسُل أن يتركوها عندهم أيّاماً ليجهِّزوها بما يُشبِهها من حُلِيّ وثيابٍ وطيب وصِبْغ. فقالت لهم الرسل: هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه، وأمروها بالرَّحيل. فخرجتْ حتى نزلتْ سقَاية سليمانَ بن عبد الملك وشيَّعها الخَلْق من أهل المدينة. فلما بلغوا السِّقاية قالت للرسل: قومٌ كانوا يَغْشَوْنَنِي ويسلِّمون عليّ، ولا بدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم، فأُذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملأوا رحبةَ القصر ووراءَ ذلك؛ فوقفتْ بينهم ومعها العُود، فغنَّتْهم: [الخفيف]

فـارَقُـونـي وَقَـدْ عَـلِـمْـتُ يَـقِـيـنـاً مـا لِـمَـنْ ذاقَ مِـيـتَـةً مِـن إيـابِ
إنَّ أهْـلَ الـحِـصَـابِ قَـدْ تَـرَكُـونـي مُـولَـعـاً مُـوزَعـاً بـأَهْـلِ الـحِـصَـابِ[٢]
أهْـلُ بَـيْـتٍ تَـتَـايَـعُـوا لِـلْـمَـنـايـا ما عَلى الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ مِن عِتابِ[٣]
سَـكَـنُـوا الـجِـزْعَ جِـزْعَ بَـيْـتِ أبي مُـو سَى إلى النَّخلِ مِنْ صُفِيِّ السِّبَابِ[٤]
كَـمْ بِـذاكَ الـحَـجُـونِ مِـنْ حَـيِّ صِـدْقٍ وَكُـهُـولٍ أعِـفَّـةٍ وَشَـبـابِ[٥]

قال عيسى: وكنتُ في الناس، فلم تزلْ تُردِّد هذاالصوت حتى راحت؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها، فما شئتُ أن أرى باكياً إلاَّ رأيتُه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: وَجَّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدوم عليه، وكان الغَرِيض معه، فقال له: اخرُجْ معي حتى آخُذ

(١) الخصاص: الخروق، الفروج. واللبان: الصدر.
(٢) الحصاب: موضع رمي الجمار بمنى.
(٣) تتايعوا للمنايا: تسارعوا، تهافتوا.
(٤) صفي السِّباب: موضع بمكة. (معجم البلدان ٣/ ٤١٥).
(٥) الحجون: جبل بمكة. (معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

لك جائزة أمير المؤمنين وتغنِّيه؛ فإني لا أحمِل إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك، فخرجا. فلمَّا قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به. فأنشده مدائحَ فاستحسنها، وخرج من عنده؛ فبعثتْ إليه سَلاَّمةُ جاريةُ يَزيدَ بلَطَف[1]. فأرسل إليها: إن الغريض عندي قَدِمتُ به هديَّةً إليك. فلمَّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الغَريض وإلى الاستماع منه. فلمَّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص: إذا دعاك أميرُ المؤمنين فاحْتَلْ له في أنْ تذكر له الغَريض. فلما دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد: وَيْحَك يا أحوص! هل سَمِعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرِفنا به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره؛ فوقفتُ حتى استقصَيْتُ خبرَه، فإذا هو الغريض، وإذا هو يغنِّي بأحسن صوتٍ وأشجاه: [الوافر]

أَلاَ هـاجَ التَّـذَكُّـرُ لِـي سَـقَـامَـا ... وَنُـكْـسَ الـدّاءِ والـوَجَـعَ الـغَـرَامـا[2]
سَـلاَمَـةُ إنَّـهـا هَـمِّـي وَدائِـي ... وَشَـرُّ الـدّاءِ مـا بَـطَـنَ الـعِـظَـامـا
فَـقُـلْـتُ لـه وَدَمْـعُ الـعَـيْـنِ يَـجْـرِي ... عـلـى الـخَـدَّيْـنِ أَرْبَـعَـةً سِـجَـامـا[3]
عَـلَـيْـكَ لـهـا الـسَّـلامُ فَـمَـنْ لِـصَـبٍّ ... يَـبِـيـتُ الـلَّـيْـلَ يَـهْـذِي مُـسْـتَـهـامـا

قال يزيد: وَيْلَك يا أحوص! أنا ذاك في هَوَى خليلتي؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتَّفق، وإنّ ذاك لمما يزيد لها في قلبي. فما صنعتَ يا أحوصُ حين سمعت ذاك؟ قال: سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألني عما رأيتُ في طريقي. فقال له يزيد: ائتِني بالغريض ليلاً وأَخْفِ أمرَه. فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سَلاَّمةَ بالخبر. فقالت للرسول: قل له جُزيتَ خيراً، قد انتهى إليَّ كلُّ ما قلتَ، وقد تَلَطَّفتَ وأحسنتَ. فلمَّا وارى الليلُ أهلَه بعث إلى الأحوص أن عَجِّل المجيءَ إليَّ مع ضيفك. فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه. فقال: غَنِّني الصوت الذي أخبرني الأحوصُ أنه سمِعه منك ـ وكان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبر؛ وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سَلاَّمةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه ـ فقال: غنني الصوتَ الذي أخبرني الأحوصُ. فلما غنَّاه

(١) اللَّطَف: الهدية، وجمعها ألطاف.
(٢) الوجع الغرام: الشديد، الملازم.
(٣) الأربعة السجام: اللحاظان، والموقان.

الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال: وَيْحَكَ! هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟ قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلتْ. فقيل ليزيد: قد جاءت؛ فضُرب لها حجابٌ فجلستْ، وأعاد عليه الغريضُ الصوت؛ فقالت: أحسَنَ والله يا أمير المؤمنين، فاسمَعْه منِّي؛ فأخذت العودَ فضربته وغنَّت الصوتَ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً، وقال: يا أحوصُ، إنَّك لَمُبارَك! يا غريض غَنِّني في ليلتي هذا الصوتَ؛ فلم يَزَلْ يغنِّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يصبح الغريضُ في شيء من دِمَشق. فارتحل الغريض من ليلته، وأقام الأحوص بعده أيَّاماً ثم لَحِق به؛ وبعثت سَلاَّمةُ إليهما بكسوة ولَطَف كثير.

[رثاؤها يزيد بن عبد الملك ونوحها عليه]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللّه بن عَمَّار قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوفَليّ قال: حدّثني رجل من أهلي من بني نَوْفَل قال: قَدِمتُ في جماعة من قريش على يزيدَ بن عبد الملك، فألفَيْناه في عِلّته التي مات فيها بعد وفاة حَبَابة، فنزلْنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد، فكنَّا إذا أصبحْنا بعثْنا بمولًى لنا يأتينا بخبره، وربما أتينا البابَ فسألْنا؛ فكان يَثْقُل في كلّ يوم. فإنَّا لفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك، ثم سَمِعْنا صوتَ سَلاَّمِة القَسّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول: [مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنا إنْ خَشَعْنا ... أوْ هَمَمْنا بخُشُوع
قَدْ لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي ... كأخِي الدّاءِ الوَجِيعِ
كُلَّما أبْصَرْتُ رَبْعاً ... خالِياً فاضَتْ دُمُوعِي
قَدْ خَلا مِنْ سَيِّدٍ كا ... نَ لَنا غَيْرِ مُضِيعِ

ثم صاحت وَا أميرَ المؤمنين! فعلِمنا وفاتَه، فأصبحنا فغدَوْنا في جنازته.

أخبرني الحَرَمِيّ قال: حدّثنا الزّبير قال: حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس عن أبيه قال: قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أشتَري سَلاَّمةَ جاريةَ مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْرِيّ وحَبَابةَ جاريةَ آل لاحِقٍ المكيَّة؛ فأرسل فاشتُريتا له. فلمَّا اجتمعتا عنده قال: أنَا الآن كما قال الشاعر: [الطويل]

فألْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بها النَّوَى ... كَما قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المُسافِرُ

فلمَّا تُوُفِّي يزيد رثته سَلاَّمةُ فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تَـلُـمْـنـا إنْ خَـشَـعْـنـا أوْ هَـمَـمْـنـا بِـخُـشُـوعِ
إذ فَـقَـدْنـا سَـيِّـداً كـا نَ لـنـا غَـيْـرَ مُـضِـيـعِ
وَهْـوَ كـالـلَّـيْـثِ إذا مـا عُـدَّ أصْـحـابُ الـدُّرُوعِ
يَـقْـنِـصُ الأبْـطـالَ ضَـرْبـاً فـي مُـضِـيٍّ وَرُجُـوعِ

أخبرنا الحسين بن يحيى قال: حدّثنا الزّبَير والمدائنيّ أن سَلاَّمةَ كانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن بن عَوْف، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك، وكانت مغنِّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر، فما رأيتُ خِصالاً أربعاً[1] اجتمعنَ في امرأةٍ مثلها: حُسْن وجهها وحسن غنائها وحسن شِعْرها. قال: والشعر الذي كانت تغنِّي به: [مجزوء الرمل]

لا تَـلُـمْـنـا إنْ خَـشَـعْـنـا أوْ هَـمَـمْـنـا بِـخُـشُـوعِ
لِـلَّـذي حَـلَّ بِـنـا الـيَـوْ مَ مِـنَ الأمْـرِ الـفَـظِـيـعِ

وذكر باقيَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه.

قال إسحاق وحدّثني الجُمَحيّ قال: حدّثنا مَنْ رأى سَلاَّمة تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرْثِيَةٍ رثته بها، فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك ولا أشْجَى؛ ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت[2] الأسماعَ، وهي: [مجزوء الكامل]

يـا صـاحِـبَ الـقَـبْـرِ الـغَـريـبِ بـالـشّـام فـي طَـرَفِ الـكَـثِـيـبِ
بِـالـشّـامِ بَـيْـنَ صـفـائِـحٍ صُـمٍّ تُـرَصَّـفُ بـالـجَـبُـوبِ[3]
لَـمَّـا سَـمِـعْـتُ أنِـيـنَـهُ وَبُـكـاءَهُ عِـنْـدَ الـمَـغِـيـبِ
أقْـبَـلْـتُ أطْـلُـبُ طِـبَّـهُ وَالـدَّاءُ يُـعْـضِـلُ بـالـطَّـبِـيـبِ

الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشام بسبب اِمرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبّها، فلما فقَدها مرض بالشام وضَنِيَ فمات ودُفن بها. كذا ذكر ابن الكلبيّ، وخبره يُكْتَب عَقِبَ أخبار سَلاَّمةِ القَسّ. والغناء لسَلاَّمةَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش. وفيه لحَكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحن لابن غَزْوان الدِّمَشْقيّ من كتاب ابن خُرْدَاذْبه غيرُ مجنَّس.

---

(١) ذكر أربعاً وعدّد ثلاثاً.
(٢) أفتنت: فتنت.
(٣) الجبوب: التراب.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني الجُمَحيّ قال: حدّثني مَنْ حضر الوليد بن يزيد وهو يسأل سَلاَّمة أن تغنّيَه شعرَها في يزيد وهي تتنغَّصُ من ذلك وتدمَع عيناها؛ فأقسم عليها فغنّتْه؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك. فقال لها الوليد: رحم الله أبي وأطال عمري وأمْتعني بحسن غنائك يا سلاَّمة! بِمَ كان أبي يقدِّم عليكِ حَبَابة؟ قالت: لا أدري والله! قال لها: لكنّني والله أدْرِي! ذلك بما قسَم الله لها. قالت: يا سيِّدي أجَلْ.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني عبد اللّه بن عبد الملك الهَدَادِيّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر:

قَدْ لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي كَأخِي الدَّاءِ الوَجِيعِ
وَنَجِيُّ الهَمِّ مِنِّي بَاتَ أدْنَى مِنْ ضُلُوعِي
كُلَّمَا أبصرتُ رَبْعاً دارساً فاضتْ دموعي
مُقْفِراً مِنْ سَيِّدٍ كانَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ

والشعر للأحوص. والنَّوْح لمعبد؛ وكان صنَعه لسَلاَّمةَ وناحت به سَلاَّمةُ على يزيد. فلما سمعتُه منها استحسنتُه واشتهيتُه ولَهِجتُ به، فكنتُ أترنَّم به كثيراً. فسمع ذلك منِّي أبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعرٌ قاله الأحوصُ وصنَعه معبدٌ لسَلاَّمةَ وناحت به سَلاَّمةُ على يزيد. ثم ضرب الدهر؛ فلما مات الرشيد إذا رسولُ أمِّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسِرتُ إليها؛ فبعثتْ إليّ: إني قد جمعتُ بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه؛ فقل الساعة أبياتاً رقيقةً واصنَعْهن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهن. فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إليَّ تَحُثُّني، فذكرتُ هذا النَّوْحَ فأرَيْتُ أنّي أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضَرني القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ؛ فبعثتْ إليَّ بكُنَيزَةَ وقالت: طَارِحْها حتى تُطَارحَنِيه. فأخذتْ كُنَيزةُ العود وردَّدْتُه عليها حتى أخذتْه، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر؛ فبعثتْ إليَّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[الطويل]

لَقَدْ فَتَنَتْ رَيَّا وسَلاَّمةُ القَسّا ... فَلَمْ تَتْرُكا لِلْقَسِّ عَقْلاً ولا نَفْسا
فَتاتانِ أمَّا مِنْهُما فَشَبِيهَةُ الـ ... هِلالِ وأُخْرَى مِنْهُما تُشْبِهُ الشَّمْسا

الشعر لعبد اللّه بن قَيْس الرُّقيَّات. والغناءُ لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوَّل عن الهِشاميّ. وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحُنَين الحِيري. وقيل: إنّ الثقيلَ الأوَّل لدَحْمان.

ومنها الشعرُ الذي أوّلُه:

أهابُكِ أن أقُولَ بَذَلْتُ نَفْسِي

صوت

[الوافر]

أَأَثْلَةُ جَرَّ جِيرَتُكِ الزِّيالا ... وَعادَ ضَمِيرُ وُدِّكُمُ خَبالا[1]
فَإنّي مُسْتَقِيلُكِ أثْلُ لُبِّي ... وَلُبُّ المَرْءِ أفضلُ ما اسْتَقالا
أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ... ولو أنّي أطيعُ القَلْبَ قالا
حياءً مِنْكِ حتى سُلَّ جِسْمِي ... وشَقّ عليَّ كِتْمانِي وطالا

الشعر للقَسّ. والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوَّل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوَّل بالوسطى، أوّله:

أَهابُكِ أنْ أقُولَ بَذَلْتُ نَفْسِي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حدّثنا بَكّار بن رَبَاح قال:

كان عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أبي عَمَّار من بني جُشَمَ بن معاوية، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنَّةٌ من صَفوانَ بن أمَيَّة، وكان ينزل مكّةَ، وكان من عُبَّاد أهلها، فسُمِّي القَسَّ من عِبادته. فمرَّ ذاتَ يومٍ بسَلاَّمةَ وهي تغنّي فوقف فتسمَّع غناءها. فرآه

---

(١) الزيال: الفراق. وجرّ جيرتك الزيال: سبّبوه.

مولاها فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمعَ منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أُقْعِدك في مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها. فقال: أمَّا هذا فنَعَمْ. فأدخله دارَه وأجلسه حيث يسمع غناءها؛ ثم أمرها فخرجت إليه. فلمَّا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها، واشتَهَر وشاع خبرُه بالمدينة. قال: وجعل يتردَّد إلى منزل مولاها مدَّةً طويلةً. ثم إنّ مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخَلَّفه مقيماً عندها؛ فقالت له: أنا واللَّه أحِبُّك! فقال لها: وأنا والله الذي لا إله إلا هو. قالت: وأنا والله أشتهي أن أعانِقَك وأُقَبِّلَك! قال: وأنا والله. قالت: وأشتهي والله أن أضاجِعَك وأجعلَ بطني على بطنك وصَدْري على صدرك! قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فواللَّه إنّ المكان لخالٍ!. قال: يمنعني منه قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فأكره أن تَحُولَ مودَّتي لك عداوةً يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؛ فما عاد إليها بعد ذلك.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة عن المدائنيّ قال: لما مَلَكَ يزيدُ بن عبد الملك حَبَابةَ وسلاَّمةَ القَسّ تمثَّل: [الطويل]

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النَّوَى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

ثم قال: ما شاء بعد من أمر الدنيا فليَفُتْني.

صوت

من المائة المختارة

[الطويل]

وإنّي لَيُرْضِيني قَليلُ نَوالِكُمْ وَإنْ كُنْتُ لا أرْضَى لَكُمْ بِقَليلِ
بِحُرْمَةِ ما قَدْ كانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الوَصْلِ إلاَّ عُدْتُمُ بِجَميلِ

الشعر للعبَّاس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفَزَاريّ. ولحنه المختار من الرَّمَل بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثاني ثم الأوّل، ينسب إلى حَكَم الوادي وإلى سليمانَ أيضاً. وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال: إنه لمُخَارِق، ذكر حَبَش أنّ لحن مُخَارِق ثاني ثقيلٍ.

أخبار العَبّاس بن الأحنف ونسبه

[توفي ١٩٢هـ / ٨٠٨م]

[اسمه ونسبه]

هو ـ فيما ذكر ابن النَّطاح ـ العبَّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن طَلْحَةَ بن جَدَّانَ بن كَلَدَةَ من بني عَدِيٍّ بن حَنِيفةَ.

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعتُ إبراهيم بن العبَّاس يقول: العبَّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن قُدَامةَ بن هِمْيَانَ من بني هَفان بن الحارث بن الذُّهْل بن الدُّول بن حَنيفة. قال: وكان حاجبُ بن قُدَامة عمُّ العبَّاس من رجال الدَّولة.

قال محمد بن يحيى وحدّثني أبو عبد اللَّه الكِنْدِيّ قال: حدّثني محمد بن بكر الحَنَفِيّ الشاعر قال: حدّثني أبي قال: سمعت العبَّاس بن الأحنف يذكر أنّ هَوْذَةَ بن عليّ الحنفيّ[1] قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته.

[العباس شاعر الغزل]

وكان العبَّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً مطبوعاً، من شعراء الدَّولة العبَّاسيَّة، وله مذهبٌ حسنٌ، ولديباجةِ شعره رَوْنَقٌ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْف. ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرَّف في شيء من هذه المعاني. وقدَّمه أبو العباس المبرّد في كتاب الرَّوْضة على نظرائه، وأطنبَ في وصفه، وقال: رأيتُ

(١) هوذة بن علي الحنفي: شاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام وفي عهد رسول اللهﷺ توفي سنة ثمان للهجرة.

جماعةً من الرُّواة للشعر يقدِّمونه. قال: وكان العبَّاس من الظّرفاء، ولم يكن من الخُلَعاء؛ وكان غَزِلاً ولم يكن فاسقاً؛ وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيّ المَذْهبِ شديدَ التَّرُّف(١)، وذلك بَيِّنٌ في شعره. وكان قصدُه الغَزَل وشغلُه النسيب، وكان حلواً مقبولاً غَزِلاً غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغَزَل وحده، ولم يكن هَجَّاءً ولا مَدَّاحاً.

[رأي النقاد وعلماء اللغة في شعره وبعض أخباره وشعره]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا أبو ذَكوان قال: سمعتُ إبراهيم بن العبَّاس يصف العبَّاس بن الأحنف، فقال: كان والله ممَّن إذا تكلَّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللِّسان، لو شئتَ أن تقول كلامُه كله شعرٌ لقلتَ.

حدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثني عُبيد اللّه بن عبد الله بن طاهر قال: رأيت نُسَخاً من شعر العبَّاس بن الأحنف بخُراسان، وكان عليها مكتوب: «شعرُ الأمير أبي الفضل العبَّاس».

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: حدّثني صالح بن عبد الوهَّاب: أنّ العبَّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان، ومنشؤه ببغداد؛ ولم تزل العلماء تقدِّمه على كثير من المُحْدَثين، ولا تزال قد تَرَى له الشيء البارعَ جِدّاً حتى تُلْحِقه بالمحسِنين.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا يَمُوت بن المُزَرَّع قال: سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول: لولا أنّ العبَّاس بن الأحنف أحذقُ الناسِ وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه؛ لأنه لا يهجو ولا يمدَح ولا يتكسَّب ولا يتصرّف؛ وما نعلم شاعراً لَزِم فنّاً واحداً لزومَه فأحسنَ فيه وأكثر.

حدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن خَلاَّد قال: أنشد الحِرْمَازِيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبَّاس بن الأحنف:

(١) التترّف: التنعم.

صوت

[الخفيف]

لا جَزى اللَّهُ دَمْعَ عَيْنِيَ خَيْراً | وَجَزَى اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ لِساني
نَمَّ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ شَيْئاً | وَرَأَيْتُ اللِّسانَ ذا كِتْمانِ
كُنْتُ مِثْلَ الكِتابِ أَخْفاهُ طَيٌّ | فاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بالعُنْوانِ

ـ الغناء لعَرِيبَ رَمَلٌ ـ ثم قال الجِرْمازِيّ: هذا والله طِرَاز يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه.

أخبرني محمد قال: حدّثني حسين بن فَهْم قال: سمعت العَطَويّ يقول: كان العبَّاس بن الأحنف شاعراً مُجِيداً غَزِلاً، وكان أبو الهُذَيل العَلاَّف يُبْغِضه ويلعَنه لقوله: [البسيط]

إذا أَرَدْتُ سُلُوّاً كانَ ناصِرُكُمْ | قَلْبِي، وما أنا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرِ
فَأَكْثِرُوا أَوْ أَقِلُّوا مِنْ إساءَتِكُمْ | فَكُلُّ ذلكَ مَحْمُولٌ عَلَى القَدَرِ

قال: فكان أبو الهُذَيْل يلعَنه لهذا ويقول: يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعْره.

قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العباس اليزيديّ شعراً للعباس أظنّه يهجو به أبا الهُذَيل ـ وما سمعت للعبَّاس هجاءً غيرَه: [البسيط]

يا مَنْ يُكَذِّبُ أَخْبارَ الرَّسُولِ لَقَدْ | أَخْطَأْتَ في كُلِّ ما تأتِي وما تَذَرُ
كَذَّبت بالقَدَرِ الجارِي عَلَيْكَ فَقَدْ | أتاكَ مِنِّي بِما لا تَشْتَهِي القَدَرُ

حدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثني محمد بن سعيد عن الرِّياشيّ قال: قيل للأصمعيّ ـ أو قلتُ له ـ ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحدَثين؟ قال: قول العبَّاس بن الأحنف:

صوت

[الكامل]

لَوْ كُنْتِ عاتِبَةً لَسَكَّنَ رَوْعَتِي | أَمَلِي رِضاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُراقِبِ
لٰكِنْ مَلِلْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ | صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صَدِّ العاتِبِ

الغناء للعبَّاس أخي بَحْر رَمَلٌ.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ ومحمد بن العبَّاس اليزيديّ قالا، واللفظ لهاشم، قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: دخل عمِّي على الرشيد

والعبَّاسُ بن الأحنف عنده؛ فقال العبَّاس للرشيد: دَعْنِي أعبَث بالأصمعيّ. قال له الرشيد: إنه ليس ممن يحتمل العَبَثَ. فقال: لستُ أعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه. قال: أنت أعلم. فلما دخل عمّي قال له: يا أبا سعيد، مَنِ الذي يقول:

إذا أحْـبَـبْـتَ أنْ تَـصْـنَـعَ شَـيْـئـاً يُـعـجِـبُ الـنّـاسـا
فَـصَـوِّرْ هـا هُـنـا فَـوْزاً وَصَـوِّرْ ثَـمَّ عَـبَّـاسـا
فَـإنْ لَـمْ يَـدْنُـوَا حَـتَّـى تَـرَى رَأسَـيْـهِـمـا راسـا
فَـكَـذِّبْـهـا بِـمـا قـاسَـتْ وكَـذِّبْـهُ بِـمـا قـاسَـى

فقال له عمّي يعرِّض بأنه نَبَطِيٌّ: قاله الذي يقول: [الهزج]

إذا أحْـبَـبْـتَ أن تُـبْـصِـرَ شَـيْـئـاً يُـعـجِـبُ الـخَـلْـقـا
فَـصَـوِّرْ هـا هُـنـا دَوْراً وَصَـوِّرْ هـا هـنـا فَـلْـقـا[1]
فَـإنْ لـمْ يَـدْنُـوا حَـتَّـى تَـرَى خَـلْـقَـيْـهِـمـا خَـلْـقـا
فَـكَـذِّبْـهـا بِـمـا لاقَـتْ وَكَـذِّبْـهُ بِـمـا يَـلْـقَـى

قال: فخجل العبَّاس، وقال له الرشيد: قد نهيتُك فلم تقبَل.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: أنشدني إبراهيم بن العبَّاس للعبَّاس بن الأحنف:

صوت

[الكامل]

قـالَـتْ ظَـلُـومُ سَـمِـيَّـةُ الـظُّـلْـمِ مـا لِـي رَأَيـتُـكَ نـاحِـلَ الـجِـسْـمِ
يـا مَـنْ رَمَـى قَـلْـبِـي فـأقْـصَـدَهُ أنْـتَ الـعَـلِـيـمُ بِـمَـوْضِـعِ الـسَّـهْـمِ

فقلت له: إن أبا حاتم السِّجِسْتانيّ حَكَى عن الأصمعيّ أنه أُنْشِد للعبَّاس بن الأحنف:

صوت

أتَـأْذَنُـون لِـصَـبٍّ فـي زِيـارَتِـكُـمْ فَعِـنْـدَكُـمْ شَـهَـواتُ الـسَّـمْـعِ وَالـبَـصَـرِ
لا يُـضـمِـرُ الـسُّـوءَ إن طـال الـجـلـوسُ بـه عَـفُّ الـضـمـيـر ولـكـن فـاسِـقُ الـنـظَـرِ

(١) الظاهر من السياق أن دوراً وفلقاً اسمان من الأسماء النبطية.

فقال الأصمعيّ: ما زال هذا الفتى يُدْخِل يده في جِرَابه فلا يُخْرِج شيئاً، حتى أدخلها فأخرج هذا؛ ومَنْ أدْمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه. فقال إبراهيم بن العبَّاس: أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ، ولكن أُنْشدُك للعبَّاس ما لا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه، ثم أنشدني قولَه: [الكامل]

وَاللَّهِ لَوْ أنَّ القُلُوبَ كَقَلْبِها ... ما رَقَّ لِلْولَدِ الضَّعِيفِ الوالِدُ

وقوله: [الكامل]

لٰكِنْ مَلِلْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ ... صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صَدِّ العاتِبِ

وقوله: [الكامل]

حَتَّى إذا اقْتَحَمَ الفتَى لُجَجَ الهَوَى ... جاءَتْ أمُورٌ لا تُطَاقُ كِبارُ

ثم قال: هذا واللَّه ما لا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبداً.

حدّثني عمِّي قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: كنَّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنَانَ: غَنِّيني: [البسيط]

أتَأْذَنونَ لِصَبٍّ في زيارَتِكُمْ ... فَعِنْدَكُمْ شَهَواتُ السَّمْعِ وَالبَصَرِ
لا يُضْمِرُ السُّوءَ إنْ طالَ الجُلُوسُ بهِ ... عَفُّ الضَمِيرِ وَلٰكِنْ فاسِقُ النَّظَرِ

قال: فضحكتْ ثم قالت: فأيُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أيّ معنًى! فخجِل الحسن من نادِرتها عليه، وعجبنا من حدَّة جوابها وفِطنتها.

حدّثني الصُّوليّ قال: أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصِيبِيني قال: سمعتُ سعيد بن جُنَيْد يقول: ما أعْرِف أحسنَ من شعر العبَّاس في إخفاء أمرِه حيث يقول: [الوافر]

أُرِيدُكِ بالسَّلامِ فَأتَّقِيهِمْ ... فأعْمِدُ بالسَّلامِ إلى سِواكِ
وَأُكثِرُ فِيهِمُ ضَحِكِي لِيَخْفَى ... فَسِنِّي ضاحِكٌ وَالقَلْبُ باكِ

حدّثني الصّوليّ قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال: حدّثني خالي أحمد بن حَمْدون قال: كان بين الواثق وبين بعض جَوارِيه شَرٌّ فخرج كسلانَ؛ فلم أزَلْ أنا والفتحُ بن خَاقَانَ نحتال لنشَاطِه؛ فرآني أُضاحِك الفتحَ فقال: قاتل الله ابن الأحنف حيث يقول: [البسيط]

عَـذلٌ مـنَ الله أبـكـانـي وأضـحـكَـهـا ... فـالـحَـمْـدُ لله عَـذلٌ كُـلُّ مـا صَـنَـعـا
الـيَـوْمَ أَبـكِـي عـلـى قَـلْـبِـي وأنـدبُـهُ ... قَـلْـبٌ أَلَـحَّ عَـلَـيْـهِ الـحُـبُّ فـانْـصَـدَعـا

فقال الفتح: أنت والله يا أمير المؤمنين في وَضْع التَّمثُّل موضعَه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ.

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه قال: قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جَرَى بينهما عَتْبٌ: إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعِزّ الحُبّ. أتُرَاكَ لم تَسمع بخليفة عشِق قبلك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه؛ ولكنِّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك. فقال الواثق: للّه درُّ ابن الأحنف حيث يقول: [المتقارب]

أمَـا تَـحْـسَـبِـيـنـي أرَى الـعـاشِـقِـيـنَ ... بَـلَـى، ثُـمَّ لَـسْـتُ أرَى لِـي نـظِـيـرا
لَـعَـلَّ الَّـذِي بِـيَـدَيْـهِ الأمُـورُ ... سَـيَـجْـعَـلُ فـي الـكُـرْهِ خَـيْـراً كَـثِـيـرا

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني المُغيرةُ بن محمد المهَلَّبيّ قال: سمعتُ الزبير يقول: ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله: [البسيط]

تَـعْـتَـلُّ بِـالـشُّـغْـلِ عَـنَّـا مـا تُـكَـلِّـمُـنـا ... الـشُّـغْـلُ لِـلْـقَـلْـبِ لَـيْـسَ الـشُّـغْـلُ لِـلْـبَـدَنِ

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلا وهو يصلُح أن يُتَمثَّلَ فيه بهذا النصف الأخير.

حدَّثني الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظَرُف ابنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم: [الطويل]

قِـفَـا خَـبِّـرانِـي أيُّـهـا الـرَّجُـلانِ ... عَـنِ الـنَّـوْمِ إنَّ الـهَـجْـرَ عَـنْـهُ نَـهـانـي
وَكَـيْـفَ يَـكُـونُ الـنَّـوْمُ أمْ كَـيْـفَ طَـعْـمُـهُ ... صِـفَـا الـنَّـوْمَ لِـي إنْ كُـنْـتُـمـا تَـصِـفَـانِ

قال: على قلَّة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

حدّثني الصُّولِيّ قال: حدّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال: حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيتُ سَلَمة بن عاصم[1] ومعه شعر العباس بن الأحنف، فعَجِبتُ منه وقلتُ: مثلُك ـ أعزّك الله ـ يحمِل هذا! فقال: ألاَ أحْمِل شعرَ من يقول:

(١) سلمة بن عاصم: نحوي، عالم بالعربية من أهل الكوفة، توفي سنة ٣١٠هـ.

صوت

[السريع]

أَسَـأْتُ أَنْ أَحْسَـنْـتُ ظَـنِّـي بِـكُـمْ وَالـحَـزْمُ سُـوءُ الـظَّـنِّ بِـالـنَّـاسِ
يُـقْـلِـقُـنِـي الـشَّـوْقُ فَـآتِـيـكُـمْ وَالـقَـلْـبُ مَـمْـلُـوءٌ مِـنَ الـيَـاسِ

غنَّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى. وأوّلُ الصوت:

[السريع]

يَـا فَـوْزُ يَـا مُـنْـيَـةَ عَـبَّـاسِ وَاحَـرَبَـا مِـنْ قَـلْـبِـكِ الـقَـاسِـي

وروى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعرابيٌّ فصيحٌ ظريف، فجعلت أكتب عنه أشياء حساناً، ثم قال: أَنْشِدْني لأصحابكم الحضَريِّين. فأنشدتُه للعبَّاس بن الأحنَف: [الطويل]

ذَكَـرْتُـكِ بِـالـتُّـفَّـاحِ لَـمَّـا شَـمِـمْـتُـهُ وَبِـالـرَّاحِ لَـمَّـا قَـابَـلَـتْ أَوْجُـهَ الـشَّـرْبِ
تَـذَكَّـرْتُ بِـالـتُّـفَـاحِ مِـنْـكِ سَـوَالِـفـاً وَبِـالـرَّاحِ طَـعْـمـاً مِـنْ مُـقَـبَّـلِـكِ الـعَـذْبِ

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عنّي! لا أُنشِدك حرفاً بعد هذا.

وحدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال: سمعت عبد اللَّه بن العبَّاس بن الفضل يقول: ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف: [البسيط]

سُـبْـحَـانَ رَبِّ الـعُـلاَ مَـا كَـانَ أَغْـفَـلَـنِـي عَـمَّـا رَمَـتْـنِـي بِـهِ الأَيَّـامُ وَالـزَّمَـنُ
مَـنْ لَـمْ يَـذُقْ فُـرْقَـةَ الأَحْـبَـابِ ثُـمَّ يَـرَى آثَـارَهُـمْ بَـعْـدَهُـمْ لَـمْ يَـدْرِ مَـا الـحَـزَنُ

قال أبو بكر: وقد غنَّى عبد الله بن العبَّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ.

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: سمعتُ حسين بن الضَّحَّاك يقول: لو جاء العبَّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذِر، وهو قولُه: [المتقارب]

لَـعَـمْـرُكَ مَـا يَـسْـتَـرِيـحُ الـمُـحِـ ـبُّ حَـتَّـى يَـبُـوحَ بِـأَسْـرَارِهِ
فَـقَـدْ يَـكْـتُـمُ الـمَـرْءُ أَسْـرَارَهُ فَـتَـظْـهَـرُ فِـي بَـعْـضِ أَشْـعَـارِهِ

ثم قال: أمَّا قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو: [الكامل]

الـحُـبُّ أَمْـلَـكُ لِـلْـفُـؤَادِ بِـقَـهْـرِهِ مِـنْ أَنْ يُـرَى لِـلـسَّـتْـرِ فِـيـهِ نَـصِـيـبُ

وإذا بَـدَا سِـرُّ الـلَّـبِـيـبِ فـإنَّـهُ لَـمْ يَـبْـدُ إلاَّ وَالـفَـتَـى مَـغْـلُـوبُ

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني الغَلاَبيّ قال: حدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال: قال أبو العتاهية: ما حسَدْتُ أحداً إلا العبَّاسَ بن الأحنف في قوله: [الوافر]

إذا امْـتَـنَـعَ الـقَـرِيـبُ فَـلَـمْ تَـنـلْـهُ عَـلَـى قُـرْبٍ فَـذاكَ هُـوَ الـبَـعِـيـدُ

فإني كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يُشبه شعرك.

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعتُ الكِنْدِيّ يقول: العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ. فكان يُنشد له كثيراً:

صوت

[المتقارب]

أَلاَ تَـعْـجَـبُـونَ كَـمَـا أعْـجَـبُ حَـبِـيـبٌ يُـسِـيءُ ولا يُـعْـتِـبُ

وَأبْـغِـي رِضـاهُ عـلـى سُـخْـطِـهِ فَـيَـأبَـى عَـلَـيَّ وَيَـسْـتَـصْـعِـبُ

فَـيَـا لَـيْـتَ حَـظِّـي إذا مـا أسأْ تَ أنَّـكَ تَـرْضَـى ولا تَـغْـضَـبُ

أخبرني الصوليّ قال: حدّثنا محمد بن الفَضْل قال: حدّثني حماد بن إسحاق قال: كان جَدِّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبَّاس، فتَغَنَّى في كثيرٍ من شعره، فذكر أشعاراً كثيرةً حَفِظْتُ منها:

صوت

[الطويل]

وَقَـدْ مُـلِـئَـتْ مـاءَ الـشَّـبـابِ كَـأنَّـهـا قَـضِـيـبٌ مـنَ الـرَّيْـحـانِ رَيَّـانُ أخْـضَـر

هُـمُ كَـتَـمُـونـي سَـيْـرَهُـمْ حِـيـنَ أزمَـعُـوا وَقـالُـوا اتَّـعَـدْنـا لِـلـرَّوَاحِ وَبَـكَّـرُوا

ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّويه رمل، وفي كتاب ابن المكيّ أنه لابن سُرَيْج، وهو غَلَطٌ.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال: أُنْشِد المأمون قولَ عبَّاس بن الأحنف: [الطويل]

هُـمُ كَـتَـمُـونـي سَـيْـرَهُـمْ حِـيـنَ أزْمَـعُـوا وَقـالُـوا اتَّـعَـدْنـا لِـلـرَّواحِ وَبَـكَّـرُوا

فقال المأمون: سَحِروا بأبي الفضل.

قال: وحفِظْتُ منها:

صوت

[الطويل]

تَمَنَّى رجالٌ ما أحَبُّوا وإنَّما تَمَنَّيْتُ أنْ أشْكُو إلَيْكَ وتَسْمَعا
أرَى كُلَّ مَعْشُوقَيْنِ غَيْرِي وَغَيْرَها قَدِ اسْتَعْذَبا طُولَ الهَوى وَتَمَتَّعا

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر. وفيه ثقيل أوَّلُ بالوسطى يُنْسَب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيْم بن سَلاَّم.

قال: وحفِظتُ منها: [الهزج]

بَكَتْ عَيْنِي لأنْواعِ مِنَ الحُزْنِ وَأوْجاعِ
وَأنِّي كُلَّ يَوْمِ عِنْـ ـدكُمْ يَحْظَى بِيَ السَّاعِي
أعِيشُ الدَّهْرَ إنْ عِشْتُ بِقَلْبٍ مِنْكِ مُرْتاعِ
وإنْ حَلَّ بِيَ البُعْدُ سَيَنْعانِي لَكِ النَّاعِي

الغناء لإبراهيم المَوْصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهديّ فيه لحنَيْن: ثقيلاً أوَّل وماخُوريّاً. وفيه هَزَجٌ مُحْدَثٌ.

أخبرني الصوليّ قال: حدّثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمَّاد بن إسحاق قال: ما غنَّى جَدِّي في شعر أحد من الشعراء أكثر ممَّا غنَّى في شعر ذي الرُّمَّة وعبَّاس بن الأحنف.

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه التَّميميّ قال: كنا في مجلس ابن الأعرابيّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم ابن الأعرابيّ، وكان يحبّه ويأنَسُ به، فقال له: ما أخَّرك عنّي؟ فاعتذر بأشياء ثم قال: كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنَّاه به، فاستكثر ذلك ابن الأعرابيّ واستهاله وعجِب منه، وقال: ما هو؟ قال: غنَّاه بشعر عبَّاس بن الأحنف: [الهزج]

بَكَتْ عَيْنِي لأنْواعِ مِنَ الحُزْنِ وَأوْجاعِ
وَأنِّي كُلَّ يَوْمِ عِنْـ ـدكُمْ يَحْظَى بِيَ السَّاعِي

فقال ابنُ الأعرابيّ: أمَّا الغناء فما أدْري ما هو، ولكن هذا واللّه كلامٌ قريبٌ مليحٌ.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثنا محمد بن الهيثم قال: حدّثني محمد بن عمرو الرُّوميّ قال: كنَّا عند الواثق فقال: أريد أن أصنَع لحناً في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائناً من كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنْشَدْنا ضروباً من الأشعار؛ فقال: ما جئتُم بشيء مثل قول عبَّاس بن الأحنف:

قَلْبِي إلى ما ضَرَّني داعِي ... يُكْثِرُ أسْقامِي وَأوْجاعِي
كَيْفَ احْتِراسِي مِنْ عَدُوّي إذا ... كانَ عَدُوّي بَيْنَ أضْلاعِي
أَسْلَمَنِي لِلْحُبِّ أشْياعِي ... لَمّا سَعَى بِي عِنْدَها السَّاعِي
لَقَلَّما أَبْقَى عَلَى كُلِّ ذا ... يُوشِكُ أنْ يَنْعانِيَ النّاعِي

قال: فَعَمِل فيه الواثق لحنه الثقيلَ الأوّل، النَّشيد بالوسطى.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهْم قال: انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل، فلما دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلُبني، فراعَني ذلك وقلت: بلاءٌ تُتُبعتُ به بعد انصرافي، فرجعتُ إليه وَجِلاً، فأُدْخِلت عليه وهو في مَرْقَده. فلما رآني ضحِك، فأيقنتُ بالسلامة؛ فقال: يا عليّ، أنا مُذْ فارقتُك ساهرٌ؛ خطَر على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغَنّي فيه أخي، قولُ الشاعر:

قَلْبِي إلى ما ضَرَّني دَاعِي

الأبيات. فحَرَصْتُ أن أعملَ مثلَ هذا فلم يَجِئْني، أو أن أعمل مثلَ اللَّحن فما أمكنني؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً. فقلت: يا سيِّدي، كان أخوك خليفةً يغنِّي وأنت خليفةٌ لا تغنِّي؛ فقال: قد والله أهديتَ إلى عيْني نوماً، أعطوه ألفَ دينار، وحيِّيته وانصرفتُ.

وجدتُ في كتاب الشَّاهِيني بغير إسناد: أُنْشِد أبو الحارث جُمَّيْز قول العباس بن الأحنف:

قَلْبِي إلى ما ضَرَّني دَاعِي

الأبيات. فبكى ثم قال: هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طَبَّاخَةٍ مليحةٍ؛ فقلت له: مَن أين قلت ذاك؟ قال: لأنه بَدَأ فقال:

قَلْبِي إلى ما ضَرَّني داعِي

وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطَّعام والشَّراب فيأكله، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه، وهذا تعريض ثم صرَّح فقال:

كَيْفَ احْتِراسِي مِنْ عَدُوّي إذا ... كانَ عَدُوِّي بَيْنَ أضلاعِي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلا مَعِدتُه، فهي تُتلِف مالَه، وهي سببُ أسقامِه، وهي مِفتاح كلّ بلاء عليه، ثم قال:

إن دامَ لِي هَجْرُكَ يا مالِكِي ... أوْشَكَ أنْ يَنْعانِيَ النّاعِي

فعلمتُ أنَّ الطَّباخةَ كانت صديقتَه، وأنها هجرتْه ففقَدها وفقد الطَّعامَ، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ونَعاه النَّاعي.

وحدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن عيسى قال: جاء عبد اللّه بن العبَّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع إلى الحسن بن وهب، وعنده بَنان جاريةُ محمد بن حمَّاد، وهي نائمةٌ سَكْرى وهو يبكي عندها. فقال له: ما لَكَ؟ قال: قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنْبَهتْني وقالت: اجلس حتى تشربَ فجلستُ، فواللّه ما غنَّتْ عشرةَ أصوات حتى نامت وما شرِبتُ إلاَّ قليلاً، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم، العبَّاس بن الأحنف:

صوت

[البسيط]

أبْكِي الَّذِينَ أذاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ ... حَتَّى إذا أيْقَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا

فأنا أبكي وأُنشِد هذا البيت.

وحدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العبَّاس يقول: ما رأيتُ كلاماً مُحْدَثاً أجزلَ في رقَّةٍ، ولا أصعبَ في سهولةٍ، ولا أبلغَ في إيجازٍ، من قول العباس بن الأحنف: [الطويل]

تَعالَيْ نُجَدِّدْ دارِسَ العَهْدِ بَيْنَنا ... كِلانا على طولِ الجفَاءِ مَلُومُ

قال الصُّوليّ: ووجدتُ بخطّ عبد اللّه بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف:

صوت

[السريع]

إنْ قالَ لَمْ يَفْعَلْ وإنْ سِيلَ لَمْ ... يَبْذُلْ وإنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبِ

صَبٌّ بِعِصْيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لا تَشْرَبِ البَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ
إِلَيْكَ أَشْكُو رَبِّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هٰذا المُذْنِبِ المُغْضَبِ

ـ غنَّى في هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى. وفيها لحنٌ آخر لغيره ـ قال الحسن بن مَخْلَد: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا والله الكلامُ الحسنُ المَعْنى، السهلُ المَوْرِد، القريبُ المتناوَل، المليحُ اللفظ، العذْب المستَمَع.

حدّثني الصّوليّ قال: حدّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ قال: سمعتُ عليّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق من المغنِّين خاصَّة[شعر][1] العباس بن الأحنف، وخاصَّة قوله: [المديد]

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِيَ الأَرَقَا مُسْتَرِيحاً سَامَنِي قَلَقَا

فإنَّه غنَّى فيه جماعةٌ من المغنِّين، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما. قال: وكان يَسْتحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إيَّاه حَمَلَه على أن قال في رَويّه وقافيته: [المديد]

بِأَبِي وَاللّٰهِ مَنْ طَرَقَا كَابْتِسَامِ البَرْقِ إِذْ خَفَقَا

وعمل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى. هكذا رواه الصُّوليّ.

وأخبرني جَحْظة قال حدّثني حمَّاد بن إسحاق قال: قال أبي: هذا الصوت:

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِيَ الأَرَقَا

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنْعة واشتراك المغَنين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون أنَّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق.

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِيَ الأَرَقَا مُسْتَرِيحاً زَادَنِي قَلَقَا
لَوْ يَبِيتُ النَّاسُ كُلُّهُمُ بِسُهَادِي بَيَّضَ الحَدَقَا

(١) زيادة ليست في الأصل.

كـان لِـي قَـلْـبٌ أعِـيـش بـهِ ... فـاصْـطَـلَـى بـالـحُـبِّ فـاحْـتَـرَقـا
أنـا لَـمْ أُرزَقْ مَـوَدَّتَـكُـمْ ... إنَّـمـا لِـلْـعَـبْـدِ مـا رُزِقـا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها. ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيلٍ آخرُ. ولابن جامع فيه لحنان: رَمَلٌ مُطْلَق في مجرى الوسطى في الأوّل والثالث، وخفيفُ رملٍ مطلَق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلها. وفيه لسُلَيْم هَزَجٌ، وفيه لعلّويه ثقيلٌ أوّل.

نسبة صوت علي بن يحيى

صوت

[المديد]

بِـأبـي وَالـلّـهِ مَـنْ طَـرَقـا ... كـابْـتِـسـامِ الـبَـرْقِ إذْ خَـفَـقَـا
زَادَنِـي شَـوْقـاً بِـزَوْرَتِـهِ ... وَمَـلا قَـلْـبِـي بِـهِ حُـرَقَـا
مَـنْ لِـقَـلْـبٍ هـائِـمٍ دَنِـفٍ ... كُـلَّـمـا سَـلَّـيْـتُـهُ قَـلِـقـا[1]
زارَنـي طَـيْـفُ الـحَـبِـيـبِ فَـمـا ... زادَ أنْ أَغْـرَى بِـيَ الأَرَقـا

الشعر لعليّ بن يحيى؛ وذكر الصُّوليّ أن الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى. وذكَر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته. وفيه لعَرِيب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً.

حدّثني الصُّوليّ قال: سمعتُ عبد اللّه بن المعتزّ يقول: لو قيل: ما أحسنُ شيء تعرِفه لقلتُ: شعرُ العبَّاس بن الأحنف:

صوت

[البسيط]

قد سَحَّبَ النَّاسُ أذْيالَ الظُّنُونِ بنا ... وَفَـرَّق النَّاسُ فِينا قَوْلَهُمْ فِرَقَا
فَكاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالحُبِّ غيْرَكُمُ ... وَصادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أنَّهُ صَدَقا

قال: وللمَسْدود في هذا الشعر لحن. قال: ولم يُغَنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه في شعر العبَّاس بن الأحنف. هكذا ذكر الصُّوليّ، ولم يأت بغير هذا. ولإسحاق في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ولابن

(١) الدّنف: المريض المشفي على الموت.

جامع ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى عن الهشاميّ. وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه. وللمَسْدود رملٌ. ولعبد اللَّه بن العباس الرَّبيعيّ خفيفُ رَملٍ.

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غَضِب الفضلُ بن الربيع[١] على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأخَّرت عن استرضائه، فغَمَّه ذلك، فوجَّه إلى أبي يُعْلِمه ويشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العزَّةُ والشرف، ولأعدائك الذّل والرَّغْم. استَعْمِلْ قولَ العباس بن الأحنف: [الطويل]

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ ... وَإنْ كُنْتَ مَظْلُوماً فَقُلْ أنا ظالِمُ
فَإنَّكَ إلاَّ تَغْفِرِ الذَّنْبَ في الهَوَى ... يُفارِقْكَ مَنْ تَهْوَى وَأنفُكَ راغِمُ

فقال: صدقت، وبعث إليها فترضَّاها.

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة قال: قيل لمُصْعَب الزّبيريّ: إن الناس يَسْتبردُون شعرَ العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

صوت

[الكامل]

قالَتْ ظَلُومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ ... ما لي رَأَيتُكَ ناحِلَ الجِسْمِ
يا مَنْ رَمَى قَلْبِي فأقْصَدَهُ ... أنتَ العَلِيمُ بِمَوْقِعِ السَّهْمِ

الغناء لأبي العُبَيْس أو ابنه إبراهيم، ماخُوريّ.

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثنا ميمون بن هارون قال: حدّثني أبو عبد اللَّه الهشاميّ الحسن بن أحمد قال: حدّثنا عمرو بن بانَةَ قال: كنَّا في دار أمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنِّين؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دراهم، فقالت: أيّكم القائل: [الكامل]

مَنْ ذا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبكِي بِها ... أرَأيتَ عَيْناً لِلْبُكاءِ تُعارُ

فأُومىء إلى العباس بن الأحنف؛ فنَثَرت الدراهمَ في حِجره فنفضَها فلقَطها

(١) الفضل بن الربيع: وزير أديب حازم. ولي الوزارة إلى أن مات هارون الرشيد. توفي سنة ٢٠٨هـ.

الفرَّاشون؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرَّاشين على عُنُق كلّ فرَّاش بَدْرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها إلى منزلِ العبّاس بن الأحنف.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني محمدُ بن موسى قال: أُنشِد الرشيدُ قولَ العبَّاس بن الأحنف:

مَـنْ ذا يُـعِـيـرُكَ عَـيْـنَـهُ تَـبْـكِـي بِـهـا

فقال: مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه.

حدّثني الصُّوليُّ قال: حدَّثني عَوْنُ بن محمَّد الكِنديّ قال: كنَّا مع مَخْلَد المَوْصليّ في مجلسٍ وكان معنا عبدُ اللَّه بن رَبيعةَ الرَّقِّيّ؛ فأنشد مَخْلد المَوْصِلي قصيدةً له يقولُ فيها: [الخفيف]

كُـلُّ شَـيْءٍ أَقْـوَى عَـلَـيْـهِ وَلٰـكِـنْ ... لَـيْـسَ لـي بـالـفِـراقِ مِـنْـكَ يَـدانِ

فجعل يستحسِنه ويردِّده، فقال له عبدُ اللَّه: أنتَ الفِداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول: [الخفيف]

سَـلَـبَـتْـنِـي مِـنَ الـسُّـرُورِ ثـيـابـا ... وَكَـسَـتْـنِـي مِـنَ الـهُـمُـوم ثـيـابـا
كُـلَّـمَـا أغْـلَـقَـتْ مِـنَ الـوَصْـلِ بـاباً ... فَـتَـحَـتْ لِـي إلـى الـمَـنِـيَّـةِ بـابـا
عَـذِّبِـيـنـي بِـكُـلِّ شَـيْءٍ سِـوَى الـصَّـ ... ـدِّ فَـمـا ذُقْـتُ كـالـصُّـدُودِ عَـذابـا

قال: فضحك المَوْصِليّ. والشعرُ للعبَّاس بن الأحنف.

وأخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني أبو الحسن الأسديُّ قال: سمعت الرِّياشيَّ يقولُ ـ وقد ذُكِر عندَه العباسُ بن الأحنف واللَّه لو لم يقلْ من الشعر إلا هذين البيتين لكَفَيا:

صوت

[المنسرح]

أُحْـرَمُ مِـنْـكُـمْ بِـمـا أقُـولُ وَقَـدْ ... نـالَ بِـهِ الـعـاشِـقُـونَ مَـنْ عَـشِـقُـوا
صِـرْتُ كـأنِّـي ذُبـالَـةٌ نُـصِـبَـتْ ... تُـضِـيءُ لِـلـنَّـاسِ وَهْـيَ تَـحْـتَـرِقُ

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ اللَّه بن العبَّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر. وفيه لخَزْرَج رمَل أوَّلُ عن عبد اللَّه بن العبَّاس.

أنْـتِ لا تَـعْـلَـمِـيـنَ مـا الـهَـمُّ وَالـحُـزْ ... نُ ولا تَـعْـلَـمِـيـنَ مـا الأَرَقُ

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدَّثني محمد بن يَزيد المبرِّد قال: حدّثني بعضُ مشايخ الأَزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوزَ الحدَّ في تقديمه، وكنت أقدِّم العبَّاس بن الأحنف؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك: وبِحَسْبِك يا أميرَ المؤمنين أنه يُخالِفُك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقِه وتجريبه، ويقدِّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه. وبلغني الخبرُ فدخلت على الرَّشيد؛ فقال لي ابتداءً: أيما أشعرُ عندك: العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلِمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأني مُسْتَثْبِتٌ ثم قلت: أبو العتاهية أشعرُ. قال: أنْشِدْني لهذا ولهذا؛ قلت: فبأيّهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبَّاس، وهو قوله: [المنسرح]

أُحْـرَمُ مِـنْـكُـمْ بِـمـا أقُـولُ وَقَـدْ ... نـالَ بـهِ الـعـاشِـقُـونَ مَـنْ عَـشِـقُـوا

فقال لي: أَحْسن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدِرُ عليه، وهو قوله:

كَـأنَّ عُـتَّـابَـةَ مِـنْ حُـسْـنِـهـا ... دُمْـيَـةَ قَـسٍّ فَـتَـنَـتْ قَـسَّـهـا
يـا رَبِّ لَـوْ أنْـسَـيْـتَـنِـيـهـا بِـمـا ... فـي جَـنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ لَـمْ أنْـسَـهـا
إنِّـي إذاً مِـثْـلُ الَّـتِـي لـم تَـزَلْ ... دائِـبَـةً فـي طَـحْـنِـهـا كُـدْسَـهـا[1]
حَـتَّـى إذا لَـمْ يَـبْـقَ مِـنْـهـا سِـوَى ... حَـفْـنـةِ بُـرٍّ قَـتَـلَـتْ نَـفْـسَـهـا

قال: أتعيِّره هذا! فأين أنتَ عن قوله:

قـالَ لـي أحْـمَـدُ وَلَـمْ يَـدْرِ مـا بـي ... أتُـحِـبُّ الـغَـداةَ عُـتْـبَـةَ حَـقّـا
فَـتَـنَـفَّـسْـتُ ثُـمَّ قُـلْـتُ نَـعَـمْ حُـبّـ ... ـاً جَـرَى فـي الـعروقِ عِـرْقـاً فَـعِـرْقـا

ويحك! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: «فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا»! اذهَبْ ويحَك فاحفَظْها؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمِعتُ بها لحفِظتُها. قال إسحاق: وما أشُكّ أني كنت أحفَظ لها حينئذ من أبي العتاهية، ولكنّي إنما أنشَدتُ ما أنشدْتُ تعصُّباً.

قال محمدُ بن يزيد: وحُدِّثت من غير وجهٍ أنَّ الرشيدَ أَلِف العبَّاسَ بن

(١) الكدس: الكومة من طعام أو دراهم.

الأحنف؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أَرْمِينيَةَ والعباسُ معه ماشياً إلى بغدادَ، فعارَضه في طريقه فأنشده: [البسيط]

قالُوا خُراسانُ أقْصَى ما يُرادُ بنا ... ثُمَّ القُفولُ فقَدْ جِئنا خُراسانا
ما أقْدَرَ اللهَ أنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ ... سُكّانَ دَجْلَةَ مِنْ سُكّان جَيْحانا
مَتَى الَّذِي كُنْتُ أرْجُوهُ وآمُلُهُ ... أمَّا الَّذِي كُنْتُ أخْشاهُ فَقَدْ كانا
عَيْنُ الزَّمانِ أصَابَتْنا فَلا نَظَرَتْ ... وَعَذَّبَتْ بِصُنُوفِ الهَجْرِ ألْوانا

ـ في هذين البيتين الأخيرين رَمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره ـ قال: فقال له الرشيد: قد اشتقتَ يا عبَّاس وأذنتُ لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: سمعتُ مُصْعَباً الزُّبَيْرِيّ يقول: العباسُ بن الأحنف وعمرو العرَّاف ما ابتذلا شعرَهُما في رَغْبة ولا رَهْبة، ولكن فيما أحبَّاه، فلَزِما فنّاً واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممَّن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه.

ذكر الأصوات التي تجمع النَّغَم العشر

منها: **صوت** [المتقارب]

تَوَهَّمْتُ بِالخَيْفِ رَسْماً مُحِيلا ... لِعَزَّةَ تَعْرِفُ مِنْهُ الطُّلُولا
تَبَدَّل بِالحَيِّ صَوْتَ الصَّدَى ... وَنَوْحَ الحَمامَةِ تَدْعُو هَدِيلا

عروضُه من المتقارب. الخَيْفُ الذي عناهُ كُثَيِّر ليس بخيف مِنًى، بل هو موضع آخَر في بلاد ضَمْرَة. والطُّلول: جمع طللٍ، وهو ما كان له شخص وجسم عالٍ من آثار الدّيار. والرَّسم: ما لم يكن له شخص وجسم. والصَّدَى ها هنا: طائر، وفي موضع آخر: العطش. ويزعمُ أهل الجاهليّة أن الصَّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقوني حتى يُدرَكَ بثأره. قال طَرَفَةُ: [الطويل]

كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَه في حَياتِهِ ... سَتَعْلَمُ إن مِتْنا صَدًى أيّنا الصَّدِي[1]

والحمام: القماريّ ونحوها من الطير. والهديل: أصواتها.

---

(١) الصدي: العطِش.

الشعر لكثيِّر والغناء لعُبَيْدِ اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها، فذكر أنَّ الصَّنعة لبعض من كثرت دُرْبَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت، وذكر أن طريقتَه من الثقيل الأوّل، وأنّه ليس يجوز أن يَنْسُبَه إلى موضع إصْبع مُفْردة؛ لأن ابتداءه على المَثْنى مُطْلقاً، ثم بسبَّابة المَثْنى، ثم وُسْطى المثنى، ثم بنْصر المَثْنى، ثم خنصر المَثْنى، ثم سبّابة الزِّير، ثم وُسْطاه، ثم بِنصره، ثم خِنصره، ثم النَّغمة الحادَّة، وهي العاشرة. وفيه لابن مُحرزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنْصر. وفيه لابن الهربذ رمَلٌ بالوُسطى عن عمرو، وهذا الصوتُ من الثقيل الثاني، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النَّغم وعِلَلها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العَشر، وأنَّه لا يعرف صوتاً يجمعها غيرُه، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتي في صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر، بعد تعبٍ طويل ومُعَاناةٍ شديدة. وذكَر عُبَيْد اللَّه أن صانع هذا الصوتِ الذي كَنَى عنه فعَل ذلك وتلطَّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها، وأتى بها في الصوتَ الذي بعده متفرِّقةً على غير توالٍ إلاَّ أنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعاً وأحلى. وحَكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النَّغَم.

وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد اللَّه في نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغي ألاَّ أُجرِيَ الأمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له، ولا يُمكن أحداً بتَّةً أن يفعله. وأنا أُبيِّن العلَّةَ في ذلك على تقريبٍ، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرتُه في رسالة إلى بعض إخواني في علَل النغم، وشرحتُ هناك العلَّةَ في أنْ قُسِّم الغناء قسمين وجُعِل على مجريَيْن: الوُسطى والبِنْصر دون غيرهما، حتى لا يُدْخِل واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُرْبُ مخرج الصوت، إذا كان على الوُسطى منه[أو] إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مُرِيدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتَّةً على وجهٍ ولا سببٍ؛ ولا يُوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأُخرى. وإذا أُتبعت إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تَفَصَّلَت إحداهما من الأُخرى. وإنما قلَّت النغمُ في غِناء الأوائل لأنهم قَسَّموها قسمين بين هاتين الإِصْبَعين، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأُخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يُفْصَلَ بينهما بنغم أُخرى للسبَّابة والخنصر

يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما، ثم لا يكون لذلك الغناءِ ملاحةٌ ولا طيبٌ للمضادَّة في المَجْرِيَيْن، فتركوه ولم يستعملوه؛ فإن كان صحَّ لعُبَيْد اللَّه عملٌ في النغم العشر في صوت، فلعلَّه صحَّ له في الصوت الذي ذكر أنه فرَّقها فيه؛ فأما المتوالية ـ على ما ذكره ها هنا ـ فمحالٌ، ولستُ أقدر في هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح.

صوت

من المائة المختارة

[الكامل]

يـا دارَ عَـبْـلَـةَ مِـنْ مَـشـارق مَـأْسَـلِ ... دَرَسَ الـشُّـؤونُ وَعَـهـدُهـا لَـمْ يَـنْـجَـلِ
وَاسْـتَـبْـدَلَـتْ عُـفْـرَ الـظـبـاءِ كـأنَّـمَـا ... أَبْـعـارُهـا فـي الـصَّـيْـفِ حَـبُّ الـفُـلْـفُـلِ

ذكر يحيى بن عليّ أن الشعر لعَنترة بن شدَّاد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرُّواة أنه لعَبد قَيس بن خُفاف البُرْجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً، والشعر لحارثة بن بَدر الغُداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. وقد ذكرتُ المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد انقضائها. والغناء المختار لأبي دُلف العِجلي، ولحنه في المختار ثقيل أول، وفيه ألحان كثيرة.

نسب حارثة بن بدر وأخباره

[توفي ٦٤هـ / ٦٨٤م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره]

حارثة بن بدر بن حُصين بن قَطن بن غُدانة بن يَربوع. وقال خالد بن حبل: حارثة بن بدر بن مالك بن كليب بن غُدانة بن يربوع. وأُمّ حارثة بن بَدْر امرأة من بني صَريم بن الحارث، يقال لها الصَّدُوف، بنت صُدى.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدَّثنا عُمر بن شَبَّة، قال: حدّثني العلاء بن الفَضل بن عبد الملك بن أبي سَويَّة المِنْقري، قال: مرَّ عَمرو بن الأهتم بحارثة بن بَدر، والأحنفِ بن قَيس، وزَيد بن جَبَلة، وهم مُجتمعون، فسلَّم عليهم، ثم بَقي مُفكِّراً، فقالوا: ما لك؟ فقال: ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم، حيثُ جاءوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم! فَضحكوا منه.

قال: وأُمّ الأحنف: الزّافريّة، واسْمُها حُبَّى، من باهِلة؛ وأم زيد بن جبلة: عَمرة بنت حذلم، من بني الشُّعيراء. وأُم حارثة: الصَّدوف بنت صُدى، من بني صَريم بن الحارث.

وقد مضى نسب بني يَربوع في نَسب جرير وغيره من عشيرته من هذا الكتاب.

وفي بني غُدانة يقولُ الفرزدق: [الكامل]

أَبَـنـي غُـدانَـةَ إنَّـنِـي حَـرَّرتُـكُـمْ فَـوَهَـبْـتُـكُـمْ لـعَـطِـيَّـةَ بـن جِـعَـالِ
لَـوْلا عَـطِـيَّـةُ لاجْـتَـدَعْـتُ أُنُـوفَـكُـمْ مِـنْ بَـيْـنِ أَلأمِ أَعْـيُـنٍ وَسِـبَـالِ[1]

وكان عطِية استوهب منه أعراضهم لصهرٍ كان بينه وبينهم، وكان عطية سيِّداً

(١) السبال: أطراف الشوارب.

من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد امتنَّ عليّ أبو فراسٍ بهذه الهبة وما تمَّمها حتى ارتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

قال: وكان عطية هذا جواداً، وفيه يقول جرير:

إنَّ الجَوادَ عَلَى المَواطِنِ كُلِّها ... وَابنَ الجَوادِ عَطِيَّةُ بْنُ جِعَالِ
يَهَبُ النَّجائِبَ لا يَمَلُّ عَطاءَها ... وَالمُقْرَباتِ كأنَّهُنَّ سَعالي[١]

[مرتبته بين الشعراء]

وحارثة بن بدر من فُرسان بني تميم ووجوهها وساداتها وجُوَدائها وأحسِب أنه قد أدرك النبيﷺ في حال صباه وحداثته. وهو من ولد بني الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشِّعرَ، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يُلحقه بالمتقدمين في الشعر والمُتصرفين في فُنونه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: أنبأنا عمر بن شبة، قال: أنبأنا المدائنيّ، قال: كان زيادٌ مُكرماً لحارثة بن بدر، قابلاً لرأيه، محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب. فلما وَلِيَ عُبيد اللّه بن زياد أخَّر حارثةَ بعض التأخير، فعاتبه على ذلك.. فقال له عبيد اللّه: إنك تتناول الشراب. فقال له: قد كان أبوك يعلم هذا منِّي، ويُقربني ويكرمني. فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القَالة في تقريبك ما أخاف، وإن اللسان إليَّ فيك لأسرعُ منه إلى أبي. فقال حارثة: [الطويل]

وَكَمْ مِنْ أمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَما ... مَرَيْتُ لَهُ الدُّنيا بِسَيفِي فَدَرَّتِ[٢]
إذا ما هِيَ اخْلَوْلَتْ نَفَى حَقَّ مَقْسَمِي ... وَيَقْسِمُ لِي مِنْها إذا ما أمَرَّتِ
إذا زَبَنَتْهُ عَنْ فُواقٍ يُرِيدُهُ ... دُعِيتُ ولا أُدْعَى إذا ما أَقَرَّتِ[٣]

وقال حارثة بن بدرٍ أيضاً، وقد شاوره عُبيد اللّه في بعض الأمر: [الطويل]

أُهانُ وَأُقْصَى ثُمَّ يَنْتَصِحُونَنِي ... وَمَنْ ذا الَّذِي يُعْطِي نَصِيحَتَهُ قَسْرَا
رَأيتُ أكُفَّ المُصْلِتِينَ عَلَيْكُمُ ... مِلاءً وَكَفِّي مِنْ عَطاياكُمْ صِفْرا
مَتَى تَسْألُونِي ما عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا الَّـ ... ـذي لِيَ لم أسْطِعْ عَلى ذٰلِكُمْ صَبْرا

(١) المقربات: الخيل والنوق المكرّمة عند أصحابها فيقرب لها أصحابها معالفها ومرابطها. والسعالي: جمع سعلاة، وهي الغول.

(٢) مرى الناقة: مسح ضرعها لتدر اللبن. ومريت له الدنيا: ذللتها وأخضعتها.

(٣) زبنته الناقة: دفعته برجلها. وزبنته الدنيا: كشرت له ودفعته.

فقال له عبيد اللّه: فإني مُعوِّضك ومولِّيك، فولاَّه.

[بعض شعره]

أخبرني يحيى بن علي إجازةً، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البَلاذُرِيّ، قال: قال لي أبو اليقظان: حوَّل زيادٌ دعوة حارثة بن بدر وديوانَه في قُريش، لمكانه منه، فقال فيه رجل من بني كُليب يهجوه بذلك:

شَهِدْتُ بأنَّ حارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ غُدانِيُّ اللَّهازِمِ وَالكَلام[1]
سَجاحِ في كِتابِ اللَّهِ أدْنَى لَهُ مِنْ نَوفَلٍ وَبَنِي هِشامِ

يعني: سَجاحِ، التي ادعت النبوة، وهي امرأة من بني تميم.

قال أحمد بن يحيى: وقال المدائني: احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، أحرقها بعض أعدائه من بني عمه، فقال في ذلك: [الطويل]

رَأيْتُ المَنايا بادِئَاتٍ وَعُوَّداً إلى دارِنا سَهْلاً إليها طَرِيقُهَا
لَها نَبْعَةٌ كانَتْ تَقِينا فُرُوعُها فَقَدْ تَلِفَتْ إلا قَلِيلاً عُرُوقُها[2]

قال: وكان لحارثة أخٌ يقال له: دَارِع، فأُحرق مع ابن الحَضْرمي بالبصرة.

وقال أحمد بن يحيى أيضاً: كان عَطية بن جِعال يُهاجي حارثة بن بدر، ثم اصطلحا. وكان أيضاً يُهاجيه من قومه العُكَمِصُ، وكانت بنو سَليط تروي هجاءه لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم: [الوافر]

أراوِيَةٌ عَلَيَّ بَنُو سَلِيطٍ هِجاءَ النّاسِ يا لَبَنِي سَلِيطِ
فَمَا لَحْمِي لِتَأْكُلَهُ سَلِيطٌ شَبِيهاً بالذَّكِيِّ ولا العَبِيطِ[3]

أخبرنا أحمد بن محمّد بن عبد اللّه بن صالح بن سمح بن عمرة الأسدي أبو الحسن، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال روح بن السَّكن: كان أنس بن زُنَيْم الليثي صديقاً لعُبيد اللّه بن زيَاد، فرأى منه جفوة وأثرةً لحارثة بن بدر الغُداني، فقال: [الطويل]

أُهانُ وأُقْصَى ثُمَّ تُرْجَى نَصِيحَتِي وأيُّ امْرِئٍ يُعْطِي نَصِيحَتَهُ قَسْرَا

---

(١) اللهازم: جمع لهزمة، وهي عظم ناتىء في اللحي تحت الحنك. وغداني: أي شبيه بغدانة، وهي قبيلة.
(٢) النبعة: الشجرة النابتة في قلة الجبل تتخذ منها القسيّ والسهام. وشبهوا الأصل الكريم بالنبعة.
(٣) الذكيّ: ما ذبح تذكية. والعبيط: اللحم الطريّ الطازج.

رَأيتُ أَكُفَّ المُصَلِّتِينَ عَلَيْكُمُ ... مِلاءً وَكَفِّي مِنْ عَطاياكُم صِفْرا
فإنْ تَسْألُونِي ما عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا الَّـ ... ذِي لِيَ لَمْ أَسْطِعْ عَلى ذٰلِكُمْ صَبْرا
رَأيتُكُمْ تُعْطُونَ مَنْ تَرْهَبُونَهُ ... زرِبِيَّةً قَدْ وُشِّحتْ حَلَقاً صُفْرا[1]
وَإِنِّي مَعَ السَّاعِي عَلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ ... إذا عَظْمُكُمْ يَوْماً رَأَيْتُ بِهِ كَسْرا

فقال عُبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر: أجبه. فاستعفاه لمودةٍ كانت بينهما، فأكرهه على ذلك وأقسم عليه ليُجيبَنّه، فقال:

تَبَدَّلْتُ مِنْ أَنَسٍ إنَّهُ ... كَذُوبُ المَوَدَّةِ خَوَّانُها
أراهُ بَصِيراً بِضُرِّ الخَليلِ ... وَخَيْرُ الأخِلاَّءِ عُورَانُها[2]

فأجابه أنس فقال:

إنَّ الخِيانَةَ شَرُّ الخَليلِ ... وَالكُفْرُ عِنْدَكَ دِيوانُها
بَصُرْتُ بِهِ في قَديمِ الزَّمانِ ... كَمَا بَصُرُ العَيْنِ إنسانُها[3]

فأجابه حارثة بن بدر فقال: [المتقارب]

أَلِكْنِي إلى أنَسٍ إنَّهُ ... عَظِيمُ الحُوَاشَةِ عِنْدِي مَهِيبْ[4]
فما أَبْتَغِي عَثَراتِ الخَليلِ ... وَلاَ أَبْغِيَنَّ عَلَيْهِ الوُثُوبْ
وَما إنْ أرَى مالَهُ مَغْنَماً ... مِنَ الدَّهْرِ إنْ أعْوَزَتْنِي الكُسُوبْ

فقال أنس: [المتقارب]

أحارِ بْنَ بَدْرٍ وَأَنتَ امْرُؤٌ ... لَعَمْرِي المَتاعُ إليَّ الحَبِيب
مَتَى كانَ مالُكَ لِي مَغْنَماً ... مِنَ الدَّهْرِ إنْ أعْوَزَتْنِي الكُسُوب
وَشَرُّ الأخِلاَّءِ عِنْدَ البَلاءِ ... وَعِنْدَ الرَّزِيَّةِ خِلٌّ كَذُوب

قال: فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عُبيد اللّه زماناً، ووقع بينهما شرٌّ حتى قدم سَلْمُ بن زيادٍ من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خُراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة، وكان الذي بين عُبيد اللّه وبين سَلْم شيئاً،

---

(١) الزربية: الطنفسة، وجمعها: الزرابيّ، ووشحت: غشيت.
(٢) العوران: جمع أعور، وأراد هنا الذي لا يرى مواطن الضرر في صديقه.
(٣) إنسان العين: ناظرها، بؤبؤها.
(٤) ألكني إليه: كن رسولي إليه. والألوكة: الرسالة. والحواشة: القرابة.

فأرسل سَلم إلى أنس يعرض عليه صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة؛ فقال له أنس؛ أَمْهِلْنِي حتى أنظر في أمري، وكتب إلى عُبيد اللّه بن زياد: [الطويل]

أَلَمْ تَرَنِي خُيِّرْتُ والأَمْرُ واقِعٌ فَما كُنْتُ لِما قُلْتُ بالمُتَخَيِّرِ
رِضاكَ على شَيْءٍ سِواهُ وَمَنْ يَكُنْ إذا اخْتارَ ذا حزم من الأمْرِ يَظْفَرِ
فَعُدْتُ لِترضى عَنْ جِهادٍ وصاحِبٍ شَفِيقٍ قَدِيم الوُدِّ كانَ مُوَقِّرِي
على أحَدِ الثَّغْرَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتَهُ وَقَدْ كُنْتَ في تأمِيرِهِ غَيْرَ مُمْتَرِي[1]
فأَمْسَكْتُ عَنْ سَلْمٍ عِنَانِي وصُحبتي لِيَعْرِفَ وَجْهَ العُذْرِ قَبْلَ التَّعَذُّرِ
فَإنْ كُنْتَ لَمَّا تَدْرِ ما هِيَ شِيمَتِي فَسَلْ بِيَ أكفائِي وَسَلْ بِيَ مَعْشَرِي
أَلَسْتُ مَعَ الإِحسانِ وَالجُودِ ذَا غِنًى وَبأْسٍ إذا ما كُفِّروا في التَّسَتُّرِ
وَرأيٍ وَقَدْ أَعْصِي الهَوَى خَشْيَةَ الرَّدَى وَأعْرِفُ غِبَّ الأمْرِ قَبْلَ التَّدَبُّرِ
وما كُنْتُ لَوْلا ذاكَ تَرْتَدُّ بُغْيَتِي عَلَيَّ ارْتِدادَ المُظْلِمِ المُتَجَبِّرِ

قال: ودفعها إلى عُبيد اللّه بن زياد في صحيفة، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، وقال له: اردد على أنسٍ صحيفتَه فلا حاجةَ لنا فيها. فقال حارثة:

[الطويل]

أَلِكْني إلى مَنْ قالَ هٰذا وَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ فَما إنْ أنْتَ بِالمُتَخَيِّرِ
وَإنَّكَ لَوْ صاحَبْتَ سَلْماً وَجَدْتَهُ كَعَهْدِكَ عَهْدِ السَّوءِ لَمْ يَتَغَيَّرِ
أَتَنْصَحُ لِي يَوْماً وَلَسْتَ بِناصِحٍ لِنَفْسِكَ فَاغْشُشْ ما بَدا لَكَ أو ذَرِ
كَذَبْتَ وَلٰكِنْ أنْتَ رَهْنٌ بِخِزْيَةٍ وَيَوْمٍ كَأَيَّامِ عَبُوسٍ مُذَكَّرِ
كَأَشْقَرَ أَضْحَى بَيْنَ رُمْحَيْنِ إنْ مَضَى عَلى الرُّمْحِ يُنْحَرْ أَوْ تَأَخَّرَ يُعْقَرِ

قال: فأعجبت عُبيد اللّه، وقال: لَعمري لقد أجبتَهُ على إرادتي وأمسك عبيد اللّه في يده الصحيفة. فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيد اللّه: لقد ردّ عليَّ من لا أستطيعُ جوابَه. وظنَّ أن عبيداللّه قالها، وخرج أَنَسٌ والصحيفةُ في يده، فلقيهُ عبدُ الرحمن بن رَأْلان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعرُ حارثةَ بن بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت واللّه، ثم قال لحارثة:

[الطويل]

(١) الممتري: الشاكّ.

عَجِبْتُ لِهَرْجٍ مِنْ زمانٍ مُضلِّلٍ ... وَرَأْيٍ لألبابِ الرِّجالِ مُغَيِّرِ[1]
وَمِنْ حِقْبَةٍ عَوْجاءَ غَوْلٍ تَلَبَّسَتْ ... عَلى النَّاسِ جِلْدَ الأَرْبَدِ المُتَنَمِّرِ[2]
فَلا يُعْرَفُ المَعْرُوفُ فيهِ لأهْلِهِ ... وإنْ قِيلَ فيهِ مُنْكَرٌ لم يُنَكَّرِ
لحارثةَ المُهْدِي الخَنَى لِي ظالِماً ... وَلَمْ أرَ مِثْلَ مُدَّرٍ صَيْدَ مُدَّرِي[3]
لِحارِ بْنِ بَدْرٍ قَدْ أتتني مقالَةٌ ... فما بالُ نُكْرٍ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ مُنكَرِ
أيَزْوِي عَلَيْكَ النَّاسُ ما لا تقولُهُ ... فَتُعْذَرَ أمْ أنْتَ آمْرُؤٌ غَيْرُ مُعْذَرِ
فإنْ يَكُ حَقّاً ما يُقالُ فَلا يَكُنْ ... دَبِيباً وَجاهِرْني فَمَا مِنْ تَسَتُّرِ
أُقَلِّدْكَ إنْ كُنْتَ آمْرأً خانَ عِرْضَهُ ... قَوَافِيَ مِنْ بَاقِي الكلامِ المُشَهَّرِ
وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ اليَوْمِ جَرَّبْتَ أنَّني ... أشُقُّ على ذِي الشِّعْرِ والمُتَشَعِّرِ
وأنَّ لِساني بالقَصائِدِ ماهِرٌ ... تَعِنُّ لَهُ غُرُّ القَوافِي وتَنْبَرِي
أُصادِفُها حِيناً يَسِيراً وأبْتَغِي ... لَها مِرَّةً شَزْراً إذا لم تَيَسَّرِ[4]
تَنَاوَلُني بالشَّتْمِ في غَيْرِ كُنْهِهِ ... فَمَهْلاً أبا الخَيْمَاءِ وابْنَ المُعَذَّرِ
هَجَوْتَ وقد سَامَاكَ في الشِّعْرِ خُطَّةَ الـ ... ـذَّلِيلِ وَلَمْ يَفْعَلْ كأفعالِ مُنْكِرِ

قال: وقال أنس بن زُنَيم لعُبيد الله بن زياد، وفيه غناءٌ: [الرمل]

سَلْ أمِيرِي ما الَّذِي غَيَّرَهْ ... عَنْ وِصالِي اليَوْمَ حَتَّى ودَّعَهْ
لا تُهِنِّي بَعْدَ إكْرامِكَ لِي ... فَشَدِيدٌ عادَةٌ مُنْتَزَعَهْ
لا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقاً خُلَّباً ... إنَّ خَيْرَ البَرْقِ ما الغَيْثُ مَعَهْ[5]

[شعره الخمريّ وردّه على ابن الأحنف]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه، قال: زعم عاصم بن الحدثان أن حارثةَ بن بدر قال لعُبيد الله بن ظَبيان، وكانا في عُرْسٍ لابن مِسْمَع: هل لك في شراب؟ قال: نعم؛ فأتيا بنبيذٍ من زَبيب وعسل، فأخذ ابنُ ظبيانَ العُسَّ[6] فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه، ثم ناوله حارثة.

---

(١) الهرج: الكذب، والخداع، والفتنة.
(٢) الأربد: الأسود المختلط سواده بالكدرة. والمتنمر: الذي يشبه النمر.
(٣) المدّري: الذي يختل الصيد ليصيده.
(٤) شزراً: هنا يساراً. وأراد أنه يأتي الشعر من أي جانب شاء.
(٥) البرق الخلّب: الذي لا يعقبه المطر.
(٦) العسّ: القدح الكبير.

فقال له حارثة: يابن ظبيان، إنك لَطَب[1] بِحَسْوها. فقال: أجل، واللَّه إنِّي لأشْرَبُها حلالاً وأُجاهرُ بها إذا أَخفَى غيري شُرْبَ الحرام. فقال له حارثة: مَنْ غيرك هذا؟ قال: سائلي عن هذا الأمر. فقال حارثة: [الطويل]

إذا كُنْتَ نَدْمَانِي فَخُذْها وَسَقِّني ... وَدَعْ عَنْكَ من رآكِ تَكْرَعُ في الخَمْرِ
فَإنِّي امرُؤٌ لا أشربُ الخَمْرَ في الدُّجى ... وَلكِنَّني أَحْسُو النَّبِيذَ مِن التَّمْرِ
حَيَاءً وَتُقَىً لله واللَّهُ عالِمٌ ... بِكُلِّ الَّذِي نأتِيهِ في السِّرِّ وَالجَهْرِ
وَمِثْلُكَ قَدْ جَرَّبْتُهُ وخَبَرْتُهُ ... أَبا مَطَرٍ والحَيْنُ أَسْبَابُهُ تَجْرِي[2]
حَساها كَمُسْتَدْمَى الغَزالِ عَتِيقَةً ... إذا شُعْشِعَتْ بالماءِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ[3]
أقامَ عَلَيْها دَهْرَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ... يُشَافِهُها حَتَّى يَرَى وَضَحَ الفَجْرِ
فأصْبَحَ مَيْتاً مِيتَةَ الكلْبِ ضُحْكَةً ... لأصْحابِهِ حَتَّى يُدَهْدَهَ في القَبْرِ[4]
فما إنْ بكاهُ غَيْرُ دَنٍّ ومِزْهرٍ ... وغانِيَةٍ كالبَدْرِ واضِحَةِ الثَّغْرِ
وَباطِيَةٍ كانَتْ لَهُ خِدْنَ زَنْيَةٍ ... يُعاقِرُها وَاللَّيلُ مُعْتَكِرُ السِّتْرِ[5]

أخبرني عَمِّي، قال: حدثنا الكُرَانِيُّ، قال: حدثنا العُمري عن عاصم بن الحدثان، قال: عاتب الأحنفُ بن قيسٍ حارثةَ بن بدر على مُعَاقَرة الشَّراب وقال له: قد فَضَحْتَ نَفْسك وأسقطت قَدركَ؛ وأوجعه عتاباً. فقال له: إني سأُعْتِبُك فانصرف الأحنف طامعاً في صَلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحرٍ ما قلتُ لك. فقال: هات، فأنشده: [الطويل]

يَذُمُّ أبو بَحْرٍ أُموراً يُرِيدُها ... ويَكْرَهُها لِلأَرْيَحِيِّ المُسَوَّدِ
فإنْ كُنْتَ عَيَّاباً فَقُلْ ما تُرِيدُهُ ... ودَعْ عَنْكَ شُرْبِي لَسْتَ فيهِ بأَوْحَدِ
سَأشْرَبُها صَهْباءَ كالمِسْكِ رِيحُها ... وَأشْرَبُها في كُلِّ نادٍ وَمَشْهَدِ
فَنَفْسَكَ فَانْصَحْ يابن قَيْسٍ وَخَلِّني ... وَرَأْيِي فَما رَأْيِي بِرأْيِ مُفَنَّدِ[6]
وَقائلةٍ يا حارِ هَلْ أنْتَ مُمْسِكٌ ... عَلَيْكَ مِنَ التَّبْذِيرِ قُلْتُ لها اقْصِدِي

---

(١) الطَّبّ: الحاذق.
(٢) أبو مطر: كنية ابن ظبيان. والحين: الموت.
(٣) مستدمى الغزال: دمه. والنشر: الرائحة العطرة.
(٤) الضُّحكة: من يُضحك عليه. ويدهده في القبر: يدحرج فيه.
(٥) خدن الزنية: رفيق الضلال والغيّ والزنى.
(٦) المفنّد: الخاطىء.

ولا تَـأمُـرِيـنـي بـالـسَّـدَادِ فـإنَّـنـي رَأيْـتُ الـكَـثِـيـرَ الـمـالِ غَـيْـر مُـخَـلَّـدِ
ولا عَـيْـبَ لـي إلا اصْـطِـبَـاحِـيَ قَـهْـوَةً مَتَى يَمْتَزِجها الماءُ في الكأسِ تُزْبِدِ
مُـعَـتَّـقَـةً صَـهْـبـاءَ كـالـمِـسْـكِ ريـحُـهـا إذا هِـيَ فـاحَـتْ أذْهَـبَـتْ غُـلَّـةَ الـصَّـدِي
ألا إنَّـمـا الـرُّشْـدُ الـمُـبِـيـنُ طَـرِيـقُـهُ خِلافَ الذي قَدْ قُلْتَ إذ أَنْتَ مُرْشِدي
سـأشْـرَبُـهـا مـا حَـجّ لله راكِـبٌ مُـجَـاهَـرَةً وَحْـدِي وَمَـعْ كُـلِّ مُـسْـعِـدِ
وَأُسْـعِـدُ نَـدْمـانـي وَأتْـبـعُ شَـهْـوَتـي وَأبْـذُلُ عَـفْـواً كُـلَّ مَـا مَـلَـكَـتْ يَـدِي
كَذا العَيْشُ لا عَيْشُ ابْنِ قَيْسٍ وَصَحْبِهِ مِنَ الشُّرْبِ لـلـمـاءِ القَراحِ الـمُـصَـرَّدِ

فقال له الأحنف: حسبك، فإني أراك غير مُقْلِع عن غيِّك، ولن أعاتبك بعدها أبداً.

قال عاصم: ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلامٌ وخصومة، فافترقا عن مجلسهما مُتغاضبَيْن، فبلغ حارثةَ أن الأحنف قال: أما والله لولا ما يَعْلم لقلتُ فيه ما هو أهلُه. فقال حارثة: وهل يَقدر على أن يذُمّني بأكثَر من الشرابِ وحُبِّي له؟ وذلك أمرٌ لستُ أعتذِرُ منه إلى أحد، ثم قال في ذلك: [الطويل]

وَكَـمْ لائِـمٍ لـي فـي الـشَّـرابِ زَجَـرْتُـهُ فَـقُـلْـتُ لَـهُ دَعْـنِـي ومـا أنـا شـارِبُ
فَلَسْتُ عَنِ الصَّهباءِ ما عِشْتُ مُقْصِراً وإنْ لامَـنـي فيـهـا اللِّئامُ الأَشَائِبُ[١]
أأتْـرُكُ لَـذَّاتـي وَآتِـي هَـواكُـمُ ألا لَيْسَ مِثْلِي يابن قَيْسٍ يُخالَبُ[٢]
أنـا الـلَّـيْـثُ مَـغْـدُوّاً عـلـيـهِ وعـاديـاً إذا سُلَّت البِيضُ الرِّقَاقُ القَوَاضِبُ
فَـأنْـتَ حَـلِـيمٌ تَـزْجُـرُ الـنَّـاسَ عـن هَـوَى نُـفُـوسِـهِـمُ جَـهْـلاً وَحِـلْـمُـكَ عَـازِبُ
فَـحِـلْـمَـكَ ضِـنْـهُ لا تُـذِلْـهُ وَخَـلِّـنـي وَشَأنِيَ وارْكَبْ كُلَّ ما أنْتَ راكِبُ[٣]
فـإنِّـي امْـرُؤٌ عَـوَّدْتُ نَـفْـسِـيَ عـادَةً وَكُلُّ امْرِىءٍ لا شَكَّ ما اعْـتـادَ طـالِـبُ
أجُـودُ بـمـالـي مـا حَـيِـيـتُ سَـمـاحَـةً وَأنْتَ بَخِيلٌ يَجْتَويك المُصاحِبُ[٤]
فَـمـا أنْـتَ أو مـا غَـيُّ مَـن كـانَ غـاوِيـاً إذا أنْـتَ لـم تُـسْـدَدْ عـلـيـكَ الـمَـذاهِـبُ

[خبره مع الوليد بن عبد الملك]

(١) الأشائب: الخلطاء، غير الصرحاء. جمع أشابة.
(٢) يخالب: يخادع، يخاتل.
(٣) لا تذله: لا تبتذله، لا تضيعه.
(٤) يجتويك: يكرهك.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليلُ بن أسد، قال: أنبأنا العُمري عن العُتبي، قال: أجرى الوليد بن عبد الملك الخيلَ وعنده حارثةُ بن بدرٍ الغُداني، وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الوليدُ، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهنَّاه ودعا له، ثم قال: [الوافر]

إلى الألفَينِ مُطَّلَعٌ قَريبٌ زِيادةُ أربَعٍ لِي قَدْ بَقِينا
فإنْ أهلِكْ فَهُنَّ لَكُمْ وإلاّ فَهُنَّ مِنَ المَتاعِ لَكُمْ سِنِينَا

فقال له الوليد: فتشاطرني ذلك: لك مائتان ولي مائتان. فصيَّر عَطاءه ألفاً وثَمَانِمَائة. ثم أجرى الوليدُ الخيلَ، فسبق أيضاً؛ فقال حارثة: هذه فرصة أُخرى. فقام فهنأه ودعا له، ثم قال: [الطويل]

وما احْتَجَبَ الألفانِ بِهيِّنٍ هما الآنَ أدْنَى مِنهُما قَبْلَ ذلكا
فَجُدْ بِهِما تَفْدِيكَ نَفْسِي فَإنَّنِي مُعَلِّقُ آمالي بِبَعْضِ حِبالِكا

فأمر الوليدُ له بالمائتين، فانصرف وعَطاؤه ألفان.

أخبرني محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهديُّ بن سابق، قال: أنبأنا عبدُ الرحمن بن شَبِيب بن شَبَّة، عن أبيه، قال: قال زيادٌ يوماً لحارثةَ بن بدرٍ: مَنْ أخطبُ الناسِ، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطبُ مني إذا توعَّد ووَعَد، وأَعْطَى ومنع، وبَرَق ورَعَد؛ وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناءِ والتَّحْبير[1]، وأنا أكذِب إذا خطبتُ، فأحشو كلامي بزيادةٍ مليحةٍ شهيَّة، والأميرُ يَقْصِد إلى الحقِّ وميزان العدل ولا يَزيد فيه شُعَيْرة ولا يَنقص منه. فقال له زياد: قاتلك الله! فلقد أجدتَ تخليصَ صفتك وصفتي، من حيثُ أعطيتَ نفسك الخطابةَ كلَّها وأرضيتني وتخلَّصْت. ثم التفتَ إلى أولاده فقال: هذا لَعمركم البيانُ الصريح.

أخبرني محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحِرمازيّ، قال: شرب حارثة بن بدرٍ مع بني زيادٍ ليلةً إلى الصُّبح فأكثر، وصرف[2] ومزجوا، فلما أن غدا على زيادٍ كان وجهه شديدَ الحمرة، ففَطِن له زِياد، فقال: ما لك يا حارثة؟

(١) التحبير: التنميق.
(٢) صرف: شرب الخمر صرفاً أي غير ممزوجة بالماء.

فقال: أكلت البارحةَ رمَّاناً فأكثرت. قال: قد عرَفت مع من أكلتَه، ولكنهم قَشَّروه وأكلتَه بِقِشره فأصارك إلى ما تَرَى.

[رثاؤه زياداً بن عبيد اللَّه]

قال الجِرمازي: قال بعضُ أهلِ العلم: إنَّ زياداً استعمل حارثةَ على سُرَّقٍ[1]. فمات زيادٌ وهو بها، ثم إنه بَلَغه موتُه، فقال حارثةُ يرثيه: [البسيط]

إن الـرَّزِيَّـةَ فِـي قَـبْـرٍ بِـمَـنْـزِلَـةٍ ... تَجْرِي عَلَيْها بظَهْرِ الكُوفَةِ المُورُ[2]
أَدَّتْ إليـهِ قُـرَيْـشٌ نَـعْـش سَـيِّـدِها ... فَفِيهِ ضَافِي النَّدَى والحَزْم مَقْبُورُ[3]
أَبَـا الـمُـغِـيـرة وَالـدُّنْـيـا مُـغَـيِّـرَةٌ ... وَإِنَّ مَـنْ غُـرَّ بـالـدُّنْـيـا لَـمَـغْـرُورُ
قد كـانَ عِـنْـدَكَ لِـلْـمَـعْـرُوفِ مَـعْـرِفَـةٌ ... وكـانَ عِـنْـدَكَ لِـلـنَّـكْـرَاءِ تَـنْـكِـيـرُ
وَكُنْتَ تُؤْتَى فتُعْطِي الخَيْرَ عَنْ سَعَةٍ ... فَـالـيَـوْمَ بـابُـكَ دُونَ الـهَـجْـرِ مَـهْـجُـورُ
وَلا تَـلِـيـنُ إذا عُـوسِـرْتَ مُـقْـتَـسِـراً ... وَكُـلُّ أَمْـرِكَ مـا يُـوسِـرْتَ مَـيْـسُـورُ[4]

قال: وكان الذي أتاه بنَعيه مسعودُ بن عمرٍو الأَزْديّ، فقال حارثة:

لَـقَـدْ جـاءَ مَـسْـعُـودٌ أَخُـو الأَزْدِ غـدْوَةً ... بِـداهِـيَـةٍ غَـرَّاءَ بَـادٍ حُـجُـولُـهَـا[5]
مِـنَ الـشَّـرِّ ظَـلَّ الـنَّـاسُ فـيـهـا كـأَنَّـهُـمْ ... وَقَـدْ جـاءَ بـالأَخْـبَـارِ من لا يُـحِـيـلُـهـا

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: أنبأنا العُمري عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرّج السَّدوسي، قال: دخل حارثة بن بدر على عبيد اللَّه بن زيادٍ وعندهُ سعد الرَّابيةُ، أحدُ بني عمرو بن يربوع بن حَنظلة، وكان شريراً يُضحك ابنَ زيادٍ ويُلهيه، وله يقول الفرزدق: [البسيط]

إنِّـي لأُبْـغِـض سَـعْـداً أَنْ أُجـاوِرَهُ ... ولا أُحِـبُّ بَـنـي عَـمْـرِو بـن يَـرْبُـوعِ
قَـوْمٌ إذا حـارَبُـوا لَـمْ يَـخْـشَـهُـمْ أَحَـدٌ ... وَالـجـارُ فِـيـهِـمْ ذلِـيـلٌ غَـيْـرُ مَـمْـنُـوعِ

فلما جلس حارثةُ قال له سعد: يا حارثة، أَيْنَعَ الكَرْمُ؟ قال: نعم، واستودع

---

(١) سُرَّق: احدى كور الأهواز. (معجم البلدان ٣/ ٢١٤).
(٢) المور: الرياح التي تثير التراب.
(٣) ضافي الندى: الكريم الكثير.
(٤) مقتسراً: مكرهاً.
(٥) الحجول: جمع حجل، وهو الخلخال.

ماءَه الأَصِيص[١]، فَمَهْ؟ قال: إني لم أُرد بأساً. قال: أجل! ولستَ من أهل البأس ولكن هل لك علمٌ بالأتان إذا اغْتاصَ[٢] رحمها، كيف يُسْطَى عليها، أكما يُسطى على الفرس، أم كيف؟ قال: واحِدةٌ بِواحدة، والبادي أظلم؛ سألتني عما لا عِلمَ لي به، وسألتُك عما تعلم. قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، ولكن من شاء جَهَّل نفسَه وأنكر ما يَعرف. وقال حارثةُ يهجو سعداً: [الطويل]

لا تَـرْجُ مِـنِّـي يـابـن سَـعْـدٍ هَـوادةً ... ولا صُـحْـبَـةً مـا أَرْزَمَـتْ أُمُّ حَـائِـلِ[٣]
أَعِـنْـدَ الأمِـيـرِ ابْـنِ الأَمِـيـرِ تَـعِـيـبُـنِـي ... وَأَنْتَ ابْنُ عمرٍو مُضْحِكٌ في القَبَائِلِ
وَلَـوْ غَـيْـرَنـا يـا سَـعْـدُ رُمْـتَ حَـرِيـمَـهُ ... بِـخَـسْـفٍ لَـقَـدْ غُـودِرْتَ لَـحْـمـاً لآكِـلِ
فَشالَتْ بِكَ الـعَـنـقاءُ أوْ صِرْتَ لَـحْـمَـةً ... لأغْـبَـسَ عَـوَّاءِ الـعَـشِـيّـاتِ عـاسِـلِ[٤]

أخبرني هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرِّياشي عن الأصمعي وأبي عُبيدة، قالا: كان حارثة بن بدر يجالس مالكَ بن مسمع فإذا جاء وقتٌ يشرب فيه قام، فأراد مالك أن يُعلم مَنْ حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا العَنبس؟ قال: أجيء بعبَّادٍ[٥] بن الحُصينِ يَفْقأ عينَك الأُخرى ـ وقال الأصمعيُّ: أمضي فأفقأ عين عبّادِ بن الحصين لآخذ لك بثأرك ـ وكان عبادُ فقأ عينَ مالكٍ يوم المِرْبَدِ.

قال: وذكر المدائنيُّ أن حارثة بن بدر كان يومئذٍ ـ وهو يومُ فتنة مسعود ـ على خيل حنظلةَ بإزاء بكر بن وائل، فجعل عَبْس بن مطلق بن ربيعةَ الصُّريمي على الخيل بحيال الأزد، ومعه سَعد والرباب والأساورة، وقال حارثةُ بن بدر:

[المتقارب]

سَـيَـكْـفِـيـكَ عَـبْـسٌ أَخُـو كَـهْـمَـسٍ ... مُـقَـارَعَـةَ الأزْدِ بِـالـمِـرْبَـدِ[٦]
وَيَـكْـفِـيـكَ عَـمْـرٌو وأشْـيـاعُـهُ ... لُـكَـيْـزَ بْـنَ أَفْـصَـى ومـا عَـدَّدوا
وَأَكْـفِـيـكَ بَـكْـراً إذا أقْـبَـلَـتْ ... بِـطَـعْـنٍ يَـشِـيـبُ لَـهُ الأَمْـرَدُ

فلما اصطف الناس، أرسل مالكِ بن مسمع إلى ضرار بن القَعقاع يسأله

(١) الأصيص: إناء كبير يتخذ للشراب.
(٢) اغتاص رحمها: التاث.
(٣) أرزمت: حنت. وأم حائل: كنية الناقة.
(٤) الأغبس: الذئب. والعاسل: المضطرب في مشيه.
(٥) في البيت إقواء.

الصلْحَ على أن يعطيه ما أحبَّ، فقال له حارثة: إنه والله ما أرسل إليك نظراً لك ولا إبقاءً عليك، ولكنه أراد أن يُغْرِيَ بينَك وبين سعد. فمضى ضرارٌ إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالكٍ فهزمه، وفقئت عينه يومئذ.

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام، عن أبي اليقظان قال: مرَّ حارثة بن بدرٍ بالمسجد الذي يقال له «مسجد الأحامرة» بالبصرة فرأى مَشْيَخَةً قد خضبوا لِحَاهم بالحنّاء فقال: ما هذه الأحامرة؟ فالمسجدُ الآنَ يُلَقَّبُ «مَسجِد الأحامرة» منذ يومِ قال حارثةُ هذا القول.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن القحذمي، قال: عرض لحارثة بن بدر رجلٌ من الخُلْج[1] في أمرٍ كرهه عند زياد، فقال فيه حارثةُ:

[البسيط]

لَقَدْ عَجِبتُ وَكَمْ لِلدَّهْرِ مِنْ عَجَبٍ ... مِمّا تَزَيَّدَ في أَنْسابِها الخُلُجُ
كانُوا خَساً أَوْ زَكاً مِنْ دونِ أرْبَعَةٍ ... لَمْ يخْلَقُوا وجُدودُ النّاسِ تَعْتَلِجُ

الخَسَا: الفَرْد، والزَّكا: الزوج.

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: أنبأنا أحمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن عمر بن زياد الكِندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدةَ، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كنتُ عند عبدِ اللّه بن جعفر بن أبي طالب فأنشدتُه لحارثة بن بدرٍ:

[الطويل]

وَكانَ لَنَا نَبْعٌ تَقِينا عُرُوقُهُ ... فقدْ بَلَغَتْ إلا قَليلاً حُلُوقُها
وَشَيَّبَ رأسِي وَاسْتَخَفَّ حُلُومَنا ... رُعُودُ المَنايا فَوْقَنا وبُرُوقُها
وَإنّا لَتَسْتَحْلِي المَنايا نُفُوسَنا ... وَنَتْرُكُ أُخْرَى مُرَّةً ما تَذُوقُها
رَأيْتُ المَنَايا بادِئاتٍ وَعُوَّداً ... إلى دارِنا سَهْلاً إليها طريقُها
فَقَدْ قُسِّمَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُما ... فَرِيقٌ مَعَ المَوْتَى وَعِنْدِي فريقُها

قال الشَّعبي: فقال لي ابنُ جعفر: نحن كنا أحقَّ بهذا الشعر. وجاءه غلامُهُ بدراهمَ في منديل، فقال له: هذه غلَّة أرْضِك بمكان كذا وكذا. فقال: أَلْقِها في حِجر الشَّعبيّ. فألقاها في حِجري.

(١) الخلج: أبناء الحارث بن فهر. (انظر جمهرة أنساب العرب ص ١٧٦).

أخبرني الحسنُ بن علي، قال: أنبأنا أحمدُ بن الحارث الخرازُ، عن المدائني، عن مسلمةَ بن محارب: أن زياداً استعمل حارثةَ بن بدر على كُوَار[١]، وهو إذْ ذاك عاملُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه على فارس، وكان حارثةُ بن بدر صاحبَ شراب، فكتب زيادٌ إلى حارثةَ يحثُّه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمةُ بن مَعْبَدٍ المازني: [الوافر]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ حـارِثَـةَ بْـنَ بَـدْرٍ ... يُـصَـلِّـي وَهْـوَ أكْـفَـرُ مِـنْ حِـمـارِ[٢]
وَأنَّ الـمـالَ يُـعْـرَفُ مَـنْ حَـوَاهُ ... وَيُـعْـرَفُ بِـالـزَّوانِـي والـعُـقَـارِ[٣]

وقال المدائني في خبره هذا: حَمل زيادُ بن أبيه حارثةَ بن بدر على بغلة يقال لها «أطلال» كان خرزاد بن الهربد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له، فركبها حارثةُ، وكان فيها نِفَارٌ، فصَرعته عن ظهرها، فقام فركبها، وقال:

مـا هـاجَ أطْـلالَ بِـجَـنْـبَـي حِـرْمَـهْ ... تَـحْـمِـل وَضَّـاحـاً رَفِـيـعَ الـحِـكْـمَـهْ[٤]
قَـرْمـاً إذا زاحَـمَ قَـرْمـاً زَحَـمَـهْ

[مدحه سليمان بن عمرو]

أخبرني محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن زكرياء، قال: أنبأنا إبراهيمُ بن عمر عن أبي عُبيدة وعبد الله بن محمد، قالا: مرَّ سليمانُ بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خراسان، فأنزله وقراه وقرى أصحابه، وحملهم وإياه، فلما ركبوا للمسير قال سليمان: [الطويل]

قَرَيْتَ فأحْسَنْتَ القِرَى وسَقَيْتَنا ... مُعَتَّقَةً صَهْباءَ كالعَنْبَرِ الرَّطْبِ
وَوَاسَيْتَنا فِيمَا مَلَكْتَ تَبَرُّعاً ... وَكُنْتَ ابْنَ بَدرٍ نِعْمَ ذو مَنْزِلِ الرَّكْبِ
وَأنْتَ لَعَمْرِي في تَمِيمٍ عِمادُها ... إذا ما تَداعَتْ لِلعُلى مَوْضِعُ القُطْبِ

---

(١) كوار: من نواحي فارس. (معجم البلدان ٤/٤٨٦).

(٢) أكفر من حمار: مثل وحمار المذكور في المثل: هو رجل من عاد اسمه حمار بن مويلع وقال الشرقي: هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي ـ كان مسلماً وكان له وادٍ خصب فأصابت اولاده صاعقة فهلكوا فكفر ودعا قومه إلى الكفر فأهلكه الله وأخرب واديه، فضرب به المثل. (مجمع الأمثال للميداني، مادة كفر).

(٣) العُقار: الخمر.

(٤) حرمة: موضع في جانب حمى ضرية (معجم البلدان ٢/ ٢٤٥).

وَفـارِسُـهـا فـي كُـلِّ يَـوْمِ كَـرِيـهَـةٍ وَمَلْجَؤُها إنْ حَلَّ خَطْبٌ مِنَ الخَطْبِ
وَعِـنْـدَكُـمْ نـالَ الـغِـنَـى مَـنْ أرادَهُ إذا ما خَطَرْتُمْ كالضَّراغِمَةِ الغُلْبِ
يُرَى الحَلَقُ المَاذِيُّ فَوْقَ حُماتِهِمْ إذا الحَرْبُ شُبَّتْ بالمُهَنَّدَةِ القُضْبِ[١]
وَعِنْدَ الرَّخا وَالأمْنِ غَيْثٌ وَرَحْمَةٌ لِمَنْ يَعْتَرِيهِمْ خائفاً صَوْلَةَ الحَرْبِ
وَجَدْتُهُمْ جُوداً صِباحاً وُجُوهُهُمْ كِراماً على العِلاَّتِ في فادِحِ الخَطْبِ
كأنَّ دَنانِيراً على قَسَماتِهِمْ إذا جِئْتَهُمْ قَدْ خِفْتَ نُكْباً مِنَ النُّكْبِ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي تَمِيماً فَخَيْرُكُمْ غُدانَةُ حَقّاً قالَهُ غَيْرُ ذِي لَعْبِ

فقال حارثة يُجيبه: [الطويل]

وَأسْحَمَ مَلآنٍ جَرَرْتُ لِفِتْيَةٍ كِرام أبوهُمْ خَيْرُ بَكْرِ بْنِ وائِلِ[٢]
وَأطْوَلُهُمْ كَفّاً وَأصْدَقُهُمْ حَياً وَأكْرَمُهُمْ عِنْدَ اخْتِلافِ المَناصِلِ[٣]
مِنَ المَرْثَدِيِّينَ الَّذِينَ إذا انْتَدَوا رَأيْتَ نَدِيّاً جَدُّهُ غَيْرُ خامِلِ
فَعالُهُمُ زَيْنٌ لَهُمْ وَوجوهُهُمْ تَزِينَ الَّذِي يأتُونَهُ في المَحافِلِ
فَسَقْياً وَرَعْياً لابْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ سُلَيْمانَ ذي المَجْدِ التَّلِيدِ الحُلاَحِلِ[٤]
فتًى لَمْ يَزلْ يَسْمُو إلى كُلِّ نَجْدَةٍ فيُدْرِك ما أعْيَتْ يَد المُتَناوِلِ
فَحَسْبُكَ بِي عِلْماً بهِ وَبِفَضْلِهِ إذا ذُكِرَ الأقْوامُ أهْلَ الفَضائِلِ

أخبرني عمي، قال: أنبأنا الكراني، قال: أنبأنا العمري، عن عطاء بن مُصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال: دخل أنس بن زنيم على عُبيد الله بن زياد، وعنده حارثة بن بدر، وكان بينهما تَعَارُض ومُقارضة قبل ذلك، فلما خرج أنسٌ قال عُبيد الله لحارثة: أيّ رجلٍ هو أنسٌ عندك؟ قال: هو عندي ـ أصلح الله الأمير ـ كما قلتُ فيه: [الطويل]

يَبِيتُ بَطِيناً مِنْ لُحُوم صَدِيقِهِ خَمِيصاً مِن التَّقْوَى وَمِنْ طَلَبِ الحَمْدِ
يَنامُ إذا ما اللَّيْلُ جَنَّ ظَلامُهُ وَيَسْرِي إلى حاجاتِهِ نَوْمَةَ الفَهْدِ
يُراعِي عَذارَى قَوْمِهِ كُلَّما دَجا لَهُ اللَّيْلُ وَالسَّوْآت كالأسَدِ الوَرْدِ

(١) الحلق الماذيّ: الدروع. والمهندة القضب: السيوف الحادة القاطعة المصنوعة بالهند.
(٢) الأسحم: زقّ الخمر.
(٣) المناصل: السيوف. واحده: منصل.
(٤) الحلاحل: الشجاع، الكثير المروءة.

جَرِيئاً على أَكْلِ الحَرامِ وَفِعلِهِ ... جَباناً عَنِ الأقرانِ مُعْتَرِمَ الكَرْدِ[١]

فلما كان من الغد دخل أنسٌ على عُبيد اللّه، فقال له عبيدُ اللّه بحَضرة حارثة: إني سألتُ هذا عنك فأخبرني بما كرهتُه لك، ولم أكن إخالُك كما نُعِتَّ لي ـ فقال: أصلح الله الأميرَ، إن يكن قال خيراً فأنا أهلُه، وإن قال غير ذلك فلم يَعْدُ ما هو أَوْلَى به منِّي، أما والله لو كان ـ أصلح الله الأمير ـ حقّاً، لَحَفِظ غيبتي، فلقد أوليتُه حسنَ الثَّناء بما ليس أهلُه، والله يعلم أني كنت كاذباً، وما إخالُ ما قالهُ فيَّ إلا عقوبة، فإن عقوبةَ الكذبِ حاضرةٌ، وثمرةُ الكذب الندامة، فقد لعَمْرِي أَجْنَيْتُها بكذبي وقولي فيه ما ليس فيه. وهو عندي كما أقول ـ أصلح الله الأمير ـ وأنشد:

[الطويل]

يُحَلِّي لِيَ الطَّرْفَ ابْنُ بَدْرٍ وإنَّنِي ... لأَعْرِفُ في وَجْهِ ابْنِ بَدْرٍ لِيَ البُغْضَا
رَآني شَجاً في حَلْقِهِ ما يُسِيغُه ... فما إنْ يزالُ الدَّهْرَ يُجْرَضُ بي جَرْضا[٢]
وَما لِيَ مِنْ ذَنْبٍ إليهِ عَلِمْتُهُ ... سِوَى أنْ رآني في عَشِيرَتِهِ مَحْضا[٣]
وَإنَّ ابْنَ بَدْرٍ في تَمِيمٍ مُكَرْكَسٌ ... إذا سِيمَ خَسْفاً أو مُشَنَّعَةً أَغْضَى[٤]
فَعِشْ يابن بَدْرٍ ما بَقِيتَ كما أَرَى ... كَثيرَ الخَنا لا تَسْأَمُ الذُّلَّ وَالغَضّا
تَعِيبُ الرِّجالَ الصّالِحِينَ وَفِعْلَهُمْ ... وَتَبْذُلُ بُخْلاً دونَ ما نِلْتَهُ العِرْضا
وَتَرْضَى بما لا يَرْتَضِي الحُرُّ مِثْلَهُ ... وَذو الحِلْمِ بالتَّخْيسِ وَالذُّلِّ لا يَرْضَى[٥]

قال: وقال أنس في حارثة بن بدر ينسُبُه إلى الخمر والفجور:

أحارِ بْنَ بَدْرٍ باكِرِ الرّاحَ إنَّها ... تُنَسِّيكَ ما قَدَّمْتَ في سَالِفِ الدَّهْرِ
تُنَسِّيكَ أَسْباباً عِظاماً رَكِبْتَها ... وَأَنْتَ على عَمْياءَ في سَنَنٍ تَجْرِي
أتَذْكُرُ ما أَسْدَيتَ وَاخْتَرْتَ فِعْلَهُ ... وَجِئْتَ مِنَ المَكْرُوهِ وَالشَّرِّ والنُّكْرِ
إذا قُلْتُ مَهلاً نِلْتَ عِرْضِي فما الَّذِي ... تَعِيبُ على مِثْلِي هُبِلْتَ أبا عَمْرِو
أَلَيْسَ عَظِيماً أنْ تُكَايِدَ حُرَّةً ... مُهَفْهَفَةَ الكَشْحَيْنِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
فَإنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ بِشَرِكَ بالَّذِي ... عُرِفْتَ بِهِ إذْ أَنْتَ تَخْزَى ولا تَدْرِي

---

(١) مُعترم الكَرْد: صلب العنق.
(٢) يجرض: يغص.
(٣) المحض: الخالص النسب. الصافي.
(٤) المكركس: الذي ولدته أمة.
(٥) التخييس: الإذلال.

فَدَعْ عَنْكَ شُرْبَ الخَمْرِ وارْجِعْ إلى الّتِي بِهَا يَرْتَضِي أَهْلُ النَّباهَةِ والذِّكْرِ
عَلَيْكَ نَبِيذَ التَّمْرِ إنْ كُنْتَ شارِباً فإنَّ نَبِيذَ التَّمْرِ خَيْرٌ مِنَ الخَمْرِ
ألا إنَّ شُرْبَ الخَمْرِ يُزْرِي بِذِي الحِجَى وَيَذْهَبُ بالمالِ التّلادِ وَبالوَفْرِ
فَصَبْراً عَنِ الصَّهْباءِ واعْلَمْ بأنَّنِي نَصِيحٌ وَأنّي قَدْ كبرتُ عَنِ الزَّجْرِ
وَأنَّكَ إنْ كَفْكَفْتَنِي عَنْ نَصِيحَةٍ تَرَكْتُكَ يا حَارِ بنَ بَدْرٍ إلى الحَشْرِ
أَأَبْذُلُ نُصْحِي ثمَّ تَعْصِي نَصِيحَتِي وَتَهْجُرُنِي عَنْها هُبِلْتَ أبا بَدْرِ

[خبره مع أبي الأسود الدؤلي حين ولي سُرَّق]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجَوهري، قال: حدّثنا عمرُ بن شبَّة، قال: حدّثنا عبد اللّه بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لما ولِيَ حارثةُ بن بدرٍ سُرَّق خرج معه المُشيِّعون من البصرة وفيهم أبو الأسود الدُّؤَلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال له: [الطويل]

أحارَ بْنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ إمارَةً فَكُنْ جُرَذاً فيها تخُونُ وتَسْرِقُ
وَلا تَحْقِرَنْ يا حارِ شَيْئاً تُصِيبُهُ فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ العِرَاقَيْنِ سُرَّقُ
فإنَّ جَمِيعَ النّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ يَقُولُ بما يَهْوَى وإمّا مُصَدِّقُ
يَقُولُونَ أقْوالاً بِظَنٍّ وَشُبْهَةٍ فَإنْ قِيلَ هاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا
فَلا تَعْجَزَنْ فالعَجْزُ أبْطأُ مَرْكَبٍ وما كُلُّ مَنْ يُدْعَى إلى الرِّزْقِ يُرْزَقُ
وَكاثِرْ تَمِيماً بِالغنى إنَّ لِلْغِنَى لِساناً بِهِ يَسْطُو العَيِيُّ ويَنْطِقُ

فقال له حارثة: [الطويل]

جَزاكَ مَلِيكُ النَّاسِ خَيْرَ جَزائِهِ فَقَدْ قُلْتَ مَعْروفاً وَأوْصَيْتَ كَافِيَا
أمَرْتَ بِحَزْمٍ لَوْ أمَرْتَ بِغَيْرِهِ لألْفَيْتَنِي فِيهِ لِرَأْيِكَ عاصِيا
سَتَلْقَى أخاً يُصْفِيكَ بالوُدِّ حاضِراً وَيُولِيكَ حِفْظَ الغَيْبِ إنْ كُنْتَ نائِيا

أخبرني محمدُ بن مَزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: لما نُدِبَ حارثةُ بن بَدر لقتالِ الأزارقةِ بدُولاب[1] لقيهم، فلما حميت الحربُ بينهم واشتدَّت، قال حارثة لأصحابه: [مجزوء الرجز]

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا وَحَيْثُ شِئْتُمْ فاذْهَبُوا

(١) دولاب: بلدة قريبة من الأهواز. (معجم البلدان ٢/ ٤٨٥).

ثم انهزم، فقال غوث بن الحُباب يهجوهُ ويُعيِّره بالفِرار، ويُعيره بشُرب الخمر ومعاقرتها: [الطويل]

أحارِ بن بَدْرٍ دونَكَ الكأسَ إنَّها ... بِمِثْلِكَ أوْلَى مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

عَلَيْكَ بها صَهْبَاءَ كالمِسْكِ ريحُها ... يَظَلُّ أخُوها للعِدَا غَيْرَ هَائِبِ

فَدَعْ عَنْكَ أقواماً وَلِيتَ قِتالَهُمْ ... فَلَسْتَ صَبُوراً عندَ وَقْعِ القَواضِبِ

وَخُذْها كَعَيْنِ الدِّيكِ تَشْفِي مِنَ الجَوَى ... وَتَتْرُكُ ذَا الهِمَّاتِ حَضْرَ المَذاهِبِ

إذا شُعْشِعَتْ بالماءِ خِلْتَ حَبابَها ... نَظائِمَ دُرٍّ أوْ عُيونَ الجَنادِبِ

كأنَّكَ إذ تَحْسُو ثلاثَةَ أكْؤُسٍ ... مِنَ التِّيهِ قَرْمٌ مِنْ قُرومِ المَرازِبِ[1]

وَدَعْ عَنْكَ أبْناءَ الحُروبِ وَشَدَّهُمْ ... إذا خَطَروا مِثْلَ الجِمالِ المَصَاعِبِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شَبَّة، قال: حدّثنا العَلاء بن الفَضل بن أبي سُوية، قال: حدّثني أبي، قال: كانت في تَميم حَمَالتان[2]؛ فاجتمعوا في مَقبرة بني شَيبان، فقال لهم الأحنف: لا تَعْجلوا حتى يحضَر سيِّدُكم. فقالوا: مَن سيدُنا غيرُك؟ قال: حارثةُ بن بدر. قال: وقَدِم حارثة من الأهواز بمالٍ كثير فبَلغه ما قال الأحنف، فقال: أغْرَمَنِيها والله ابنُ الزَّافِرِيَّة! ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا، فقال: فِيم اجتمعتم؟ فأخبروه. فقال: لا تَلْقَوا فيهما أحداً فهما عليّ، ثم أتى منزله فقال: [الكامل]

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ ... وَمِنَ الشَّقاءِ تَفَرّدِي بالسُّودَدِ

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني أحمدُ بن عُبيد اللّه بن عمار، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، قال: خَرج أصحاب الحديث إلى سُفْيان بن عُيَينة فازدحموا، فقال: لقد هَمَمْتُ ألا أُحدِّثكم شهراً. فقام إليه شاب من أهل العراق، فقال له: يا أبا محمد، أَلِنْ جانبَك، وحَسِّنْ قولَك، وتأسَّ بصالحي سَلفِك، وأَجْمِل مُجالسةَ جُلَسائِك، فقد أصبحتَ بقيةَ الناسِ، وأميناً للّه ورسوله على العِلم، والله إن الرجلَ ليريد الحجَّ فتَتَعاظَمه مشقتُه حتى يكاد أن يقيم، فيكونُ لقاؤُه إياكَ وطَمعُه فيكَ أكثر

(١) المرازب: جمع مرزبان وهو الرئيس من الفرس.

(٢) الحمالة: الغرامة يحملها قوم عن قوم، والدية.

ما يحرِّكه عليه. قال: فخضع سفيان وتواضع ورَقَّ وبكى، ثم تمثَّل بقول حارثة:

[الكامل]

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتَ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ الشَّقاءِ تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

ثم حدَّثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رَحلوا.

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ ومحمدُ بن الحسين الكِندي، قالا: حدثنا الخليلُ بن أسدٍ، قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم بن عديّ، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عُتيبة، أن حارثة بن بدر الغُداني كان سعى في الأرض فساداً، فأهدر عليٌّ بن أبي طالبٍ عليه السلام دَمه، فهرب فاستجار بأشراف الناس، فلم يُجِرْه أحد، فقيل له: عليكَ بسعيدِ بن قيسٍ الهمدانيّ فلعله أن يُجيرك. فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه فقال: أَجِرْنِي أجارك الله، قال: ويحك، ما لك؟ قال: أهدر أمير المؤمنين دَمي. قال: وفيم ذاك؟ قال: سعيتُ في الأرض فساداً. قال: ومن أنت؟ قال: حارثة بن بدر الغُداني. قال: أَقِمْ. وانصرفَ إلى عليٍّ عليه السلام فوجده قائماً على المنبرِ يَخْطُب، فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاءُ الَّذينَ يُحَاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فَسَاداً؟ قال: أَنْ يُقَتَّلوا أَو يصلَّبوا أَوْ تُقَطَّع أيدِيهِم وأَرْجلهم من خلافٍ أَو يُنفوا من الأرض. قال: يا أمير المؤمنين، إلا من؟ قال: إلا من تاب. قال: فهذا حارثةُ بن بدر قد جاء تائباً، وقد أجرتُه. قال: أنت رَجلٌ من المسلمين وقد أَجَرْنا من أَجَرْت. ثم قال عليٌّ عليه السلام وهو على المنبر: أيها الناس، إني كنت نذرتُ دَمَ حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يَعْرِضْ له. فانصرفَ إليه سعيدُ بن قيسٍ فأعلمه وحمله وكساه، وأجازه بجائزة سَنية، فقال فيه حارثة:

اللَّهُ يَجْزِي سَعِيدَ الخَيْرِ نافِلَةً أَعْني سَعِيدَ بن قَيْسٍ قَرْمَ هَمْدَانِ
أَنْقَذَني مِنْ شَفَا غَبْراء مُظلِمَةٍ لَوْلا شَفاعَتُهُ أُلْبِسْتُ أَكْفانِي
قالَتْ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ لا نُخاطِبُهُ وَقَدْ أَبَتْ ذلِكُمْ قَيْسُ بْنُ غَيلانِ

قال الهَيثم: لم يكن الحسن بن عُمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثةِ الأبيات، وأخذتُ الشعرَ كلَّه من حمادٍ الرَّاوية، فقلت له: ممَّن أخذْتَه؟ قال: من سِمّاك بن حَرب. وهو:

أساغَ في الحَلْق رِيقاً كانَ يَجْرِضُنِي وَأَظْهَرَ الله سِرِّي بَعدَ كِتمانِ

إنِّي تَدارَكَني عَفٌّ شَمائِلُهُ آباؤهُ حِينَ يُنْمَى خَيْرُ قَحْطانِ
يَنْمِيهِ قَيْسٌ وَزَيْدٌ وَالفَتَى كُرَبٌ وَذو جَبائِرَ مِنْ أولادِ عُثْمانِ[1]
وَذو رُعَيْنٍ وَسَيْفٌ وابْنُ ذي يَزَنٍ وَعَلْقَمٌ قَبْلَهُمْ أغنِي ابنَ نَبْهانِ

قال: فلما أراد الانصرافَ إلى البصرةِ شيَّعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين في ألفِ راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة: [البسيط]

لَقَدْ سُرِرْتُ غَداةَ النَّهْرِ إذ بَرَزَتْ أشياخُ هَمْدانَ فِيها المَجْدُ وَالخِيرُ
يَقُودُهُمْ مَلِكٌ جَزْلٌ مَواهِبُهُ وَارِي الزِّنادِ لَدَى الخَيْراتِ مَذكورُ
أعْني سَعِيدَ بنَ قَيْسٍ خَيْرَ ذي يَزَنٍ سامي العِمادِ لَدَى السُّلطانِ مَحْبُورُ
ما إنْ يَلِينُ إذا ما سِيمَ مَنْقَصَةً لَكِنْ لَهُ غَضَبٌ فيها وتنكيرُ
أغَرُّ أبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بهِ جَنابُهُ الدَّهْرَ يُضحِي وَهْوَ مَمْطُورُ[2]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدّثنا محمد بن زكريا، قال: حدّثنا محمد بن معاوية الزيادي، عن القَحذمي، قال: كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعراً ذا فكاهة، فكان زيادٌ يأنس به طُول حياته، فلما مات وولي عُبيدُ اللّه ابنُه، كان يجفوه، فدخل إليه في جمهورِ الناس، فجلس متوارياً منه حتى خفَّ الناسُ، ثم قام فأذكره بحُقوقه على زيادٍ وأُنسِه به. فقال له: ما أَعْرفني بما قلت! غير أنَّ أبي كان قد عَرفه الناسُ وعرفوا سِيرتَه، فلم يكن يَلصق به من أهل الرِّيبة مثلُ ما يلحقني، مع الشباب وقُربِ العهدِ بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مُجالستي إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً. فقال: الليلُ أحبُّ إليَّ. فكان يدعوه ليلاً فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليلَه ونهارَه حتى كان يغيب فيبعثُ من يُحضره، فجاءه ليلةً وبوجهه آثار، فقال له: ما هذا يا حار؟ قال: ركبت فرسي الأشقر[3] فلجَّجَ بي مَضِيقاً[4] فسحَجَني[5]. قال: لكنك لو ركبتَ أحدَ الأشهبين لم يُصبك شيء من هذا. يعني: اللبن والماء.

أخبرني محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا محمد بن

---

(١) ينميه: ينسبه.
(٢) أبلج: مشرق.
(٣) فرسي الأشقر: أراد الخمر.
(٤) لجج بي مضيقاً: خاض بي مضيقاً.
(٥) سحجني: خدشني.

معاوية الزيادي، عن القَحذمي، عن عمه، قال: خرج حارثة بن بدر إلى سَلم بن زياد بخُراسان فأوصى رجلاً من غُدانةَ أن يتعاهد امرأته الشَّماء ويقومَ بأمرها، فكان الغُدانيُّ يأتيها فيتحدث عندها ويُطيل، حتى أحبَّها وصَبا بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فَسدتْ عليه وتغيَّرت، ويُشِير عليه بفراقها، ويقول له: إنها قد فَضَحَتْك من تَلَعُّبِ الرجالِ بها. فكتب إليها بطلاقها، وكتب في آخر كتابه: [الطويل]

أَلا آذِنَـا شَـمَّـاءَ بـالـبَـيْـنِ إنـه ... أَبَـى أَوَدُ الـشَّـمَّـاءِ أنْ يَـتَـقَـوَّمَـا[1]

قال: فلما طلَّقها وقضت عِدَّتَها، خطبها الغُدانيُّ فتزوجها، وكان حارثةُ شديدَ الحبِّ لها، وبلغه ذلك، وما صنعت، فقال: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما فارَقْتُ شَمَّاءَ عَنْ قِلًى ... وَلٰكِنْ أَطَلْتُ النَّأْيَ عَنها فَمَلَّتِ
مُقِيماً بِمَرْوَرُّوذَ لا أنا قافِلٌ ... إلَيْها ولا تَدْنُو إذا هِيَ حَلَّتِ[2]

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن زكريا، قال: أنبأنا مَهدي بن سابقَ، قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان، قال:

تزوج حارثة بن بَدر ميسةَ بنت جابر، وكانت تُذكر بجمال وعقل ولسان فلما هَلك حارثةُ تزوَّجها بِشرُ بن شِعافٍ بعدَهُ فلم تَحْمده، فقالت تَرْثِي حارثةَ:

بُدِّلْتُ بِشْراً شَقَاءً أو مُعَاقَبَةً ... مِنْ فَارِسٍ كانَ قِدْماً غَيْرَ خَوَّارِ
يا لَيْتَني قَبْلَ بِشْرٍ كانَ عَاجَلَنِي ... داعٍ مِنَ اللهِ أَوْ دَاعٍ مِنَ النَّارِ

وقالت أيضاً فيه: [الطويل]

مَا خَارَ لي ذُو العَرْشِ لَمَّا اسْتَخَرْتُهُ ... وَعَذَّبَني أنْ صِرْتُ لابْنِ شِعَافِ
فما كانَ لي بَعْلاً وما كانَ مِثْلُهُ ... يَكُون حَلِيفاً أو يَنَالُ إلافِي
فيَا رَبِّ قَدْ أَوْقَعْتَنِي في بَلِيَّةٍ ... فَكُنْ لِيَ حِصْناً مِنْهُ رَبِّ وَكَافِ
وَنَحِّ إلٰهي رِبْقَتِي مِنْ يَد امرئٍ ... شَتِيم مُحَيَّاهُ لِكُلِّ مُصَافي[3]
هُوَ السوأةُ السوآءُ لا خَيْرَ عِنْدَهُ ... لِطالِب خَيْرٍ أَوْ أَحَذُّ قَوَافِي[4]

---

(١) الأود: الاعوجاج.
(٢) مروالروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان. انظر معجم البلدان ٥/ ١١٢.
(٣) الربقة: العقدة. وشتيم المحيا: كريهه.
(٤) الأحَذّ: الأملس. وأراد هنا الشيء الجيد الذي لا يتعلق به شيء لجودته.

يَرَى أَكْلَةً إنْ نِلْتُها قَلْعَ ضِرْسِهِ ... وما تِلْكَ زُلْفى يَالَ عَبْدِ مَنافِ
وَإنْ حَادِثٌ عَضَّ الشِّغَافِيَّ لَمْ يَكُنْ ... صَلِيباً ولا ذا تُدْرَإٍ وقِذَافِ[1]

أخبرني محمدُ بن مَزيدٍ قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصِم بن الحدثان، قال: لقي أنس بن زُنيم الدُّئلِي حارثةَ بن بدرٍ فقال له: يا حارثة، قد قُلْتُ لك أبياتاً فاسْمَعْهَا. فقال: هاتها، فأنشده: [الطويل]

فَحَتَّى مَتَى أَنْتَ ابْنَ بَدْرٍ مُخَيِّمٌ ... وَصَحْبُكَ يَحْسُونَ الحَلِيبَ منَ الكَرْمِ
فَإنْ كانَ شَرّاً فالَهُ عَنْهُ وَخَلِّهِ ... لِغَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ التَّخَبُّطِ والظُّلْمِ
وَإنْ كان غُنماً يابْنَ بَدْرٍ فَقَدْ أرَى ... سَئِمتُ من الإِكْثارِ مِنْ ذلكَ الغُنْمِ
وإنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بها واحْتِسَائِها ... فما لَكَ تأتي ما يَشِينُكَ عَنْ عِلْمِ
تَقِ الله واقْبَلْ يابْنَ بَدْرٍ نَصِيحَتِي ... وَدَعْها لِمنْ أَمْسَى بَعِيداً منَ الحَزْمِ
فَلَوْ أنَّها كانَتْ شَرَاباً مُحَلَّلاً ... وَقُلْتَ لِيَ اتركْها لأَوْضَعْتُ في الحُكْمِ[2]
وَأيْقَنْتُ أنَّ القَوْلَ ما قُلْتَ فَانْتَفِعْ ... بقَوْلِي ولا تَجْعَلْ كلامِي مِنَ الجُرْمِ
فَرُبَّ نَصِيحِ الجَيْبِ رُدَّ انْتِصَاحُهُ ... عَلَيْهِ بلا ذَنْبٍ وعُوجِلَ بِالشَّتْمِ[3]

فقال له حارثة: لقد قلتَ فأحسنتَ، ونصحتَ فبالغتَ، جُزيتَ الخيرَ أبا زُنَيم. فلما رجع إلى منزله، أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابنُ زنيم، فقالوا: والله ما نَرَى ذلك إلا حَسَداً. ثم قال حارثة بن بدر لابن زُنَيْم: [الطويل]

يَعِيبُ عَليَّ الرَّاحَ مَنْ لَوْ يَذُوقُها ... لَجُنَّ بها حَتَّى يُغَيَّبَ في القَبْرِ
فَدَعْها أو امْدَحْها فإنَّا نُحِبُّها ... صُراحاً كما أَغْرَاكَ رَبُّكَ بالهَجْرِ
عَلامَ تَذُمُّ الرَّاحَ والرَّاحُ كاسْمِها ... تُرِيحُ الفَتَى مِنْ هَمِّهِ آخِرَ الدَّهْرِ
فَلُمْني فإنَّ اللَّوْمَ فيها يَزِيدُني ... غَرَاماً بها إنَّ المَلامَةَ قَدْ تُغْري
وبالله أولِي صَادِقاً لَوْ شَرِبْتَها ... لأَقْصَرْتَ عن عَذْلي ومِلْتَ إلى عُذْري[4]
وإنْ شِئْتَ جَرِّبْها وَذُقْها عَتِيقَةً ... لها أَرَجٌ كالمِسْكِ مَحْمُودَةَ الخُبْرِ
فإنْ أَنْتَ لَمْ تَخْلَعْ عِذَارَكَ فَالْحَنِي ... وَقُلْ لِي لحَاكَ الله مِنْ عَاجِزٍ غُمْرِ
وَقَبْلَكَ ما قد لامَني في اصْطِبَاحِها ... وفي شُرْبِها بَدْرٌ فأَعْرَضْتُ عَنْ بَدْرِ

---

(١) ذو تدرأ: ذو منعة وعزة. والقذاف: الرمي.
(٢) أوضعت: أسرعت.
(٣) نصيح الجيب: أمين.
(٤) أولي: أقسم. والألية: اليمين.

وَحَاسَيْتُها قَوْماً كأنَّ وُجُوهَهُمْ دنانيرُ في اللأْوَاءِ وَالزَّمَنِ النُّكْرِ[١]
فَدَعْني مِنَ التَّعْذَالِ فيها فإنَّني خُلِقْتُ أَبِيّاً لا أَلِينُ على القَسْرِ
أَجُودُ وأُعْطِي المُنفِسَاتِ تَبَرُّعاً وَأُغْلِي بها عندَ اليَسَارَة والعُسْرِ
وَأَشْرَبُها حَتَّى أَخِرَّ مُجَدَّلاً مُعَتَّقَةً صَهْبَاءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
وَلَوْلا النُّهَى لَمْ أَصْحُ ما عِشْتُ ساعَةً وَلٰكِنَّني نَهْنَهْتُ نَفسِي عَنِ الهَجْرِ
فَقَصَّرْتُ عَنها بَعْدَ طُولِ لَجَاجَةٍ وَحُبٌّ لها في سِرِّ أَمْرِي وفِي الجَهْرِ
وَحَقٌّ لِمِثْلِي أن يَكُفَّ عَنِ الخَنَى ويُقْصِرَ عَنْ بَعْضِ الغَوَايَةِ والنُّكْرِ

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حمَّاد عن أبيه، عن أبي عُبيدة، أن عُبيدَ اللَّه بن زياد استعمل حارثةَ بن بدر على نَيسابور فغاب عنه أشهراً، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك ولم أكتب إليك؟ قال: اسْتنطفتُ خَرَاجَكَ[٢] وجئتُ به وليس لي بها عملٌ، فما مُقَامي؟ قال: أو بذلك أمرتك؟ ارْجع فَارْدُدْ عليهم الخراجَ وخُذْه منهم نُجُوماً حتى تنقضي السنةُ وقد فَرَغْتَ من ذلك، فإنه أَرْفَقُ بالرعيَّة وبك، واحذرْ أن تحملَهم على بَيْع غلاَّتهم ومواشيهم ولا التَّعْنِيفَ عليهم. فرجع فردَّ الخراجَ عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مَضَت السنة.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثنا الرياشيُّ عن الأصمعي، قال: قال الأحنفُ بن قيس: ما غِبْتُ عنْ أمرٍ قطُّ فحضره حارثة بن بدرٍ إلا وثِقْتُ بإحكامه إيَّاه وجَوْدةِ عَقْدِهِ له، وكان حارثةُ بن بدرٍ من الدُّهاة.

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أحمدُ بن يحيى، عن ابن الأعرابيّ، قال: كان حارثةُ بن بدرٍ يُصِيب من الشراب، وكان حَظِيّاً عند زياد، فَعُوتِبَ زِيَادٌ على رَأيِه فيه. فقال: أتلومونَنِي على حارثة؟ فواللَّه ما تَفَلَ في مجلسي قَطّ، ولا حكَّ رِكابُه رِكَابي، ولا سار معي في عُلاوة[٣] الريح فَغَبَّرَ عليَّ، ولا دَعَوْتُه قطّ فَاحْتَجْتُ إلى تَجَشُّم الالتفات إليه حتى يوازيني، ولا شاورتُه في شيءٍ إلا نَصحني، ولا سألتُه عن شيءٍ من أمر العرب وأخبارها إلا وجدتُه به بصيراً.

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري وأحمدُ بن عبيد اللَّه بن عمَّارٍ، قالا:

---

(١) اللأواء: الضيق.
(٢) استنطف خراجه: استوفاه.
(٣) علاوة الريح: مهبّها.

حدّثنا عمر بن شبَّةَ، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال: لما كان يوم دُولاَب وأفضت الحربُ إلى حارثةَ بن بدر صاح: مَن جاءنا من الموالي فله فريضةُ العريب، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضةُ المهاجر. فلما رأى ما يَلقى أصحابه من الأزارقة قال: [الكامل]

أَيْـرُ الـحِـمـارِ فَـرِيـضـةٌ لِـشَـبـابِـكُـمْ وَالـخُـصْـيَـتـانِ فَـرِيـضَـةُ الأَعْـرَابِ
إنَّ الـمَـوَالِـيَ مَـعْـشَـرُ الـخُـيَّـابِ عَـضَّ الـمَـوَالِـي جِـلْـدَ أَيْـرِ أَبِـيـهِـمُ

ثم قال: [مجزوء الرجز]

كَـرْنِـبُـوا ودَوْلِـبُـوا وشَـرِّقُـوا وغَـرِّبُـوا
وحَـيْـثُ شِـئْـتُـمْ فـاذْهَـبُـوا

يَعْني بقوله: «كَرْنِبُوا» أي: خُذُوا طريقَ كَرْنَبَى، و«دولبوا»: خذوا طريق دُولاب. أخبرني محمدُ بن زكريا الصحَّاف، قال: حدّثنا قَعنب بن مُحرز، قال: حدثنا الهيثم بن عديّ، عن ابن عيّاشٍ، عن المغيرة بن المُنتشر، قال: إنَّا عند عُبيدِ اللَّه بن زياد، وعنده الأحنفُ بن قيس وحارثةُ بن بدر، وكان حارثةُ يُتَّهم بالشراب. فقال له عبيدُ اللَّه: يا حارثة، أيُّ الشراب أَطيب؟ قال: بُرَّة[١] طبريَّة؛ بأَقِطة عَنَزِيَّة[٢]، بسَمنة عَرَبيَّة، بسُكرة سُوسِيَّة[٣]. فتبسَّم عبيدُ اللَّه، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أيُّ الشَّرابِ أَطْيَبُ؟ قال: الخمر. فقال له عبيدُ اللَّه: وما يُدْرِيكَ ولَسْتَ من أَهْلِها؟ قال: مَنْ يَسْتَحِلُّها لا يَعْدُوها إلى غَيْرِها، ومن يُحَرِّمُها يَتَأَوَّل فيها حتى يَشْربها. قال: فضحك عُبيد اللَّه.

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي وعمرُو بن عبد اللَّه العَتكي، قالا: حدّثنا الرياشيّ ـ وقال العتكي في خبره: «عن أبي عبيدة»، ولم يَقُلْهُ الأسديُّ ولا تَجَاوَزَ الرياشيَّ به ـ أن حارثةَ كان بكُوَار[٤] من أردشير خُره[٥] يتنزه فقال [الوافر]

---

(١) البُرّة: الخبز.

(٢) عنزية: نسبة إلى عنز وهو موضع بنجد (معجم البلدان ٤/ ١٦١).

(٣) سوسيّة: نسبة إلى سوس وهي كورة بالأهواز. (معجم البلدان ٣/ ٢٨٠).

(٤) كُوار: بلدة بينها وبين شيراز عشرة فراسخ. (معجم البلدان ٤/ ٤٨٦).

(٥) أردشير خُره: كورة في فارس. (معجم البلدان ١/ ١٤٦).

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ حـارِثَـةَ بْـنَ بَـدْرٍ أَقَـامَ بِـدَيْـرِ أَبْـلَـقَ مِـنْ كُـوَارَا[١]

ثم قال لجُند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حُكْمُه. فقال له رجل منهم: أنا أُجيزُه على أن تَجْعَل لي الأمانَ من غضبك، وتجعلَني رسولك إلى البصرة، وتطلبَ لي القَفَل[٢] من الأمير. قال: ذلك لك. قال: ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل: [الوافر]

مُقِيماً يَشْرَبُ الصَّهْبَاءَ صِرْفاً إذا مـا قُلْتَ تَصْرَعُهُ اسْتَدَارَا

فقال له حارثةُ: لك شرطُك، ولو كنتَ قلتَ لنا شيئاً يسُرنا لَسَرَرْناك. كتب إليَّ أبو خليفة الفضلُ بن الحُبَاب، أخبرنا محمدُ بن سلاَّم، قال: قدم الأُبَيْرِدُ الرِّيَاحِيُّ على حارثة بن بدر فقال له: اكْسُني ثَوْبَيْن أدخلُ بهما على الأمير. فكساه ثوبين لم يَرْضَهُما، فقال فيه:

أحـارِثُ أَمْسِكْ فَضْلَ بُرْدَيْكَ إنَّـمـا أَجَـاعَ وَأَعْـرَى اللهُ مَنْ كُنْتَ كَاسِيَا

وَكُنْتُ إذا اسْتَمْطَرْتُ منكَ سَحَابَةً لِتُمْطِرَنِي عَادَتْ عَجَاجاً وسَافِيا[٣]

أَحَارِثُ عَاوِدْ شُرْبَكَ الخَمْرَ إنَّني رَأَيْتُ زِيَاداً عَنْكَ أَصْبَحَ لاَهِيَا

فَبَلَغَتْ زياداً، وبلغتْ حارثة، فقال: قَبَحه الله! شهد عليّ بما لم يعلم، ولم أدعْ جوابه إلا لَمَا يعلم.

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: كان الحكم بن المنذر بن الجَارُود يشرب الشراب، فقيل له في ذلك وعُوتب، وعرف أن الصَّلتان العبدي هجاه فقال فيه: [الرمل]

تَـرَكَ الأشْـيـاءَ طُـرّاً وانْـحَـنَـى يَشْرَبُ الصَّهْبَاءَ من ماءِ العِنَبْ

لا يَـخَـافُ الـنَّـاسَ قَـدْ أَدْمَـنَـهـا وَهْيَ تُزْرِي بِاللَّئِيم المُؤْتَشِبْ[٤]

وَهْـيَ بِـالأَشْـرَافِ أَزْرَى وَإِلَـى غَايَةِ التَّأْنِيب تَدْعُو ذا الحَسَبْ

فَـدَعِ الْـخَـمْـرَ أبـا حَـرْبٍ وَسُـدْ قَـوْمَـكَ الأَدْنَـيْـنَ مِـن بَـيْـنِ الـعَـرَبْ

(١) دير أبلق: دير بالأهواز بناحية اردشير خُره. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٦).

(٢) القَفَل والقُفول: الرجوع.

(٣) العجاج: الغبار. والسافي: التراب المتبدّد.

(٤) المؤتشب: الذي جمع ماله من أخلاط من الحرام.

فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصلح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشُّرْبُ لكنتُ الرجل الكامل، وما يخفى عليَّ قبيحُه وسوء القَالَة فيه، ولكني سمعتُ حارثةَ بن بدرٍ الغُداني أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المُجاهرة بالشراب، وإن كان ذلك إليَّ بغيضاً. قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعتُه يُنْشد: [الطويل]

أَذْهَبَ عَنِّي الغَمَّ والهَمَّ والَّذِي ... بِهِ تُطْرَدُ الأَحْدَاثُ شُرْبِ المُرَوَّقِ
فَوَاللَّهِ ما أَنْفَكُ بالرَّاحِ مُهْتَراً ... وَلَوْ لامَ فيها كُلُّ حُرٍّ مُوفَّقِ[1]
فَما لائِمِي فِيها وإنْ كانَ ناصِحاً ... بأَعْلَمَ مِنِّي بالرَّحِيقِ المُعَتَّقِ
وَلٰكِنَّ قَلْبِي مُسْتَهَامٌ بِحُبِّها ... وَحُبُّ القِيانِ رَأْيُ كُلِّ مُحَمَّقِ
أُحِبُّ الَّتي لا أَمْلِكُ الدَّهْرَ بُغْضَها ... وَذٰلِكَ فِعْلٌ مُعْجِبٌ كُلَّ أَخْرَقِ
سَأَشْرَبُها صِرْفاً وأَسْقِي صَحابَتِي ... وَأَطْلُبُ غِرَّاتِ الغَزَالِ المُنَطَّقِ[2]

أخبرني محمدُ بن مَزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: كان لحارثة بن بدر نَديمٌ من قُريش يُصيب معه الشرابَ، ولا يفارقُه إذا شرب، وقال فيه: [الطويل]

وأَبْيَضَ مِنْ أولادِ سَعْدِ بن مَالِكٍ ... سَقَيْتُ مِنَ الصَّهْباء حَتَّى تَقَطَّرَا[3]
وَحَتَّى رأى الشَّخْصَ القَرِيبَ بِسُكْرِهِ ... شُخُوصاً فَنَادَى يَالَ سَعْدٍ وكَبَّرا
فَقُلْتُ أَسَكْرَانٌ؟ فَقَالَ مُكَابِراً ... أَبَى الله لِي أنْ أَسْتَخِفَّ وأَسْكَرا
فَقُلْتُ لَهُ اشْرَبْ هٰذِهِ بَابِلِيَّةً ... تَخالُ بها مِسْكاً ذَكِيّاً وعَنْبَرا
فَلَمّا حَسَاها هَزَّها ثُمَّ إِنَّهُ ... تَماسَكَ شيئاً واجِماً مُتَفَكِّرا
وقالَ أَعِدْها قُلْتُ صَبْراً سُوَيْعَةً ... فَهَوَّمَ شَيْئاً ثم قامَ فَبَرْبَرَا[4]
فَقُلْتُ له نَمْ ساعَةً عَلَّ ما أَرَى ... مِنَ السُّكْرِ يُبْدِي مِنْكَ صُرْماً مُذَكَّرا[5]

قال إسحاق: قال عاصم بن الحدثان: كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً، وهو خال أبي حُزانة، أو خال أبي جميعة، وكان

---

(١) مهتراً: مولعاً.
(٢) المنطق: لابس النطاق.
(٣) تقطّر: رمى بنفسه من عَلٍ.
(٤) هَوّم: هز رأسه من النعاس. وبربر: خلط في كلامه.
(٥) الصرم المذكر: الهجران الذي لا عودة منه.

صديقاً لحارثةَ بن بدر، فدخل عليه يوماً وهو مُصْطَبحٌ، فعاتبه[١] حارثة بن بدر وقال له: قَدْ أسقطَت الخمرُ قَدرك ومُروءَتك. قال له: دع عنك هذا الجنونَ وهلمَّ نتساعد واسمع ما قلت. قال: هاته، فأنشده: [الطويل]

غدا ناصحاً لم يَألُ جُهْداً مُخارِقٌ ... يَلُومُ على شُرْبِ السُّلاَفِ المُعَتَّقِ
فَقُلْتُ أبا صَخْرٍ دَعِ النّاسَ يَجْهَلُوا ... وَدُونَكَها صَهْبَاءَ ذاتَ تَألُّقِ
تَراها إذا ما المَاءُ خَالَطَ جِسْمَها ... تَخايَلُ في كَفِّ الوَصِيفِ المُنَطَّقِ
لَها أرَجٌ كَالمِسْكِ تُذْهِبُ رِيحُها ... عَمَايَةَ حَاسِيها بِحُسْنِ تَرَفُّقِ
وَكَمْ لاَئِمٍ فيها بَصِيرٍ بِفَضْلِها ... رَمَتْهُ بِسَهْمٍ صَائِبٍ مُتَزَلِّقِ[٢]
فَظَلَّ لِرَيَّاها يَعُضُّ نَدَامَةً ... يَدَيْهِ وأرْغَى بَعدَ طُولِ تَمَطُّقِ
وقالَ لَكَ العُذْرُ ابْنَ بَدْرٍ على الَّتي ... تُسَلِّي هُمُومَ المُسْتَهامِ المُشَوَّقِ
فَلَسْتُ ابْنَ صَخْرٍ تارِكاً شُرْبَ قَهْوَةٍ ... لِقَوْلِ لَئِيمٍ جاهِلٍ مُتَحَذْلِقِ
يَعِيبُ عَلَيَّ الشُّرْبَ وَالشُّرْبُ هَمُّهُ ... لِيُحْسَبَ ذَا رَأْيٍ أصِيلٍ مُصَدَّقِ
فَما أنا بالغِرِّ ابْنَ صَخْرٍ ولا الَّذي ... يُصَمِّمُ في شيءٍ من الأَمْرِ مُوبِقِ[٣]

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناسَ قد كَثَّرُوا فيك، ورأيتُ النصيحةَ للَّه واجبةً عليَّ، وكرهت أن تَضَعَ لذَّتُك قَدْرَك، فإن أطعتَني في تركها وإلا فلا تجاهر بها، فإنك قادرٌ على أن تَبْلُغَ حاجَتَك في سَتْر. فقال حارثة: ما عندي غير ما سَمِعْتَ، فتركهُ وانْصَرف.

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخُزَاعي، قال: أنبأنا الرياشيّ عن محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب، قال: لما بنى فيل مولى زيادٍ داره بالسَّبابجة[٤]، صنع طعاماً ودعا أصحابَ زيادٍ، فدخلوا الحمامَ المعروفَ بحمَّام فيل[٥]، وخرجوا فتغدَّوا عنده، وركب فِيلٌ وأصحابُه الهَمَالِيجَ[٦]، والمَقَارِيفَ[٧] والبِغَال، واجتاز بهم معه

(١) هكذا في الأصل، والصواب: فعاتب.
(٢) متزلق: محدّد.
(٣) موبق: مهلك.
(٤) السبابجة: قوم من السند كان جلاوزة وحراس السجن فيها وأراد هنا الحي الذي كانوا يسكنونه.
(٥) حمام فيل: حمام بالبصرة. (معجم البلدان ٢/ ٢٩٩).
(٦) الهماليج: جمع هملاج، وهو دابة عظيمة الخلقة غليظة الأعضاء. تشبه الفرس إلا أنها أغلظ.
(٧) المقاريف: جمع مقرف، وهوالفرس غير الأصيل.

على حارثةَ بن بدر وأبي الأَسْوَد الدُّؤَليّ وهما جالسان، فقال أبو الأسود: [الوافر]

لَعَمْرُ أَبِيكَ ما حَمَّامُ كِسْرَى عَلَى الثُّلُثَيْنِ مِنْ حَمَّامِ فِيلِ

فقال له حارثة: [الوافر]

وما إِيجافُنَا خَلْفَ المَوالِي بِسُنَّتِنَا عَلى عَهْدِ الرَّسُولِ

أخبرني محمدُ بن مَزيد، قال: أنبأنا حمادٌ عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: حدثني عمي عن الحارث الهُجَيْمي، قال: ذُكِرَ حِلْمُ الأحنف بن قيس عند عُبيد اللَّه بن زياد وعنده حارثةُ بن بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيد اللَّه: أيها الأمير، ما يَبلغ حِلمُ مَنْ لا قدْرَةَ له ولا يملك لعَدوِّهِ ضراً ولا لصديقه نفعاً. وإنما يتكلَّفُ الدخولَ فيما لا يعنيه؟ فبَلَغ ذلك من قوله الأحنفَ فقال: أَهْونْ بحارثةَ وكلامِه؟ وما حارثةُ ومقدارُه أليس الذي يقولُ ـ قبح الله رأيَه في قوله ـ: [الطويل]

إذا ما شَرِبْتُ الرَّاحَ أَبْدَتْ مَكَارِمِي وَجُدْتُ بما حَازَتْ يَدَايَ من الوَفْرِ
وإنْ سَبَّنِي جَهْلاً نَدِيمِيَ لم أَزِدْ على اشْرَبْ سَقَاكَ الله طَيِّبَةَ النَّشْرِ
أَرَى ذاكَ حَقّاً وَاجِباً لِمُنَادِمِي إذا قالَ لي غَيْرَ الجَمِيلِ منَ النُّكْرِ

أخبرني عمِّي، قال: أنبأنا الكُرانيّ، قال: أنبأنا الرياشيُّ عن الأصمعي، قال: كان لحارثة بن بدرٍ جاريةٌ يقال لها «مَيْسَة» وكان بها مَشْغُوفاً، فلما مات تزوجَتْ بعدَهُ بشْر بن شغاف. فهؤلاء الشِّغافيون من ولدها، وفيها يقول حارثة:

[الطويل]

خَلِيلَيَّ لَوْلا حُبُّ مَيْسَةَ لَمْ أُبَلْ أفي اليوم لاَقَيْتُ المَنِيَّةَ أمْ غَدَا[1]
خَلِيلَيَّ إنْ أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَيْكُما فَلاَ تَجْعَلا سِرِّي حديثاً مُبَدَّدا
وإنْ أنتُما أفشيتُماهُ فلا رَأَتْ عُيُونُكما يَوْمَ الحِسَابِ مُحَمَّدا
ولا زِلْتُمَا في شِقْوَةٍ ما بَقِيتُما تَذُوقَانِ عَيْشاً سيِّىءَ الحَالِ أَنْكَدا

أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ، قال: أنبأنا الحُسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعودُ بن بشرٍ عن أبي عبيدة، قال: اجتاز حارثة بن بدر الغُداني بمجلسٍ من مجالِس قومه من بني تميم ومعه كَعْبٌ مولاه، فكلما اجتاز بقومٍ قاموا إليه وقالوا:

(١) لم أُبَل: لم أبالِ.

مرحباً بسيدنا، فلما وَلَّى قال له كعبٌ: ما سمعتُ كلاماً قطّ أقرَّ لعيني ولا أَلَذَّ بسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم. فقال له حارثة: لكني لم أسمعْ كلاماً قطّ أَكْرَهَ لنفسي وأبغضَ إليَّ مما سَمِعْتُه. قال: ولم؟ قال: ويحك يا كعب! إنما سوَّدَنِي قومي حين ذهب خيارُهم وأَمَاثِلُهُم، فاحفظْ عني هذا البيت: [الكامل]

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ ... وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بالسُّودَدِ

[وصيته حين أشرف على الموت]

قال: واشتكى حارثةُ بن بدر وأشرفَ على الموت، فجعل قومه يَعُودونه فقالوا له: هل لك من حاجةٍ أو شيء تريده؟ قال: نعم، اكْسروا رِجْلَ مولاي كعب لئلا يَبْرَحَ من عندي فإنه يُؤْنسُني. ففعلوا، وأنشأ يقول: [البسيط]

يا كَعْبُ مَهْلاً فلا تَجْزَع على أَحَدِ ... يا كَعْبُ لم يَبْقَ منّا غَيْرُ أَجْسَادِ
يا كَعْبُ مَا رَاحَ من قَوْمٍ ولا بكَرُوا ... إلا ولِلْمَوْتِ في آثارِهِمْ حَادي
يا كَعْبُ ما طَلَعَتْ شَمْسٌ ولا غَرُبَتْ ... إلا تُقَرِّبُ آجالاً لِمِيعَاد
يا كَعْبُ كَمْ من حِمَى قَوْمٍ نَزلْتُ بِهِ ... على صَوَاعِقَ من زَجْرٍ وإِيعَاد
فإنْ لَقِيتَ بوادٍ حيَّةً ذَكَراً ... فَاذْهَبْ ودَعْني أُمَارِسْ حَيَّةَ الوَادي

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين:

صوت

[الرمل]

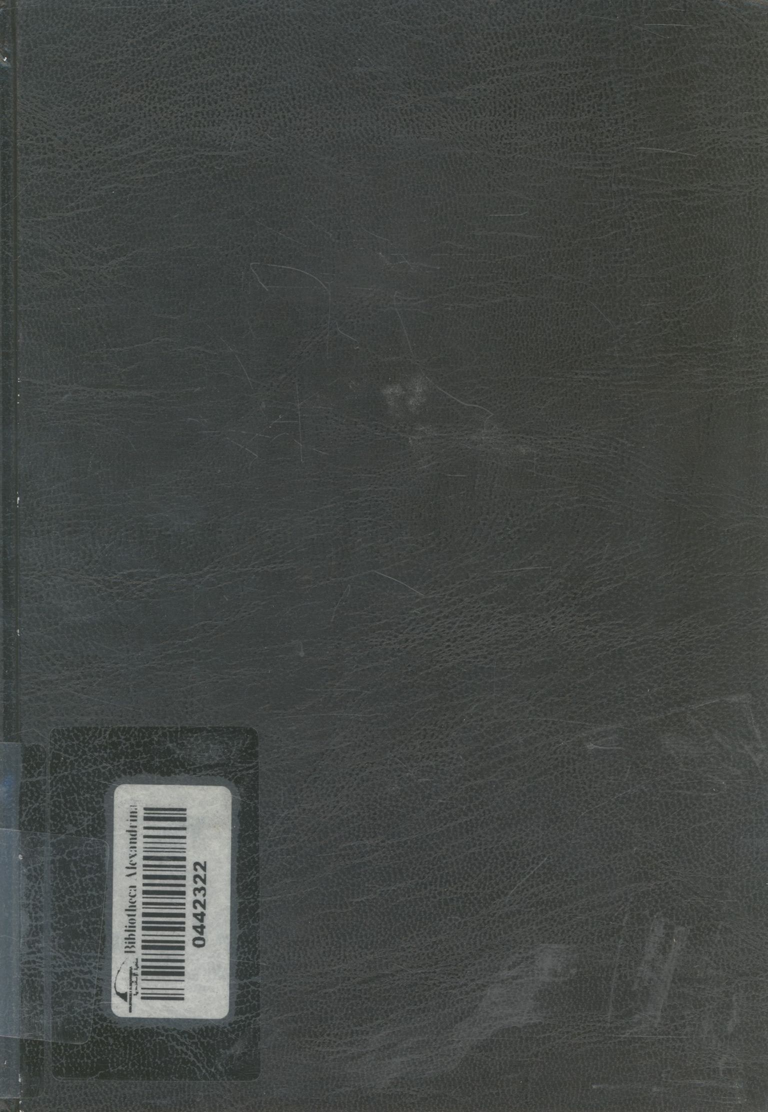
عِشْ فَحُبِّيكَ سَرِيعاً قاتِلِي ... وَالضَّنَى إنْ لَمْ تَصِلْنِي واصِلِي
ظَفِرَ الشَّوْقُ بِقَلْبٍ دَنِفٍ ... فِيكَ والسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ
فَهُمَا بَيْنَ اكتئابٍ وَضَنًى ... تَرَكَانِي كالقَضِيبِ الذَّابِلِ

الشعر لخالد الكاتب. والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى. وذكر جحظة أن هذا الرمل أُخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

إلى هنا تم بحمد الله الجزء الثامن

ويليه الجزء التاسع وأوله أخبار كثير ونسبه

فهرس الجزء الثامن


Bibliotheca Alexandrina
04442322